مأمون أتراسي

آشور

الكتاب : ملعون انترياس
المؤلف : مريم محمد
الطبعة الثالثة : ٢٠٢٠
تدقيق لغوي : د. اثير اسعد
مصمم الغلاف : مريم محمد
الأخراج الفني : شروق سمير
978-9922-9133-5-3 : I.S.B.N

العراق - بغداد - شارع المتنبي
هاتف : 009647706565807
لمراسلة الدار : darashurbanipal@gmail.com
Ashurbanipal.bookstore
Ashurbanipal_books

© جميع حقوق النشر محفوظة للناشر ، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق.

SH
DESIGN BY

رواية

ملعون انترياس

آشور

When you can`t know the Victim orF
The Culprit and the Roles are Reversed
And the rules turn and see the Wonders
You have to know you are in
OSIRIS

عندما لن تستطيع ان تعرف الضحية من الجاني
وتنقلب الموازين وتتبدل الادوار وترى العجائب
يجب ان تعرف انك في اوزوريس

Sirius

epic

إهداء

منــذُ أن كنــتُ في الســابعة مــن عمــري وأنــا أقــرأ القصــص والروايــات الخياليــة المشــوقة, وأشــاهد العــوالم الغريبــة والمثــيرة التــي صــنعتها عقــول البشــر مــن وحــي خيــالهم. لطالمــا كنــتُ مُولعــةً بهــذهِ الحكايــات، ومــع موهبــةٍ حبــاني بهــا الله، كانــت تــراودني دائمــاً حكايــات مُختلفــة منــذ صــغري. كنــت أرويهــا لبقيــة الاطفــال حــين يشــكلون حلقــةً حــولي، بعيــون فضــولية وابتســامة حــماس لســماع التــالي، وأنــا أقــصّ علــيهم حكايــات لم أفكــر بنهاياتهــا، بــل كانــت تُســرد عــلى عقــلي تباعــاً إلى أن أصــل إلى نقطــة أنهــي بهــا القصــة، ولا أرى ســوى نظــرات الدهشــة والأســئلة التــي تنهــال عــليّ عــن أبطــال القصــة وكيــف ولمــاذا. اعتــدتُ دائمــاً أن أفاجــأهم وأفاجــأ نفســي بحكايــاتٍ مشــوقة ونهايــات صــادمة توحــي بمؤلــف أكــبر منــي عمــراً. كــذلك ظهــرت عنــدي موهبــة رســم بســيط عملــتُ عليهــا لفــترة قصــيرة، لكــن للأســف ولعــدة أســباب لم أســتطع الاســتمرار في أيّ مــنهما. بعــض تلــك الحكايــات دوّنتهــا بالفعــل مــع رســومات طفوليــة كمشــاهد للقصــة لم اســتطع الاحتفــاظ بهــا. عنــدما كنــتُ في دراســتي للمرحلــة المتوســطة قــررتُ أن أكتــبَ قصــة أســطورية أســميتها (legend of mary grat)، ثــم حوّلتهــا للغــة الانكليزيــة باســتخدام القــاموس الــورقي أكســفورد,وأهديتها إلى معلمتــي، فــانبهرت بهــا وشــجعتني. بــدأتُ بكتابــة مختصــر لأحــداث روايــة نويــتُ كتابتهــا بالتفصــيل

لاحقاً،أسـميتها (متاهـات الحيـاة). أكملتُهـا لكـن بعـدها ولظـروف مُعينـة خارجـة عـن إرادتي أيضـاً تركـتُ الكتابـة، وبقيـت متاهـات الحيـاة في دُرج مكتبتـي. مـرّت سـنوات، نسـيتُ خلالهـا مـواهبي وشغفي وانشـغلتُ بظـروف الحيـاة (كـأيّ بنـت في بلـد عـربي ومـا يمكـن أن تعانيـه). لكـن بعـد خمسـة أعـوام مـن الانقطـاع عـن الكتابـة والرسـم والشـغف، وهجـر الطمـوح الكبـير الـذي دفنتـهُ بـداخلي لدرجـة أنني بـدأتُ أنسـى مَـن كنـتُ حقـاً ومـا كانـت أمنيـاتي, فجـأةً، لاح لي نـورٌ أضـاء عُتمـة حيـاتي... سـندي وحبيبي،الـذي بـاتَ كـل شيء بالنسـبةِ لي، وهـو زوجـي الغـالي. أصـبح هـو مصـدر إلهـامي وقـوّتي. أريـد أن أقـول لـيس وراء كـل رجل عظيم امرأة ولا وراء كل امرأةٍ عظيمةٍ رجل، ولكن...

وراء كل شخص عظيم, حبٌ عظيمٍ أو ألمٌ عظيم

وأنا حظيتُ بالحب العظيم مع مُحَسَّد

أحبكَ بعدد أنفاس خلائق الكون يا كُلَّ كُلّي

أهـدي هـذهِ السلسـلة لـكَ وأتشـرف باسـمكَ وسـاماً مختوماً على قلبي

...مُحَسَّد...

مقدمة

(أوزوريس / 3445 ق)

وقف أستاذ بجانب مرآةٍ[1]، تعرض ما يشرح عنه، أمام تلاميذه.

- أهـلاً وسـهلاً بتلاميـذي الجـدد... سـأبدأ معكـم منـذ البدايـة، عـن كوكبنـا، أوزوريـس العظـيم. يقـع أوزوريـس داخـل مَجَـرَّة درب التبانـة،وهو مُحـاط بغـلاف غـازي يجعلـهُ متواريـاً عـن الأنظـار،يمتص جميـع أنـواع الأشـعة والموجـات، الصـوتية والكهرومغناطيسـيّة، ويعكسـها باتجاهـاتٍ مختلفـة عـن الاتجـاه الذي أتت منـه، ولهـذا لا يمكـن رصده أو العثور عليـه بأيـة وسـيلة تكنولوجيـة مُكتَشـفة إلى الآن. هـذه تعتـبر وسـيلةً دفاعيـة إذ لم يتم الوصول إليه أو اكتشافه حتى يومنا هذا...

رفع أحد التلاميذ يده.

- أستاذ لدي سؤال.
- نعم تفضل سمو الأمير تورمانيوس.
- ألهذا السبب لم يعثر علينا البشر ولم نرَ أياً منهم؟!

1- (مرآة مورينا :وهي مرآة التاريخ في اوزوريس والتي تحرُسُها فُرسان مورينا,حيث في اوزوريس يتم حفظ وتدريس التاريخ وتناقلهُ عَبر الاجيال مِن خلال هذهِ المرآة التي توجد واحدة منها فقط في كل مملكة من الممالك الثلاث)

- في الحقيقـة يـا سـمو الأمـير إنّ وجـود البشـر حتـى الآن مجـرد نظريـات غـير مدعومـة بـدلائل. فـلا نسـتطيع إنكـار وجـودهم لأنهـم مـذكورون في الكثـير مـن الملاحـم التاريخيـة، مثـل (أتيكوردينـا)، ولا نسـتطيع أيضـاً تأكيـد ذلـك. اهـي مُجـرد قصـص وليـدة خيـال جـامح ام ان هنالـك حقـائق خلفهـا ؟! لا نعلـم , لكـن الأكيـد أنهـم أبعـد مـا يكـون عنـا، سـواءً كـانوا موجـودين أم لا. حسناً، لنكمل الآن...

قال ذلك بطريقة توحي باللامبالاة ليسترسَلَ في الشَرح

في أوزوريـس ثـلاثُ سـلالاتٍ حاكمـة, مـع سـلالة رابعـة مـن التوابع،انحـدرت كلّهـا مـن أول أزواج خُلِقـوا عـلى هـذا الكوكـب. أسّسـت تلـك السـلالات الـثلاث ممالـك لهـا وأنظمـة حكـم، مـع القوانين الخاصة بكل مملكة، والممالك كالتالي:

(مملكـة أوماريـا) وهـم سـلالة مـن أشـباه البشـر المتطـوّرين. أشـكالهم الخارجيـة وأعضـاؤهم الداخليـة وخلايـاهم شـبيهة بالبشـر عـلى كوكـب الأرض، لكنهـا تطـورت واكتسـبت قابليـة الانقسـام والـتقلّص والتشـكّل،حيث أن الحـامض النـووي الخـاص بهم هو حامض نووي بشري مُختَلط.

لـذلك يسـتطيع الأومـاريّون التحـوّل إلى جميـع الكائنـات متعددة الخلايـا، وتبـدأ هـذه القـدرة لـديهم مـن عمـر المئـة وسـتين عامـاً،وهو سـن الرشد،ويسـتطيعون إتقانهـا بعـد التـدريب, وهـم يعيشون غالباً حتى خمسمئة عام.

أسسـت هـذه المملكـة سـلالة الأوماريـا،وهي المملكـة الأقـوى والأكـثر توسـعاً, وقامـت بضـمّ بـاقي الممالـك تحـت جناحهـا

وحمايتهـا، وتسـتقر سـلالتها في (أدونايـا)، عاصـمة أوزوريـس. هـذهِ هي سُلالتنا نَحن .

- أســتاذ، هــذا يعنــي أن البشــر موجــودون، وإلا كيــف علــم أسلافنا أننا نشبههم، وخلايانا هي خلايا بشرية متطورة؟!

- ســمو الأمــير، اوصــاف البَشــَر واشــكالهم كانــت مرســومة في ملحمـة اتيكوردينـا بالتفصـيل ولكـن لا يمكننـا الجـزم بوجـود شيء لا نســتطيع رؤيتــه والتأكــد منــه, ارجــوا مــنكم ان لا تُركــزوا في اساطير غير مُثبتة الى الآن.

(مملكـة التريفـي) هـي المملكـة التـي تـأتي بعـد مملكـة الأوماريـا مــن حيــث القــوة. قامــت بتأسيســها ســلالة التريفــي، وهــم مخلوقــات ثنائيــة الأرجــل، لهــم جلــد ناصــع البيــاض، وأجســام شـبيهة إلى حـدٍ مـا بأجسـام الأوماريـا. لكـن عيـونهم دائريـة خرزيـة سـوداء، بنـدبٍ تحـت عيـونهم مـع وجـه كُمـثري صـغير، تعلـوه أُذنــان طويلتــان بنهايــات ســوداء. يمتــازون بالــذكاء الحــاد مــع قـوتهم القتاليـة وأسـلحتهم الفتّاكـة. يسـتطيعون التحـوّل إلى شـكل واحــد فقــط وهــي طيــور التريفــي، وهــذه القــدرة تمكّــنهم مــن الهـرب وقـت الحاجـة لـذلك. هـذه الطيـور ، تعلـو رأسـها أذنـان طويلتـان ذات نهايـات سـوداء اللـون، وعـلى صـدرها شـعار التريفـي الخــاص بســلالتهم، والــذي أصــبح فــيما بعــد شــعار مملكــتهم. مـوطنهم هـو جـزر التريفـي المخفيّـة، الواقعـة عـلى الحـد الفاصـل بـين نصـفي الكوكـب النـاري والجليـدي. هـذا مـا يُقـال، ولكـن لا أحـد مـن سـكان بـاقي الممالـك يعـرف كيفيـة الوصـول إلى جـزر التريفي، ولهذا لقّبت بالمخفيّة.

(مملكــة فيروســيا) هــي المملكــة الثالثــة، أسســتها سُــلالة فيروســيا،وهم أعتــى ســحرة أوزوريــس. تكمــن قــوتهم في تعاويـذهم السـحرية وقـدرتهم عـلى تفعيلهـا، حيـث لا يمكـن لأي مخلوق غيرهم استعمالها حتى لو درسها وحفظها.

تمتــاز هــذهِ الســلالة بالــدهاء والتملّــق للأقــوى،وهم الأقــرب للأومارـيـا بالشـكل لكـنهم يتميـزون عـنهم بالبشـرة الداكنـة جـداً والشـعر اللؤلـؤي الفـاتح للغايـة، مـع تعويـذات التـي تطبـع عـلى ظهورهم وجباههم منذ الولادة.

- أستاذ ممكن سؤال؟

- تفضلي يا داريا.

- لماذا تطبع هذه التعاويذ عليهم منذ الولادة؟

- ذلــك للتمييــز إلى أيــة فئــة ينتمــون، لأن هنــاك فئــات كثــيرة لسحرة فيروسيا.

راجعيهـا في سـجلات أوزوريـس التـي وزعتُهـا عليكم،وسـأختبركم بها غداً.

(سـلالة كلاريـوس) وهـي سـلالة مـن أنصـاف العمالقـة. أطـوالهم تــتراوح مــن ثلاثــة إلى خمســة أمتــار, ذوو أيــادٍ عريضــة ورؤوس ضــخمة. جلــدهم صــلب كــالحجر أســود اللــون، تنتشــر عليــه نقــوش صــفراء متوهجــة، تشــبه الشــقوق البركانيــة. يســتطيعون حمــل أثقــل الأشــياء وتحطيمهــا, لكــنهم رغــم قــوتهم البدنيــة يفتقـرون للـذكاء، لهـذا يعتـبرون السـلالة الحاميـة فقط،ومعظمهـم حــراس للعوائــل الحاكمــة للممالــك الــثلاث, والجيــوش تتكــون مــنهم، خصوصــاً بعــد أن انضــمّوا تحــت لــواء الأومارـيـا. مــوطنهم

الأصلي شبه جزيرة الهلاك، الواقعة في الطرف الجنوبي من أوزوريس.

(سلالة الألينان) هي السلالة المُضطهدة. هم مخلوقات متباينة بعضها صغير والآخر كبير وبعضها مُسالم والآخر متوحش. تختلف أشكالهم وطبيعتهم عن بعضهم بحسب أماكن عيشهم وظروف البيئة التي تأويهم، حيث هنالك إلينان الثلوج الذي يسكنون (جزيرة تونامیا)، وإلينان الماء الذي يسكنون (محيط الكريدنس)، وإلالينان الأرضيين الذي يسكنون (غابة الألينان)، وإلينان الجبال الذي يسكنون بعض الجبال في (صحاري أنترياس)، وإلينان النار الذين يسكنون (جزيرة أوركاما). هذه السلالة يعتبرها جميع سكان أوزوريس (سلالة التوابع)، ذلك لأن كل فرد من الإلينان قلبهُ يقبع خارج جسده،وهو نفسه البيضة التي يولد منها والتي تخرج من الأرض مثل النبتة. ما إن يحصل أي مخلوق على القلب فإنّ ذلك الإلينان يصبح تابعاً له أينما ذهب وينفذ أوامره، ويكون تحت سيطرته بالكامل. لهذا كانت بقية السلالات تشنّ هجمات صيد على الألينان لتحصل على توابع لها منهم،لاستخدامهم كدواب يركبونها أو خدم وغير ذلك.

تشاركت الممالك الثلاث في العيش على الكوكب, أو ما هو متوفر منه، لأن أوزوريس مقسوم إلى نصفين, نصف جليدي ونصف ناري،وبينهما حزام من الأرض، يحوي بقاعاّ خضراء وجبالاّ وصحارِ وبحيرات، تسمح بعيش جميع هذه المخلوقات،وهو ما تقاسمتهُ الممالك.

1- خريطة اوزوريس

1

سجينة القاعة

II -- الأميرة أوليفيا

(أوليفيا / أوزوريس / 1911م – 3501 ق[1])

هكـذا بـدأ كـل شيء، كُنـا أنـا وتورمـانيوس عـلى أطـراف وادي بريكلـز. يحـاول تعلّيمـي كيفيـة الرمايـة بِسـلاح (الغلوبـال)[2] ، بعـد إلحـاحٍ شـديد مني. كنـتُ أبـذل قصـارى جهـدي، في التركيـز وفي شـدّ ذراعـي، لكننـي لم أسـتطع أن أرمـي بـه بقـوة كـما يفعـل هـو. حاولـتُ مسـكهُ بثبـات والتصـويب، لكنـهُ كـان قويـاً ولا يطـاوعني رغـم اسـتعمالي كـل قـوتي. ازدادت ضربـات قلبـي ,تصـبّب العـرق مـن جبينـي , بـدأت يـداي تـؤلمني فقـد أنهكتهـا كـثرة المحـاولات الفاشلة، وأخذت عيناي بالتشوّش.

- أوليفيـا، لقـد أجهـدتِ وآذيـتِ نفسـكِ جـداً اليـوم. هــذا يكفي،دعينا نكمل غداً...

- لا، لـن أتوقـف. سأسـتمر حتـى أجيـدها. يجـب أن أتغلّـب عـلى شـعوري بـالعجز أمـام هـذا السـلاح الغبـي، الـذي يسـتعملهُ الجميع كاللعبـة في أيـديهم ويتفنّنـون في القتـال بـه، أمـا أنـا فـأعجز حتى عن الطريقة التقليدية للرماية به!

1- (قـ : وهو التاريخ المُعتَمَد في اوزوريس والذي بدأ مُنذُ قيام اول مملكة على ارضه وهي مملكة اوماريا)

2- (الغلوبال) هو من اشهر الاسلحة استخدااماً في جميع ممالك اوزو ريس وهو عبارة سوط يستخرج من جذوع اشجار اونامي المُتسلقة ويركب فيها احجار الدورين وهي تشبه الماس بيضاء اللون حادة وصلبة

- إذا بقيتِ عنيدةً هكذا, فلن تُصبحي الملكة التي يريدها والدكِ.
- الملوك العظماء هم الذي لم يقبلوا إلا بالنصر فحفروا اسمائهُم على جبين التاريخ.
"أَمّا الآن وإلا فلا" ، أغلقتُ عيناي."حسناً , يجب أن أصفّي ذهني وابدأ بتَخيُل أن الغلوبال جزءاً من جسدي، كأنهُ قطعة واحدة مع ذراعي كما قُلتَ لي. سأنجح بالتأكيد، سأفعلها هذه المرة"
شهقتُ بعمق ثم دفعتُ الهواء من رئتاي. فكرتُ "لن أتعامل مع الأمر بعصبية أو عنف، بل بانسيابية وخفّة... أخيراً!" استَطَعتُ فعلها. فتحتُ عيناي وأنا مسيطرةٌ على الغلوبال محرّكةً إياه وفقاً لما أريد. انطلق تصفيق وتهليل بقربي.
- هذا رائع! أحسنتِ. أنا مُندهش من إصراركِ...
- العناد يُصبح مفتاح النجاح احياناً.
- ها قد بدأنا بالتفاخر.على العكس، إنكِ تفهمين الأمور بشكل خاطئ. القيادة لا تحتاج إلى العناد والغضب، بل الحكمة .
- إذن أنتَ من سيصبح الملك المناسب؟!هه, لا أحتاج لنصائحك.
- أتقارنينَ نفسكِ بي؟ عندما كنتُ في عمركِ كان الغلوبال دميةً في يديّ. لكنكم التريفي، قدرات أجسادكم أقل بكثير من عقولكم. هذا من المسلّمات.
استنكرتُ مع نفسي جرأة كلامهُ عن سلالتي بهذهِ الطريقة،وفكرتُ أنني ربما أخطأتُ في الحفاظ على صداقتي

معــهُ إلى ذلــك الوقــت. كــم أنّ ســلالتهُ، الأومــاريون، مغــرورون ومتكـبّرون، وبــدا أنــه لا يختلــف عــنهم في ذلــك. شــعرتُ بغضــبٍ شــديد جعَــلَ الــدَّم يغــلي في عروقي،دفعنــي للهجــوم عليــه. أمســكتهُ مــن ياقتــه وبــرزت أنيــابي لا شــعورياً، لكنــهُ لم يخــف مُطلقاً، بل كان يضحك بشدّة.

- ستجعلينني أعيـد النظـر في رأيـي بشـأن قـوى التريفـي العقليـة؛ فيبدو أن مَلِكتهم المُستقبلية مجنونة!

تركـتُ ياقتـهُ واشـحتُ وجهـي عنـهُ وحـاجبيّ معقـودان بغضـب. كـم كرهـت عادتـهُ في محاولـة اسـتفزازي فقـط للمـزاح. منـذُ أن عرفتُـه وهـو هكـذا. تـارةً تجـدهُ أبـرد مـن الجليـد، مهـما فَعلـتَ معـه, وتـارةً أخـرى تجـدهُ بركانـاً مُلتهـب. بـدا وقتهـا أنـهُ في الحالـة الأولى. لم أجــد ســبباً لأن أغضــب نفــسي بســببه. هــذا هــو تورمانيوس وسيبقى هكذا دائماً.

- مـا بـكِ أوليفيـا؟ هـل غضـبتِ منـي حقـاً هـذه المـرة؟! بحـق السماء لا تكوني كالأطفال... كنتُ أمزح معكِ فقط.

- يكفي هذا النوع من المُزاح. أنتَ تعرف جيداً أنني لا أحبه.

- هيا أوليفيا, أنا حقاً لم أكن أقصد أن...

قبـل أن يكمـل, سَـمعنا صرخـة دوّت في أرجـاء الـوادي ، قادمـة مـن غابـة أومـاروس. كـان الصـوت لفتـاة تصـرخ، بـدأت بعـدها أصـوات صـياح رجـال وحيوانـات بطريقـةٍ مُخيفـة، في الحـين الـذي طـارت فيـه الطيـور مـن فـوق الأشـجار، وكأنهـا تهـرب مـن شيء مـا. تقـدّم تورمـانيوس بـبطء صـوب الغابـة، التـي كانـت تلـوح في الأفـق كقطعـةٍ خضــراء بـين الأرض والسـماء. كانــت تبعـد عنـا مسـافةً

كبـيرة، قـد تصـل إلى عشــر (دوثانـات)[1]،ويتطلـب وصـولها أن نعـبر (وادي بريكلز) بالكامل.
- ما الذي يجري هناك بحق السماء؟!
أمسكتُ ذراعه وحاولتُ سحبه ولكنهُ لم يتزحزح.
- تورمانيوس دعنا نذهب من هنا, لا شأنَ لنا بما يحدث...
- مــا الــذي تقولينــهُ ؟! أهكــذا تتصــرف الملكــات؟! أيــن العنــاد والإصرار اللذين كُنتِ تتمتعين بهما قبل قليل!
- أيهـا الغبـي هـذا لـيس لـهُ علاقـة بالألقـاب. نحـنُ لا نعـرف مـاذا يجري هُناك، ولم نطأ أرض تلك الغابة من قبل.
- وإن يكُن. يجـب علينـا أن نفهـم مـا يحـدث ومـن أيـن أتـت تلـك الأصوات...
- أنسيتَ الحكايات التي كنا نسمعها عن تلك الغابة؟
- لا لم أنــسَ! هـذه إحـدى الأسـباب التـي تجعلنـي أرغـب بالـدخول اليها...
استدار متوجهاً نحو الغابة.
- هل أنتَ مجنون؟ توقف إلى أين تذهب؟
- إن كُنـتِ خائفـة لهـذه الدرجـة لا تـأتي معـي. لطالمـا كنـتُ أريـدُ أن أعـــرف مـــاذا يجـــري خلـــف تلـــك الأشـــجار المظلمـــة المتشابكة،وأعتقد أن هذا هو الوقت المناسب لذلك.
فلحقتُ به عسى ان يَعدِل عن قراره

1- (الدوثان) مُصطلح يستخدمهُ سكان اوزوريس يعبر عن مسافة الالف قدم .

- تورمـا... إننـا مجـرد أمـيرَين لم نبلـغ سـن الرشـد حتـى, أنـتَ لم تتعدّ الخامسـة والسـبعين مـن عمـرك وأنـا في الخمسـين فقط،كيـف تريـد أن نـدخل غابـة لا يتجـرّأ عـلى دخولهـا أعتـى المقـاتلين مـن كل الممالك؟!

- لا تكـوني جبانـة! أنـا أحـب التحـديات, أمـا أنـتِ فعـودي إلى مملكتكِ إن شئتِ.

فكـرتُ: إنـه تورمـانيوس. لا فائـدة تُرجـى مِنـه، لكنني لـن أدعـه يـذهب بمفـرده، حتـى وإن تـابع السـير دون أن يلتفـت لـيرى إن كنتُ ما زلتُ معه أم لا.

- انتظـرني أيهـا الأحمـق، لـن أدعـكَ تـذهب لوحـدك. أريـدُ أن أستمتع بمنظر وحوش الغابة خلفك، وأنتَ تهرب كالجبان.

- كـما تشـائين، تعـالي ولكـن لا تهـربي مـن البدايـة إن سـمعتي صوت إلينان زاحف على الأرض هاهاها.

- هاهاها... لستَ مُضحكاً أبداً!

اقتربنـا مـن غابـة أومـاروس، بعـد المشـي داخـل وادي البريكلـز لفـترةٍ ليسـت بالقليلـة. كنـا، عـلى بُعـد حـوالي ربـع دوثـان مـن الغابـة، عنـدما خـرج منهـا مخلـوق، لم تتبـيّن لنـا هيأتـه إلا عنـدما بـدأنا نُـسرع بـالركض نحـوه واقتربنـا منـه. كانـت امـرأةً أوماريـة نصـف متحوّلـة، ومصـابة بـذراعها، التـي لم تسـتطع التحـوّل إلى جنـاح، بيـنما كانـت ترفـرف بالجنـاح الآخـر محاولـةً الطـيران. ارتفعت تارةً وهبطت تارةً أخرى،وهي تركض مرعوبة.

- تورمـانيوس، أنظـر! انهـا أوماريـة خرجـت مـن الغابـة. تبـدو مذعورة! أعتقد أنها تهرب من شيء ما.

- هذا مؤكد. تعالي لنستطلع الأمر.
فجأة توقفت المرأة وسقطت أرضاً، وعادت ذِراعها السليمة إلى شكلها الأصلي، فركضنا نحوها. انحنى فوقها تورمانيوس وأمسك بها. بدت لي منهكةً للغاية.
- من فعلَ هذا بكِ؟ ماذا حدث لكِ في الغابة؟
رفعت رأسها ببطء والتفتت نحونا. كان نصف وجهها مُهشّماً،وعيناها مُبيضةّ بالكامل. أرعبني منظرها، الموحي بهول مصابها. إنها أومارية من سلالة تورمانيوس، وعيونهم لا تكون بهذا الشكل. لم أرَ شيئاً مماثلاً لذلك من قبل. أجابت بصوت مبحوح خافت، وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة:
- ماذا تفعلون هنا؟ ابتعدوا... دعوني وشأني! إنها البريكلز...
- ماذا؟ البريكلز تفعل هذا؟! مستحيل!
- ابتعدوا عن الغابة... إنها الحقيقـ....
- لماذا؟ ماذا بها الغابة؟ أجيبي...

III – الأومارية الغريبة

لكنها أخذت تشهق بقوة، كأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، ثم أغمي عليها. وقفنا أنا وتورمانيوس نحملق ببعضنا، والخوف قد ملأ نظراتنا.

خَيَّم الصمت بيننا للحظاتٍ قبل أن نسمع خفق أجنحة الألينان، التابعة لجنود أوماريا، لتهبط وينزل الجنود من عليها,فيتبعهم الوزير اكبرا , ذلك الرجل المُهيب الغامض الذي لطالما وَثَق بهِ والد تورمانيوس , بزيهُ الرسمي وشعرهُ المُصفف الى الخلف بعناية , اتجه نحو تورمانيوس الذي كان ما زال مُنحنياً للفتاة

- سمو الأمير! ما الذي تفعلهُ هنا بقرب الغابة والملك يبحث عنك.يريد منكَ حضور الأجتماع، وقد أمرنا بإحضارك .

قال ذلك وهو يرمقني بنظرة غريبة , انهُ لا يريد لتورمانيوس ان يستمر بلقائي .

- حسناً، سوف آتي. لكن القوا نظرة على هذه الفتاة. هل هي ميتة؟

نزل الوزير أكِبرا من الألينان، ودنا من الفتاة فارتعب من رؤياها.

- من هذهِ يا سمو الأمير؟ وماذا حدث معها؟
- هذا ما أريد معرفتهُ بالفعل...
- حسناً سموك، لستُ حكيماً لكنني أعرف بعض الأشياء...

اقترب أكبرا منها وانحنى، ثم وضع يدهُ اليسرى تحت رأسها،ويدهُ اليمنى على جانب رقبتها وضغط بأصبعيه الوسطى والسبابة، وبعد ثوانٍ نهض.

- سـموك، لا تـزال حيـة ولكـن ممكـن أن تمـوت في أيـة لحظـة. لا أعتقد إنها ستعيش حتى تصل إلى حكيم القلعة.
- سـوف نأخـذها معنـا في كـل الأحـوال. أريـدُ أن أعـرف مـا حصـل معها بأية طريقة. هيا بنا، إلى اللقاء أوليفيا. أعتني بنفسكِ.
أمسـكتهُ مـن ذراعـه وانـا انظـر داخـل عينيـه ، لا أعـرف لمـاذا شعرتُ بخوفٍ شديد عليه في تلك اللحظة.
- اعتنِ بنفسك تورمانيوس.
لم أشـكّ حينهـا في أنهـم قـد تعرّفـوا عـليّ، وسيرسـلون (كـونتير)[1] إلى أبي لإعلامـه بـأنني مـا زلـتُ ألتقـي بتورمـانيوس، وإن عـرف ذلك فلا أستطيع التنبـؤ بما يمكـن أن يفعلـهُ. كـان عـليّ الرجـوع إلى القلعـة قبـل ذلـك الكـونتير. توجهـتُ بسـرعة نحـو جزيرتنـا عـلى ظهـر (آنـدري)، الأليـنـان الخـاص بي، بيـنما عـلى بعـد عشـرات الـدوثانات كـان تورمـانيوس قـد وصـل إلى قلعـة والـده. كـان يقـف بجانـب الـوزير أكِبرا، بانتظـار الامتثـال أمـام أبيـه لغـرض حضـور الاجتماع.
- ماذا قال الحكيم بشأن تلك الفتاة يا أكبرا؟
- سموك، سيحاول بكل جهده أن ينقذها.
- أتمنى أن يستطيع ذلك فعلاً...
- كيف حال أوليفيا؟
- بخير... إنها رائعة، تظل طفلة وكأنها لا تكبر أبداً مهما حصل!

1- (الكونتير) هو عبارة عن مخلوق يستخدمهُ ممالك اوزو ريس لنقل الرسائل.

- جيـــد، أعـــرف كـــم أنـــتما متعلّقـــان ببعضـــكما منـــذُ الطفولـــة ولكن...

- ولكن ماذا أكِبرا؟ قُل ما تريد قوله.

- أخشـــى أن تعتـــبره تـــدخلاً، لكننـــي لـــو كـــان لَـــدَّي ابـــن مـــا كُنـــتُ ســـأحبهُ بقـــدرَك لـــذا اعتبرهـــا نصـــيحة مـــن عجـــوز يعـــزَّك جـــداً . أرجـــوك تخـــلَّ عـــن صـــداقة الأمـــيرة أوليفيـــا. هـــذهِ الصـــداقة ستســـبب غضـــب والـــدك وسخطه،وســـتوقع المشـــاكل بيـــنكما. هـــذا لـــيس جيـــداً بالنسبةِ لك وله.

- أكـــبرا أنـــتَ مثـــل أبي ولا أعتـــبرك فقـــط وزيـــره، فلقـــد شـــاركتَ بالفعل في الجـــزء الأكـــبر مـــن تربيتـــي. أنـــتَ تعلـــم جيـــداً إننـــي لســـتُ موافقـــاً عـــلى سياســـة والـــدي و الحـــرب التـــي أقامهـــا مـــع التريفـــي. لمـــاذا يسـعى لِفـرض السـيطرة عـلى الممالـك الأخـرى وإجبارهـا عـلى أن تصـبح تحـت حمايتـهِ ولوائـه؟ إن كانـت مملكـة التريفـي تريـد أن تبقـى مُسـتقلة فلهـا ذلـك، مـا المشـكلة؟! هـذهِ ثـاني أقـوى مملكة من بعدنا ولا يمكن أن نجعلهم أعداءً لنا.

- ســـموك... آمـــل أن لا تقـــول هـــذا الكـــلام أمـــام الملـــك في الاجتماع،ومهما سمعت أرجوك أن لا تحاول التدخل...

- ولمـــاذا يجعلنـــي أحضـــر اجتماعاتـــه إذا كـــان لا يقبـــل برأيـــي؟! للمنظـــر فقـــط... (أنظـــروا، إبنـــي يســـاندني في كـــل شيء) ألـــيس كذلك؟

- لا ســـموك، بـــل لأنـــهُ يريـــدك أن تكـــون مُســـتعداً للحكـــم في أي وقـــت. لا أحـــد يعـــرف متـــى ســـتتفاجأ بالاضـــطرار إلى تســـلّم زمـــام الأمور بنفسك.

- أنـا مُسـتعد أكـثر مـما يتصـور يـا أكـبرا. أخـبره أننـي كنـتُ مـع أوليفيا، لا أمانع وليس لدَي ما أخاف منه.
- بالطبع لن أفعل يا سمو الأمير.
- حسناً إذن، انتهى النقاش. دعنا ندخل لنكمل تمثيلية أبي.
على الجانـب الآخـر مـن العـالم، كنـتُ قـد قطعـتُ في وقـتٍ وجيـز ما يمكن أن يقطعه غيري في ايام.
وصـلتُ إلى القلعـة ودخلـتُ مـن نافـذة غرفتـي، التـي تركتهـا مفتوحـة عمـداً. التفـتُّ لأتفاجـأ بـأبي واقفـاً أمـامي. كانـت يـداه معقـودتين خلـف ظهـره، بردائـه الملـكي الأحمـر مـذهّب الأطـراف الـذي توسـطهً شـعار المملكـة. نطَقَـت نظراتـهُ الحـادة بغضبـهِ قبـل أن ينطُق لسانه بكلمة.
- أتعلمـــين؟... كنـــتُ أحـــاول دومـــاً معارضـــة العـــادات والتقاليـد،وخرق القـوانين التـي وضـعها أسـلافنا. كانـت لي قـوانيني الخاصـة، لكننـي أعـرف الآن أن تلـك الرغبـة لم تكـن صـائبة مئـة بالمئـة. أحيانـاً يجـب أن نلتـزم بـبعض قواعـد أجـدادنا لنحقـق الانضـباط والنظـام الـذي حققـوه مـن قبـل. عنـدما تُعطـي الحُريـة والتَطور بهـذهِ السُـرعة لِمَـن تعـودوا عـلى القمـع سـتكون النتيجـة كارثيـــة ويبـــدو أننـــي أفرطـــتُ في تســـامحي،لدرجة أننـــي تركـــتُ ابنتي تنتهِك قوانيني من دون أي خوف...
- أبي... أنا لم أكن...
- إيـاكِ أن تحـاولي الكـذب! سـتزيدين الأمـر سـوءاً... لا أصـدق أن ابنتي، ملكة التريفي القادمة، تفعل مثل هذهِ الأفعال.
حضر خلفه اثنان من الحرس.

- ضعوا لها (سوار دومين)[1] ..
- ماذا؟! لا أبي أرجوك...
أمسك الحارسان بي من ذراعيّ وأنا أحاول الإفلات منهما عبثاً،فقد أحكما القبض وبشكل مؤلم. ألبسني أحدهما السوار بالقوة في رسغي،لدرجة إنهُ جرح يدي وأخذ دمي يسيل.
- أحضروا لها الحكيم ليعالجها فوراً.
استجابا لأمر والدي وتركاني. سقطتُ جاثية على ركبتيّ وأنا أحاول نزع السوار، فازداد النزيف وامتلأ السوار بدمائي. بدأتُ أشعر بألم شديد من الجرح، لكنه لم يكن أشدّ من ألم ما فعلهُ بي أبي.
- كفاكِ مقاومة ولا داعٍ لأن تؤذي نفسكِ أكثر، فهذا لن يجعلني أعدل عن قراري. أتمنى أن تتلقّني درسكِ جيداً هذهِ المرة، لأن عقابكِ سيدوم خمسة وعشرين عاماً...
- ماذا؟! أبي اسمعني أتوسل إليك...
- لا أريدُ أن أسمع منكِ شيئاً. سوف يُسمح لكِ فقط بالدراسة والتدريب على الأسلحة من قبل مُدربيكِ المعتادين، عدا ذلك فإنكِ ممنوعة من الخروج من القصر والحرس معكِ طوال الوقت. أتمنى أن تنضجي خلال هذه الأعوام... وأن تصبحي ملكةً مناسبة لتسلّم الحكم من بعدي...

1- (سوار دومين) سوار دومين هو سوار يوضع على اليد يحتوي حجر الدومين يشل قُدرة الخلايا على التحول والتشكل الى اشكال اخرى بشكل مؤقت لطالما السوار يلامس الجلد .

- ابي ....
- حديثنا انتهى إلى هنا.
خرج من دون حتى النظر إلى وجهي، بينما بقيتُ أنا داخل غرفتي التي تعلو القلعة الضخمة، القلعة التي تربيتُ فيها،والتي أصبحتُ حينئذٍ سجينتها.
انقطعت أخبار تورمانيوس عني لخمسة أعوام، مرت عليّ وأنا حبيسة القلعة التي تعلو دوثانات عن الأرض. لم يعد بإمكاني فعل شيء سوى التحديق من النافذة أو من أطراف الحديقة. كنتُ أشاهد أفراد شعبي والجنود وهم يحلّقون بكل حرية،بينما تقبع أميرتهم بين تلك الجدران التي كرهتُها. سئمتُ من كل شيء حولي. باتت تمر الايام كالسنين والوقت لا يمضي اغلب الايام كنتُ افكر بتورمانيوس , اين هو الآن يا تُرى؟ وما الذي يفعلهُ ؟, هل ما زال يذكرني؟ كنتُ جالسة أمام النافذة،قبل أن تدق طرقات الباب خلفي في أذنيّ. كانت وصيفتي (تيا) هي الطارق ، ومَن سواها فقد صارت صديقتي الوحيدة. أبي لم يكُن يزرني إلا مرة واحدة في الأسبوع، وبدا راضياً عن فكرة سجني ومتقمّصاً جيداً للدور. أكانَ ذلك كُلّهُ لأنني لم أقطع علاقتي بتورمانيوس؟ لم أصدّق أنّ الحقد أعمى قلبه إلى تلك الدرجة.
- أدخلي تيا.
- مرحباً سمو الأميرة، كيف حالكِ؟
- ألم أخبركِ بأن تناديني أوليفيا، من دون سمو ولا جلالة!
- لكنكِ أميرتي وملكتي المُستقبلية...

- أنـا مُجـرد سـجينة قـام والـدها قـاسي القلـب بحبسـها. الجميـع أحرار ما عداي، فلمَ التبجيل الزائف؟
- ليس زائفاً سموكِ، إنني أحترمكِ من كل قلبـ....
- مـا فائـدة الاحـترام إذا فُقِـدت الحريـة! مـا نفـعُ الاهـتمام إن لم يأتِ بالشكل الذي نريدهُ؟!
- سموكِ أنا ....
قاطعتُها:
- تيا، هذا أكثر اقتبـاس لامـسَ قلبـي... الفصـل الخـامس عشــر مـن أتيكوردينـــا، ملحمـــة الآرســـيميا: " ان أكـــون حـــراً طليقـــاً، أملـــكُ خيـاراتي في أن أخطـئ وأتعلـم، أفضـل عنـدي مـن احـترام سـجّاني لي وادعاءهُ محبتـي. مـا فائـدة أن تكبّلنـي بقيـودٍ ثـم تنـاديني سـيّدي؟ هذا لن يُصلح كبريائي الذي حطّمته"
- يُفــترض أن أوجّــه كلامــي لــه ولــيس لــكِ، لكننــي لا أرغــب في زيـادة مـدة سـجني! لـذا يجـب أن تـتحمّلي لأجـل صـداقتنا، ولـيس لأنني أميرتكِ.
- معــكِ حــق، يجــب أن تــتحلّي بالصــبر وضــبط الاعصــاب، وإلا ســتعانين مــن العواقــب. مــولاتي، هــل هــذه الملحمــة حقيقيــة برأيكِ؟
- جملــة تيــا ذكّرتنــي بكلــمات تورمــانيوس التــي قالهــا لي ذات يوم،فارتسمت ابتسامة لا إرادية على شفتيّ.
- إننــي أطبّــق نصــيحة تورمــانيوس، وهــي تشــبه إلى حــدٍ مــا مــا قُلتهِ للتو.
- أنتِ تحبينهُ أليس كذلك؟

- لا أعـرف. لم أجـرّب الحـب مـن قبـل، ولكـن ربمـا... أمـا ملحمـة الآرسـيميا فـلا أعتقـد أنهـا حقيقيـة. إنهـا مجـرد أسـطورة، لا وجـود لكائنات الآرسيميا ولا للبشر.

- حسـناً، أتمنـى ذلـك لأنهـا فعـلاً كائنـات فتّاكـة، ومجـرد التفكـير في وجودها هو كابوس بحد ذاته.

- إذن اطمئنـي فـلا وجـود لهـا نهائيـاً. أتعلمـين أننـي اشـتقتُ إلى نكاته التافهة ومحاولاته الرعناء لاستفزازي...

- تقصـدين تورمـانيوس مـولاتي؟ أتمنـى ألا يكـون قـد انجـرف خلـف الأقاويل التي انتشرت مؤخراً...

- أية أقاويل تقصدين؟!

- سـموكِ، نسـيتُ أن أخـبركِ. قبـل فـترة وصـلتنا أخبـار أنـه في الجانـب الأخـر، بالتحديـد في غابـة أومـاروس، توجـد قـوى غامضـة تفتـك بمـن يقـترب منهـا. لا أحـد يعلـم ماهيّتهـا، لكـنّ مَـن يخـرج منهـا يكـون إمـا في حالـة احتضـار أو جنـون مـما رأتـه عيونـه التـي تصبح بيضاء بالكامل.

يقـال أنهـم كـانوا ينطقـون جملـة واحـدة وبعـدها يموتـون: (القـوى العظمـى للفـارس المُختـار فقـط... قـد يكـون أي شـخص منكم هـو المحـارب، مَـن ينشـد القـوة فليـدخل قلـب أومـاروس...). تكـرّرت هـذهِ الحادثـة عشـرات المـرات بـالرغم مـن تحـذير الجميـع مـن الـدخول للغابـة. بعـدها بـدأت مجـاميع مـن الفرسـان بـدخول الغابـة للقضـاء عـلى الخطـر الـذي فتـك حتـى بـبعض الأطفـال الفضـوليين الـذين دخلـوا الغابـة. وهكـذا أصـبح الأمـر مسـألة شرف وإثبـات جـدارة بـين أبنـاء وفرسـان النـبلاء، مـن

أوماريـا وفيروسـيا والكلاريـوس، وحتـى بعـض فرسـان التريفـي أيضاً، لكنّ لم يَعُد أحداً منها سالماً حتى الآن...

- يا إلهي!

اعتصـر الوجـع قلبـي وبـدأ رأسي يـؤلمني بشـدة. كنـتُ أسـيرة القلعـة وسـوار الـدومين، وعديمـة الحيلـة اتجـاه مـا سـمعت. أغرقنـي القلـق عـلى مصـير تورمـانيوس، والخـوف مـن وقوعـه ضحيةً لتلك القوى الغامضة التي كلمتني عنها تيا .

انقضت عشـرة أعـوام عـلى اليـوم الـذي سُجنتُ فيـه كانـت الايـام تمضـي عـلي اثقـل مـن بعضـها حتـى اعتـدتُ خلالهـا عـلى الوضـع أكـثر مـما كنـتُ أظـن. كنـتُ جالسـةً في الحديقـة أراقـب لآلـئ السـماء، حـين اهتـزت أرجـاء القصـر بصـراخ الخادمـة الخاصـة بـأبي. هرعـتُ نحـو البـاب فوجـدتُ أنّ الحـرس قـد غـادروا مكـانهم. توجهـتُ مسـرعةً إلى الطـابق الثـاني مـن القـصر، صـوب غرفـة أبي. وقف الـوزير والحـرس أمـام بـاب غرفتـهِ ، بـرؤوسٍ محنيّـة ونظـراتٍ ملأى بـالحزن. دخلـتُ الغرفـة لأجـد والـدي راقـداً في سريـره وعينـاه مفتوحتـان، بـلا حِـراك. اقتربـتُ منـهُ ببطـئ وانـا انظـر الى حكـيم القلعـة الـذي كـان يقـف بجـواره حانيـاً رأسـهُ لينظـر لي بنظـرة جَعَلَت قلبي يكاد يخرج من مكانه

- انا آسف مولاتي , لقد توفي الملك وهو نائم .

انهمـرت دمـوعي كالسـيل لا إراديـاً وأنـا أقـترب بـبطء مـن السـرير. وضـعتُ يـديّ عـلى عينيـه وأغلقـتهما برفـق، ثـم انفجـرت صرخـاتي التـي هـزت ارجـاء القلعـة . حضـرت تيـا وأخـذت تحـاول التهـوين عـلي وتهـدئتي. كنـتُ أمتنـع حتـى عـن النظـر إليـه عنـدما

يقـف أمـامي. لقـد أعـماني الغضـب، إلى أن فقدتُـهُ للأبـد قبـل أن أشـبع مــن رؤيتــه. بــتُّ عــلى هــذا الوضــع حتــى الصــباح التالي،رافضــةً أن يحرّكــوه أو يبعــدوه عنــي. أغلقــتُ البــاب وقضـيتُ الليلـة بالعويـل والحـزن برفقـة الـذكريات. إذا فقـدَ المـرءُ عزيـزاً فلـن يرغـب بالتعـازي الكاذبـة المتملّقـة، بـل سـيرغب بعـيش حزنـه مـع نفسـه فقـط، ليظهـر بعـدها للنـاس بصـلابةٍ وشـموخ. "لا تُظهـر آلامـك للنـاس، فيُشـفِق الصـديق ويشـمَت العـدو ". فـور خروجــي مــن الغرفــة ارتــديتُ قنــاع القــوة والتماســك ومحــوت تعابير الحُزن قدِر ما استطعت ثم قمتُ بتوجيه الحرس:

- أقرعوا طبول الموت الآن... لتبدأ مراسم العزاء.
- أمركِ مولاتي.

بعـدها اخـذتُ اجـول ممـرات القصـر بـدون وجهـة , اشـعر انـهُ خـالي ومهجـور تمامـاً مـن دونـهُ , لم أكـن أعلـم أن حبسـي سـينتهي بوفــاة أبي،ولــو عرفــتُ لمــا تمنيــتُ أن ينتهــي أبــداً. تــم تطبيــق طقـوس العـزاء بعـدها بحضـور كهنـة التريفـي والنُـبلاء مـن سُـلالتنا وبـدأوا بتغليـف جثتـه بـأجود أنـواع القـماش في أوزوريـس (حريـر الأكسين)[1]، ثـم حسـب التقاليـد كـوني ابنتـه ربطـت جبينـه (بأحجـار

1- (الاكسين) هي مخلوقات خطرة جداً ومتوحشة وتنفث مادة سامة جداً تحرق وتذوب جسد كل من تقع عليه عندما تشعر بالخطر او بأقتراب احد منها ولكن هذه المادة ما ان تجف حتى تتحول الى خيوط لامعه رائعة الجمال اجمل من اجود انواع الحرير الخالص.

الكاهـال)[1] عســـى أن نســتطيع التواصـل معــهُ وهــو في العـالم الآخـر، ثـم قبلـتُ جبينـه واشتنشـقتُ رائحتهـا للمـرة الاخـيرة . تـلا ذلــك وضــع جســده في (الميــاه المُقدســة)[2] ليســتقر في القـــاع ويختفـي عـن انظارنـا وبعـدها بـدأ حكيم التريفـي الاعـلى بـتلاوة صـلاواتنا لحفـظ لوحـهُ في الميـاه المُقدّسـة , وحـالَ انتهـاء مراسـم العـزاء تـم إبلاغنـا بمـوت ملـك الأوماريـا والـد تورمـانيوس في نفـس الليلـة التـي تـوفي فيهـا والـدي، ووفـاة ملـك الكلاريـوس أيضـاً في ذات الليلـة. كانـت مُصـادفةً غريبـة وغـير معقولـة لكـن بعـد وفـاة ابي شـعرتُ بـأن شـيئاً لم يعُـد مُهـماً واعتكفـت حُزنـاً لأيـام . بيـنما كـان الـوزير هـو مـن يُـدير شـؤون المملكـة حتـى سـبب ضـغط الشـعب خروجـي واقامـة حفـل لتتـويجي وتَسـلَّم زمـام الحكـم كوني الوريثـة للعـرش , في اليـوم التـالي، عـن عمـر سـتين عامـاً فقـط. كنـتُ مُراهقــةً صـغيرة، ولم يكــن هنالــك وصي عــلى العــرش، لــذا توجّـب أن أبـدأ الحكـم بنفســي. في ذلـك اليـوم ، وقبـل أن يضـع

1- (أحجار الكاهال) هي احجار يستخدمونها سكان اوزوريس كأساور لأنها تمكنهم من التواصل مع بعضهم عن طريق التخاطر.

2- (المياه المُقدسة) وهي المياه التي تستخرج من ممحيط الكريدينس الاسطوري وتعتبر هذهِ المياه مُقدسة وثمينة لصعوبة الحصول عليهاو لأن هذا الكائن يفرز داخلها مواد لها قدرات خارقة اكتشفوا وجودها حكماء اوزوريس ولكن لم يعرفوا سبب وجودها فيه وهذهِ القدرات مثل الاحتفاظ بالجثث كما هي بدون تلفها , اعادة الذاكرة , تنهي تحول اي كائن ويعود الى شكلهُ الاصلي ما ان تلمسهُ هذهِ المياه

الــوزير آدورد التــاج عــلى رأسي، دخــل تريفــيّ مُلــثّم إلى قاعــة العرش.

ستوج الاميرة اوليفيا

الامير كومالي

- لحظـة مـن فضـلكم! كيـف تُقـام مراسـم التتـويج بـدوني؟ لا أستطيع الفهم بصراحة...

استدرنا جميعـاً نحـوهُ بدهشـة، وهـو يخـترق صـفوف الحـاضرين من دون أن يوقفهُ أحد.

شـعرتُ بالاسـتفزاز، فـلا يعقـل أن يـأتي شـخص غريـب ويوقـف تتـويجي بهـذه البسـاطة. هتفـتُ بحـزم، محاولـةً إظهـار قـوتي أمـام الآخرين قدر استطاعتي:

- من أنت؟ ومن سمح لكَ بالدخول؟

وضع يدهُ عـلى اللثـام ورفعـهُ عـن وجهـه، فصُـدمتُ عنـدما رأيتـهُ. لقد ظننتهُ ميتاً منـذُ زمـن، وفـقَ مـا قالـهُ لي أبي. إنـهُ (كومـالي)، إبـن عمي الخائن، الذي تعاهد مع "داركستر".

- من هـذهِ الطفلـة التـي تقومـون بتتويجهـا؟! إنهـا لم تتعـدّ السـتّين بعـد، وتريـدون منحهـا عـرش مملكـة مـن أعـرق الممالـك وأقـوى السلالات في اوزوريس؟!

- تقدّم نحوهُ الوزير بعد أن أعاد التاج إلى مكانه.

- إنهـا الوريـث الشـرعي للملـك الراحـل، حتـى وإن لم تبلـغ سـن الرشد بعد...

- أنا الوريث الشرعي الوحيد البالغ الآن، ولا أطالب إلا بحقي...

- لـيسَ هنالـك أيّ حـق لـك، فوالـدك منفـي منـذُ زمـن بعيـد مـن المملكة.

- أجـل، ولكنـهُ شـقيق الملـك. مـا كـان بيـنهم هـو مجـرد خـلاف عائلي لا نستطيع الوقوف عنده.

- بل يجب أن نقف عنده!

كلامهُ ووقاحتهُ أغضبتني جداً، فقاطعت الوزير لأردّ عليه:

- مـن أنـتَ لتطالـب بـالحكم الآن؟ والـدك خاننـا جميعـاً وأبـرم عهداً مع دراكيستر، ولُعِنَ نتيجة لهذا...

هبّ أحد الوزراء مقاطعاً كلامي:

- إنـهُ مُحـق! كيـف سـتحكمنا هـذهِ الطفلـة الضـعيفة غـير مُكتملـة النمو!

قـام بعـده وزيـر آخـر ثـم ثالـث، وتعالـت الأصـوات المُطالبـة بمبـارزةٍ بيننـا، أنـا وكومـالي، لحسـم الأمـر، حيـث سـيحظى الفـائز بالعرش ويتم تتويجهُ مباشرةً. صرخت:

- لكـنّ هـذا لـيس عـدلاً! عمـرهُ يفـوق المئـة والخمسـين عامـاً، أكـثر من ضعف عمري، كيف يمكن لي هزيمتهُ؟!

فأجابني كومالي:

- إن لم تسـتطيعي القتـال، فلـمَ هـذا التمسـك بـالعرش أيتهـا الصغيرة؟

- أنـا لا أتكلـم معـك! بـالطبع سأتمسـك بمـا هـو حقـي ولـن أتـرك إرث أبي مهما حصل.

- إذن امسـكي الغلوبـال وانـزلي إلى سـاحة المبـارزة، لـنرَ إن كانـت شجاعتكِ كافية لحكم التريفي!

أخـرج كومـالي غلوبالـه ووثـبَ إلى مكـان النـزال، وهـو باحـة محاطـة بصـخور مُتفرقـة، مطلّـة عـلى بحـيرة الكريـدنس. حـدّقت في البحـيرة لثـوانٍ قبـل أن أتبعـه. طـوال فـترة سـجني داخـل القلعـة كنـتُ أتـدرب باسـتمرار عـلى الغلوبـال وكيفيـة القتـال بـهِ، لكنـه بـاغتني بهجـوم مُفـاجئ، مـا أن وطـأت قـدماي السـاحة، فأصـابني

بخـــدشٍ طويـــل في أســـفل ســـاقي. جثـــوتُ عـــلى ركبتـــي متألّمـــةً،ورفعتُ رأسي لأنظـــر اليـــه،كان يبتســـم وهـــو يلعـــب بغلوباله، حائماً حولي.

- بدايـة سـيئة، كـما توقعـت. أساسـاً لم أتوقـع منـكِ الكثـير أيتهـا الصغيرة. استسلمي قبل أن أهشّم جسدكِ النحيل...

- هذا في أحلامك أيها الوقح!

قفزتُ بسـرعة وضربتهُ على بطنه.

أردتُ أن أفاجـأهُ لكنـهُ كـان يتوقـع منـي تلـك الحركـة فقـام بصدّها. سـدّدتُ لـهُ ضربـةً أخـرى فصـدّها أيضـاً،وثالثة ورابعـة، بـلا جـدوى. أصِـبتُ بالاحبـاط فقـد كـان يحـزر جميـع تحرّكـاتي مسـبقاً. تعبـتُ وهـو يصـدّ ضربـاتي المتتاليـة، وأخـذ العـرق يتصـبّب مـن جبينـي. لم أفهـم مـاذا كانـت نيّتـه بالضـبط، فتوقفـت وكلّمتُـه بأنفاسٍ لاهثة:

- أنتَ تصدّ الضربات فقط... لمَ لا تهاجمني؟!

- تزوّجينـي وسـوف تصـبحين الملكـة! أنـا أصـلاً جئـتُ لأجلـكِ، ولـن آذيكِ. لنصبح كلانا ملكين ونحكم مملكة التريفي معاً.

حملقـتُ في وجـه كومـالي وأنـا شـبه متيقّنـة أنـه مجنـون، لمجـرد تفكـيره بإمكانيـة زواجـي منـه. كـان ذلـك آخـر مـا يمكـن أن أفكـر بفعلـه. هجمـتُ عليـه بغتـةً في لحظـة غفلـةٍ منـه، فأصـبتهُ بخاصرتـه بجـرحٍ عميـق، غـير أنّ ردّة فعلـه العنيفـة رمـت بي بعيـداً، مـما أدى إلى سـقوطي عـلى إحـدى الصـخور بقـوّة. شـعرتُ أنّ أطـرافي محطّمـة بالكامـل. حاولـتُ النهـوض، لكـن جسـدي المنهـك لم يـتمكن مـن الصـمود أكـثر. شـعرتُ بـدوار، بيـنما كنـتُ

أشاهد دورانه حولي، رغم جرحه، منتظراً استسلامي. ردّدتُ مع نفسي عبارة "سأقاوم... سأقاوم..."

حتى انغلقت عيناي تماماً.

عندما فتحتهما ثانيةً وجدتُ نفسي داخل غرفتي وعلى سريري، وبجانبي تيا، فنهضتُ مفزوعة.

- هل ما حدثَ كان حلماً؟

- لا للأسف مولاتي... كان حقيقة، وكومالي هو الملك الآن. لقد تغلّب عليكِ ولهذا سيتم تتويجهُ.

- ماذا؟! لماذا لم يقتلني إذن؟ أنا أشكل خطراً عليه الآن!

- مولاتي لقد حملكِ عندما وقعتِ في ساحة المعركة، وأحضركِ بنفسه إلى هنا. الجميع اندهش من ما فعلهُ، كنّا نتوقع أن يقتلكِ فور وقوعكِ ليتخلّص من خطركِ على حُكمه.

- لا بدّ أنه يخطط لشيء ما...

- كيف هذا يا مولاتي، هل أخبركِ بشيء؟

- لقد طلب الزواج مني، قال دعينا نحكم المملكة سوياً!

- رائع، وبماذا أجبتيه؟

- بالرفض طبعاً.. بماذا عساي أجيبهُ؟!

- لماذا مولاتي؟ قد يكون يحبّك فعلاً...

- هل تمزحين؟ كيف سيحبني وهو لم يرَني بحياته سوى مرة واحدة عندما كنت طفلة؟

- إذن ماذا ستفعلين الآن يا مولاتي؟ هل ستبقين أسيرةً لديه؟

- مستحيل... سأهرب من هنا وأنتِ ستساعدينني.

- إلى أين ستهربين؟

- أدونايـا، إلى الأمـير تورمـانيوس! لا بُـد أنـهُ أصـبح الملـك الآن بعـد وفاة أبيه...

- ولكن مولاتي... لقـد انقطعـت اخبـارهُ عنـا منـذُ زمـن طويـل. هـل سيتذكّركِ عندما يراكِ؟

- ومَـن قـال لـكِ إنـهُ نسـيني أصـلاً! سـيقف بجـانبي، وسـوف يساعدني في هزيمة كومالي واستعادة حُكمي.

بعـدها، مـن دون إضـاعة للمزيـد مـن الوقـت، وفي أثنـاء مراسـم تتـويج كومـالي، قمـتُ بـالهرب مـن ممـر سري خلـف القلعة،أرشدتني إليه تيا.

- لمـاذا لم تخبرينـي بشـأن هـذا الممـر عنـدما كنـتُ مُعاقبـة؟ هـل سُجنتُ كل تلك الأعوام بوجود ممر سري أسفل غرفتي؟!

- مولاتي، ما فعلهُ الملك كان الأصلح لكِ، وإلا كُنتِ الآن...

- كنتُ ماذا؟ أكملي...

فجـأةً شـعرنا بقـدوم شـخص، فالتفتـت وقامـت بـدفعي نحـو الممـر وأغلقت الباب خلفي.

- مـولاتي إلى اللقـاء... واسـلكي كـل طريـق بجهـة اليسـار وستخرجين من هنا.

كـان النفـق مُظلـماً، لا ينـيره إلا بصـيصٌ مـن الضـوء. تمكّنـتُ عـبر تلمّـس الجـدران مـن المشـي باتجـاه كـل انعطـاف نحـو اليسـار،حتى خرجـتُ أخـيراً مـن هـذهِ القلعـة، بعـد عـشرة أعـوام مـن عقـاب أبي القـاسي. تحوّلـتُ إلى طـائر التريفـي، وأكملـتُ طريقي نحـو مملكـة تورمـانيوس في الجـو. عنـد التعب كنتُ أحـطّ لأخـذ اسـتراحة وجيـزة، وأحيانـاً لأكـل مـا أجـده مـن الـثمار أو

الشرب ثم أعود للطيران. تطلّب الطريق مني عناء أسبوع من الطيران، قبل أن أصل إلى أسوار أدونايا عاصمة أوماريا. عدتُ إلى شكلي الطبيعي ووقفتُ أمام الأسوار، فخاطبني أحد الحراس:

- ماذا تريدين أيتها التريفية؟
- أريدُ أن ألتقي بالملك تورمانيوس.

أخذ الحرس ينظرون إلى بعضهم البعض ويضحكون.

- هل جئتم للتوسل وطلب الرحمة؟ إنهُ ملكنا العظيم، أعظم ملوك أوزوريس حتى الآن! سوف يدحركم ويجعلكم عبيداً لنا،شئتم أم أبيتم.
- والدهُ توفى حديثاً، كيف أصبح أعظم الملوك في بضعة أيام! لا أفهم...
- هل تستهزئين بملكنا أيتها التريفية اللعينة؟ سنلقّنكِ درساً في الأدب! ربما نقتلع عينيكِ البشعة ونقدّمها لهُ كهدية أيضاً!

إنقضّ الحرس عليّ، فقمتُ بمراوغةٍ سريعة قبل أن أتحوّل وأحلّق، لأدخل في إحدى عربات القوافل المتّجهة لبوابة المملكة. بعد اجتيازي للبوابة غادرتُ العربة وعدتُ لشكلي الاعتيادي، والتفتُّ للتأكد من أن أحداً لم يكتشف أمري، لأتوجّه بعدها مباشرةً للقصر. لم أستطع تخطي الأسوار والطيران من فوقها؛ لأن سماءها محميّة (سور دايجون) ، لذا كانت تلك أسهل طريقة للدخول. عندما اقتربتُ من القصر رأيتُ شاباً وسيماً ضخم البُنية والعضلات، يرتدي التاج، وخلفهُ مجموعة من الحرّاس خارجين من باب القصر. تمعّنتُ جيداً في

ملامحــه لأتأكــد. كــان تورمــانيوس. عقــدتُ العــزم عــلى التحــدّث معــه فــوراً، فركضــتُ معترضــةً طريقــه مــما أدى إلى تأهّــب الحــرس بتوجيــه أســلحتهم نحــوي، ظنــاً مــنهم أننــي كنــتُ أحــاول مهاجمــة الملك.

- توقفوا أرجوكم! لا أريد إيذاء الملك.

أنا صديقة طفولته!

سور دايجون

قصر أدونايا

- ملكنا ليس لديه أصدقاء من التريفي. إنها المملكة المُعادية لنا وسوف ندمّرهم قريباً.
- أرجوكم دعوني أتحدث معه... سوف يعرفني في الحال. تورمانيوس... تورمانيوس إنها أنا أوليفيا...
قام أحد الحرس بضربي على رأسي.
- ناديه بمولاي أيتها الحمقاء، وإلا قطعنا لسانكِ!
- مولاي تورمانيوس! أنا صديقتكَ أوليفيا، هل تتذكرني؟
فجأة أغلقت عيناي وفقدتُ توازني وسقطت. عندما استعدتُ وعيي كنتُ داخل إحدى قاعات القصر، وتورمانيوس أمامي.
- عفواً مَن أنتِ؟ لم تكن لدي صديقة من التريفي...
- مولاي تورمانيوس، أرجوك تذكّرني... أنا صديقتك الأميرة أوليفيا. لقد كنا نلتقي كل يوم تقريباً، نتدرب على الغلوبال ونقوم بجولاتٍ معاً...
- آسف جداً، لكنني فعلاً لا أتذكركِ. إن كانت هذهِ حيلة لتعدلوني عن الحرب فهي حيلة رخيصة جداً.
- أية حيلة وأية حرب! سأثبت لك إنني أقول الحقيقة... قاموا بمسكي من ذراعيّ وأخذوني بعيداً .
- لا تزعجي جلالة الملك وإلا قمنا بقتلكِ!
- لا تقتلوها. دعوها توصل رسالة لملك التريفي أنني قادم إليه.
- ما الذي تقوله تورمانيوس؟! متى أصبحتَ هكذا؟
- أنتِ لا تعرفينني؛ حتى تعرفي كيف كنت وكيف أصبحت.
- بل أعرفكَ. آخر يوم رأيتكَ فيه كان قبل عشرة أعوام، في غابات الألينان.

سـمعنا يومهـا صرخـةً قادمـة مـن غابـة أوماروس،وأنـتَ أردتَ الدخول و...

اتسعت عيناه ولمعت، مع ابتسامةٍ عريضة زيّنت محيّاه.

- أوليفيا! أهذه أنتِ فعلاً؟

- ألآن تذكرتني؟! كيف تستطيع أن تنساني بهذا الشكل!

- أنـا آسـف حقـاً أوليفيـا، لكننـي اعتقـدتُ أنـكِ متوفيـة منـذُ زمـن بعيـد. لقـد انقطعـت أخبـار مملكـة التريفـي عنـا تمامـاً ولم نعـد نسمع عنهم شيئاً...

- مـاذا؟! أهـذا مـا أخـبروكَ بـه؟ أنـا كنـتُ مسـجونة في قلعـة والدي. قام بسجني عندما علم بأنني ما زلتُ أراك...

- عشـرة أعوام مسجونة؟! يـا لـكِ مـن مسـكينة. أنـا آسـف للغايـة إنكِ بسببي عانيتِ كل تلك المُدة...

- أمسـك يـدي مبتسـماً ونظـر في عينـي. تـذكرتُ آخـر لقـاء بيننا،وطفولتنـا التـي قضـيناها معـاً، فارتسـمت ابتسـامة لا إراديـة على وجهي أيضاً.

- لا عليك، أنتَ تستحق المُعاناة لأجلك...

- ماذا فعلتِ بعد وفاة والدكِ؟

- كيف علمتَ بوفاة أبي وأخبارنا قد انقطعت عنكم؟

سحب يدهُ ببعض الارتباك من سؤالي.

- فـ فقـط تخمـين... بالتأكيـد سـيكون قـد مـات وإلا كيـف اسـتطعتِ الهـروب. أنـا أعـرف أن التريفـي صـارمون جـداً في عقوباتهم...

- فعلاً. لقد مات في نفس الليلة التي ماتَ فيها والدك. صدفة مؤلمة حقاً...
- وهل تم تتويجكِ؟
أتت رئيسة الخدم معلنةً:
"مولاي، العشاء جاهز. تفضلوا."
- تفضلي إلى مائدة الطعام أوليفيا.
- شكراً لك، وجواباً على سؤالك، كلا لم يتم تتويجي.
- لماذا؟
حكيتُ لهُ ما حدث بالتفصيل، وكان يستمع إليّ بهدوء شديد،وهو يضع يده تحت فكه.
- إذن لماذا هربتِ ولم تقبلي بعرض كومالي؟
- كيف سأقبل عرضهُ؟ وأنتَ؟
- أنا ماذا؟
- أنتَ...
قاطعني في تلك اللحظة صوت أنثوي ناعم، ساحر وهادئ في نفس الوقت.
- أنتَ صديقها المقرّب... بالتأكيد جاءت لتعرف رأيك بشأن هذا الأمر المهم.
ابتسم تورمانيوس، وأشرق وجهه بطريقةٍ لم آلفها فيه سابقاً،ونهض من مكانه ليتجه نحوها، فاتحاً ذراعيه بلهفة.
- حبيبتي وقمري، تعالي. أعرّفكِ بـ أوليفيا، صديقة طفولتي السرية! أوليفيا... هذهِ زوجتي آماليا.
- زوجتك؟! أهلاً بكِ... تشرفتُ بحضرتكِ...

شـعرتُ أن قلبـي عـلى وشـك السـقوط في جـوفي. لا أعـرف كيـف تماسـكتُ لحظتهـا. وددتُ أن أجهـش بالبكـاء، وأن أبتعـد عـن كـل شيء أعرفه.

- لم أخـبركِ إننـي تزوجـت قبـل وفـاة أبي بيـومين. أخـيراً وجـدتُ حب حياتي الذي كنتُ أبحث عنهُ.

- أتمنـى لكـما السـعادة صـديقي العزيـز. أنـتما تليقـان بـبعض جداً...

- وأنـا أيضـاً أتمنـى لـكِ السعادة مـع كومـالي. وبمـا إنـكِ ستصـبحين ملكـة التريفـي، فـلا مـبرّر للحـرب معكـم بعـد الآن. سـنعقد مُعاهــدة تــنص عــلى أن التريفــي هــي مملكــة مــن ممالــك أوزوريس، المنضوية تحت سُلطة حاكم واحد، وهو أنا.

- لقد تغيّرتَ كثيراً. كنتَ تعارض والدك في فعل هذا من قبل...

- بل كنتُ أريد أن يجري ذلك بالتراضي، وليس بالغصب.

- لكنكَ كنتَ عاقد العزم على شن حرب ضدنا، أليس كذلك؟

- هذا فقـط لأننـي ظننـتهم قـد قـاموا بقتلـكِ. كنـتُ أريـد الأنتقـام لكِ.

- حســناً، أنــا أشــكرك صــديقي العزيــز. هــا أنــا حيّــةٌ أرزق أمامك،وبصحة جيدة. لم يعد هناك داعٍ لأي قتال.

- بالتأكيد أوليفيا، أو لنقل جلالة الملكة أوليفيا.

في اليــوم التــالي، أرســل تورمــانيوس معــي جنــوداً وهــدايا، وأنــا عائـدة إلى مملكتـي التـي هربـتُ منهـا لأجلـه. حـين وصـلتُ كـان كومـالي خارجـاً للبحـث عنـي. أخبرتنـي وصـيفتي أنـهُ جُـنَّ عنـد علمـه باختفـائي، حتـى أنهـا رأتـهُ يـبكي خِلسـةً. بـدا لي إنـهُ فعـلاً

أحبّني، أنني لم أفهم كيف ومتى أحبني لذلك الحد. قررتُ أنني لن أصدّقه قبل أن يقبل بشروطي، وحينها سأتزوجهُ. كنتُ مستلقية على سريري، أتأمل في القلادة التي أهداني إياها تورمانيوس لمّا كنا صغيرين، عندما فُتح الباب ودخل كومالي مُسرعاً نحوي ليحتضنني. - استغربتُ من كمّ الحب ذاك الذي خرج فجأةً.

- أوليفيا! أين كُنتِ؟ كدتُ أموت قلقاً عليكِ...
- سيكون من الجيد لك أن تموت...
- لماذا تقولين هذا؟! أنا حقاً أحبكِ... لماذا لا تصدّقين؟
- كنتُ بحاجة لأن أبقى وحدي للتفكير بعرضك، ولذلك خرجت...
- ما هو جوابكِ؟
- إن وافقتَ على شروطي سأتزوجك.
- وما شروطكِ؟
- أولاً أن تقرّ مُعاهدة مع مملكة الأوماريا، بأن تكون مملكتنا ضمن ممالك أوزوريس، تحت لواء الملك تورمانيوس. ثانياً سيكون الحكم بيننا مناصفةً في كل شيء، ولن تتخذَ قراراً دون الرجوع إليّ، وينطبق عليّ نفس الشرط. ثالثاً أن نتزوج فور بلوغي سن الرشد.
- أقبل بالشرط الثاني والثالث، لكن الشرط الأول صعب. لطالما كانت مملكتنا حُرة مُستقلة ويجب أن تبقى هكذا. كيف تقبلين بأمرٍ كهذا على مملكتكِ؟ وما الذي يدفعكِ لهذا الشرط؟ هل هذهِ مُحاولة لتعجيزي؟

- هذهِ هي شروطي، وبدونها لن أقبل بالزواج.

بعد مُدة من المحاولات الفاشلة، الرامية لدفعي للتخلي عن شرطي الأول، اضطرّ كومالي للموافقة، وتمّت المعاهدة. أصبحنا مُقاطعةً تابعة لحكم تورمانيوس، وحدث نفس الشيء لمملكة الكلاريوس وفيروسيا. لم أعرف كيف جرى ذلك، لأن تلك الممالك قوية فعلاً وصعبة الإخضاع. أما مملكتنا، فأصبح من الواضح كيف تمكّن تورمانيوس منها.

2

وليمة الإحزان

الراهبة ماتيلدا ، إنجلترا ، دير ويستمنستر ، 2022م

لماذا يخلق الله فينا أحلاماً لا نستطيع تحقيقها؟ هل ليعذّبنا أم ليختبر صبرنا وثقتنا به؟! اقتربتُ من الله إلى حدٍ كبير، فما أقرب من كوني خادمةً فقط للرب. لقد سَخَّرتُ حياتي وشبابي ودَثَرتُ أحلامي من أجل ربي، وأصبحتُ راهبة. مع إنّ هذا العمل يعدُّ شرفاً عظيماً، لكنني كنتُ مُجبَرة على سلك طريقه. منذ أن التحقتُ بالكنيسة، لم أقابل شخصاً جعلني أتحسّر على شبابي الضائع وإحياء ذكريات طفولتي مثل تلك الشابة الحسناء. تَعلَّقَت صورة وجهها الجميل في ذهني، بعينيها الخضراوين، وشعرها النحاسي الطويل، المنسدل على طول ظهرها حتى الخصر. كانت لها بشرةٌ بيضاء شاحبة، كأنها سفحٌ ثلجيٌّ خالٍ من دفء الحياة، لكن منظرها حمل هيبةً تجعل مَن يراها يتسمّر أمامها، حتى بعد أن يشعر بغيوم الأسى التي تحيطها، والتي كانت جليّةً منذ البداية. لقد جاءت إلينا في ليلةٍ مُظلمة، كظُلمة الحزن الطاغي على نظراتها وملامحها. دخلت الكنيسة مرتديةً نظارة سوداء، وشال أسود اللون غطى رأسها، وتمددت أطرافه على كتفيها، بينما أظهر فستانها الأسود الطويل قوامها النحيل بعض الشيء. كان برفقتها طفل تراوح عمرهُ بين ستة إلى ثمانية أعوام، رائع الجمال ذا عينين زرقاوين،وشعر فاحم السواد، وبشرة ناصعة البياض.

وصلت الشابة إلى المذبح، فخلعت النظارات والدموع تنهمر من عينيها الحمراوين كالمطر، ثم جثت على ركبتيها مستغرقةً في البكاء، فأخذ الطفل يعانقها باكياً.

- أمي ما بكِ؟ لماذا تبكين؟ أمي انهضي... أرجوكِ...

لكنهـا بـدت منهـارةً لدرجـة أنهـا لم تنتبـه أن إبنهـا يـبكي معهـا ويحـاول تهـدئتها. اسـتغربنا أنـا ورفيقتـي روز، وشـعرنا بعطـفٍ بالغ نحوها، مع فضـول لمعرفـة مـا حَـدَث لهـا وتركهـا بتلـك الحالـة. قلَّـما شـاهدنا أناسـاً يخشـعون وينهـارون بـدون الاكـتراث إلى خلـو الكنيسـة. قـد نصـادف حـالاتٍ مماثلـة، ومتكـررة الزيـارات، لبضـعة مرات في السنة، لكنّ تلك الشابة لم تزُرنا سابقاً.

فـور رؤيتـي لهـا تـذكرتُ أحـلام الطفولـة التـي حُرمـت منهـا. أخـذت تهـاجمني صـورتي أنـا وأخـواتي السـتّ، عنـدما كنـا نسـكن وننـام في غرفـة مسـاحتها خمسـين مـتراً، ومعنـا أمـي وزوجهـا. كنـا نتهافـت جميعنـا عـلى صـحن الطعـام عنـدما تقدمـهُ أمـي لنـا، وفي أغلـب الأحيـان لا أسـتطيع الحصـول عـلى أكـثر مـن لقمتـين، حيـثُ لم تَتَعدّ مائـدتنا يومـاً صـحن الأرز مـع الخبـز والمـاء. كـان زوج أمـي رجـلاً متـديناً، أو بـالأحرى مـدَّعٍ للـدين،حيث كـان يصـلّي ويرتـاد الكنائس كـل يـوم، لكنـهُ عنـدما يجلـب اللحـم أو الفواكـه لا يسـمح لأمي بأن تعطينا منها. كان يقول لها:

- لم أتزوجـكِ لأصرف عـلى آفاتـكِ يـا امـرأة. أنـا رجـل واحـد وانـتن ثمانية،كيف أستطيع إطعامكن جميعاً؟!

كانــت أمــي تأكــل مــع زوجهــا، بعــد أن تطعمنــا الخبــز والأرز الــذي لا يشــبع جوعنــا وتجعلنــا ننــام. كنــا نشــمّ رائحــة اللحــم المطبـوخ التـي تفـوح في الليـل، بيـنما كنـا نتضـوّر جوعـاً ونسـمع أصــوات خــواء بطوننــا، نظــلّ نتظــاهر بــالنوم وعيوننــا تــأبى أن تغمض، فنغمضها رُغماً عنا.

أســتمر الوضــع هكــذا، كــلّ يــوم يكــرّر نفســه ونحــن نعــيش كالبهـائم المحصـورة في حظـيرة صـغيرة، حتـى التقيـتُ بالقسـيس دايان، وعـرض عـليّ أن أكـون راهبـة. فضّلـتُ أن أعـيش راهبـة عـلى المـوت جوعـاً في كَنـف أُم لـيس لهـا قلـب،وزوج أم لا يهـتم حتـى وإن مِتنـا جوعـاً. هكـذا انضـممتُ للكنيسـة منـذ عمـر التاسـعة،وأنا الآن في الرابعـة والخمسـين مـن عمـري، الـذي أفنيتـهُ بـين جـدرانها. اقتربـتُ بـبطء مـن السـيدة المُنهـارة،حتى أصـبحتُ خلفهـا، بقـرب

ابنهـا الـذي يعانقهـا بشـدة. وضـعتُ يـدي عـلى كتفهـا وقلـتُ بلطف:

- هَـدّئي مـن روعـكِ يـا ابنتـي. مـاذا ألمَّ بـكِ؟ لا يوجـد بـلاء إلا مـا يريد الله بهِ خيراً لنا.

مـا أن انتبهـت لي والتفتـت حتـى أختَّـل توازنهـا وفقـدت وعيها،فسقطت أرضاً وتعالت صرخات ابنها وسط ذهولي.

- روز نـادي إليكـاي بسـرعة ليحملهـا إلى إحـدى الغـرف. لنحضـر لها الطبيب!

- ولكن يجب أن نُبلّغ الأسقُف إيمانويل أولاً...

قاطعنـا صـوت الأسـقف فالتفتنـا نحـوه. لقـد خـرج الأسـقف مـن خلوتـه التـي بـدأها قبـل أيـام، والتـي طلـب مـن الجميـع عـدم مقاطعتها إلا بعـد مـرور سـبعين يومـاً. لكنـهُ خـرج حينئـذٍ مـن دون أي تدخّلٍ منا.

كـان الطفـل يصـرخ محـاولاً إيقـاظ أمـه، فحاولـت الاقـتراب منـهُ لتطمينـه،لكن صرخاتـهُ ازدادت وهـو يبتعـد عنـي. لمحـتُ ذعـراً شـديداً في نظراتـه، ضـاعفَ مـن فضـولي لكشـف سر معاناتـه ومعاناة والدته.

- ما الذي يجري هنا؟ من هذهِ المرأة وماذا حدث لها؟!

حضـرة الأسـقف، نأسـف عـلى مـا حـدث ولكننـا لا نعرفهـا. دخلـت لتزور الكنيسة وأغمي عليها.

اقترب الأسقف منها ملقياً نظرة متفحّصة.

- أيـن إليكـاي؟ نـادوه، ولـيقم بحملهـا إلى أقـرب غرفـة، واسـتدعوا طبيباً لها. أتمنى أن تكون بخير، إنها شاحبة جداً، وتبدو مريضة.

حَزنّا جميعاً على السيّدة دون أن نعلم قصتها. أتى الطبيب فيما بعد،وطمأننا إنها بخير، لكنها فقدت توازنها في إثر فرط الانفعال والحزن.

أما الطفل فقد ظلّ خائفاً جداً عليها. قمتُ بمرافقة الطبيب إلى باب الدير وعُدتُ إلى الغرفة، لأجدهُ جالساً بجانبِ السرير الذي استلقت عليه أمه، ماسكاً يدها اليمنى وهو ينتحب , وقفتُ قُرب الباب جراء فضولي الذي دفعني الى معرفة ما قصتهما

- ماما، حبيبتي... أعلم أنكِ حزينة لكنكِ لا تخبريني. أعلم أن جدي وجدتي قد رحلا ولم يعودا موجودَين معنا. هناك شيء ما يحدث،أنتِ تخفينه عني. لكنني رأيت، وأشعر بالسوء قريب منا. أرجوكِ لا تذهبي أنتِ أيضا.... لا أريد البقاء وحيداً...

اندهشتُ وحَزنتُ في ذات الوقت على كلام الطفل، الذي لم يتعدّ السابعة من عمره. كان ألمه واضحاً، وبرغم مظاهر الترف المادّي البادية عليه إلا أنَّ كلامهُ دلّ على أنه قد عاشَ مصاعب الحياة وجرّبها، ولم يكن مُدللاً بعيداً عن المعاناة. بَدَأت أمه تفتح عينيها فمسحَ دموعه من على خديه بسرعة وابتسم.

- ماما! الحمد لله إنكِ بخير. لقد قلقتُ عليكِ جداً... خفتُ أن تتركيني...

عانقتهُ المسكينة بشدة، وجاءَ الأسقُف إيمانويل

- ماتيلدا لماذا تقفين هُنا؟ كيف اصبحت الفتاة ؟

- انني بأنتظارك حضرة الاسقف لندخل سويةً.

دخَّل الاسقف ليلقي عليها التحية بلطف وترحيب

- حمداً لله على سلامتكِ يا ابنتي. من أين أنتِ وما الذي حدَّثَّ معكِ؟

- أنا واحدة من عباد الله. التجأتُ لهذه الكنيسة لأهوّن من حزني وأعتزل العالم لفترة. اطمئنوا، أقسم لكم إنني لستُ مجرمةً ولا أخفي شيئاً يمكن أن يؤذيكم، لكنني أريد الاحتفاظ بتفاصيل قصتي لنفسي. هل تسمحون لي بالبقاء هنا لبعض الوقت مع إبني؟ أنا في أمسّ الحاجة لذلك.

في الصباح التالي أبلغَنا الأسقف بموافقته على مكوثهما عندنا مؤقتاً،وقمنا بتخصيص غرفة لهما في الطابق الأعلى، حسب طلبها اتسمت طباع السيدة بالغرابة، إذ كانت تستعمل الشموع الكلاسيكية للإنارة بدلاً من الإضاءة الكهربائية،واعتادت فتح النافذة كل يوم لتجلس محدّقةً في السماء كأنها تحاكيها. كانت لا تنام سوى ساعاتٍ قلائل في الليل، وترفض غياب ابنها عن ناظريها ولو لدقائق. لم تَسمَح لهُ بالخروج أو اللعب في حديقة الكنيسة مع أي من الراهبات،وقتلَنا الفضول لمعرفة سبب اعتكافها الغريب وامتناعها عن الحديث. انقضى حوالي شهر على ذلك الحال،حتى جاء يوم دَخَلَ به الدير رجل، يرتدي بدلة رجالية سوداء. كان كبير السنّ نوعاً ما،لكن أناقته أخفت جانباً من كبر سنّه. استقبَلتُهُ أنا:

- تفضل سيدي؟

- سمي ماكس. جئتُ لأجل السيدة كاثرين، التي تسكنُ هنا منذُ شهر تقريباً...

- إسمها كاثرين إذن... مَن هي وما علاقتكَ بها؟
- هل هي هنا بالفعل؟

أجفلتُ وقتها، لكوني قد وَشَيتُ بمكانها دون معرفة ذلك الرجل وغرضه منها، فربما كانت تختبئ منه أصلاً. ظهرَ أنه شعر بندمي لما قلتُه، فتابع بهدوء:

لا تقلقي، فأنا صديق مقرّب لوالدها رَحمَهُ الله. هل لي أن أتكلم معها؟ أخبريها بمجيئي من فضلكِ.

أدخلناه إليها لأنها رفضت الخروج، بقي لنصف ساعة معها قبل أن يخرج.

لم أتمكن من منع نفسي من السؤال عنها وعن سبب اعتكافها،فأخبرَني أنها سيدة من الطبقة المخمليّة، ابنة لمليardير بريطاني معروف يدعى ألبرت سميث.

كانت تمرّ بأزمةٍ نفسيّة شديدة، إثر وفاة عائلتها بحادثةٍ غامضة صعبة التفسير. كنتُ أريد منهُ أن يروي لي المزيد، فقد زاد من فضولي ما سمعتُه، لكنهُ انهى حديثهُ واستأذن في الرحيل.

مضت عدّة أسابيع أخرى ، وكاثرين على نفس الوضع. كانت تسهر ليلاً، وتتجوّل في الحديقة صباحاً، دون أن تكلّم أحداً. وفي ليلةٍ ممطرةٍ قارسة البرد، طُرِق باب الدير وإذا بالسَّيد ماكس على الباب حاملاً مَظَّلة، وطالباً لرؤية كاثرين بشكل عاجل.

- سيدي، لكنها لا تسمح بأي إزعاج لها خصوصاً في الليل!
- أرجوكِ أخبريها إن الأمر طارئ للغاية. لتأتِ وتقابلني هنا...
- حسناً، انتظر دقائق...

صعدتُ إلى غرفتها وطرقتُ الباب. كنتُ أخشى من ردّة فعلها بعض الشيء، لأن الحزن الممزوج بالغضب لم يفارقا محيّاها كلّما لمحتُها، وكأنها لا ترحّب بأيّ متطفّل يعكّر خلوتها

- ادخل...

فتحتُ الباب ودخلتُ على عجل كانت كاثرين مُتَّكأةً على جانب النافذة، تنظر إلى السماء الماطرة برأس مائل، بينما جلس ابنها بيتر يرسم على ضوء الشموع الباهت. لم أفهم كيف يفضّل أحدٌ استخدام الشموع القديمة على الكهرباء ونحنُ في القرن الحادي والعشرين.

- سيدة كاثرين... لقد جاء السيد ماكس ويريد أن يراكِ, قال أن الأمر عاجل...

- حسناً، دعيه يدخل من فضلك...

- لكنه يقف على باب الدير ويرفض الدخول، يريدكِ أن تخرجي لهُ بنفسكِ...

نهضت كاثرين بانزعاج ونزلت للتكلم مع السيد ماكس, كان صوتها عالياً ومسموعاً.

- ماذا تريد يا ماكس؟ دعوني وشأني! لا أريد التحدث في أي شيء مع أي أحد...

- سيدتي، شقيقتكِ الآنسة كارولين مفقودة ولا نعلم أين هي!

- ماذا؟! ألا يمكنني الاعتماد عليكم في شيء أبداً؟ ألم أتركها أمانةً في حمايتك؟!

- نعم سيدتي، لكن صدقيني... لقد اختفت فجأة بلا أي أثر يدلّنا عليها...

- ماتيلدا، ساعديني في تجهيز حقيبتي، لو سمحتِ...

أتممنا توضيب الأغراض بسرعة، ووضعنا الحقيبة داخل السيارة، قبل أن تشكرنا كاثرين بحرارة وتركب مع ابنها في المقاعد الخلفية. راقبنا السيارة من الشباك وهي تنطلق مبتعدة عن الدير، لتنتهي فترة إقامة تلك الإنسانة الغامضة،التي تحمل خلف حزنها ودموعها الكثير من الأسرار والآلام.

لا اعرف سبب تعاطفي مع تلك الفتاة , ولماذا حُفِرَّت بذاكرتي هكذا!

3

قبل شهر...
ما بداخل المراة..

كاثرين / قصر السير سميث / 2021م

قـررتُ الخـروج أنـا وبيـتر دون أن يعـرف أحـد. أخـذتُ حقيبـة ملابـس صـغيرة لنـا ووضـعتُها في سـيارتي، ثـم ركبنـا سـويةً. لم أعـرف إلى أيـن سـنذهب، لكننـي قـرّرتُ الابتعـاد عـن كـل شيء قـدر اسـتطاعتي. انطلقـتُ بالسـيارة، حتـى خرجـتُ مـن المدينـة ووصـلتُ إلى طريـق في الريـف، امتـدّ بـين مـزارع مصـطفّة عـلى الجانبين.

كـان قـد حَـلَّ المسـاء،وغفا بيـتر في مقعـده بجـانبي. انتبهـتُ فجـأةً إلى هبـوط مقيـاس الوقـود أمـامي لمسـتوى متـدنٍّ جـداً،ولاحظتُ قلّـة البيـوت وخلـو الطريـق مـن النـاس تمامـاً،لأتوقّف عنـدَ أول مزرعـة لمحـتُ فيهـا منـزلاً أنـوارهُ مُضـاءة. رفع بيتر رأسه متمتماً:

- هل وصلنا أمي؟
- نعم حبيبي، لننزل... نحتاج وقوداً.

بـدت المزرعـة خاويـةً مـن البشـر، لكـن بابهـا لم يكـن موصداً،فرفعتُ صوتي، آملةً أن يسمعني مَن بداخل المنزل.

- هـل مـن أحـدٍ هنـا؟ نحتـاج للمسـاعدة رجـاءاً، لقـد نفـدَ وقـود سيارتي...

لم أسـمع رداً، في تلـك الظلمـة. كـان المنـزل في نهايـة المزرعـة ونحـنُ كنـا قـرب مـدخلها. تقـدّمتُ بِضِـع خطـوات وانـا امسـك يـد بيـتر لتبـاغتني ضربـة عـلى رأسي مـن الخلـف، أسـقطتني في الحـال. عنـدما اسـتعدتُ وعيـي كنـتُ ممـدّدة عـلى سريـر داخـل غرفـةٍ

خشـبية، عـلى يســراي امـرأةٌ عجـوز وعـلى يميني جلـس بيـتر. قفـز عـليّ صـغيري معانقـاً فقالـت لـهُ المـرأة: "تمهّـل يـا بُنـي، دع أمـك ترتاح قليلاً فقد أفاقت للتو".

فسألتُها:

- من أنتِ يا سيدة؟ ما الذي حدث؟

رأيتُ حركـة شـفاه العجـوز وهـي تجيبنـي، لكنني لم أسـمع كلمـةً مــمّا قالتــه، فقـد انبثقــت سلســلة خيــالات وصــور غريبــة في رأسي،كأنها مشاهد متسارعة من فيلم.

رأيــتُ نفســـي وأنــا أجـري وأنفــاسي تكـاد تنقطـع, لتختفــي الصــورة وتليهــا صــورة شــاب وسـيم للغايــة، عينــاه نرجســيتان جـذّابتان وملامحـه مُتناسـقة، خمـري البشــرة، كـان يضـمّني بقـوّة. شـعرتُ بربــاطِ حــبٍّ وثيــق يربطنــي بــه، هــل هــو مــارك؟! ثــم اختفــى وظهــرت صــورتي وأنــا أرتــدي فســتان زفــاف رائــع الجــمال وأنظــر إليــه في مــرآةٍ طويلــة، ثــم رأيــتُ مكانــاً غريبــاً جــداً لا أســتطيع وصــفهُ،وقف فيــه أشــخاص يرتــدون أزيــاء في غايــة الغرابـة، قبـل أن يـتلاشى كـل شيء فجـأة كـما بـدأ. لم أتـذكر شـيئاً عــن تلــك الصــور، التــي راودتنــي بســرعة وتبخّــرت في ثــوانٍ معدودة، لكننـي كنـتُ واثقـة أنهـا جـزء مـمّا نسيتُه بعـد الغيبوبـة.

نبّهني صوت العجوز وهي تخاطبني:

- ما بكِ يا ابنتي؟ أراكِ شاردة ولستِ معي؟

كيـف لا يشــرد عقـلي وقـد بـدأ يعـودُ كـلّ شيء فقدتـهُ! حقبـةٌ كاملـةٌ مـن حيـاتي كانـت مُبهَمَــةً ومفقــودة، أتَـت واختفـت مـن أمامي في لحظات. أجبتُها ببطء:

- أنــا آســفة حقــاً، يــا خالــة... فعــلاً شردتُ قلــيلاً... هــل أنــتم أصحاب المزرعة؟ ما الذي حدث معي؟
- هــل مــا زال رأسـكِ يؤلمـكِ؟ نحــنُ آســفون جــداً. زوجــي كــان يتفقّـد المزرعـة وظـنّكم لصوصـاً في الظـلام، فضــربكِ بالعصـا عـلى رأسـكِ، وحيــنما ســقطتِ وصرخ ابنــكِ اكتشــف فداحــة خطــأه فحملكِ وأدخلكِ إلى المنزل...
- بـل أنـا مَـن أعتـذر مـنكم بشـدة يـا خالـة. لقـد دخلـتُ دون اسـتئذان،لكنني احتجــتُ للوقــود، وناديــتُ فلــم يجبنــي أحــد فظننــتُ أنّكــم لم تســمعوني لبُعــد المنــزل عــن البوابــة، فــدخلتُ المزرعة عندما وجدتُ الباب مفتوحاً...
- أهلاً بكِ يا ابنتي، أنتِ وبيتر اللطيف.
كـان بيـتر منهمكـاً بمداعبـة قطّهـا الرمـادي اللـون، الجـالس أمـام المـدفأة. خَرَجـت المـرأة مـن الغرفـة لدقيقـة، لتعـود وبيـدها صـحن وملعقة.
- تفضّـلي عزيـزتي، إنـهُ حسـاء الـدجاج. مفيـد جـداً وحضّرتـهُ لـكِ بنفسي.
شـكرتُها وتناولتـهُ، وأنـا أحـاول تـذكّر المزيـد مـن تلـك المشـاهد السـريعة،غير إننــي فشــلتُ في التعــرّف عــلى أيٍّ مــن أولئــك الشـخوص أو المواقـف، وعجـزتُ عـن تفسـير المكـان الغريـب الـذي رأيتــهُ وعلاقتــهُ بغيبــوبتي ونســياني لكــلّ شيء، حتــى غططــتُ بعــدها في نــومٍ عميــق، إثــر الضــربة التــي تلقّيتهــا عــلى رأسي. اسـتيقظتُ صـباحاً بسـبب قفـز القـط، وبيـتر الـذي كـان يلعـب معه، حول فراشي. فور استيقاظي نادتني العجوز من النافذة.

- صباح الخير يا ابنتي، كيف أصبحتِ الآن؟
- صباح الخير سيدتي. بخير أنا أشكركِ حقاً.
- اذن تعالي لنفطر سوياً .

نهضتُ مغادرةً الغرفة الى الخارج ليلحق بي بيتر وهو يركض نحو زوج المرأة العجوز الذي كان يُطعم البط بينما كانت المرأة تجلس على طاولة طعام خشبية بسيطة وكأنها عمل يدوي

- أردتُ أن أسألكِ عن اسم هذه المنطقة؟ انها جميلة جدا.
- أنتِ في قرية بيبوري، من أجمل الأماكن التي يمكن أن ترينها. هنا تجدين كل شيء على طبيعته، بعيداً عن كل ما أفسدتهُ الصناعات والتطور في العالم. الناس هنا طيّبون، يعيشون على سجيّتهم رغم مقوّمات العيش البسيطة التي يمتلكونها.

قالت العجوز ذلك وهي تقدّم لي كوباً من الشاي الساخن. كان المكان يزخر بدفء العائلة وجمالها, لم يكونا سوى عجوزَين قرويَّين،لكنّ منزلهم أعادَ لي نفحاتٍ من عطر الماضي.. لقفت الكيس من زوجها بعد ان رماهُ لها وتابعت اطعام البط " خذي اطعميهم انا سآخذ بيتر جولة في القرية " ، تحت زقزقة العصافير على الأشجار، ثم ذهبت لتسقي الزرع وتجلس أمام حديقتها الزاهية الممتلئة بعناقيد العنب كالثريات، والمفترشة بخضرة رائعة تَسُر الناظر، زيّنتها حمرة ثمار الطماطم التي زرعتها من جهة، وعطر أعواد النعناع من الجهة الأخرى،والورود التي كانت تتألق في صفوف منتظمة حولها. رافق بيتر زوجها بحماسٍ بالغ، في جولة لاستكشاف المزرعة،بينما عادت هي لتجلس بقربي.

- ما اسمكِ يا ابنتي وما الذي أتى بكِ إلى هنا؟ من الواضح انكِ لستِ قروية .
- أنا كاثرين. اصطحبتُ ابني وخرجتُ أقود سيارتي، أردتُ ترك كل شيء خلفي، هاربةً من ألمي وحُزني على غير هدى. وصلتُ لهذه القرية التي أراها لأول مرة، وانتهى بي المطاف أمام باب مزرعتكم عندما انتهى الوقود.وانتِ ما اسمكِ سيدتي؟
- أدعى كارلا، وأسكنُ مع زوجي المُسن فَلَم يبقَ لنا غير بعضنا،بعد أن تزوّج أولادنا وأصبحت لكلٍّ منهم حياتُه الخاصة. أرجو ألا أكون متطفّلة، لكن أتمنى أن تحكي لي قصتكِ، لأنّ وجهكِ وعينيكِ يحملان حزناً كبيراً، أكبر من سنّكِ, هذا اذا لم نضع في الحسبان السواد الذي تتشحينَ بهِ .
- على العكس، لا يوجد تطفُّل . أنا أيضاً أريد أن أبوح عمّا بداخلي، لأنني سأختنق بغصّة في قلبي إن لم أفعل ذلك...
- حسناً عزيزتي. سأحضر أصدقائي, وبعدها لنتكلم ...
- هل لكم جيرانٌ هنا في هذا الشارع؟ أعتقد إنني لم ألحظ بيتاً قريباً...
- ليسوا جيراننا هاهاها... أقصد حيواناتي الأليفة، فأنا أعتبرهم أصدقائي.
- نعم عزيزتي كاثرين. افتحي قلبكِ واحكِ قصتكِ لي منذ البداية.
- لا أعتقد إنكِ ستصدّقين حكايتي يا سيدتي الطيبة...
- ولماذا لن اصدقكِ؟ لكلّ واحدٍ منا حكايته المختلفة وأسراره الخاصة. ربما نختلف عن بعضنا بعمق الأسرار أو بكمّ المصائب

التـي مَرَرنـا بهـا، لكـن نهايتنـا واحـدة وهـي الفنـاء. هنالـك مَـن يفنـي حياتـه في المـاضي، وهنالـك مَـن يفنـي حياتـه بالعمـل للمسـتقبل. وهكـذا، فكلّنـا في نفـس الرحلـة، سـائرون نحـو النهايـة ذاتها، لكننا نحن من نحدّد معنى رحلتنا هذه.

- ومـا الفائـدة مـن تـذكّر المـاضي إن كـان الحـاضر جحـيماً؟ هـل سيصلح الماضي تعاسة الحاضر؟!

- المـاضي مـرآة الحـاضر يـا ابنتـي. لمعرفـة سـبب مـا يجـري في الحاضر، يجب أن تعرفي الماضي وتُصلحي به الحاضر.

- مـا في حـاضري لا يمكـن إصـلاحهُ سـيدتي... لا يمكـن! عـلى أيـة حال، فسـوف أحـكي لـكِ حكـايتي، لـترَي المـآسي التـي بـداخل مـرآتي منذُ البداية، ولعلّي أنعم ببعض الراحة.

لقـد عانيـتُ الكثـير مـن لحظـات الـوداع في حيـاتي، حتـى أصـبحتُ كمحطـة القطـار التـي تـودّع المسـافرين، معتـادةً عـلى الفـراق والفقـد. أول وداعٍ كـان وداع والـدي، الـذي لم أدركـه وقتهـا لأن عمـري لم يكـن يتجـاوز العـامين، عنـدما قبّلنـي والـدي آخـر قُبلـة واتجه للحرب، حيثُ لقي حتفه في أثناء القتال.

ولـدتُ في قريـة كولمـار في فرنسـا. أمـي فـيرا، الأرملـة التـي تركهـا أبي وهـي في بدايـة الثلاثـين، كانـت جميلـة، وشـابة جـداً عـلى أن تترمّـل. كـبرتُ بـين طيّـاتِ الكتـب ورائحـةِ الـورق، التـي سـادت أجـواء مكتبتنـا أنـا وأمـي. تلـك المكتبـة التـي تمّتنـي وأمّنـت لي ولأمـي معيشـةً مقبولـة. أصـبحت القـراءة أحـبُّ هوايـةٍ إلى قلبي،وترَعرعـتُ عليهـا، في وقـتٍ لم يكـن لـديّ فيـه مـا ألبسـه في قدماي،سـوى حـذاء واحـد مُهـترئ مخلـوع القاعـدة، بعـد ارتـدائي

لـهُ لـثلاث سـنوات متتاليـة،حتى أنّ بـاطن قـدمي كـان يظهـر منـه كلّـما رفعتهـا عــن الأرض. أمــا ملابســي فثــوبين فقط،أغســل أحــدهما وأرتــدي الآخــر بالتنــاوب. كنــتُ أجلــس عــلى كــرسي المكتبة،وقـدماي تتأرجحـان مـن تحتـه، بعـد أن أكـون قـد أخـترتُ كتـابي الـذي سـأقرأه لـذلك اليـوم، بانتظـار قـدوم زبـون أو اثنـين لشــراء كتـاب أو للاسـتعارة، مقابـل أجـرٍ زهيـد. أمـا أمـي فكانـت تــنفض الغبــار عــن الرفــوف، وتقــوم بترتيــب الكتــب حســب صـنوفها، حيـث تضـع الكتـب العلميـة في رف، والكتـب التاريخيـة في رفٍّ آخــر، والروايــات البوليســية في رف ثالــث وهكــذا. كنــتُ أسـاعدها أحيانـاً في الترتيـب، بعـد أن أصـبحت لـديّ بعـض الخـبرة. كانــت أمــي مُثقفــةً جــداً ومولعــة بالكتــب،أورثتني ذلــك الولــع والهوايـة الرائعـة. كـان لـديها شـهادة البكلوريـوس في الآداب، لكـن الحــظ لم يحالفهــا لــكي تحظــى بعمــل يليــق بتحصــيلها الـدراسي،فقررت أن تفـتح تلـك المكتبـة، بعـد أن اسـتأجرت مكانهـا مـن صـديق أبي المقـرّب، سـيد أوسـتن. كـان الرجـل تـاجراً ميسـور الحـال، محبّـاً لأبي. كـان صـديقه الوحيـد تقريبـاً، وقـد أوصـاه أبي علينـا قبـل أن يـذهب إلى الحـرب التـي سـلبتهُ منـا. كـان أوسـتن في غاية اللطـف معنـا أنـا وأمـي، مـع إنـه معـروف بطبعـه القـاسي مـع الجميع.

في يــوم مــن الأيــام، كنــتُ أقــرأ كتابــاً عــن ســيرة المهاتمــا غاندي،عنـدما لاحظـتُ أن أمــي غـير موجـودة بــالقرب, بحثــتُ عنهـا داخـل المكتبـة،حتى وجـدتُها في مخـزن الكتـب، جالسـةً عـلى كـرسي قـديم، تنظـر إلى نقـود قليلـة نثرتهـا أمامهـا عـلى طاولـة.

كانت تعدّهم ثم تعود لتنثرهم على الطاولة، كأنها تتمنى بيأس أن يتكاثروا. "مهما كان صاحب المكتبة طيّباً ومتساهلاً معنا، إلا إننا لا يمكن أن نستغلّه".

أنا مُتأكدة إن هذا ما كانت تفكر فيه أمي، وهي مُحتارة تتفحّص النقود. كنّا آنذاك مدينين بمبالغ إيجار ثمانية أشهر، فالإقبال على الكتب باتَ ضعيفاً للغاية. كنتُ أعجب للبشر الذين ما عادوا يرغبون بالمعرفة، ولم تعد تمثّل لهم الكتب الثمينة أية قيمة. كلّما تقدّم الزمن ازداد جهل الناس، وقلّت قيمة المثقّفين في المجتمع، حتى إنني أكاد أجزم إنه سيأتي علينا يومٌ نجد فيه من كل مئة إنسان اثنان مثقفان فقط، أمّا البقية فلن يعرفوا شيئاً عن هذا العالم، ومهما أخبرتِهم سيصدّقون بكل طيب خاطر! أخذتُ أراقب أمي بصمت،وأنا أفكر كيف بوسعي أن أساعدها. التفتت هي فجأةً ورأتني،فاستغربت لمَ أقف بعيداً. مدّت ذراعها إليّ مبتسمةً.

- عزيزتي تعالي هنا. لماذا تقفين هناك؟

- ماما، لقد حان موعد دفع الإيجار النهائي والمال لا يكفي،أليس كذلك؟

- فضحكَت وهي تحاول إخفاء توتّرها والمأزق الذي تمرّ به.

- من قال لكِ هذا؟! بالعكس، لقد جمعتُ المبلغ منذ فترة. ليس من الضروري أن تعرفي كل شيء تفعله والدتكِ... عيشي طفولتكِ يا حبيبتي، ولا تحملي أيّ همّ، دعي الهموم للكبار...

- لا يا أمي! يجب أن أساندكِ. مَن لكِ غيري؟ صحيح إنني طفلة لكنني لستُ بلا حيلة.

- لا تضخّمي الأمور يا ابنتي فهي ليست بهذه الاهمية,حتى إن تأخرنا قليلاً فسوف يساعدنا السيد أوستن. إنه رجل طيب، لا تقلقي.

أنا أيضاً كنتُ أظنّه طيّباً بالفعل، حتى سمعتُ بأذنيّ ما أرعبني منه، في نفس اليوم الذي أرسلتني أمي فيه للاعتذار عن دفع الإيجار وطلب مهلة أسبوعين آخرين. وصلتُ ذلك اليوم إلى متجره،فاستقبلني أجمل استقبال وقدّم لي بعض الحلوى. كنتُ خجولة بطبعي، ولديّ من الاعتزاز بالنفس ما يدفعني لعدم الأخذ منها. أبلغته بكلام والدتي بلطف، فوافق مباشرةً على منحنا المُهلة.

- أوصلي سلامي إلى زوجة أخي العزيزة. إنها في أعيننا، وطلباتها أوامر بالنسبة لي.

شكرتُه باستحياء وخرجتُ من المتجر، لكنني تعثّرتُ خارج عتبة الباب فوقعتُ، دون أن ينتبه بأنني لم أزل في الجوار. تمالكتُ نفسي ونهضتُ أنفض الغبار عن ملابسي، فسمعتُ بلا قصد حديثاً دار بينهُ وبين مساعده، حيث ضحك المساعد باستهزاء.

سيدي... منذ متى وأنتَ حنون إلى هذه الدرجة؟!

منذ أن رأيتُ جمال فيرا! منذ المرة الأولى التي دخلتُ بها منزل صديقي ، وأنا مجنونٌ بها. لم أحلم إلا باللحظة التي تكون فيها لي وبين يديّ. أصلاً لم أكن لأتقرّبَ من زوجها لولاها، ثمّ سعيتُ بكل جهدي لكي تكون بيننا علاقة عائلية، وصارت زوجتي من أقرب صديقاتها. أما الآن فقد أصبحت الوحيد في

حياتهـا، فأنـا أملـك بيتهـا ومكتبتهـا، وأغرقتهـا بـاهتمامي وأفضـالي فهـــي وحيـــدة لا ســـند لهـــا. ســـيكون مـــن الســـهل الحصـــول عليها،فابنتهـا ومكتبتهـا كـلّ حياتها،وستصـبح مُلـكي مقابـل الحفـاظ علـيهما، لأنهـا لـن تسـتطيع دفـع الإيجـار, في النهايـة إنهـا تبيـع الكتـــب في مكـــانٍ يعـــيش فيـــه النـــاس ويقتـــاتون عـــلى جهـــل بعضهم،فالمعرفة أصبحت خطيرة، وقلّةٌ فقط مَن يتقرّبون منها.

شـعرتُ بصـدمةٍ وهلـعٍ بـالغَين مـن كلامـه، وغـادرتُ ركضـاً إلى أمي، التي قـرّرتُ إخبارهـا بمـا سـمعت بـأقرب وقـت، لأنـه بالتأكيـد سيحاول استغلالها في القريب العاجل.

بـدت علامـات الخـوف بوضـوح عليهـا وهـي تسـتمع إليّ، لكنهـا كانـــت تجاهـــد كي تطمأننـــي وتقلّـــل مـــن ذعـــري. أكملـــتُ كلامـــي فقالت بابتسامةٍ باهتة:

- لا يـا عزيـزتي... لا تقلقـي، ولا تأخـذي كلامـه عـلى محمـل الجـد. إنه رجل طيّب وشهم... ربما كان يمزح مع صاحبه...

- حسناً أمي وإن يَكُن؟ يجب عليكِ الحذر، وبالنسبة لي...

قطعـتُ جملتـي وصـعدتُ إلى الغرفـة العليـا مـن المكتبـة، نحـو ماكنة الخياطة الخاصة بأمي.

لقيـتُ بجانبهـا الـزيّ المـدرسيّ الـذي كانـت تخيّطـهُ لي. كـان رائعـاً، وقـد سـهَرَت عليـه ليـالٍ لـكي تنجـزَهُ في الوقـت المناسـب. أحضرـتُه ونزَلت، أمام استغراب والدتي.

- ما الذي تفعلينـه حبيبتـي! لقـد صـنعتُه لـكِ كمفاجـأة. هـل كُنـتِ تعلمين؟

ركضتُ نحوها وقمتُ بضمّ ذراعيَّ حول خصرها بشدة.

- شكراً لكِ امي العزيزة, إنه جميل جداً وأنا حقاً سعيدة الآن وكأنني ارتديتُه...
- ماذا؟! ألن ترتديه؟
-كلا، بل سأبيعهُ... وبمبلغٍ جيد، سوف يساعدنا.
- مستحيل! لقد صنعتهُ لكِ...
- أمي، أرجوكِ هذا طلبي أنا... أرجوكِ أرجوكِ... ألا تريدين أن أصبح سعيدة؟
فتكلّمت معي بنبرة حازمة:
- إنسي الامر كاثرين لن نبيع شيئاً.
قررتُ حينها أن أذهب إلى المدرسة بملابسي القديمة، لأجبرها على بيع الزّي وفي أول يومٍ دراسي، أخذنَ الفتيات يسخرنَ مني ومن ملابسي.
- هل يعقل أن تأتي فتاة للمدرسة بفستانٍ منزلي قديم؟! لو كنتُ بمكان مدير المدرسة لمنعتُكِ من دخول المدرسة.
- اتركيها، فهي لم ترتاد مدرسة سابقاً. أراهن أن عائلتها بأكملها تخلو من شخصٍ متعلّم.
غضبتُ غضباً عارماً بعد تكرار نظرات الازدراء والكلام الجارح،فذهبتُ للمعلمة شاكيةً، قرب انتهاء وقت الدروس,وكانت تستمع الى الراديو
- أستاذتي، لو سمحتِ... أريد أن أشكو إميلي، فهي تسخر مني ومن ثيابي... أستاذة، هل تسمعيني؟
- حسناً، إذهبي ولا تتشاجرنَ مرة أخرى...
لم تُعِرني المعلمة أي اهتمام، فخرجتُ بغضبٍ أكثر مما دخلت.

- مـا هـذا؟! لا يعقـل هـل هـذه معلمـة! لا تَصلُحين قـدوةً لأيـة طالبةٍ منا... أنا سأريكم جميعاً.
عدتُ بخطى سريعة إلى المنزل والدم يغلي في عروقي.
فيرا / قرية كولمار / فرنسا / 2000م
كنـتُ في المنـزل، أتهيّـأ للـذهاب إلى المكتبـة بعـد قليـل. بيـنما كنـتُ أشـدّ شعري سـمعتُ طرقـاتٍ عـلى البـاب. ألقيـتُ نظـرة مـن النافـذة، لأجـد السـيد أوسـتن واقفـاً. غمـرني لرؤيتـه، ولأوّل مرةٍ،قلـقٌ وخـوف كبـيرَين. لم أرَ منـه مسـبقاً إلا الطيبـة والإحسان،لكن ماذا لو كان ما سمعتهُ ابنتي حقيقةً؟!
فكـرتُ بوجـوب الاسـتعداد لكـلّ الاحـتمالات، فمنـزلي في مكـانٍ بعيـد عـن مركـز القريـة، ولـو حـدث مكـروه فلـن يسـتطيع أحـد مسـاعدتي في الوقـت المناسـب. ظللـتُ حـائرةً بـالتفكير، بيـنما استمرّ طرق الباب بلا توقّف.
- حسناً سيد أوستن، أنا قادمة.
اتجهـتُ للمطـبخ والتقطـتُ سـكيناً صـغيراً مـن أحـد الـدواليب وخبّأتُهـا في حـزام فسـتاني، تحسّـباً لأي طـارئ، فتلـك كانـت أول مـرةٍ يـزورني في المنـزل وأنـا بمفـردي، ومـن دون عائلتـه أيضـاً. ذهبتُ لفتح الباب، بخطواتٍ ونظراتٍ حَذِرة.
- مرحباً فيرا. لقد نفد الوقت، بالنسبة للإيجار...
- أهـلاً سـيدي، لمـاذا أتعَبـتَ نفسـك بـالمجيء إلى هنـا؟ كنـتُ سأرسل لكَ الإيجار بالفعل...
بدت حينها ملامح الدهشة على وجهه.
- ماذا، هل تدبّرتِ أمر المال؟!

- نعم سيدي. لقد جمعتُ مبلغ إيجار شهرين فقط... وسأكون في غاية الامتنان لجميلك، إن سمحتَ لي بالبقاء في المنزل والمكتبة لأسبوع آخر، ريثما أتدبر لكَ ما تبقى من المال.

فصرخ في وجهي فجأة، وكأنه كان بانتظار ما قلتهُ لينفجر.

- ماذا، ماذا؟! كرّري ذلك مجدداً لأنني لم أستوعب! هل جننتِ؟!

لقد طال صبري عليكم جدا, لن أبقيكم لا أنتِ ولا ابنتكِ لليلة واحدة أخرى في هذا المنزل، ولا في المكتبة! اريدُ بيعهما , أخرجي من منزلي الآن!

سحبني من ذراعي بعنف، حتى كاد ينكسر بيده، ودفعني باتجاه الخارج على الأرض، ثم دخل يبحث عن القفل ليغلق الباب، فلحقتُ به راكضةً وأنا أبكي وأهتف:

- أرجوكَ سيدي... أتوسل إليك... أمهلني الليلة فقط... لكي آخذ أغراضي على الأقل...

- ولا حتى دقيقة واحدة! أغراضكم ستكون تعويضاً لي عن أشهر الايجار التي لم تدفعوها، برغم أنها مُهترئة ولا تساوي شيئاً.

كان على الأغلب محقاً في ذلك الادّعاء، فأغراضنا جميعها شبه تالفة ولا قيمة ماديّة لها، لكن يوجد فيها ما هو أغلى من روحي، بالنسبة لي ولإبنتي، وما قد ينقذها من العيشة البائسة التي كانت تعيشها. لذا كان من المحال أن أسمح له بذلك،حتى لو كلّفني الأمر حياتي. بقيتُ أضغط بكلّ جهدي للدخول، وهو يدفعني إلى الخارج بحقدٍ أعمى. كنتُ أصرخ:

- معكَ حق في طردنا من منزلك لأننا تأخرنا جداً في الدفع، لكن يجب أن تدعني آخذ حاجياتي أنا وابنتي... لماذا كل هذا الحقد؟ ألسنا معارف من زمان؟!
- أنا الآن حاقدٌ برأيكِ؟! لقد فَعَلتِ بي ما هو أسوأ.
- انا ؟! ما الذي فعلتهُ لك ؟!
- لقد دمّرتِني! منذ أول مرة رأيتكِ فيها... وأنتِ تسكنين كل خلية في جسمي، وتسيرين في عروقي بينما الآن وحتى بعد ترمّلكِ، أبيتِ الإحساس بحبي لكِ! هل توقّعتِ أن كلّ تلك الرعاية والعطاء كانت من أجل صديقي؟!
خلال كلامه قبضَ على رسغ يدي بقوة. حاولتُ الإفلات عبثاً،لأنه كان قويّاً للغاية. راح بعدها يتمعّن في جسدي، من رأسي حتى أخمص قدمي. كنتُ أراقبه وهو يركّز النظر في خصلات شعري التي تناثرت على وجهي، و قطرات العرق النازلة من جبيني، وأخيراً في شفتيّ المرتجفتَين, بينما كانت تفوح من انفاسهُ رائحة الخمر التي تُسبب الغثيان لي .
- فيرا... أنا آسف حقاً لما فعلتُه... لكنني لم أعد أحتمل رؤيتكِ أمامي! أنتِ تفقديني صوابي! يجب أن تكوني لي، ولي فقط! شفاهكِ، خصركِ، وجسدكِ الملتهب... وجهكِ، عيناكِ... سأجنّ! كوني لي، وسأحقق لكِي كل ما تتمنين.
بدأتُ أعود للوراء وأنا أحاول إفلات يدي اليسرى من قبضته. كنتُ أحاول إخراج السكين من حزامي بيدي اليمنى لكنني لم أعثر عليه. لم أعرف هل سقط مني أم إنّ فرط التوتر منعني من التركيز. جاهدتُ لاستعادة بعض الهدوء لأركّز، بيد أن

أنفـاسي ظلّـت تتصـاعد ودقـات قلبـي أضـحت كالبركـان الـذي يوشـك عـلى الانفجـار. كنـتُ في أتعـس مواقـف حيـاتي، وجهـه بوجهي، يتقدّم نحوي خطوة وأتراجع خطوتين.

- سـيدي انـتَ مخمـور ولا تعـي مـا تقـوم بـه, زوجتُـكَ صـديقتي الحميمة... ولديك أولاد...

أخـذ يقـترب أكـثر فـأكثر، حتـى أمسـكني مـن خصـري وجـذبني إليـه بشـدّة. كـم كـان شـعوراً مقـززاً! أحسسـتُ بالعـار، وبلحظتهـا وجـدتُ السـكين وسـحبتُه، لكنـه انتبـه لـه فقـام بِلَـوي ذراعـي وسـقطَ السـكين تحـت قـدمي. كنـتُ أصرخ مـن الألم، عنـدما قـام بـدفعي نحـو الحائط،الـذي ارتطـم رأسي بـه. أنقـض عـليَّ كالكلـب المسـعور، وصـار يشـمّ رقبتـي وشـعري. كلـما صرخـت كـان يمسـكني ويـدفعني عـلى الحـائط مجـدداً، إلى أن خـارت قـواي، وتـلاشى أمـلي في الخـلاص. مـرّت كـل لحظاتـه مـع زوجـي المرحـوم آريـان أمـام عينـيّ، كيـف كـان يمثّـل دور الصـديق المحـب وهـو يخبـئ لـه سكيناً خلف ظهره. قلتُ له بصوتي الذي بُحَّ من الصياح:

- أيها النذل القذر! لو كان آريان حيّاً لدفنكَ في مكانك الآن!

فأبعد وجهـه مـن رقبتـي، وتوقّـف لثـوانٍ، قبـل أن يضـع عينيـه في عينيّ ليقول:

- هنـاك شيءٌ لا تعرفينـه يـا حلـوتي ... في الواقـع، أنـا مَـن أرسـلَ آريان إلى الحرب...

صـعقتني كلماتـه لدرجـة الصـدمة ، وفي تلـك اللحظـات دخلـت كـاثرين باكيـةً، لتضـرب أوسـتن في سـاقه بمنظـف روث كانـت تحملـه بيـديها. لربمّـا سـمعت صُراخـي عنـد عودتهـا مـن

المدرسـة،فذَهَبت للإسـطبل القريـب منـا، وجلبـت منـه سـلاحها ذاك. التفت النذل صارخاً:

- اللعنة! ما هذا؟!

حانـت فرصـتي وقتهـا، والتقطـتُ السـكين مـن الارض بسـرعة وغرزتُها في بطنه، ليسقط أرضاً قرب قدمي.

حـاول التمسّـك بهـا لكننـي رفسـتُه،ثم سـحبتُ كـاثرين مـن يـدها وذهبنـا ركضـاً إلى غرفـة النـوم. أحضـرتُ كـرسي ووضـعتهُ أمـام خزانة الملابس لأصعد عليه.

- ماما ماذا تفعلين؟

أحضرتُ الصندوق الخشبي الصغير من فوق الخزانة.

- هيا بسرعة كاثرين لا وقت لدينا. دعينا نغادر بسرعة...

- لكن أمي... ملابسنا وأغراضنا؟

- لا شيء مهم الآن سوى هذا، وقد أحضرتُه...

- قـدتُها للخـروج مـن البيـت، وهرعنـا معـاً نحـو طريـق عربـات الخيل.

- ما هذا الصندوق ماما؟ لم أرَه من قبل!

- ابنتـي لا وقـت للكـلام... لنسـتمر في الجـري حتـى نجـد أحـداً يساعدنا...

- لكننـا في منتصـف الظهـر... الجميـع إمـا في المنـزل وإمـا في العمـل خارج القرية... ألا ترين إن الشوارع فارغة؟

كنـا قـد ابتعـدنا لمسـافة عـن البيـت، قبـل سـماعي لصـيحة أوسـتن خلفنـا مـن بعيـد: "سـأًقتلكِ أيتهـا العـاهرة... أهكـذا تفعلـين بي؟!

أقسم إنني سأقتلكِ... أنتِ وابنتكِ... ولن أدفنكما بل سأرميكما للكلاب!"

كان يمشي ببطءٍ وتعثُّر، خارجاً للتو من المنزل، وهو يلوّح بمسدسٍ في يده.

نبّهتني كاثرين إلى وجود عربةٍ خيل صغيرةٍ مبتعدة عنّا،فانطلقنا نركض صوبها بأسرع ما نستطيع، ونادينا على السائق ليتوقّف.

كان السائق رجلاً عجوزاً نحيل الجسم،وامتلأت عربته بصناديقٍ ثقيلة من الأمتعة كان ينقلها،ولم يتوفّر مكان سوى لشخصٍ واحد. جرّبنا الصعود معاً لعدّة محاولات، لكن توازن العربة كان يختلّ في كل مرة، حتى كادَت تنقلب في النهاية، فَقرّرتُ النزول والتمستُ من السائق:

- أرجوك سيدي، أوصل ابنتي لمكانٍ آمن... خذها لأبعد ما يمكن من هنا.

لا أريد أن يجدها شخصٌ من هذهِ القرية. إنها أمانة معك، إعتنِ بها فليس لها غيري. إبتعد بها أرجوك، فهناك مَن يلاحقنا...

تمسّكت كاثرين بي بكلتا يديها وهي تبكي.

- لا امي... سأنزل معكِ لا تتركيني! ذلك المجرم سيقتلكِ... لا تتركيني...

فأفلتُّ يديها وأنا أنظر إلى عينيها المغرورقتين بالدموع.

- ربما آتي خلفكِ في عربةٍ ثانية. لا تخافي حبيبتي، لقد تركتُ معكِ ما هو أهمُّ مني، إحتفظي بهذا الصندوق، ولا تفتحيه إلا

وأنتِ مستعدة لمعرفة الحقيقة التي ستغيّر حياتكِ للأبد... مع السلامة صغيرتي...
تحرّكت العربة ونزلتُ منها، بينما حاولت كاثرين رمي نفسها لتلحق بي، لكن السائق نجح في منعها في الوقت المناسب. ابتعدت العربة بسرعة خلال وقوفي وسط الطريق، متأمّلةً كاثرين وهي تفترق عني.
مضت دقائق قبل ظهور أوستن فجأةً على بُعد، حاملاً سلاحه. صاح حين رآني:
- أيتها العاهرة هل تعصينني؟! أنا الذي أسكنتكِ لسنوات في منزلي ومكتبتي وكنتُ صبوراً عليكِ...
هل تعتقدين أن كل ذلك سيذهب بلا مقابل؟! ستكونين لي شئتِ أم أبيتِ!
نظرتُ إلى الطريق بيني وبين العربة التي حملت كاثرين،وهي تتلاشى متجهةً نحو الأفق، فمرّت أمامي ذكريات متلاحقة، التهويدات التي كنت أغنّيها لها كي تنام عندما كانت رضيعة، أوّل مرة قالت كلمة ماما، أول مرة وقفت لوحدها،أول خطوة مشتها...
ثم تذكرتُ يوم زفافي وتذكرتُ آريان،حبيبي الذي حرمني هذا الوغد من وجوده معي. صرتُ أتمتم:
- فَشَلتُ في حماية كاثرين...
فشلتُ في تأدية الأمانة يا آريان...
بكيتُ بحرقة، وصرختُ بأعلى صوتي:
- سامحني يا ربي... واحفظ ابنتي...

قبـل أن أخـرج السـكين وأطعـن نفســي. كـلُّ شيء توقّـف، وكـأنّ الــزمن آنــذاك قــد توقّــف أيضــاً. أحسســتُ بــالهواء يخــترق جســدي،ثم تجمّــدَت أوصــالي، ولقيــتُ نفســي ممــدَّدة عــلى الأرض، وتحتــي بركــة دمــاء أغرقــت ملابســي. ازداد صــقيع جسـدي، مـع غـزارة دمـي النـازف، وشـعرتُ كـأنّني قطعـة جليـد تـذوب وتضـمحل في مكانهـا، لتتحـوّل إلى مـاء. حاولـتُ رفـع رأسي للمـرة الأخـيرة، لرؤيـة العربـة، التـي لاحـت كنقطـة بـين الأرض والسـماء، لأتفاجـأ بمجـيء آريـان. كـان يرتـدي بدلـة زفافنـا البُنيـة اللـون. كـم بـدا أنيقـاً وشـاباً، كـأنّ العمـر لم يمـرّ عليـه أبـداً. مـدّ إليّ يدهُ وهو يبتسم.

- تعالَي معي، لنبتعد عن الجميع... لنعِش بسلامٍ معاً.

مقتل ايفا

4

مثل طائر حر..

(إيفا / أوزوريس / 2021م – 3612ق)

لطالما آمنتُ أنّ لكلِّ شخص من اسمه نصيبٌ كبير، قد يؤثر حتى على مجريات حياته. يعني إسمي بلغة التريفي الشُجاعة أو الجريئة،وبالفعل أنا شجاعة وجريئة جداً، ولا يجد الخوف طريقاً إلى قلبي بأيّ شكلٍ من الأشكال. هذهِ نفسي، كما أراها أنا على الأقل،فأمي مثلاً لم توافقني الرأي، واعتبرت شجاعتي وجُرأتي مُجرَّد طيشٍ لا أكثر. أظنّها فكّرت بدافع المصلحة وليس بدافع الحب، لأنني وريثتها الوحيدة، ولو حصل لي أي مكروه فستنتهي عائلتنا الملكية. كنتُ أجدها حنونةً تارةً وقاسية تارةً أخرى. أحياناً شعرتُ إنها تريد أن تبوح لي بكلّ ما يحزنها، لكنها كانت تتراجع في اللحظة الاخيرة،وترتدي القناع الذي اعتادت على وضعه منذُ ذلك اليوم الذي قُتِلَ فيه والدي. سمعتُ أن مَن قتلهُ هو الملك الأعلى، الذي كان الصديق المُقرّب لأمي،وبرغم ذلك ظلّت مملكة التريفي مواليةً لهُ وتحت حمايته.

لم يعرف أحد سبباً لقتل والدي. داهم جنود ذلك الملك قصرنا فجأة، وأخذوا أبي دون أن يتمكن أي تريفي من الوقوف في طريقهم. لقد بثَّ الملك السابق (تورمانيوس) الرعب في قلوب الجميع، لكنهُ بنفس الوقت وحَّدَهم، بطريقةٍ لا أفهمُها! ربما لا تنصاع الشعوب إلا للخوف والقوة المفرطة،وربما كانوا يعلمون أشياء لم نعلمها من قبل. على الرغم من الخوف الذي انتشر في زمنه، لكن عهدهُ كان آمناً

وموحـداً مُقارنـةً بمـا نمـر بـهِ الآن، فالملـك الحـالي أسـوءُ ملـك حكـمَ أوزوريــس منــذُ تــاريخ قيامتــه، قبــل ثلاثــة آلاف وســتّمئة واثنــي عشر عاماً.

أحببـتُ في معظـم الأوقـات الخـروج بعيـداً عـن التريفـي، وعـن القلعة وأوامر أمي غير المُنتهية.

كنـتُ أفضّـل الجلـوس بمفـردي لأنظـر للسـماء وأفكّـر، وأحيانـاً أطير وأجوب الغابات.

أشـعرني ذلـك براحـة عقليـة ونفسـية، ولكـن غالبـاً مـا لحـق بي أحــد المــزعجين، كــالتي لمحتُهــا خلفــي في ذلــك اليــوم. تلــك الشمطاء، هي وصولجانها، تتبعني أينما ذهبت.

- أعرف أنكِ خلفي أيتها الحكيمة...

- وأنـا أعـرف بـمَ تفكـرين الآن، أنـا أحـد المُـزعجين الـذين يحبّـون قطع خلوتكِ مع نفسكِ.

- أحســنتِ! أنــتِ تقــرئين الأفكــار بشــكل مثــالي، إذن لمــاذا لا تدعيني وشأني؟ أم إنك مستمتعة بالتطفّل على خصوصيتي؟!

-الأمـر لا يتعلـق بالخصوصـية، فأنـتِ مُسـتقبل مملكتنـا، ولـديكِ مهمّة بالغة الخطورة، لوقف الدمار الذي عمَّ في أوزوريس.

- مـا الـذي تتفـوّهين بـه؟ هـل تعلـم أمـي بهـذا الكـلام؟ لمـاذا لم تتكلم هي معي مباشرةً بدلاً من إرسالكِ؟

أدرتُ وجهـــي عنهـــا وعـــدتُ للنظـــر إلى الســـماء واللعـــب بالعشـب،لإفهامها بـأنني لسـتُ مُهتمـة بمـا تقولـهُ، لعلّهـا تنصـرف عني.

لقد سئمتُ الوسطاء بيني وبين أمي. إنها أمي وينبغي عليها أن تكلّمني وجهاً لوجه، لا أن ترسل إليَّ الحكيمة الشمطاء كلما أرادت إقناعي بشيء ما.

- لم ترسلني الملكة.

- لماذا أنتِ هنا إذن؟ أتتصرّفين دون علم الملكة؟ هذهِ معلومة جديدة لم أتوقعها بصراحة.

- على العكس تماماً سموكِ، جلالة الملكة على علم بكل كلمة سأقولها لكِ الآن. فقد أخبرتُها برأيي، وحاولتُ إقناعها لكنها رفضت رفضاً قاطعاً.

- ما الذي ستخبرينني به؟ ولماذا رفضتهُ أمي؟

الحكيمة

الاميرة إيفا

جيرارد الأبكم

شــعرتُ أن جســدي ســيتبخّر قريبــاً تحــت تلــك الشــمس الحارقـة،وهي تجلـدني لليـوم الثـامن عـلى التـوالي. وكـأنني أصـبحتُ ذا جلـدٍ صـخري،تعيش الأوسـاخ بـين ثناياـاه. نسـيتُ كيـف يكـون شـعور القــدم وهــي داخــل حــذاء يحميهــا مــن الـبرد والحــر والقـذارة. لقـد اعتـدتُ عـلى التجـوال والتسـوّل في الشـوارع، لكـن لم يمــرّ بي وقــت طويــل كــذاك وأنــا أتضــوّر جوعــاً، ولا أجــد إلا القليـل مـمّا أقتـاتُ عليـه. بـالأمس كنـتُ أبحـث في النفايـات، فـرآني بعــض المــراهقين وأخــذوا يضــحكون عــليَّ ويرمــونني بالحصى،فاضـطررتُ للهـرب بالقليـل مـن بقايـا عظـام الـدجاج مـع تفاحــة مقضـومة عـدّة قضـمات. اختبـأتُ في أحـد فـروع المدينـة ذات الطريــق المســدود، بــين العــمارات العاليــة، لأتــوارى عــن الأنظــار، ووقفــتُ لــتفحّص مــا التقطتــهُ مــن حاويــة النفايــات. فتحــتُ قبضــة يــدي التــي أحكمتُهــا عــلى عظــام الــدجاج، بعـد أن أمطـرَني أولئـك السـفلة بالحصـى، فوجـدتُ أنهـا مُتيبّسـة. قمـتُ بطحنهــا بأســناني ومضــغتُ مســحوقها عــلى مهل،قبــل أن تقفــز بـوجهي قطـةٌ مـن بـين أكيـاس القمامـة القريبـة، أرعبتنـي لدرجـة أننـي وقعـتُ عـلى مقعـدي في بركـة ميـاه كانـت تغطـي فتحـة التصــريف تحتــي. تســارعت دقّــات قلبــي بشــكلٍ رهيــب ثــم اســتقرت بعــد دقيقــة. نهضــتُ لأجلــس بجانــب الجــدار، أخــذتُ نفسـاً عميقـاً وبـدأتُ بتنـاول بقايـا التفاحـة بِـنَهم، بحيـث لم أبـقِ منهــا حتــى البــذور. كــم يَضـعُف الإنســان ويفعــل أي شيء عنــد الحرمـان والجـوع! مـن السـهل الكـلام وادعـاء المثاليـة، لكـن عنـد التجربة تجد نفسـكَ أسـوأ مـن الـذين كنـتَ تـذمّهم. سـتذلّ نفسـك

لأدنى من حال الكلب الضال، لتحصل على قطعة من الخبز. مَن يعيش الجوع سيفعل أي شيء للتخلّص منه، أو لعدم الرجوع إليه مجدداً. بدأتُ أشعر بالنعاس، بعد أول وجبةٍ جيدة لي منذ يومين. أبعدتُ الأكياس النتنة ومددّتُ على الأرض، في بقعةٍ لم تصلها المياه بعد. توسّدتُ يدي وأغمضتُ عيني، بعد أن كنتُ أراقب قطرات الماء وهي تتساقط بجانبي من سطح البناية المقابلة. عجباً لهذه الحياة! كلّ مَن يوضَع بمكاني سيكون ساخطاً على ما حصل، وسيدَّعي إنهُ سيء الحظ، أو إنهُ مظلوم. غير إنني أعترف بأنني استحققتُ مصيري الآن، فقد أخذتُ فرصتي في هذه الحياة، ولكنني لم أستغلّها، حيث فشلتُ في أهم اختبار يمرّ على الإنسان. كلُّ شخص يحظى بفرصته،وتعامله مع الفُرصة حين قدومها هو ما يحدّد إن كان يستحقّها أم لا، وأثبتُّ أنا عدم جدارتي بما كنتُ فيه. وقَعَت قطرة بين عينيّ، على جبيني المجعّد المتّسخ، وكأنّ دموعي التي جفّت من البكاء لم تكفِ الحياة، وكأنّها أرادت أن تُبكيني أكثر!

أراهُ أمامي في كل لحظة، ذلك اليوم المشؤوم. كانت زوجتي مسافرةً لرؤية ذويها مع الأولاد، متيحةً بذلك فرصة استفرادي بمعشوقتي فيرا. كم كنتُ جباناً وخسيساً! كنتُ أضع رغباتي وغرائزي فوق كل شيء. لم تكن فيرا سوى امرأة مُنكسرة ووحيدة. أتذكّر شعوري باللذّة عند صُراخها، وعند ضربي المبرّح لها. قال الطبيب الذي كشفَ عليها أن ثلاثة من أضلعها كانت مكسورة. بعد طعنها لي وهروبها مع ابنتها بدقائق، استجمعتُ قواي ونهضتُ لألحق بها. كنتُ قد وصلتُ إليها، رافعاً سلاحي

بيدي، وكلّي عزمٌ على الحصول عليها مهما كان الثمن، لأجدها غارقةً بدمائها على الأرض. أذهلني ما رأيتُه وجعلني أستفيق،كما لو كنتُ فاقداً للوعي، أو مخموراً، قبلها. لقد قَتَلَت المسكينة نفسَها! سقط المسدس من يدي ونزلتُ جاثياً بجانبها. تدفّقَ الدم من خاصرتي الجريحة، ليختلط بمجرى دمائها التي ملأت الأرض، بينما كنتُ أحاول وقف نزيفها بلا جدوى. خشيتُ التقرّب منها أكثر فأكون مُتّهماً بقتلها، فقرّرتُ العودة إلى مُساعدي جاد. كنتُ أسير بِشقِّ الأنفُس، حتى وصلتُ أخيراً إلى باب المتجر وسقطت.ذهل جاد عندما رآني، وأخذني لمنزله لتداويني زوجته، حيث أرسلتُهُ لفيرا ليأخذها للمستشفى،واختفيتُ حيناً عن الأنظار لإبعاد الشبهات. لم يكن هنالك دليل يدينني، أو شاهدٌ على إنني كنتُ في منزلها. ظننتُ ذلك من حسن حظي، لكنني الآن موقنٌ بخطأ ظنّي. ليتني سُجِنت للأبد، لأنّ السجن أفضل من حالي الآن، ولو أعدموني لكنتُ مرتاحاً من الحياة الوضيعة التي أعيشها. فيرا أشجع مني،فَضَّلت الموت على أن تحظى بالعار، أما أنا فقد ذُقتُ كل أنواع الذُل ولم أملك الشجاعة الكافية لإنهاء بؤسي. لستُ واثقاً هل أخاف الموت لأنني لا أريد ترك الحياة، أم خوفاً من الجحيم الذي ينتظرني بعدها، جزاء كل ما أقدمتُ عليه.

عندما أوصلها جاد للمستشفى كانت قد ماتت، جرّاء النزيف الحاد، ولم يكن هناك أملٌ لإنقاذها. أتاني خبر وفاتها، وكان أثر طعنتها ما زال حديثاً، لكنه لم يكن يؤلمني بقدر جرح موتها. كنتُ أئِنُّ طوال الليل، وما أن تعافيت حتى صرتُ أزور قبرها

باستمرار. لم أعرف في وقتها سبب ذلك، هل لأنني فعلاً أحببتُها أم لشعوري بالذنب. لم أعرف حتى إن كان لديّ ضمير، فقد شعرتُ بكوني عديم القلب والضمير، كأنني قد ولِدتُ بدونهما. كنتُ أجلس وأحدّثها عند قبرها، أعتذر لها عمّا جرى، آملاً أن تسامحني. في إحدى تلك المرات، كنتُ أبكي وأنا أردّد ما فعلتُه بها بالتفصيل، طالباً منها الغفران بصوت مسموع، ثم وضعتُ الزهور على قبرها ونهضت، لأجد زوجتي واقفةً خلفي. كانت في غاية الصدمة، اتّسعت عيناها والدموع تنهمر منهما، وهي تنظر إليّ، غير مصدّقة لما سمعتهُ توّاً. وقعت من يديها باقة زهور التوليب الصفراء، النوع الذي تحبّه فيرا. لم يخطر على بالها أبداً أن لي علاقة بموتها، فقد أُغلقَ محضر موتها على إنها تعرّضت للسرقة والضرب من قبل قطّاع طرق.

تلك كانت نقطة التحول في حياتي، حيث هدّدتني زوجتي بفضحي أمام الشرطة إن لم أطلّقها وأتنازل لها عن كل قرش أملكه، في مُقابل أن لا تفضحني حتى أمام إبني وابنتي، حفاظاً على ذكرايَ عندهم. تنازلتُ عن كل شيء وخرجتُ من المنزل بحقيبة ملابسي فقط. أخذتُ أجوب الشوارع وأشرب الخمر في الحانات، وأقترضُ المال من الناس للشرب وللمقامرة، عسى أن أعوض ما خسرتهُ، لكنني كنتُ أخسر في معظم مقامراتي. آخر مَن أقرضني مالاً كان فرداً في عصابة،ولأنني لم أسدّد له في الوقت المُحدّد فقد قام مع جماعته بقطع طريقي ومُطالبتي بالمال. التمستُ منه مهلة إلا أنهم هاجموني وبدأوا فجأةً بنحر رقبتي، لكن دورية شرطة مرّت بالصدفة في الجوار، فتركوني

مرميّـاً وهربـوا. تـمّ إنقـاذي في آخـر لحظـات، بيـدَ أنني عشـتُ بعـدها فاقـداً صـوتي نتيجـةً لجـرح رقبتـي، الـذي قطّـعَ أعصـاب حبـالي الصـوتية. منـذُ ذلـك اليـوم صرتُ الأبكـم المتسـوّل، ونـاداني النـاس بجـيرارد الأبكـم. لقـد أصـابتني لعنـة، جعلـت منـي كائنـاً أسـوأ حتـى مـن أقـذر الحيوانـات. أعـرف أننـي أسـتحق مـا حـدثَ لي، كلّـما أتـذكّرها عنـدما أدخَلَـت الخنجـر في أحشـائها أمـامي،وهي تنظـر إلى العربـة البعيدة،وعنـدما سـقطت عـلى الأرض وعيناهـا نصـف مفتوحـة، لكنّهـا كانـت مبتسـمة. تَسـمّرتُ حينهـا في مكاني،وأدركتُ أنني مـن أسـوأ البشـر عـلى وجـه الأرض، بعـد تلـك الجريمة التي لا تُغتفَر.

(كاثرين / فرنسا / 2000م)

غلبني النوم وأنا في العربة، من شدة الصراخ والإرهاق، حتى أَفَقتُ على صوت سائق العربة:

- طفلتي، طفلتي استيقظي. لقد قمتُ بإيصال البضاعة، ولم يبقَ معي سواكِ...

فتحتُ عينيّ اللتين كانتا منتفختين من البكاء.

- أين أمي؟ أين أنا؟ أخبِرني أرجوك أيها العم؟

- عزيزتي أمكِ قَد تركتكِ بأمانتي، كم عمركِ؟ وما اسمكِ؟

-اسمي كاثرين... عمري تسعة أعوام. ماذا سأفعل، إلى أين أذهب الآن؟

كنتُ أقول ذلك بخوف ويأس، وأنا أعانق الصندوق الخشبي الذي أعطته لي أمي.

- ابنتي لا تخافي. إنني أسألكِ عن عمركِ لأنني تدبّرتُ لكِ المكان الذي ستبقين فيه. هل تستطيعين العمل؟ ماذا تُجيدين؟

لا أعرف، لكنني أتعلم بسرعة. أريد العيش من عملي، ولا أريد أن يتكفّلني أحد.

- حسناً، إذن تعالي معي. سنذهب إلى قرية صغيرة تدعى أريزون، فيها خبّازٌ طيب وماهر، لكنه كبير في السن ولا أحد يساعده سوى حفيده ذي العشرة أعوام، وقد طلب مني قبل أشهر أن أجد لهُ مُساعِداً، لأن حفيده يدرس، وأحياناً لا يستطيع إنجاز كل شيء بمفرده.

- حقـاً؟! أتمنـى فعـلاً أن يكـون طيبـاً. خـذني لـه، سـأتمكّن مـن مساعدتهم.
- حسناً، لننطلق إذن.

أدركـتُ حينهـا إننـي لـن أرى أمـي ثانيـةً، مـما جعـل دمـوعي تصـبّ، لكننـي في نفـس الوقـت مُجـبرة عـلى إكـمال طريقـي بمفـردي، ويجـب أن أكـون أكـبر مـن عمـري لـكي أسـتطيع العـيش وحـدي في هـذا العـالم ومخـاطره. بعـد أن قطعنـا مسـافة قصـيرة بالعربة، توقّفنا ثم نزل السائق متوجهاً نحوي.
- هيا كاثرين لقد وصلنا.

أخـذ يمشـي مُمسـكاً بيـدي كي لا أضـيع بـين النـاس في سـوق القريـة،حتى وصـلنا إلى مخبـزٍ كبـير قـديم البنـاء، عفـا عليـه الزمن،وبـدا أنـه كـان مشـهوراً ولـه شـعبية واسـعة في وقـتٍ مضـى. لم يـتم تجديـد الطـلاء وكانـت الرطوبـة تنخـر في الجـدران، أمـا اللافتـة التـي كُتِـبَ عليهـا اسـم المخبـز فقـد صـدئت وتجمّعـت عليهـا الأتربـة. حتـى زجـاج الواجهـة بـدا أنـه لم يُمسَـح منـذ دهـر. تملّكنـي القلـق مـما قـد يكـون عليـه هـذا الرجـل ولمَ جـيء بي إلى مكـان قـديم كهـذا. كنـتُ أفكـر فـيما إذا كـان سـيئاً، أو يريـد بيعـي أو اسـتغلالي، مـاذا سـأفعل حينهـا؟ كنـتُ أخشـى الغربـاء،لكن كـلّ مَن حولي كانوا كذلك، فلم أجد خياراً سوى الانتظار والحذر.

دفعنـا بـاب المخبـز فأصـدرَ صريـراً مزعجـاً، قبـل أن نـدخل، لنجـد صـبياً يُخـرِج الكعـك مـن إحـدى الأفـران الحجريـة في الـداخل. مـا أن سـمعَ صـوت البـاب حتـى التفـتَ وهـو يتبسّـم، ثـم أومـأ برأسـه بتحيّة احترام.

- أهــلاً وســهلاً بكــم ســيّدي في مخبــز (**Delicious Secret**) للكعك وكل انواع المعجنات. بماذا أستطيع أن أساعدكم؟
- نادِ جدّكَ يا فتى.
- حسناً، كما تأمر يا سيدي.
فــذهب، وبعــدها بدقيقــة أتى رجــل كبــير الســن عــلى عربــة للمُقعَدين،بــدت عليــه مظــاهر الــترف وكأنــهُ مــن الطبقــة الارستقراطية.
ابتســم الرجــل حــال رؤيتــه ســائق العربــة الــذي رافقنــي وقــال مُرَحِّباً:
- أهــلاً يــا آرمــن، كيــف حالــك يــا صــديقي؟ هــل ســتظلّ هكــذا؟ تزورنا في السنة مرةً أو اثنتين فقط...
- ســامحني يــا صــديقي، إنــه انشــغال العمــل، لكننــي بــالطبع لــن أجرؤ على المجيء إلى إريزون دون زيارتك.
- حسناً، إليان، إليــان... أيــن ذهبــتَ يــا فتــى؟ احضــر معــك ضــيافة عمك آرمن وزميلته الصغيرة...
- حسناً يا جدي، في الحال.
- آرمــن ألــن تعرّفنــا عــلى هــذه الجميلــة التــي معــك؟ أم إنــكَ تزوّجــتَ وأنجبــتَ دون علمــي أيهــا المحتــال؟ إنهــا لا تشــبهك، لا بــد إنها تشبه أمها.
- لا... أتمنــى لــو كــان ذلــك ممكنــاً، لكــن بعــد تريــزا أصــبح الــزواج أمراً منسيّاً بالنسبة لي.
- أمــا زلــتَ عــلى ذكراهــا إلى الآن! يــا رجــل كــم أنــتَ وفيّ! أنــا حقــاً أحيّيك على إخلاصك.

- لم ولن أنساها ما حييت، تذكّر هذا جيداً ولا تذكر الزواج أمامي مجدداً. أما هذه الطفلة فقد أحضرتُها لتساعدكم كما طلبتَ مني. أظنُّ أنها ستُتقن الصنعة معكم، فهي ترغب بالعيش من عمل يدها.
- تعالي يا صغيرتي إلى هنا، ما اسمكِ؟ وكم عمركِ؟
- مرحباً سيدي، أنا كاثرين وعمري تسع سنين. لقد فقدتُ والديَّ وبقيتُ لوحدي، وأريد أن أعمل وأعيش. سأساعدكم في كل شيء.
- تعازيِّ الحارة لكِ. كم أنتِ بريئة وفي عينيك حزن وقوة كبيرين. تذوّقي هذه الكعكة...
- لا تخافي تذوّقيها فهي لذيذة.
أخذتُ الكعكة وأكلتُ منها لقمة ثم أعدتُها إلى الصحن.
- كيف وجدتيها؟
- إنها لذيذة جداً، شكراً جزيلاً سيدي.
- لا أريد كلمة شكر، بل أن تصنعي ألذّ منها. هل تستطيعين ذلك؟
- بالتأكيد، أنا أتعلّم بِسُرعة.
- أشكركَ جداً يا صديقي، لا تقلق سوف نساعدها ونعلّمها لتكون من عائلتنا وعوناً لنا.
خصّصوا لي غرفة صغيرة كان يكسوها التراب في عُلّية المخبز،بعد أن قمنا بتنظيفها وترتيبها أنا وإليان، الذي بدا مُزعجاً في أول أيامي معهم. علّمني السيد (وود) وحفيده صنع الكعك والتعامل مع الزبائن وتغليف الطلبات. مرَّت الأشهر

والأعـوام حتـى أتقَنـتُ تلـك المهنـة، وبفضـلي تنوّعـت أصـناف المعجنـات التـي جهّزهـا المخبـز. سـجلّت في مدرسـة القريـة وصرنـا أنـا وإليـان صـديقَين ورفيقـين في كـل شيء، بعـد أن كُنـا نتجـادل على أتفه الأمور.

تزايـدَ إقبـال الزبـائن عـلى المخبـز،وزادت الأربـاح بشـكل كبير،فقمنـا بتغيـيراتٍ في الـديكور. تمـت معالجـة الرطوبـة،ورمّمنا الجـدران وجـدّدنا الطـلاء والواجهـة، وحـدَّثْنا لافتـة المخبـز العتيقـة بـأخرى ضـوئية زاهيـة الألـوان، فبُعِثَـت الـروح في المكـان مـن جديـد. لقـد أحبّـوني وأحببـتُهم، وانسـجمنا مـع بعـض كعائلـةٍ حقيقيّـة. خـلال تِلـكَ السـنين، كنـتُ كـل ليلـة أضـع صـندوق أمـي قُبالَتي،وأتذكر كلامها بشأنه.

"لقـد تركـتُ معـكِ مـا هـو أهـمُّ منـي. احتفظـي بهـذا الصـندوق ولا تفتحيـه إلا وأنـتِ مسـتعدة لمعرفـة حقيقـة سـتغيّر حياتـك للأبد. وداعاً عزيزتي الصغيرة."

كنـتُ أشـعر بـالخوف، وبعـدم الاسـتعداد لـذلك، فأعيـدُه إلى خزانتـي دون فتحـه. هكـذا اسـتمرّ الحـال وحيـاتي تسـودُها الدراسـة مـع العمـل الـدؤوب، والأمـل الـذي يشـوبهُ الحـزن، رغـمَ دفء العائلـة وحنـان الأب والأخ، الـذي وجدتـهُ في السـيد وود وإليان، لكن خليط المشاعر ذلك كان يُرهِقني جداً.

كـان عمـري تسـعة عشـر عامـاً، عنـدما قـدَّمتُ وتـمّ قبـولي في جامعـة لنـدن ببريطانيـا، فتوجّـبَ عـليَّ السـفر لدراسـة الهندسـة المعماريـة. وقفـتُ أودِّعُهـم بامتنـانٍ بـالغ لكـلّ شيء فعلـوه معـي. أذكـر منظـر الجـدّ وود عـلى كرسـيّه المتحـرّك، في قاعـة المغـادرة في

المطار، بلحيته البيضاء ووجهه السَمِح، وبدلته حالكة السواد التي لاقت له جداً، برغم كبر سنّه. أمسكَ بيدي واغرورقت عيناه بالدموع على الفراق، فجثوتُ أمامه محاولةً تهدئتَه،بينما وقف إليان إلى جانبنا بوجهٍ عابس.

- ما بكما؟! جدّي، إليان، أرجوكما توقّفا عن فعل هذا. أنتما مَن أقنعني بالتقديم على هذه الجامعة، لأنها من أفضل الجامعات في العالم.

- ما بكما الآن؟!

فمسح جدي وود دموعه قبل أن تسقط من وجنتيه.

- أنتِ قطعةٌ من قلبي يا كاثرين... ابنتي التي لم أنجبها...

- حسناً، إن لم تتوقّفا عن فطر قلبي فأقسم إنني سأغيّر رأيي ولن أسافر...

- كلا، كلا ابنتي على العكس. إن جُلّ أمنياتي حصولك على أعلى المراكز وتأمين مستقبلكِ، فأنتِ ابنتي الروحية، وأشكُّ لو كان لي بنت إنّني كنتُ سأحبّها مثلكِ.

- وأنتَ أبي الروحي. أنتما عائلتي ولن أنساكما طول حياتي. وداعاً أبي العزيز، وداعاً أخي وصديقي إليان.

عانقتُهما لأتجه نحو الطائرة، التي انطلقت بعد نصف ساعة،بينما كنتُ أتأمّل الغيوم عبر نافذتها وأنا أحدّث نفسي:

آه يا كاثرين، ما هذا المنحى الذي أخذته حياتكِ فقلبها رأساً على عقب! بدأتِ من الصفر مع أناسٍ جدد، وفي النهاية صاروا عائلتكِ بعد أن فقدتِ ثقتكِ بالجميع. تذكّرتُ كم ليلةٍ نِمت وأنا أضع سكّيناً تحت وسادتي، خوفاً من غدر مَن وثقتُ

بهم،فمَن غدرَ بنا كان صديق أبي، الذي ظنناهُ من أوفى الناس له، وبسببهِ لم أعرف حتى مكان قبر أمي. كان مع زوجته أقرب الناس إلينا، لكن حكمة الرب أرشدتني إلى أبي وود وأخي إليان،اللّذَين حمَياني وساندداني حتى تلك المرحلة. وبفضل كلّ ما حدث، الجيّد والسيّء منه، أصبحتُ ما كنتُ عليه.

هبطت الطائرة في مطار لندن الضخم، الذي أذهلَتني مساحته وبناياته العملاقة. جررتُ خلفي أمتعتي وركبتُ أول سيارة أجرة وجدتُها في الخارج إلى الجامعة. متّعتُ ناظريّ في الطريق بمعالم مدينة لندن وشوارعها الرائعة. كاثرين التي قضت معظم عمرها في الريف قد انتقلت أخيراً إلى أكبر جامعات بريطانيا، تاركةً فرنسا والماضي نحو مستقبل وحياة جديدة بالكامل. كنتُ متحمّسةً جداً لأفكاري، ولمّا وصلتُ إلى الجامعة بقيتُ جالسة أحدّقُ في عمرانها المُبهر، فنظر لي السائق مستغرباً.

- آنستي، ألم تَرَي جامعة لندن سابقاً؟

- لا لم أرَها أبداً... لكنني سمعتُ عنها.

- لماذا؟ ألا تستعملينَ الإنترنت؟!

فخجلتُ من الإجابة وحنيتُ رأسي، مُتظاهِرةً بتصفّح هاتفي.

- لا أستعمل الإنترنت، فأنا طالبة ومعظم وقتي للدراسة فقط.

- أحسنتِ، فعلاً! وها قد أتت جهودكِ ثمارها وقُبلتِ في أرقى الجامعات. بوركتِ!

نزلتُ وأنزلتُ حقيبتي، قبل أن أدفع الأجرة للسائق. كنتُ سعيدةً للغاية بجامعتي، فوقفتُ وعينيّ مُعلّقتان صوبها

بابتسامة بلهاء على محيّاي، وما إن بدأ التاكسي بالابتعاد حتى لاحظتُ نسياني لحقيبتي الصغيرة التي كانت قرب المقعد الخلفي للتاكسي، والتي ضمّت صندوق أمي الخشبي، مع هاتفي وبعض الحاجيّات. انطلقتُ أركض خلف السيارة وأنا أهتف:

- توقّف سيّدي، أرجوك توقّف! حقيبتي في السيارة!

- بدا لي من بعيد أنّ السائق قد وضع في أذنيه سماع ات، مما منعه من سماعي، لكنني استمرّيتُ بالركض...

(عودة للحاضر)

- نعم عزيزتي، هل لحقتِ به؟ هل استرجعتِ صندوقكِ؟

- لا أعرف ما أقول، لكنني حقاً، وبرغم كل المحاولات الجهيدة،ما زلتُ لا أستطيع تَذكُّر ما الذي حدَثَ بعد ذلك.

5

المراة الناقصة ....

(كاثرين / 2022م)

استغربت السيدة كارلا مما قلتهُ، ولا ألومها، لأنني بنفسي أكادُ أجنّ. كيف انمحى ذلك من عقلي؟ ما الذي حدث بعد ذلك، ولِمَ لا أتذكره؟

- ابنتي، هل أنتِ مُتأكّدة إنكِ لا تذكرين ما الذي حدث بعد ذلك؟!

- ألم أقُل لكِ إنكِ لن تصدّقيني؟ حكايتي غريبة ومجنونة. فترة طويلة من حياتي لا أتذكرها، مُسِحَت من عقلي تماماً! لا أعرف كيف، وحَسَب تفسير الأطباء فإن حالات مثل هذهِ من الممكن أن تحدث، لكنها نادرة، وتأتي نتيجة انهيار أو صدمة عصبية شديدة.

- يبدو أن مرآتكِ ناقصة يا ابنتي... لكن ماذا عن ابنكِ؟ ألا تتذكرين مَن والده؟

- ماذا تقصدين بأن مرآتي ناقصة؟

- الماضي هو مرآتنا للحاضر... ولن تتقدّمي خطوة للأمام إلا بعد أن تمتلكي ماضيكِ وحاضركِ معاً... لكنني مُتأكدة أن هنالك حلٌّ لكل شيء... أكملي يا ابنتي.

آخر شيء ذكرتهُ لكِ وهو نسياني للصندوق داخل سيارة الأجرة. كان ذلك في عام 2010 وعمري وقتها تسعة عشر عاماً. ما أتذكّرهُ بعدها هو إنني استيقظتُ في مستشفى فخم،ممدّدة على سرير، وشعرتُ بوجود مصل في يدي. فتحتُ عينيّ ببطء

لأرى شابة شقراء خمريّة البشرة، ذات شعر قصير، كانت تجلس بقربي. تمتمتُ بتثاقل:

- أين أنا؟ ومن أنتِ؟ ما الذي حدث؟

- كاثرين! حمداً لله على سلامتكِ، وأخيراً عُدتِ لنا! ما بكِ هل نسيتِني؟! أنا ليندا...

- لم أفهم ما الذي كان يحدث، وكأنني في حُلم.

- مَن ليندا؟! لا أعرف أحداً بهذا الاسم. لماذا أنا بالمستشفى؟ هل صدمتني سيارة في أثناء لحاقي بالتاكسي؟ هل أخذَ الصندوق؟

- عزيزتي كاثرين... أيّ صندوق؟!

- صندوق خشبي، أعطتني إياه أمي قبل أن أفقدها. إنهُ مع السائق الآن، تركتهُ في حقيبتي الصغيرة... أريد تقديم بلاغ للشرطة.

- مهلا لا تقولي لي انكِ تقصدين ذلك الصندوق بِعينه ! لكن تلك الحادثة حصلت قبل سبعة أعوام، وقد استعدتِ صندوقكِ في وقتها.

هنا أصِبتُ بصدمة... مَن تلك الشابة ومن أين تعرفني وتعرف بأمر الصندوق؟

- ماذا تقولين؟! هل تحاولين خداعي؟! صحيحٌ إنني لستُ من لندن، لكنني لستُ غبية. لقد فقدتُ وعيي لدقائق فقط...

- صدّقيني، إننا الآن في عام 2017! أنتِ لم تفقدي الوعي طول هذه الفترة، بل كُنتِ بيننا وعشتِ حياتكِ، وأكملتِ دراسة الهندسة. أنظري إلى لغتكِ السلسة والمطابقة للهجتنا يا

كـاثرين! فعـلاً كنـتُ أتحـدّث بلغـة ولهجـة جديـدتَين عـليّ، لكننـي تكلّمتُ بإتقان وتلقائية أيضاً.

- ابتعـدي عنـي وكفّـي عـن هـذا الهـراء! أنـا لا أعرفـكِ... هـل تريدين أن تجنّنيني؟

- سـحبتُ المصـل الوريـدي الـذي كـان مُثبَّتـاً في ظهـر كفّـي الأيسـر،فتألّمت.

نهَضت الفتاة لتهدئتي ومنعي من النهوض،وأخذت تنادي:

- سيد آلبرت... سيد آلبرت، النجدة!

- دخـل للغرفـة رجـلٌ مُهيـب المنظـر، أشـيب الشـعر حـادّ النظـرات،ذو عينـين ضـيّقتين وشـفتين نـاعمتين، مـع ذقـن خفيـف ويرتـدي بدلـة رسـمية، ومعـهُ امـرأةٌ تبـدو في الخمسـين مـن عمرهـا،ذات شـعر قصـير يصـل لأسـفل أذنيهـا، ووجـه دائـري وعيناها لوزيّتان كبيرتان، ترتدي فستاناً رمادياً أنيقاً.

كانـا قلقَـين بشـأني، وكـأنهما يعرفـانني جيـداً، لكـن صُراخـي وغضـبي كانـا في ازديـاد. لم أعقـل مـا جـرى، ولم أعـرف أو أتـذكّر أحداً. دخل طبيب فجأةً فخاطبتُه:

- أيهـا الطبيـب أرجـوك أخـبرني مـاذا يحـدث... مَـن هـؤلاء؟ يقولون أشياء لا تصدّق، في أي سنة نحنُ؟ أرجوك أجبني!

- سـيدتي أرجـوكِ اهـدئي. نحـنُ الآن في سـنة 2017، وأنـتِ بخـير،لا تقلقي...

- رأسي كـاد ينفجـر ولم أصـدّق. هـل أصـيبَ الجميـع بـالجنون؟! حتى الطبيب قال نفس كلامهم.

- أتقـول إننـي تعرّضـتُ لحادثـة، تسـبّبت لي بغيبوبـة لسـبعة أعـوام، واسـتيقظتُ منهـا تـواً؟! لا سـيدتي! غيبوبتـكِ دامـت شـهرين فقط، وأنتِ الآن بخير.
ما الذي تشعرين به؟
- هـذا يعنـي أننـي كنـتُ واعيـة بالفعـل في كـلّ تلـك السـنوات! مـا الذي فعلتُه، وماذا حدثَ خلالها؟!
- سـيدتي، والـداكِ وصـديقتكِ قلقـون جـداً عليـكِ. أرجـوكِ لا تنفعلي. أنتِ بخير ومُشكلتكِ بسيطة، فقط اهدئي.
- والداي؟! لكنني يتيمة منذُ أن كنتُ طفلة! أنتَ مُخطئ...
- لا سـيدتي، إنهُـما والـداكِ ولسـتُ مُخطئـاً. أنـتِ لا زلـتِ مشوّشـة الذهن بسبب الغيبوبة التي مررتِ بها.
- خـرج مـن الغرفـة تاركـاً إيّـاي بحالـة صـدمة، وشـعرتُ إننـي في كابوس. كيف لي أن أنسى سبع سنوات مضت! ذلك مستحيل...
بعـد دقـائق مـن خروجـه، دخلـت علـيَّ تلـك الفتـاة نفسـها التـي قالـت أنهـا صـديقتي المقرّبـة، فقـررتُ وقتهـا اللجـوء إليهـا لتشرـح لي الوضع المجنون الذي كنتُ بِه. كلّمتُها بهدوء:
- ماذا حدث؟ أخبريني أرجوكِ.
- عزيـزتي، لا تقلقـي. الطبيـب قـال أنـكِ فقـدتِ جـزءاً مـن ذاكرتكِ،وسيعود لكِ مع مرور الوقت.
- حسناً، أخبريني ما الذي نسيتهُ؟ منذُ متى وأنتِ تعرفينني؟
- أعرفـكِ منـذُ أن التحقـتِ بالجامعـة، فأنـا كنـتُ شريكتـكِ في سكن الطالبات.
شعرتُ نحوَها بشيءٍ من الألفة في إثر كلامها.

- إذن أنتِ تعرفين الكثير ممّا لم أعُد أتذكّره، أليس كذلك؟ هل تعرفين بشأن الصندوق الذي أضعتهُ؟ نعم، لقد أخبرتِني بشأنه،وقد عاد لكِ في نفس اليوم. أقنعتُكِ أنا بفتحه لاحقاً،وعندما قمتِ بذلك وجدتِ فيه رسالة من والدتكِ...

رسالة! ماذا كتبت لي فيها؟ هل أخبرتُكِ؟

- نعم... للأسف، اعترفت لكِ في الرسالة بأنها ليست والدتكِ الحقيقية... وإنها وزوجها وجدَاكِ بين الحياة والموت مرميّةً عند شاطئ، فأنقذاكِ وقاما بتربيتكِ...

- ماذا؟! أهذه مزحة ثقيلة أم ماذا؟!

- أقسمُ أنها ليست مزحة يا كاثرين. لقد مررتِ بصدمة كبيرة في وقتها، لدرجة أنّكِ اعتكفتِ شهراً كاملاً في الغرفة، قبل أن تبدأ الدراسة وتخرجي لتتعرّفي على مارك.

- مارك؟ مَن؟

- حسناً... أعتقد أنهُ من الخطأ إخباركِ بكل شيء دفعةً واحدة من دون استشارة الطبيب...

- أرجوكِ ليندا أكملي... صحتي جيدة لكنني أريدُ معرفة ما آلت إليه حياتي هنا.

- مارك أستاذنا، الذي أصبح حبيبكِ، ثم زوجكِ بعد التخرّج...

- أنا مُتزوّجة الآن؟!!

-كُنتِ متزوّجة... بعد عامين من زواجكما...

- انفصلنا؟

- كلا... لكن...

- تكلّمي ليندا ولا تخافي عليّ... كيف يمكن أن يسوء الوضع أكثر مع هذهِ الكوارث التي حدثت لي وهي أصلاً خارج إدراكي.
- لم تنفصلا... لكنّ مارك قد توفّي قبل شهرين...
- توفّي!! هذا لا يُصدَّق! كيف نسيتُ كلّ هذا! يا إلهي! كيف حصلت وفاته؟
- لقد كان مسافراً إلى اليونان برحلة عمل، وانفجرت الطائرة التي كان على متنها في السماء. لم يجدوا أثراً لجثّته، ولم ينجُ أحد من الركاب أو الطاقم، بالطبع...
- بتُّ أشعر بدوارٍ في رأسي، وصارت صورة ليندا تتأرجح أمامي كالبندول.
- ليندا... أنا لستُ على ما يُرام...
- كاثرين... ما بكِ؟
خرجت ليندا مذعورة فتقدّم نحوها العجوزان فوراً. بدا أنهما كانا واقفَين خلف الباب، يستمعان لحديثنا. رأيت ظلال أقدامهما من تحت الباب وسمعتُ أصواتهم بينما كان رأسي يدور، والغرفة تدور بي.
- ماذا حدث يا ابنتي؟ كيف هي الآن؟
- أخشى ألا تكون كذلك، لقد تدهورت حالتها!
ذهب الرجل لينادي الطبيب.
- ألم أقل لكِ يا ليندا إنهُ من غير الصحيح مفاجأتها بكل الأخبار الصادمة مرةً واحدة!
- أنتِ مُحقّة سيدتي، لكنها أصرّت على معرفة كل شيء، وظننتُ أنها سترتاح بعدها...

- لقـد قـال الطبيـب أنّ العجـوزَين والـديَّ، لكننـي كنـتُ في حالـة إنكـار تـام. تسـاءلتُ في داخـلي مَـن هـذان؟ وكيـف وجـدَاني بتلـك البساطة؟دخل الطبيب إلى غرفتي مسرعاً:

- كيـف حالـكِ كـاثرين؟ يقولـون إنّـكِ تـدهورتِ... يجـب أن تكـوني قوية، لم أعهدكِ هكذا... كنتِ أقوى بكثير.

- بـدأ بقيـاس ضـغط دمـي، بواسـطة جهـاز قيـاس الضـغط الزئبقـي الموضوع على المنضدة القريبة.

- كـــما توقعـــت، الضـــغط مرتفـــع. ســـوف أعطيـــكِ مُهـــدئاً لتنامي،وستستيقظين بحالٍ أفضل، لا تقلقي.

قـام بحقـن العـلاج في قنينـة المصـل المعلّـق فـوق يـدي، شـعرتُ في إثرها بنعاس شديد وانطبقت أجفاني لا إرادياً.

عنـدما فتحـتُ عينـيَّ كـان الرجـل والمـرأة نـائمَين وهـما بوضـع الجلـوس عـلى الأريكـة بجانـب سريـري، وحرصـتُ عـلى عـدم إيقـاظهما. بـدأتُ أشـعر بأحاسـيس دافئـة نتيجـة مـا شـهدتُه مـن اهـتمام، فأنـا لم أحـظَ برعايـةٍ كتلـك منـذُ فقـدان أمـي. صـحيحٌ أنّ السـيد وود كـان أبويّـاً معـي،لكن تبقـى الأشـياء ناقصـة في غيـاب عائلتـكَ الحقيقيـة. كـان مـن الصـعب عـليَّ تصـديق امـتلاكي لأمٍّ وأبٍ جديـدَين، واسـتغربتُ لـتحمّلي خـبر رسـالة أمـي بتلـك القـوة. عزيـتُ ذلـك لمعانـاتي مـن نفـس الصـدمة سـابقاً... ورغـم فقـداني للذاكرة، لكنني تجاوزتُها على ما يبدو.

فجأةً استيقظ الرجل ورآني أنظر إليهما، فابتسم.

- حبيبتـي ابنتـي! كيـفَ حالـكِ؟ بمـاذا تشـعرين الآن؟ هـل أنـادي لكِ الطبيب؟

- كلا... لا داعٍ لذلك. أنا بخير.
- هل أجلس بجانبكِ؟
- اذا كُنتَ تُحبّ، فأنا لا أمانع. هل أنتَ حقاً أبي؟!
- نعم حبيبتي. أنا أبوكِ الذي ضعتِ منهُ منذُ أن كُنتِ رضيعة في الشهر السادس.

تحطّمت سفينتنا في عرض البحر وفقدناكِ. قام خفر السواحل بإنقاذنا، أنا وأمكِ، وبحثنا عنكِ كثيراً، لسنوات طويلة... بحثنا بلا جدوى. قبل حوالي شهرين من الآن، وصلتنا رسالةٌ من مجهول، تقول أن ابنتكم المفقودة لا تزال حيّة، وهي ترقد في المستشفى الفلاني والغرفة الفلانية، واسمها كاثرين. عندما جئنا لنتحقّق من الأمر كنتِ فاقدة الوعي، وعرفنا من الأطباء ومن صديقتكِ ليندا إنكِ متزوجة،وقد تعرّضتِ لصدمةٍ نفسيّةٍ شديدة أدخلتكِ في غيبوبة، إثر خبر انفجار الطائرة التي كان زوجكِ مُسافراً على متنها، ووفاته. طلبنا إجراء تحليل الحمض النووي لكِ، وقد تمّت إعادته مرتين للتأكّد،ونتيجته لا تقبل الخطأ... أنتِ ابنتنا الحقيقية كاثرين.

السير البرت سميث

- ولكن... مَن هـذا الـذي عـرف قصـتي وقصـة ضـياعي مـنكم أنـتم بالذات؟! كيـف تمكّـن مـن ذلـك؟! ألَـم تعرفـوا مَـن كتـبَ لكـم تلـك الرسالة؟
- أنا رجـلٌ مشـهور في لنـدن، ولم أُخـفِ يومـاً قصـة ضـياعك وبحثـي عنـكِ في كُـل مكـان، لـذا فـالجميع يعرفهـا. حتـى أنّ الكثـيرين قـد حاولوا خداعي، لكنني كنتُ أكشفهم في كلّ مرة.
- وكيـف وثِقـتَ هـذه المـرة؟ مـا أدراكَ أن نتـائج التحليـل لم يـتمّ تزويرها مثلاً؟
- عنـدما رأيتـكِ هنـا بوجهـكِ الـبريء، وأنـتِ تغطّـين في غيبوبـة عميقـة لا أحـد يعلـم إن كُنـتِ سـتعودين منهـا أم لا، ولا رفيـق لـكِ سـوى صـديقتكِ لينـدا التـي تُجـالس ابنـكِ، الوحيـد هـو الآخر،أيقنـتُ إنـهُ مـن المحـال وجـود احتيـال في أمـركِ، لـذا اهتممـتُ بالموضـوع وجلبـتُ طبيـب العائلـة (ويـل) ليتـابع إجـراء التحليل بنفسه، وكان إحساسي صائباً.
- هل قلتَ للتو أنّ لدي ابن؟!
- نعـم! لـديكِ طفـلٌ رائـع الجـمال، مثلـكِ تمامـاً، حفيـدي الجميـل بيتر.
- اسمهُ بيتر! كم عمرهُ؟ هل يعرف ما حلَّ بنا أنا وأبوه؟!
- كـلا، لأنـهُ مـا زال بعمـر سـنتين ونصـف. لا يعـرف سـوى إنكـما سـتعودان لـه قريبـاً. لا تقلقـي بشـأنه، إنـهُ الآن في قصـر جده،وخصّصـنا لـهُ مُربّيـة نثـق بهـا ثقـة عميـاء، تعتنـي بـه وتلبّـي كـل طلباتـه.سـنتان ونصـف... مـا زال صـغيراً جـداً، بالكـاد ينطُـق الكلمات. لا أصدّق هذا الذي يحدث معي...

- ابنتـي، خـذي قسـطاً مـن الراحـة ولا تفكّـري كثـيراً. نحـن نهـتم بكل شيء.

لا يمكنني وصف شعوري وقتها، وكيف يشعر الإنسان بعد أن تُمحى أهم سنين حياته من عقله؟ كنتُ تائهة في خضمّ محيط الغربة ذاك،محاولةً استيعاب وضعي قدر الإمكان. في المستشفى كانوا يعتنون بي بشكل كبير، وبدأتُ أعتاد عليهم وعلى وجودهم قُربي. خرجتُ من المستشفى وذهبتُ إلى قصر عائلتي الجديدة، وخطوتُ أولى خطواتي داخله وسط اندهاشٍ وانبهارٍ بالغَين. كان قصراً كبيراً فخم البناء، ذا أعمدة عالية ونوافذ وأبواب عملاقة. أمّا الحديقة فكانت واسعةً جداً، قُلِّمَت أشجارُها بطريقةٍ فنيّة بأشكال مُختلفة،وتوسَّطَتها نافورة حجرية محاطة بتماثيل رائعة للملائكة المُقدّسين. استقبلني الخدَم فور وصولي بأعيُنٍ يملؤها الفضول، وهم مُصطفّون بزيّهم الأسود والأبيض أمام الباب الداخلي للقصر. خرجت بعدها امرأةٌ تربط شعرها إلى الخلف، وهي تحمل طفلاً كان يتّكئ على كتفها، عندها رأيتُ إبني لأول مرة. كان جميلاً جداً... ما أن نزل للأرض حتى ركض نحوي وعانقني بشدّة وهو يضحك،ويلفُظ كلمة ماما بطريقة مُضحكة. وهكذا انطلقتُ في حياةٍ مختلفة تماماً. حاولتُ استعادة ذكرياتي بمراجعة طبيب نفسي، والتزمتُ بحضور جلسات العلاج ليومين اسبوعياً،ولكن عبثاً إذ لم أتذكّر أيّ شيء إطلاقاً. بعد فترةٍ اضطرّت ليندا للسفر إلى باريس، حيثُ كانت تعيش في الأصل، لتكمل أعمالها وحياتها التي تعطّلت من أجلي، وعندها عادت أختي كارولين

مـن السـفر. نعـم! كانـت لـديّ أخـت أصـغر منـي بعـامين، اسـمها كـارولين، تـدرس الموسـيقى في أميركـا. أتـت في وقتهـا وكلُّهـا حـماسٌ للقائي، وكنتُ

بنفسِ حماسها وربّما أكثر، فأخيراً أصبحت عندي أخت!

بعـد ابتسـامة عريضـة عـلى وجـه الخالـة كـارلا، تابعـتُ روايـة قصتي لها:

6

بعد مرور عامين ...

بداية جديدة ...

(قصر السير سميث / 2019م)

اعـــتراني التـــوتّر ,كنـــتُ أتمشـــّى في الغُرفـــة وأطقطـــق أصـــابع يـدي،فلم تتبـقَّ سـوى بضـع سـاعات عـلى حفـل تنصـيبي كـرئيس مجلـس الإدارة لمجموعـة شركـات سـميث القابضـة. اجتـاحتني المخـاوف مـن تلـك المسـؤولية العظيمـة التـي منحنـي إياهـا أبي. كنتُ دومـاً أتحمّـل مسـؤوليات أكـبر مـن طـاقتي، وهـو أمـرٌ مُرهِـق جـداً، لكننـي لم أكـن لأرفـضَ طلـب أبي ومسـاعدته في العمـل. لملمـتُ شـتات أفكـاري، وقـررتُ إننـي سـأكون عـلى قـدر ثقتـه بي ولـن أخذلـهُ. هـدأ بـالي نوعـاً مـا، لأعـود بعـدها، ثانيـةً، إلى معضـلة اختيار اللـبس المناسـب لـذلك الحـدث! امـتلأت خزانـة ثيـابي بـأنواع الفسـاتين، وغلبَتنـي الحـيرة حتـى اسـتقرّيتُ أخـيراً عـلى ثلاثـةٍ منهـا،الأول مُرصَّـع بالكريسـتال، والثـاني أسـود، أمـا الأخـير فكـان أحمر، ولم أعرف وقتها أيٌّ منهم يليق أكثر للحفل المُرتقَب.

فُتِح البـاب ودخـل مـلاكي الصـغير بيـتر. كنـتُ "أمّـاً عزبـاء" بعـد أن تـوفّي زوجـي في حـادث الطـائرة. صـدمني موتـه فانفصـل دمـاغي عـن الواقـع وفقـدتُ الـوعي، وفـقَ قـول الأطبـاء، وبعـد أن أفقـتُ مـن الغيبوبة،أصـبحت ذكريـات تلـك السـنوات داخـل مـا يُسـمّى بــ(**Dark Room**)، أي "الغرفـة المظلمـة" في عقـلي. لـذا لم أتـذكّر شـيئاً عـن زوجـي،لا اسـمهُ ولا شـكله، بـالرغم مـن حبّـي الكبـير لـه بشكلٍ لا يُصَـدَّق، حسـب مـا قيـلَ لي. كـم مـن المـرات كنـتُ أحـاول تخيُّـل شـكله،فأجلس لأرسـم صـورةً لوجهـه ثـم أريهـا للينـدا، لكنهـا كانـت تنفـي أي شـبه بـين الوجـوه التـي رسـمتُها وبـين مـارك. كنـتُ

أحيانـاً أتأسّـف لحـالتي، وأنـا أسـتعين بــ لينـدا وغيرهـا لمعرفـة أموري الشخصية.

الغريـب إننـي لم أملـك ولـو صـورةً واحـدةً لزوجـي الراحـل! فجميـعُ الصـور قـد احترقـت مـع منزلنـا، أنـا ومـارك، إثـر تمـاسٍّ كهربائي في أثناء فترة رقودي بالمستشفى.

لا صـور، لا أوراق ثبوتيّـة، ولا حتـى المنـزل الـذي عشـنا فيـه معاً...

لم يبقَ لي شيء منهُ سوى بيتر، وما تحكيه ليندا عنه. ليندا التـي وقفـت بجانبي طـول تلـك الأزمـة، وسـاعدتني كثـيراً عـلى التماسـك من أجل إبني المسكين.

- بيتر، كيف حالك؟ أين كنت؟

- كنـتُ مـع جـدّتي. لقـد أخـذتني إلى مدينـة الملاهـي واشـترت لي الحلـوى،ثم قالـت لي اذهـب لتسـاعد والـدتك في اختيـار فسـتانها. أعلم أنكِ ستحتارين كعادتكِ، وستعتمدين عليَّ في اختياره.

- هاهاهـا... حسـناً، إذن اخـتر لي مـن هـؤلاء، الأسـود أم الفضـي أم الأحمر؟

- امممم، الأسود جميلٌ جداً... ستكونينَ رائعةً جداً به.

- اختارَ لي حبيبـي بيـتر الفسـتان الأسـود، فهـو يحـبُّ الفخامـة مثـل أمّه. بعد ارتدائي له وإكمالي للّمسات الأخيرة والتعطُّر سألتُه:

كيف أبدو؟

- جميلة جداً، مثل ميريدا...

- عينـاكَ هـي أجمـل مـا في الكـون، لكـن مَـن هـي ميريـدا؟ آه تذكّرت، إنها أميرتكَ المفضّلة ذات الشعر الأشعث، أليس كذلك؟

طرقت كارولين الباب قبل دخولها وهي تضحك بحماسة،فاقت حتى حماستي كما أعتقد. كانت تتألق كالنجمات بفستانها الزمرديّ القصير، كالعادة، كونها مولعةً بالثياب القصيرة.

- يا إلهي لا أصدّق عيناي! أختي الجميلة أصبحت رئيس مجلس الإدارة... أنتِ ملائمة جداً لهذه المكانة، وأنا سعيدة لأجلكِ ومن كل قلبي...

- أها... إذن لا أمل بأن تستلمي المنصب بدلاً منّي؟ أم أنكِ هربتِ من شقاء العمل مع أبي؟

- هاها لا، اعفِني من العمل معكم. أنا فنانة حالمة، خُلِقتُ للفن والموسيقى، ومكاني هو مقعد البيانو، وليس كرسي مكتب الإدارة.

- هل سافرتِ لأميركا هرباً من هذه المسؤولية؟ أخبريني واطمئني فلن أخبر أحداً...

- نعم، بالطبع! جلّ اهتمامي بالموسيقى، وأنوي تحقيق حلمي أنا وليس حلم والدي، لكنّكِ قرّة عينه وفرحته بعد سنين الفراق والحرمان التي عاشها بعيداً عنكِ، كما إنكِ تُناسِبين منصب سيدة الأعمال.

- أخذتُ نَفَساً عميقاً لأتغلّب على التوتر، ثم ألقيتُ نظرةً أخيرة على نفسي في المرآة. كان الفستان الأسود طويلاً مع حزام من اللؤلؤ، لونه قريب من لون شعر بيتر الفاحم. ابتسمتُ برضى عن مظهري

كارولين سميث

الفـاتن، ووضـعتُ يـدي عـلى خصــري، ثـمّ فـردتُ شـعري عـلى كتفي، قبل أن أقبّل بيتر.

- حبيبـي، عليـكَ أن تنهـي واجباتـك المنزليـة، قبـل اللعـب بألعـاب الفيديو، اتفقنا؟ لـن أتـأخر، سـآتي قبـل نومـك لأحـكي لـكَ حكايـة مـا قبل النوم...

ثم أردفت وأنا مُتجهة نحو الباب:

-حسناً، كفانا كلام. أبي ينتظرنا في الشركة، لنذهب.

ضحكت كارولين:

- لنذهب عزيزتي... أراكِ من الآن قد بدأتِ بإصدار الأوامر.

نزلنـا مــن باحــة القصــر إلى كــراج الســيارات الخـاص، واتجهـت كارولين نحو سيارتها، فنظرتُ إليها باستغراب.

- لحظــة! ألســنا ذاهبتَــين إلى نفــس المكــان؟! لا تقــولي إنــكِ لــن تحضري الحفل معي!

التفتت كارولين لتجيب:

- سآتي ولكن في سيارتي.

- لماذا؟ دعينا نذهب في سيارتي معاً.

- لا شكراً عزيزتي. فأنتِ تقودين بسرعة مخيفة لا أتحمّلها...

- اممم حسناً. نلتقي هناك.

(بعد مرور ثلاث ساعات)

- مـرت ثـلاث ســاعات عــلى وصــولي للشــركة وكـارولين لم تظهـر بعـد! كـان أبي يسـتعد للصـعود عـلى المنصـة بعـد نصـف سـاعة ليلقــي خطابــه. ســألني عنهــا فقلــتُ لــهُ إنهــا في الطريــق، ثــم توجهتُ إلى ماكس مُساعِد أبي:

- مــاكس، لقــد حــلّ المســاء وكــارولين غــير موجــودة. بــدأ الحفــل بالفعــل وســيلقي أبي خطابــه. إنهــا لا تجيــب عــلى الهــاتف، لقــد تأخّرَت جداً!

- حسناً سيدتي. هل أخبرتِ والدك بالأمر؟

- كلا، أبي لا يعرف. قلتُ له إنها في الطريق إلى هنا.

- حسناً سيدتي، سأجلب السيارة ونخرج لنبحث عنها أنا وأنتِ.

- نعم، أسرع يا ماكس يجب أن نجدها.

استــدرتُ بســرعة بســبب قلقــي عــلى كــارولين ولم أنتبــه جيــداً لطريقي،فعَلِــقَ حزامــي اللؤلــؤ في بدلــة أحــد الموجــودين، الــذي حــاول تنبيهــي بــلا فائــدة، وفي لحظــاتٍ فرطــت حبّاتــهُ مــن مكانهــا وأدرتُ وجهــي لأجــدها قــد مــلأت الأرض، كــما إن زرّ البدلــة قــد انقطــع هــو الآخــر، ليزيــد الطــين بلّــة. وقفــتُ وأنــا ذاهلــة مــن حماقتي وإحراجي للرجل.

- أنــا آســفة جــداً جــداً يــا ســيدي... أنــا في عجلــةٍ مــن أمــري ومتوترة... أعذرني فأنا لم أقصد أبداً...

- كنـــتُ أتكلـــم معـــه لكنـــهُ لم يُجِبنـــي، بـــل وقـــف يُحـــدّق فيَّ بسكون،فاستغربتُ من منظره.

- ســيدي أنــا آســفة حقــاً. عفــواً هــل أنــتَ معــي؟! ســأنادي لــك السيدة ليونا لكي تصلح لك الجاكيت. ليونا، ليونا؟

- نعم سيدتي... أنا آتية.

- حســناً ســيدي. فــور قــدومها أعطِهــا ســترتك وســوف تقــوم بــاللازم.

-أكرّر أسفي لك، فأنا مستعجلة.

- كان الشاب شارد البال، لكنه تكلّم في النهاية:

- عذراً... ما اسمكِ؟
- أنا كاثرين...
- لم أكمل جملتي بسبب مجيء ماكس.
- سيدتي السيارة جاهزة. هل نذهب؟
- عن إذنكَ سيدي، استمتع بوقتك.
ثم خاطبتُ ماكس:
- ماكس علينا أن نبحث في المستشفيات التي على الطريق...
- ذهب ذلك الشاب إلى ليونا قبل أن تأتي إليه، فنادى خلفهُ رفاقه الذين كانوا يجالسونه على الطاولة:
- ستيفن أين أنتَ ذاهب؟
لكنهُ لم يُعِرهم انتباهاً.
- ماذا دها الرجل! لقد طار عقله بعد لقائه بتلك الجميلة ذات الفستان الأسود والشعر النحاسي...
- مرحباً سيدة ليونا.
- مرحباً سيدي، عفواً منك. كنتُ قادمة إليك، أعطني سترتك وسأعيدها كما كانت في دقائق معدودة.
- ليونا مَن هي السيدة كاثرين؟ لم أرها سابقاً هل هي شريكة السيد سميث الجديدة؟
- كلا. بل هي ابنته البكر التي كانت مفقودة. لقد عثَرَ عليها بعد عمرٍ طويل قبل عامين، ومؤخراً سلّمها منصب إدارة جميع شركاته داخل لندن.
ابتسم ستيفن وهزّ رأسه متمتماً:
- إذن وجدها أخيراً. تمام...

- عفواً ماذا قلتَ سيدي؟
- لا شيء ليونا اللطيفة، شكراً جزيلاً.
- لكن سيدي ألا تريد أن أصلح لك زر البدلة؟!
عـاد سـتيفن مشـتّت الـذهن إلى طاولتـه، بيـنما كـان رفاقـه يتهامسون ضاحكين:
- هيـي سـتيف مـا بـك يـا رجـل؟ هـل أفقـدكَ اللؤلـؤ المتنـاثر مـن الخصر الوعي؟
- إنهـا ابنـة السـيد سـميث ومـديرة شركاتـه. يبـدو إننـي سأشـاركها في الكثير من الأعمال في المستقبل.
- أحقـاً ذهبـت لتسـأل عـن هويتهـا؟! لِمَ لم تسـألنا أيهـا الأبلـه! مَـن مِنّـا لا يعـرف الحسـناء المفقـودة، أساسـاً مَـن في لنـدن لا يعرفهـا. لقـد غَـزَت صـورها وأخبارهـا الصـحف ومواقـع التواصـل لأشـهر،حتى أضـحت شـغل النـاس الشـاغل. إنهـا رائعـة الجمال،وبنفس الوقت غامضة.
- البعض يقولون أنها تدّعي فُقدان الذاكرة وقد تكون مُخادِعة.
- ماذا؟! لِمَ يعتقدون ذلك؟
- ألم تلاحـظ كـم أنّ شـكلها مُختلـف عـن بقيـة عائلتهـا؟ شـعرها نُحاسي وهي صهباء، حتى ملامحها لا تشبهُهم.
- لا تُطلِـق الأحكـام بمـا تجهـل، حتـى لا يحـدث لـكَ سـوء. أبي صديق والدها، وهكذا وصفَها لي حين كانت رضيعة.
وضع أحد أصدقائه يده على كتفه وأشار باليد الأخرى:
- أنظر، ها هو السيد سميث مع زوجته السيدة جاكلين.
تـوجّـه سـميـث نـحـو الطاولة، وفتح ذراعيه مـع ابتسامة عريضة

ترحيباً بستيفن، الذي نهض بدوره.
- ستيفن عزيزي أهلاً بكَ في لندن، كيف حالك؟ لديَّ عتَابٌ معك أيها الشقي، كيف تقضي أشهراً في لندن دون أن تأتي لرؤية عمّك سميث؟
ثم استدار إلى زوجته وهو يضحك بسعادة لمّ شمله مع ابن صديقه العزيز ألكسندر.
هل رأيتِ الفتى يا جاكلين؟ لقد صارَ أطول منّي! أها، ألهذا السبب لم تفكّر في زيارتنا؟
- دعه يعيش شبابه بحريّة في لندن. ماذا ستفعل له مجالسة الكَهَلة...
- لا على العكس! سامِحاني فأنا فعلاً متشوّق لأراكما، لكنني جئتُ إلى لندن بطريقة مفاجئة وبسبب أمر طارئ، فقد افتتح والدي فرعاً لشركته العقارية هنا، وكان يديرها أحد موظفينا الموثوقين بالنيابة عني، لكنّه مؤخراً أثبتَ عدم جدارته بثقتنا،للأسف.
- يا إلهي في هذه الأيام من الصعب جداً أن تثق في شخص،حقاً!
لقد أبلغني ألكسندر بمشكلتكم، وأعلم سبب وجودك في لندن، لكنني أحببتُ أن أمزح معك...
- لقد قابلتُ رئيسة مجلس إدارتكم الموقّرة، ولكنني مدين لها باعتذارٍ شديد لأنني تسبّبتُ في تناثر كريستال فستانها.
- حقاً هل قابلتَ جميلتي كاثرين؟ أين هي الآن؟ فقد اختفت هي وكارولين منذ أن ابتدأ الحفل!

- رأيتُها وكانت مستعجلة جداً... أظنّ إنها خرجت مع السيد ماكس...

جولتنا أنا وماكس شملت البحث في حوالي عشر مستشفيات وسبعة مراكز شرطة، من دون أثرٍ لكارولين.

ماكس ماذا سنفعل الآن؟! سأُجَن! لا بد أن مكروهاً قد أصابَ المسكينة...

كنا نتمشّى في الحديقة العامة المُقابِلة لمستشفى هولدن بعد خروجنا منها، وفجأة اصطدمت بي طفلة صغيرة كانت تجري وهي تلعب الغميضة، فنظرت إليّ.

- أنا آسفة جداً يا عمّة، لم أَرَكِ، كنتُ ألعب الغُمَّيضَة...

كانت مصابة بمتلازمة داون، ولكن ملامحها لم تكن مشوهة بل جميلة ورقيقة.

- لا عليكِ عزيزتي...

جثيتُ لأكلّمها، لأتفاجأ بعد لحظات بأنّ كارولين كانت تلعب معها! حيث اقتربت ببطء واضعةً عُصابة على عينيها وهي تقول:

- تينا أين أنتِ؟

سأمسكُ بكِ يا شقيّة...

لَوّحَت لنا الطفلة بيديها أن نصمت لكي لا تمسكها فتخسر اللعبة. لكن فور رؤيتي لكارولين شعرتُ بغضب شديد، فما ذلك الهراء الذي كانت تفعلهُ وتتركنا قلقين لتلك الدرجة! فنهضتُ لأواجهَها وأرفع العُصابة من عينيها، لتتفاجأ بوجودنا.

- كاثرين وماكس! ما الذي جاء بكما... كيف وجدتماني؟

- حقـاً؟! مـاذا تظنّـين نفسـكِ فاعلـة هـل جننـتِ؟! تتركـين الحفـل وتغلقـين هاتفـك لتلعبـي الغميضـة مـع الأطفـال! لا بُـد أنّ شـيئاً أصابَ عقلكِ.
- حسـناً، لا تغضـبي بتلـك السـرعة... للتوضـيح فـإنّ هـاتفي لـيس مغلقـاً بـل مكسـور. أولاً دعينـا نجلـس في مكـان ونتحـدث ولكـن بعيـداً عـن تينـا. لنـذهب إلى هـذا الكافيـه القريـب بيـنما تينـا تلعب بالألعاب هنا...
- هـل أنـتِ مُدرِكـة أنـه لـيس لـدينا وقـت للجلـوس والتَحـدُّث؟! لقـد خرجـتُ أبحـث عنـكِ دون علـم أبي، وسـيقع في إحـراج كبـير أمام المدعوّين من جرّاء فعلتكِ هذه!
- معكِ حق، فقط تمهّلي واسمعي ما حَدَثَ معي...
- وما الذي حدث؟
- كنــت أقــودُ ســيارتي عنــدما اعــترض طريقــي ســائق درّاجــة طائش،فاضــطررتُ لضــغط الفرامــل بقــوّة حتــى دارت الســيارة حول نفسها واصطدمت بعمود على جانب الطريق.
أصِـبتُ بـبعض الجـروح والخـدوش البسـيطة ونهضـت، فأوصـلني إثنـان، مـن النـاس الـذين تجمّعـوا حـولي، إلى أقـرب مستشـفى عـلى مكـان الحـادث. وجـدتُ هـاتفي مكسـوراً، وعزمـتُ عـلى الاتصـال بكـم بأيـة وسـيلة حـالَ خروجـي مـن المشـفى، لكننـي في الـداخل شهدتُ منظـراً يقشـعرّ لـه البـدن. مـرّت عربـة تنقـل جـثمان سـيدة إلى ثلاجـة المـوتى، بيـنما جـرت خلفهـا طفلـة صـغيرة، قـدَّرتُ عمرهـا بســبع ســنوات، وهــي تــبكي بحرقــة، والطفلــة هــي تينــا هذه،المصابة بمتلازمـة داون. كانـت تُمسـك بهـا ممرضـة لمنعهـا مـن

اللحاق بوالدتها وكنّ يبكينَ معاً. انفطر قلبي من الأسى عليها وحدّثتُها محاولةً تهوين الأمر عليها إلا أنها لم ترد عليّ، بل فاضت عيناها بالدموع ثم أفلتت من الممرّضة وأطلقت صرخة لوعة قبل أن تفقد الوعي وتسقط. قال الطبيب إنها لم تأكل شيئاً منذ الأمس بسبب حالة والدتها، وإنها أمست وحيدة،فقررتُ البقاء إلى جانبها.

أخبرتني الممرضة لاحقاً بقصتها الكاملة، فوالدتها هي بائعة الورد الفقيرة التي تقف دائماً على الشارع المقابل للمشفى. عندما وُلِدَت تينا بتلك المتلازمة أرادَ والدها التخلّص منها بالقتل الرحيم، لكنّ أمها رفضت ذلك وتشبّثت بها، فطلّقها الملعون وتركهما بلا عون، ومنذ حينها قامت الوالدة بالمستحيل للعناية بتينا ورفع مستواها العقلي،لتعيش حياتها كأي بشر طبيعي. عملت المرحومة في كل مكان، خبّازة، عاملة، خيّاطة، خادمة في المنازل إلى أن أصيبَت بالسرطان من جرّاء مواد التنظيف التي تعرّضت لها لفترة طويلة،فلم يعُد بإمكانها العمل وقررت بيع الورد إلى أن سقطت وهي واقفة على الطريق.

رأتها الممرضة بالصدفة وهي تسقط والورود تتناثر في الشارع. في المشفى وجدوا رسالة في جيب ثوبها القديم، ترجو فيها ممّن يجد جثّتها أن يصطحب ابنتها المريضة إلى عنوان مكتوب أسفل الورقة، لتولّي رعاية الطفلة. كانت المسكينة تعلم أنها قد تموت بأيّة لحظة وفي أي مكان لكنها رفضت التخلي عن طفلتها، لذا كتبت تلك التوصية.

قـرّرتُ حينهـا تَبَنّـي تينـا! فجلسـتُ بجانبهـا أنتظـر، وعنـدما صَحَت أخبرتُهـا إنهـا كانـت تحلـم، وأن أمهـا سـافرت وأبقَتهـا معـي لفترة،وستعود لها فيما بعد.

تـأثّرتُ ببراءتهـا كثـيراً، وبقيـتُ ألعـب معهـا حتـى نسيتُ الاتصـال بكم.

- يـا إلهـي كـم هـي مسـكينة! لكـن مـاذا عنـكِ؟ هـل هنالـك مـا يؤلمكِ؟

- كلا اطمئني، فقط أوجاعٌ بسيطة. أنا الآن أفضل.

- إذن هيّـا بنـا، تأخّرنـا جـداً. مـاكس سـيتولّى أمـر إيصـال سـيارتكِ إلى الصـيانة وتعـويض الأضرار، ولنـذهب نحـن لإصـلاح هنـدامكِ لتجنّـب المزيـد مـن الإحـراج. غـداً أكمـلي إجـراءات التبنّـي مـع المَيتَم الذي سيتكفّل الطفلة.

أصـاب أبي قلـقٌ شـديد لغيابنـا غـير المـبرّر، حتـى انـبرى سـتيفن القريب منه بالقول:

- لا تقلق عمي. سأذهب ولن أعود حتى أجدهنّ...

لكنّـه تفاجـأ بملاقاتنـا عنـد المـدخل. اتّسـعت عينـا كـارولين فرحـاً وملأت وجهها ابتسامة عريضة لرؤياه.

- هييي ستيف! كيف حالك؟

- كارولين العزيزة! كبرتِ وأصبحتِ شابة...

مرَّ دهرٌ منذ آخر لقـاء لنـا. أيـن كنـتما بحـق السـماء فـالعمّ سـميث يكاد أن يُجَنّ قلقاً عليكما!

- دقيقة، هل تعرفان بعض؟!

فأجابني وهو يبتسم:

- نعم كاثرين، وماذا كنتِ تظنّين؟ أنا من العائلة، لكن لقائي الأول بكِ حدثَ قبل ساعات قلائل فقط!

- أرى إنكَ عرفتَ كاثرين أخيراً.

هذه أختي كاثرين، وهذا الشقيّ ستيفن، إنه كأخي الكبير،معذّب قلوب النساء.

- مدّ يده لمصافحتي ضاحكاً.

- كفاكِ مزاحاً يا حلوة. الفتاة تلتقي بي لأول مرة، وبسببكِ ستظنّني زير نساء! أنا ستيفن ابن السيد ألكسندر، أبي صديق طفولة والدك السيد سميث، الذي أناديه عمي ألبرت.

بدا لي الشاب مُحترماً جداً ولطيف المعشر.

- أعذرني لم أكن أعرفك قبلاً. أتشرّف بكَ.

- بل أنتِ اعذريني. آنا آسف فقد تسبّبتُ في إفساد فستانكِ الجميل واضطررتِ إلى تغييره، لكن يجب التنويه إلى أن جميع الألوان والفساتين تليقُ بكِ.

- شكراً لَكَ هذا مِن لُطفك. دعونا ندخل ونطمئن والدي إننا بخير.

كان مستمراً بمسك يدي بعد المصافحة، وبدا شارداً فاقتربت منه كارولين هامسةً:

- ستيف اترك يد كاثرين فهي لن تهرب. الوَلَه واضحٌ جداً عليك، لا تفضح نفسك لهذه الدرجة. سنتكلّم فيما بعد كأخ وأخته، حبٌّ من أول نظرة!

- أفلتَ يدي بعدها وكأنهُ استردّ وعيه، أما أنا فكنتُ أحاول كبت ضحكتي، فقد بانَ عليه إنه في عالم آخر.

- ماذا قلتِ؟ لا طبعاً لا... لكنني سرحتُ قليلاً.
- أجل، أجل طبعاً هاهاهاها.
فضَربتهُ بكتفها وغمزت له.
- وكأنني رأيتكَ هكذا من قبل... هذه من المرات القلائل التي "تسرح" فيها لهذا الحد... الآن دعنا ندخل وسننظر في أمرك لاحقاً.
دخلنا ليستقبلنا أبي بِتوتّر.
- أين اختفيتُما؟! لقد قلقنا أنا وجاكلين عليكما جداً!
برّرت لهُ كارولين:
- أعتذر جداً بابا. لقد كان هُنالك حادث بسيط على الطريق وبعض المشاكل عَطَّلت المرور.
- حسناً، المُهم إن الجميع بخير. هيّا سارعوا باتخاذ أماكنكم.
اعتلى أبي المِنصَّة وألقى خطابهُ الذي تسبّب في دموع أمي،واحتضانها لنا أنا وكارولين بينما اعتلت وجوهنا ابتسامة ونحن ننظر إليه. بعد انتهاء الحفل عدتُ مُرهَقةً لدرجة الإعياء، فلَم أعتد على تلك الأجواء، والحذاء العالي قد آلمَ قدميّ لدرجة أنني خلعتُه فور صعودي في سيارتي، لأجد أقدامي شبه متورّمة. وصلتُ للبيت حافية القدمين أحمل حذائي بيدي،فذهبتُ مباشرةً إلى غرفة بيتر الذي كان ينتظرني لأحكي لهُ حكاية ما قبل النوم. فتحتُ الباب بهدوء ودخلتُ إلى غرفته، حيث كان على وشك النوم والكتاب بيده. لقد اعتقدَ أنني سأتأخّر أكثر وأنني قد نسيتُه، لأن الساعة أوشكت على الثانية عشر ليلاً. حالما رآني نهضَ من فراشه ليعانقني فرحاً.

- ماما! ظننتكِ لن تحكي لي حكاية اليوم...
- مـاذا؟ إيّـاكَ والظـنّ بـأن عمـلي سـيُلهيني عنـك. العمـل ضروري ولكــن يجــب ألا نُهمِــل أحبّاءنــا لأجلــه، لأننــا إن فقــدناهُم فلــن تكون لنجاحنا قيمة...

قــرأتُ لــهُ حكايــة ذات الــرداء الأحمــر حتــى نــام في أحضــاني. طبعــتُ قُبلــةً رقيقــة عــلى جبينــه ثــم انســحبتُ خارجــةً وأطفــأتُ النــور. دَخَلــتُ غرفتــي وأنــا أكــاد أنــام عــلى نفســي مــن التعــب. رَميتُ جسدي على الفراش دون أن أغيّر ملابسي.

"سأســتريح قلــيلاً قبــل أن أقــوم..." قلــتُ مُحدّثــةً نفســي، لكــن عينــاي أُقفِلَــت مــن تلقــاء نفســها، ولم أصــحُ إلا عــلى طــرق بــاب غرفتــي ورنــين هــاتفي معــاً. قفــزتُ مفزوعــة مــن الأصــوات، فكانــت أمي على الباب.

- ابنتــي كــاثرين مــا كــلّ هــذا النــوم؟ لقــد تــأخّرتِ عــلى الشــركة. قال والدكِ أن لديكِ اجتماعٌ مهم اليوم، وقد غادر منذ ساعتين.
- حسناً ماما أنا آتية... سأذهب الآن، كنتُ أرتدي ملابســي فقط...

عــدتُ نحــو هــاتفي الــذي لم يتوقــف عــن الــرنين مفكــرةً "يــا ربي ألا يستطيع المرء أن ينام في هذا المنزل!" فأجبتُه:

- ألو.
- ألو كاثرين... احزري ماذا؟
- كــارولين، لا تجنّنينــي! هــل تتّصــلين بي في هــذا الوقــت المبكّــر لتسمعيني أحجية؟
- أي وقت مبكّـر يـا متخلّفـة إنهـا السـاعة الحاديـة عشـرة صباحاً! لقد أتممتُ اجراءات التبنّي وجئتُ بتينا إلى المنزل...

- ماذا!! كم الساعة قلتِ؟!

- نظرتُ إلى المرآة فوجدتُ نفسي بملابس حفل الأمس.

- اللعنـة! تـأخير وفـوضى منـذ اليـوم الأول... يـا لخـوفي مـمّا قـد يحدُث لاحقاً!

غـيّرتُ ملابســي بسـأرعة، ارتـديتُ طقمـي الرسـمي الأسـود مـع قميصـــي الأبـــيض ذو الياقــة المُطــرّزة. نزلــتُ وركبــتُ ســيارتي منطلقــةً للعمــل وأنــا أراقــب الســاعة طــوال الطريــق. عنــدما دخلـتُ الشـركة أخـيراً، وجـدتُ كبـار المُـدراء في مجموعـة شركاتنـا بانتظـاري أمـام غُرفـة الاجتماعـات. كـان أحـدهم "جـايكوب" يُدمدم غاضباً بصوت عالٍ:

- يـا لهـا مـن مهزلـة! انتصـف الظهـر وهـي لم تظهـر بعـد، وموعـد الاجـتماع هـو العـاشرة! ولكـن لـيس لنـا اعـتراض فهـي إبنـة مالـك كـل شيء، لا يكفــي إنــه نصّــبَ شــابّة بعمــر أحفادنــا رئيســةً علينـا،لا! بـل إنهـا أيضـاً تتـأخّر وننتظرهـا لسـاعاتٍ بســرور. فقـط انتظروا وستَرَون ما سيحلُّ بنا!

كنتُ خلفه مباشرةً، فأجبتُه بينما استمعَ البقيّة.

- فعــلاً معــك حــق. هــذه مهزلــة. فتــاةٌ لا تفهــم ولا تفقــه بشــيء،فقط تصعد على أكتاف أبيها.

تنهّدَ بعمق وردّ:

- مـا باليـد حيلـة يـا ابنتـي. إذا اعترضـنا سـنثير غضـب السـيد سـميث، لكــنّ ابنتــه إنســانة غبيّــة. أنــا أعرفهــا أكـثر مــن أي شـخص،فلطالما كانـت تلعـب مـع ابنتـي في صـغرها وتقـول أنهـا متغطرسة ومغرورة جداً.

- مَن هي سيدي؟ ابنته كاثرين تقصد؟!
- اجـل، هــي نفســها التــي صــارت مــديرتنا. إنهــا إنســانة غــير مسؤولة، لا تحترم كبار السن ولا المواعيد وكذلك...
- أهذه كاثرين؟!
- نعم كاثرين! اسمعي مني أنا أعرفها...
- أكانت تلعب مع ابنتك في طفولتها؟!
- أجـل. كانـت تقـول لهـا بوقاحـة: والـدكِ عامـلٌ لـدى والـدي! إنهـا مُدَلَّلة ولا مبادئ لديها.

حملقـتُ بوجهـه: مـا هـذه الحماقـة؟ أم إنـهُ لا يعـرف قصـتي كي يكـذب هكـذا! لكـن قصـة كـاثرين سـميث قـد انتشــرت ومـلأت مواقع النت والأخبار في لندن.

- أنـتَ محـق سـيدي. الـدلال الزائـد يُفسِـد الصـغار. لا بُـد أن هـذا سببهُ الدلال.

هُنالِـكَ نـوعٌ مـن النـاس يـدفعهم الغضـب والحقـد نحـو تلفيـق الأكاذيـب فقـط لتشـويه سـمعتَك، ولكـن حـينَ ينكشـف كـذبهم فهـو يرتـدُّ علـيهم فتسـوء سـمعتهم هُـم. جـاء مـاكس ليتحـدّث مـع جايكوب وزملائه فوجدَني معهم.

- سـيدتي كـاثرين، حبّـاً بـالله؟! السـيد سـميث ينتظـرك تعـالَي لمكتبـه... وأنـتم سـادتي حضـّروا أنفسـكم للاجـتماع بعـد دقيقتـين في القاعة.

ابتسمتُ ناظرةً إليهم وأنا أتبع ماكس.

- حسـناً مـاكس أنـا آتيـة. هـذه آخـر مـرة سـيحدث فيهـا تـأخيرٌ كهذا، وإلا سيُقال عني عديمة المبادئ والأخلاق.

وضع جايكوب كفّه على فمه واتسَعت عيناه من الصدمة،وأخذَ رفاقه يلومونه:

- ماذا فعلتَ يا جايكوب! بالتأكيد سيُعفونك من الخدمة الآن. متى ستروّض طبعك هذا وتسيطر على لسانك، أيها العجوز الأخرق؟!

فتح ماكس لي الباب فدخلتُ إلى غُرفة أبي.

- مرحباً أبي... أنا آسفة جداً على التأخير.

- اجلسي يا ابنتي فلديّ الكثير لأقوله لكِ.

- تفضّل...

- ابنتي الغالية، يا قرّة عيني. إنّ الله لم يرزقني بولد، ولكنه أنعمَ عليَّ بكما، أنتِ وأختكِ، نورا عيني وسعادتي. أريد منكِ أن تعرفي أن كلّ ما فعلتُه وما سأفعلُه، وما بنَيتُه وما سأبنيه هو لأجلكما. لكنّني أريدُ أولاً أن أبني ابنتيَّ قبل أن أبني مستقبلهما.

- كيف ذلك يا أبي؟

- أريدُ أن أبني فيكِ الفتاة القوية التي تتحدّى الصعاب، والتي لن يقف بوجهها شيء، معتزّة بنفسها وذاتها قبل اعتزازها بأبيها وعائلتها. أريدكِ أن تكوني قوية، وأن تجتهدي وتثبتي إنكِ مهما عصفَت بكِ الحياة فأنتِ قادرة على مجابهتها، ولن تكوني قوية ما لم تعملي بنفسكِ للحصول على المنافع، وليس عن طريق أبيكِ أو أي شخص آخر.

- نعم بالتأكيد أبي، وأنتَ تعرفني جيداً...

- نعم أعرفكِ، ولأنني أعرفكِ فلا أريدكِ أن تتغيّري. الترف صفة المرأة بالتأكيد، لكن القوة من أهم صفاتها أيضاً، ووجودُها لا

يتنـافى مـع الرقّـة والأنوثـة بـل يُزيـدها أحيانـاً. لـذا ابقـي كـما أنتِ،ولا تـدَعي حياتـكِ الجديـدة تغـيّركِ أبـداً. أنـا أثـق بـكِ، وأعـرف ابنتـي ومـا يمكنهـا فعلـه. لـذا هيّـا، انطلقـي وابـدئي عملـكِ، الـذي سيجعلني فخوراً بكِ.

قـامَ مـن مكانـه ليفـتح ذراعيـه لي وهـو يبتسـم، فاتجهـتُ نحـوه وعانقتـهُ بشـدة. أبي أحـنُّ وأفضـل أبٍ في العـالم. كلماتـهُ قضَـت عـلى كـلّ الخـوف والشـعور بعـدم الاسـتحقاق بـداخلي، والـذي كـاد يقضـي عـلى هيبتـي أمـام الجميـع. أحيانـاً يتوجَّـب علينـا الشـعور بالاسـتحقاق تجـاهَ مـا تعطيـهُ لنـا الحيـاة، لـكي نسـتحقَّهُ فعـلاً. خرجـتُ مـن المكتـب وانـا مُدركـة لمـا سـأفعله، فكـلام أبي أعطـاني القوة.

دخلـتُ غرفـة الاجتماعـات، وكـان سـتيفن مـع الحـاضرين فهـو مـن المسـاهمين بالشـركة. لقـد أخـبرني أبي ذلـك بـالأمس فلـم أتفاجـأ لوجـوده. بـدأ الاجـتماع وتَكَلّمـتُ بطلاقـة أمـام الحضـور. قـدّمتُ خططـاً جديـدة للعمـل كـان أبي قـد وافـقَ عليهـا وأعجبتـهُ جـداً حـين طرحتُهـا عليـه، وقـال أن أفكـاري وطريقتـي خلّاقـة. كنـتُ خائفـة مـن إننـي لـن ألقـى استحسـان مـدراء الأقسـام بالشـركة، مثـل السـيد جـايكوب، لكـن مـا رأيتـهُ هـو الإعجـاب والانبهـار، لـيسَ فقـط عـلى ألسـنتهم بـل في أعيـنهم أيضـاً. شَـعَرتُ بسـعادةٍ غـامرة لتقـبّلهم أفكـاري وخُططـي برحابـة صَـدر، بـل أن بعضـهم تفـاعلوا معهـا وأضـافوا لهـا أفكـار تطوّرهـا. انتهـى الاجـتماع أخـيراً بعـد بضـع سـاعات، وبـدأوا يخرجـون واحـداً تلـو الآخـر، بيـنما جلسـتُ أنـا لدراسـة إيمـيلات لعقـود توقّـف أبي عـن

توقيعها لكي يأخذ رأيي فيها. كنتُ سابقاً أشعر أن أبي يريد زجّي في اتخاذ القرارات معه، وتأكّدتُ من الأمر بعد كلامه في ذلك اليوم. بقيتُ حوالي ساعة أدقق في تلك الإيميلات، حتى أنهيتُها وكتبتُ ملاحظاتي بشأن كل واحدة. أغلقتُ الحاسوب المحمول لأتفاجأ بستيف جالساً في نفس مكانه! استغربتُ بشدة، فالجميع قد خرجوا.

- ستيفن! متى عدت؟ لقد أرعبتني لماذا لم تُصدر صوتاً حتى؟!

اعتدل في جلسته قبل أن يردّ:

- أولاً أنا لم أعُد لأنني لم أخرج أصلاً، فأنا هنا منذ نهاية الاجتماع. ثانياً، كيف لي أن أصدر صوتاً وأخرّب تركيزك، وأخرّب على نفسي هذه الراحة النفسية واللحظات الجميلة...

- ولِمَ لم تخرج؟ وأيّة لحظات جميلة تقصد؟

- آه، قصدتُ أنني متعب وودتُ البقاء هنا لأرتاح، لأنهم بالتأكيد سيزعجونني عندما أخرج. أنظري الساعة الآن الثالثة والنصف، تعالَي لنتناول الغداء معاً. هناك مطعم إيطالي رائع افتُتِحَ حديثاً بالقرب من هنا. لم أفهم ما رمى إليه ستيفن، لكنهُ خفيف الظل على كل حال، ولم أحرجهُ بالرفض فقد بقيَ ينتظر ساعة كاملة ليدعوني إلى الغداء، لذا وافقت.

- حسناً، لكن لن نتأخر فعند السادسة لديّ موعد مع الوجوه الإعلانية للشركة.

- إذن لدينا ساعتين، هيا بِنا.

- نزلنا معاً، واتجه نحو سيارته الـ **BMW** السوداء، وأخرجتُ أنا مفتاح سيارتي فاستدار نحوي:

- مــاذا؟! ســنذهب بســيارتي وعنــدما ننتهــي ســأعيدكِ إلى هُنــا لتأخذيها.
- حسناً...

ركبـتُ معـهُ وانطلقنـا لنصـل بعـد دقـائق إلى المطعـم. كـان مـن الطـراز الحـديث، وهـو لـيس نـوعي المفضّـل، لكننـي جلسـتُ معـه على أيـة حـال. طلـبَ وجبتَـهُ وطلبـتُ نفـس طلبـه، فتلـك أول مـرة أجـرّب فيهــا مطعــماً إيطاليــاً، عــلى الأقــل حســب ذاكــرتي. شرد ذهني قليلاً فقاطعني صوت ستيفن:

- أجـل، أخبرينــي عــن نفسـكِ وقصـتكِ. أنـتِ الوحيـدة التـي لا أعرفها من آل سميث.
- بالتأكيد سَمِعتَ عنّي في الأخبار...

قاطعني:

- كــلا للأســف، فقــد كنــتُ في أميركــا مــع أبي في الســنوات الأخيرة،وجئتُ قبل شهرين فقط.
- حسناً... بالتأكيد هُناكَ مَن أخبركَ بقصّتي.
- لا أريـدُ سـماع قصـتكِ مِـن غـيرك! إن اسـتمعنا لقصـص النـاس التــي ينســجونها عــلى بعـض، فعـلى كـل العلاقـات السـلام! ولـن تبقى عائلة تحت سقف واحد...
- هاها هذا يعني إنهم قالوا عني أموراً سيئة، أليسَ كذلك؟
- أتريدين الحقيقة؟
- طبعاً.
- يقولـون إنـكِ جميلـة وغامضـة، وهـذا الشــيء الوحيد الحقيقـي في كلامهم برأيي.

- هههه، شكراً جزيلاً لك.

وهكـذا حكيـتُ حكـايتي لسـتيفن، والتـي كـان جزؤهـا الأكـبر في الحقيقــة مبتــوراً. بــدأنا ننــدمج بالحــديث مــع بعضــنا، وصِرنــا نتقابل بشكل شبه يـوميّ. في الأيـام التـي لم نتقابـل فيهـا كـان يـزور قصــرنا ويلعــب مــع بيــتر الغمّيضــة أو ألعــاب الفيــديو. كنــتُ أجـدهم مُتفـاعِلَين مـع اللعبـة لدرجـة إنهـم يتحرّكـون معهـا، حتـى تعلَّقَ بيتر به كثـيراً وصـار صـديقهُ المقـرّب. كـان واضـحاً للجميـع مـا دارَ في بـال سـتيفن، لكـنّ ذلـك الأمـر لـن يَحـدُث، لأننـي رفضـتُ إشراك أيّ رجــلٍ في حيــاتي. شــعر والــدي بإعجــاب ســتيفن واهتمامه بي وببيتر، وكان سعيداً جداً لذلك.

جـاء اليـوم الـذي دعانـا فيـه سـتيفن، أنـا وبيـتر وكـارولين وتينـا (الفتـاة التـي تبنّتهـا كـارولين) للسـينما عـلى فـيلم (أكوامـان)، أحـد شخصـيات أفـلام **DC**، وكـان المفضّـل لـدى بيـتر. وصـلنا قبـل بـدء الفـيلم بعشــر دقـائق، وقبـل كـارولين وتينـا، لـذا بقينـا ننتظـرهم خارج الصالة لندخل سويةً. قال ستيفن:

- سأذهب لأجلب بعض الفوشار والكولا.

هَبَّ بيتر متحمّساً:

- وانا سآتي معك.

- حسناً، لا تتأخّرا.

فنظر لي ستيفن نظرة دافئة وهو يبتسم:

- كيف لي أن أتأخّر عليكِ؟

بعـد دقيقتـين مـن ذهـابهما، ظَهَـر أمـامي مَـن لم أتوقـع رؤيتـهُ بعد كـل تِلـكَ السـنين... إنـهُ (إليـان) صـديق طفـولتي، الـذي كنـتُ

أسـمّيه رفيـق الكفـاح، والـذي كنـتُ أعمـل معـهُ في مخبـز جـدّه. ابتسـمتُ ابتسـامةَ حبـورٍ كبـيرٍ برؤيتـه، كيـف لا وأنـا أعتـبر تلـك الفـترة مـن أجمـل أيـام حيـاتي، بـالرغم مـن التعـب الجسـدي الـذي عانيتُـه فيهـا. كـانَ إليـان ينظـر إليّ وهـو غـير متأكّـد مـن كـوني كاثرين.

- أمعقولٌ أنكَ لستَ متأكداً ممّن أكون؟ مع الأسف إليان...

اندهشَ واتسعت عيناه فرحاً ثم عانقني قائلاً:

- كاثرين! هذه أنتِ حقاً! لا أصدّق عينيَّ.

لقد كَبَر وتغيّر، وأصبح شاباً رائعاً.

- مـا الـذي أتى بـكَ إلى لنـدن؟ ومـا سِرّ هـذه الأناقـة! هـل تواعِـد حبيبتَك؟

- أيـة حبيبـة هـذه! لقـد جئـتُ لمشـاهدة الفـيلم بمفـردي. أنـا الآن في إجازة لمـدة أسـبوع، فأتيـتُ إلى لنـدن عـلى أمـل لقائـكِ، وهـا قـد تبيّن لي أنني فعلاً محظوظ.

- حقاً... ماذا تعمل الآن؟ كيف حالك وحال جدي وود؟

- بعـد أن مـاتَ جـدي، بقيـتُ أنـا أديـر المخبـز، واسـتمرّ نجاحـه حتـى أدخلـتُ شركـاء معـي وتحـوّلَ إلى مصـنع حلـوى، والمصـنع أصـبح لاحقـاً شركـة كبـيرة وفي وسـط بـاريس. أنـا الآن مـدير إحـدى أكبر شركات إنتاج الحلوى في فرنسا!

صـدمني إليـان بخـبر وفـاة جـدي وود، ذلـك الرجـل الكـريم الـذي أديـنُ لـهُ بـالكثير. مـع إننـي فَرحـتُ لمـا قالـهُ اليـان مـن ازدهـار العمـل وتحقُّـق حلـم جـده، إلا أن غصـة حـزن أصـابت قلبـي. تذكرتُ أحاديثي مـع الجـد وود، والكتـب التـي كنـتُ أقرأهـا لـهُ ثـم

نتبادل الآراء بشأنها. كيف كان حنوناً معي، ويعلّمني كل شيء بنفسه، كان فعلاً أبي الذي لستُ من صُلبه.

شَردتُ عن إليان للحظات في ذلك الماضي الجميل، فلوّح بيده أمام عينيّ.

- هل أنتِ معي كاثرين؟ هل هذا بسبب خبر وفاة جدي؟

- لقد انقطعت أخباركم فجأةً، لماذا؟ منذ عامين وأنا أحاول الاتصال بكم مراراً، على أرقامكم التي أعرفها، بلا جدوى. تمنّيتُ أن أرى جدّي مرةً أخيرة. أتيتُ إلى القرية وإلى مكان المخبز،لكنني وجدتُ مطعماً في محله. عندما سألت قيلَ لي أنكم انتقلتم ولم يعلم أحد إلى أين.

- بعد أن مرض جدي مرضاً شديداً طلب مني أن ننتقل إلى باريس. أراد أن يموت بنفس المكان الذي توفّيت فيه جدتي.

- رحمه الله.

سأبقى مَدينةً له بقيّة حياتي، ولن أنساه أبداً.

تَنَهَّدَ بِحُزن وقال:

- وأنتِ ما أخباركِ؟ ماذا تعملين الآن؟

- أنا تزوّجت وصارَ عندي طفل رائع ذو سبعة أعوام اسمهُ بيتر، والآن أعمل في شركة والدي الكبيرة.

نظر لي باستغراب:

- والدكِ؟!

- إنها قصة يطول شرحها. سأرويها لكَ فيما بعد.

عندها عاد ستيفن مع بيتر.

- كاثرين، آمل إننا لم نتأخّر...

ألَن تعرّفينا على السيد؟
- هذا صديقي ورفيق رحلة الطفولة إليان، إليان هذا...
- زوجكِ أليسَ كذلك؟ تشرّفنا.
- كلا، إنهُ صديقي وصديق العائلة. أنا في الحقيقة أرملة...
- أوه آسـف لسـماع ذلـك. يبـدو أن الكثـير مـن التطـورات قـد طـرأت عـلى حياتـكِ, يجـب أن نلتقـي ونـتكلّم فـيما بعـد وتُخبرينـي بكل ما حَدَثَ معكِ تلك السنين.
بَـدى الضـيق واضـح عـلى ملامـح سـتيفن . لم أعـرف إن كـان ذلـك بسـبب ظهـور إليـان، أم لأننـي قدَّمتُـهُ عـلى أنـه صـديق العائلـة فقط.
- أهـلاً سـيد إليـان تشـرّفنا. أي فـيلم ستحضـَر؟ يبـدو إنـه لـيس "أكوامان" لسوء الحظّ؟
- أهـلاً بـك عزيـزي، إنـه أكوامـان بالفعـل، لكـن مقعـدي بعيـدٌ عنكم للأسف. كـاثرين اعطِنـي رقمـكِ لأننـي لـن أضيّعكِ منـي مـرةً أخرى. أريد أن نعود مثل السابق وأفضل.
- أجل بالطبع. ها قد وصلت كارولين.
- كيف حالكم يا رفاق؟ مَن السيّد عفواً؟ عرّفونا...
- كارولين أختي، هذا إليان صديق الطفولة.
- أهلاً تشرفنا، إذن أنتَ إليان؟
- لي الشـرف آنسـتي. عائلـة كـاثرين هـي عـائلتي. يبـدو أنهـا قـد حكت لكم عنّي كثيراً.
لاحَظَـت كـارولين تـوتّر سـتيفن وهـو يرمـق إليـان بنظـرات غريبة،فابتسمت مُحاولةً إبعاد الأخير عنّا.

- هيا تعالوا لندخل، لقد بدأ العرض.
دخلنا وشاهدنا الفيلم، لكن الموقف الذي حصل أخافني. خشيتُ أن ستيفن قد فهمني بشكل خاطئ، فأنا لم أكنُّ لهما سوى مشاعر أخويّة.
في اليوم التالي، وعلى مائدة الافطار، كُنتُ مُتحمّسة جداً وأنا أتكلّم مع أبي عن إليان، ومغامراتنا معاً في الطفولة.
- أبي سوف أدعوهُ لمنزلنا على العشاء اليوم. لا بُدّ أن تتعرّف عليه... وهو متشوّق جداً لمقابلة أبي وأمي أخيراً.
كانا ينظران إلى بعض باستغراب.
أعتقد أنهما تساءلا مع نفسيهما "ماذا عن ستيفن؟"، حيث ظنّ الجميع إنني متعلّقةٌ به بصورة خاصة.
وسط الحديث رنّ هاتف كارولين (المتصل: ستيفن)، فاستأذنَت ونهضت للرد.
- ألو، مرحباً ستيفن. كيف حالك؟
- أريد أن نلتقي، لستُ على ما يُرام.
- حسناً، نلتقي في كافيه... بعد نصف ساعة.
- حسناً.
خَرَجت كارولين وقتها دون إخباري بالموضوع.
- ما بكَ ستيفن كلّمني. لمَ لا تنبس ببنتِ شفة؟
- لقد بدأتُ أتعلّق بكاثرين...
- هاهاها بدأتَ تتعلّق! أساساً أنا على علم بالأمر، ومَن لا يعلم فأنتَ مفضوحٌ يا صاح! تصرّفاتك وأسلوبكَ معها فضحا حبّك. أنتَ من اليوم الأول قد تعلّقتَ وانتهى أمرك.

- يــا ملعونــة، لم أكلّمــكِ كي تقلبــي الموضــوع للمُــزاح. أنــا فِعــلاً بدأتُ أشعر بالغيرة عليها.
- أجل، لاحظتُ ذلك. هل أخبرتَها بما تشعر؟
- لا ليسَ بَعد...
- ســتيف، كــاثرين ليســت كبــاقي النســاء. حالتهــا ووضــعها خــاص جداً.
- أعرف كُل شيء، لهذا أريدُ تعويضها...
- بـمَ تعوّضــها وهــي تَشــكُّ بوفــاة زوجهــا! ولــو كنــتُ في مكانهــا لشــككتُ أيضــاً أنــهُ لا يــزال حيّــاً. لقــد انفجــرت بــهِ الطــائرة، ولم توجد له جثة ولا قبر، وهــي فــوق ذلــك لا تتــذكّر شــيئاً عنــه! كيــف لامرأةٍ بتلك الظروف أن تُفَكّر بالحُب والارتباط بشخصٍ آخر؟!
- مــاذا ســيحدُث الآن؟ إلى مَتــى ســتبقى هكــذا؟ مــرَّ عامــان ولــيس لــهُ أثــر. كــارولين، أريــد ســؤالكِ... ألَــم تقُــل لــكِ شــيئاً عنــي؟ ألا تحبّني ولو نصف حبي لها؟!
-أنــتَ مجنــون... لمَ لَــم تُصــارحها حتــى الآن إن كُنــتَ مُصــرّاً عــلى حُبها هكذا؟
- لأنني أشعر أنهـا لا تعتـبرني أكـثر مـن صـديق، رغـم كـل تصـرفاتي الواضـحة... وأنــا ســأُجَنّ! لا تمــر عــليّ نصــف ســاعة دون التفكــير فيها... عندما أنظـر إليهـا أشـعر أننـي مخمـورٌ بهـا، ولا يمكننـي رفـع نظـري عنهـا... أتمنـى أن أقضــي حيـاتي معهـا، لكـنّ حماسـها لرؤيـة إليان ذاك يعادل أضعاف حماسها للحديث معي أصلاً...
- كـل هــذا وتقــول "بــدأتُ أتعلّــق" هاهاهــا... أنــتَ عاشــق يــا رجــل عن أي تَعلُّـق تتحـدّث! سـتيفن، أنـا أعرفـكَ جيـداً، أنـتَ شـابٌ رائـع

وقلّـة مـن النسـاء مَـن تقـاوم سـحرك. ممكـنٌ جـداً أن تُبادلَـك كاثرين الشعور، صارحها واستمع لردّها.

في نفـس الليلـة، كنـتُ في غُرفتـي عنـدما جـاءت أمـي وكـل مظـاهر الخوف والصدمة باديةٌ عليها:

- كاثرين! أعتقد أن والدكِ أصيبَ بجلطة!

كنـتُ أزيـل أقراطـي فـوقعنَ مـن يـدي، واعـترى أطـرافي شـللٌ مؤقت وأخذت ترتجف.

اتّصـلنا بالإسـعاف الفـوري وتـمّ نقلـه إلى المستشـفى بعـد دقـائق، حيـثُ أبلغَنـا الطبيـب بوجـوب إجـراء تـدخّل جراحـي عاجـل. بعـد سـاعات خـرجَ مـن صـالة العمليـات ليقـول بـأنّ حالـة أبي كانـت حَرِجـة، ومـن المحتمـل ألا ينجـو أو أن يتعـرّض لجلطـةٍ أخـرى، وذلـك بسـبب التـدخين وإهمالـه لصـحّته. تركَنـا بعـدها في خضمّ قلقٍ وتوترٍ وحُزن، نتناوب بجانب غُرفة العناية المُرّكزة.

مـرّت الأيـام، وأخرَجـوا أبي مـن غرفـة العنايـة الفائقـة إلى غُرفـة خاصة، وكان يستطيع التَكلّم معنا.

بـدأ يتماثـل للشـفاء، وطـول تلـك الفـترة كـان سـتيفن بجـانبي لحظـةً بلحظـة، ولم يفارقنـا يومـاً. كـان يعتنـي بـأبي وببيـتر كـما لـو كانا أباه وابنه، وساعدني كثيراً في إدارة الشـركات.

أتى الطبيـب في أحـد الأيـام وفحـص والـدي ليكتـب لـه تصـريح الخـروج، قـائلاً إنـهُ أصـبح بصـحةٍ جيّـدة ولم يعُـد يحتـاج لرعايـة المشـفى، قبـل أن يوصـينا بالاعتنـاء بـه وتجنّـب مضـايقته بـأيّ شـكل. لا يمكننـي وصـف مقـدار سـعادتي حينهـا،بعودة أبي للبيـت وإلينا من جديد.

(كاثرين / 2021م)

عـادَ كـل شيء إلى طبيعتـه، أبي في غرفتـه وأمـي تعتنـي بـه،كارولين خارجـة مـع أصـدقائها، وأنـا جالسـة عـلى الشُـرفة في غرفتي،أراقـب بيــتر وهــو يلعــب مــع ليونــا. رنّ الهــاتف، مكالمــة واردة مــن (ستيفن)...

- مرحباً كاثرين كيف حالكِ الآن؟
- أنـا الآن بأفضـلِ حـال. أبي تعـافى وعـاد إلينـا، مـاذا أريـد أكـثر مـن هذا...
- حسناً إذن ستأتين معي، لديّ مفاجأة.
- ما هي؟ وما المناسبة؟
- كيف ستكون مفاجأة إذا أخبرتكِ بها؟!
- حسناً...
- نهضـتُ لتغيـير ملابســي، ارتـديتُ فُسـتاناً أبـيض ذا زهـور حمـراء ناعمــة، وفوقــهُ معطفــي المخمــليّ الأحمــر. أخــبرتُ والــديَّ أننــي سـأغادر مـع سـتيف وأنّ بيـتر مـع ليونـا، فابتسـما ابتسـامةً عريضـة لم أعــرف ســببها. خرجــتُ بعــدها إلى ســتيفن حيــث انتظــرني في باحـة القصــر، ودخلـتُ سـيارته لأسـتقرّ عـلى المقعـد الجـانبي، بعـد أن فَـتَح لي البــاب بنفســه. أخــذني إلى مكــان جميــل جــداً، مطعـم صــغير ذو أجــواء وموســيقى باريســية ذكّرتنــي بطفــولتي. كنّــا نمشــي وسرح بالي قبل أن يسألني:
- ما رأيكِ في المكان؟
- إنهُ في منتهى الروعة! كيف وجدتَه؟

- من الطبيعي أن أسعى جاهداً لإيجاد ما تحبّين...
- جميلٌ جداً، ليتَ كلّ الأصدقاء مثلك...
فجأةً حَطّت يدُه على يدي بِرِفق، فتوتّرتُ بشدّة وسحبتُها. كانت أول مرة يلمس يدي فيها بتلك الطريقة.
وصلنا قرب إحدى طاولات المطعم الصغيرة، فسحبَني بلطف لأجلس وأنا مستغربة ممّا يفعله، إذ لم أتعوّد على الجُرأة منه. جلسَ قبالتي ومعالم الارتياح بادية عليه.
- كاثرين...
- نعم...
- أحم، ألَن تَطلُبي شيئاً؟
- بالطبع سأطلب، نادِ النادل...
جاء النادل وسجّلَ طلباتِنا وبعد مُغادرته كُنتُ غارقة في الأغنية التي بان صوتها في المكان.
- كاثرين، أنا...
- ماذا؟
- أنا، حياتي تَغيّرت بعد أن عرفتُكِ وكأنّ...
- .....
- وكأنّكِ الشمس التي أنارت عُتمة الحياة، وغزتها بالدفء بعد أن كانت مُظلمةً باردة.
- هاها من الرائع أن تُنير حياة شخصٍ ما رغم العُتمة التي بداخلك...
أمسك يدي ورفعها قليلاً من على الطاولة.
- أنا أحبُّكِ كاثرين...

حتـى جانبـكِ المظلـم أحبّـه. منـذ أن رأيتـكِ في الحفـل لأول مـرة صرتُ لا أرى غـيركِ. إننـي أحبّـكِ وأريـدكِ أن تكـوني لي لبقيّـة حياتنـا، أنـتِ وبيـتر، بـتُّ أشـعر بـأنكم عـائلتي، حتـى وإن اعتبرتِنـي صـديق العائلـة فأنـا لسـتُ مجـرّد صـديق. أريـدكِ أن تكـوني لي... أعدُكِ إنني سأكون أفضلَ أبٍ لبيتر...

شـعرتُ أننـي أختنـق. لقـد حصـلَ مـا كنـتُ أخشـاه، وتَعَلَّـقَ سـتيفن بي لدرجـة إنّـهُ يريـد أن يكـون شريـك حيـاتي، لكنّنـي لم أفكّر به عـلى ذلـك النحـو أبـداً. لم أرِد أن أتـزوج بعـد مـارك، كـل مـا أردتُه هو تـذَكُّر شـكله ومـا عِشـتُه معـه، فعقـلي وقلبـي كـأنّهما قـد توقّفـا عنـده! حتـى بعـد فقـداني لكـلّ ذكريـاتي عنـه، كـان هنالـكَ شيءٌ غريـب يمنـع مشـاعري مـن التحـرّك تجـاهَ أيّ رجـلٍ آخـر. لـن أبدأ حيـاةً جديـدة وأنـا لا أذكـر شـيئاً مـن المـاضي... مـاذا لـو عـادت لي جميـع الـذكريات لاحقـاً؟! لـن ينفعنـي النـدم حينَهـا. مـاذا لـو كـان هنـاكَ مـا تُخفيـه لينـدا عنّـي بشـأن مـارك؟ فأنـا لم أعـرف لـه حتى قبراً.

قالـت إنّـهُ مـات بانفجـار الطـائرة التـي سـافرَ بهـا إلى اليونـان، لكنّ جثّتـهُ مفقـودة. كـان بـداخلي بصيصُ أمـل في عودتـه يومـاً مـا! ألـفُ سـؤالٍ وعلامـة اسـتفهام خطـروا في عقـلي عنـدما بـاحَ سـتيفن لي بحبّه.

- ما بكِ كاثرين... أيُعقل أنكِ تفاجأتِ لهذه الدرجة؟

- بـل إنّنـي صُـدِمت! أنـا لم أفكـر بـكَ بهـذا الشـكل مُطلقـاً مـن قبـل... لقـد أسـأتَ فهمـي تمامـاً... أنـا آسـفة، لا أسـتطيع قبـول طلبك هذا، ولا يُمكننا حتى الاستمرار كأصدقاء بعد الآن...

نَهَضتُ من فوري وخَرجتُ مُسرِعة لأخذ سيارة أجرة، فلَحقَ بي قائلاً:

- هل أخطأتُ حين أحببتك؟ لِمَ تجيبينَ هكذا وكأنّني طلبتُ منكِ أمراً محرَّماً؟!

لم ألتفت له فقد كُنتُ أبحث عن تاكسي لأعود إلى القصر،إذ غلبني التوتّر ولم أعرف بماذا أجيبه.

فجأةً أمسكَني ستيفن من ذراعي وشدَّني نحوه، واضِعاً عينيه مباشرةً في عينيّ قائلاً بِحَزم:

- هكذا إذن؟! أنا لا أعني لكِ شيئاً، لدرجة إنكِ لا تريدين حتى الالتفات للتكلُّم معي؟! تمّعني بوجهي جيداً، فهذه آخر مرة سترَينَهُ بها!

- ما بكَ ستيفن أنتَ تؤلمني! هل جُننت كيف تعاملني بهذه الطريقة؟!

ظللتُ أحاول إفلات ذراعي من قبضته حتى تركني، لكنني شاهدتُ دموعاً محبوسة داخل عينيه، كانت تلمع وهي على وشك السقوط. "هل من المعقول إنهُ تعلَّقَ بي إلى تلك الدرجة؟! " ابتعدتُ عنه وأوقفتُ سيارة أجرة لأركبَ فيها،لكنني حقاً شَعَرتُ بالذنب عندما رأيت دموعهُ على طرف عينيه أمامي، بالرغم من محاولته للتماسك. تحرّكَت السيارة مبتعدةً عنهُ، وكان لا يزال واقفاً مكانَهُ ناظراً باتجاهي، حتى غابَ عن مجالَ رؤيتي، لأعتدل بجلستي وأنظر للأمام. "يا إلهي ماذا فعلتُ؟!" كل ما احتجتُه هو العودة للقصر لأعانق بيتر،وأشمّ عطره وأقبّلهُ بحرارة. كلّما اظلمّت الدُنيا في وجهي

كنتُ ألتجأ لطفلي، أحتضنُه وأقبّلُه، وأقضي الليل معه في فراشه، وكأنّ حاجتي له أكثر من حاجته لي.

مرَّ أسبوع بعد ذلك اليوم، لم يزُرنا ستيفن فيه ولم يتصل، ولم يرَهُ أحدٌ منّا. كان أمراً غريباً بالنسبة للعائلة كلّها، وبالأخص بيتر، الذي انتظرهُ كلّ يوم بلا جدوى، ثم حاول الاتصال به لكنّ هاتفهُ كان مغلقاً، فكان يسألني بحزن:

- ماما أين ذهبَ ستيف؟ لمَ لا يأتي ولا يجيب على اتصالاتي؟

لم أعرف بمَ أجيبُه، لأنني لم أعلم هل ما فعَلتُه كان صواباً أم لا،لكنّه كان ما أملاه عليَّ قلبي. في أحد الأيام اتصل السيد ألكسندر بأبي، فأتى ليسألني عنه.

- كاثرين أين ستيف؟! والده يتصل به وهو لا يُجيب، ولم يرَه أحد! ما الذي حصل؟ أعرف أن هنالك شيء وأنتِ تخفينه عني...

- أبي لا أعرف مكانه... أنا أيضاً قلقة بشأنه مثلكم تماماً، ما في الأمر أن ستيفن صدمني... صارحني بأنّهُ يحبّني ويريد الزواج مني، لكنني لا أريدُ أن أرتبط! ما أدراني إنَّ مارك ميّتٌ فعلاً؟! لا يوجد ما يُثبت ذلك غير كلام ليندا، وربما تكون مُخطئة! أبي... إنّ فترةً مهمّةً من حياتي قَد اختفت بالكامل من ذاكرتي، ولم يبقَ ما يدلّ على وجودها سوى بيتر. كم عانيتُ وأنا أجاهد لتذكّر شكل مارك، وكم سألتُ عنه ولم أجد جواباً! بدون حلّ لغز مارك لن أستطيع التفكير بحياتي، ولا بنفسي...

- ولكن يا ابنتي أنتِ هكذا ستدمّرين نفسكِ وتفنينَ شبابكِ دون أن تشعري. مارك مفقود منذ عامين، ولا أثر له، فهو بمقام

الميـت! وبيـتر مُتعلّـق جـداً بسـتيفن، كـما إنـهُ لا يتـذكر شـيئاً عـن أبيــه هــو الآخــر. لــذا أرجــوكِ أعِيــدي التفكــير بهــذا الشــأن... وسنبحث عن ستيفن بكل مكان. أين يمكن أن يكون برأيكِ؟

- لا فكـرة لـديَّ يـا أبي، وأتمنــى أن نجـدهُ بـأقرب وقـت، فتأنيـب الضمير يكاد يقتلني!

(ستيفن / لندن / 2021م)

يـا لي مـن أحمـق! مـاذا دهـاني لأصـارحها بِحُبـي؟ هـذهِ أول مـرة يحـدُث معـي هكـذا، كُـنَّ الفتيـات هـنَّ مـن يُبـدينَ إعجـابهنّ بي وأنا لا آبه. إنها فعـلاً مُختلفـة عـن كُل النسـاء، كـما قالـت كـارولين. أنـا الابـن الوحيـد للمليـاردير ألكسـندر ديـون، وهـو يعتمـد عـليّ دائمـاً في أغلـب أعمالـه. أبي اختـارَ أَن أكـونَ يـدهُ اليُمنـى، لـذلك ربّـاني عـلى الصـرامة والنظـام. عشـتُ حيـاتي بكـلّ جديـة، ولم أعـطِ اهتمامـاً لمشـاعري في يـوم مـن الأيـام، حتـى تعـرَّضَ والـدي للخيانـة مـن أحـد رؤسـاء فروعنـا في لنـدن. تـمّ إبلاغُنـا سرّاً بحـدوث سرقـاتٍ وتزويـر هنـاك، فطلـبَ منـي أبي الـذهاب وتـولّي إدارة فـرع لنـدن،وأن أتفـادى الخسـائر التـي حـدثت بالـدخول في شراكـة مـع صـديقه السـيد سـميث. الأخـير هـو صـديق عمـره، وقـد كـبرتُ أنـا وابنتـهُ كـارولين سـويةً، وهـي فتـاةٌ مرحـةٌ شـقيّة واعتبرُهـا أختـي الصـغيرة. هكـذا سـافرتُ واتخـذتُ جميـع التـدابير اللازمـة، ثـم توجهـتُ إلى السـيد سـميث، ولحسـن حظّـي صـادفَ ذلـك وقـت إقامتـه حفـلاً عـلى شرف رئـيس مجلـس الإدارة الجديـد. في ذلـك اليـوم قابلـتُ أجمـل امـرأةٍ رأيتُهـا في حيـاتي. ربمـا هـي ليسـت حقـاً الأجمـل في العـالم، لكـن بالنسـبة لي فقـد كانـت أجمـل شيء رأتـهُ عيناي.

إنهـا كـاثرين إبنـة السـيد سـميث، المفقـودة منـذ عـام 1990. لقـد سـحَرَتني بشـكلٍ عجيـب، ومنـذُ ذلـك الحـين بـتُّ أراهـا حتـى عنـد نومي،وكـأنّني أصـبحتُ مريضـاً بهـا! وقـعَ تفكـيري بالكامـل تحـت

سيطرتِها، وصرتُ لا شعورياً أندفع للاتصال بها أو لزيارة قصر أبيها. كان لديها طفلٌ جميل كالملاك اسمهُ بيتر، وعرفتُ لاحقاً أن زوجها مات بانفجار طائرة، لكنّها مرّت بصدمة جعلتها تنسى كلّ ما حدث لها، منذ وصولها إلى لندن في 2010. عشقتُها بشدّة، وأردتُ تعويضها عن كلّ ما مَرَّت به من معاناة. مع كلّ يوم يمضي كنتُ أزدادُ تعلّقاً بها وببيتر الصغير، الذي صار صديقي. لم تحتَج لشيء إلا ووفّرتُهُ لها،وشعرتُ دوماً أنني مسؤولٌ عن سعادتها وحمايتها، هي وبيتر. لكنّها صدمتني صدمة العمر عندما عاملَتني بطريقةٍ بشعة فورَ بوحي لها بمشاعري. لقد عاملتني وكأنّني لا شيء، ولا أمثّل لها شيئاً بحياتها. كم كنتُ أحمقاً! لم أمنح قلبي ومشاعري من قبل لأي شخص، والمرأة الوحيدة التي امتلكت قلبي أهانَتني بتلك الفظاعة!

رغمَ ابتعادي عن الجميع لأنساها، لكنني وجدتُها أكثر الغائبين حضوراً. أسمعُ صوتَها حولي، أراها أمامي في كل مكان،بابتسامتها المشوبة بالحُزن وعينيها الجميلتَين وشعرها النُحاسي اللامع. لا أعتقد انني سأتمكّن من العيش بدونها. أكره تمسّكي بها، رغم أنها لا تريدُني، لكن هذا الأمر ليسَ بيدي، ولم يكن بيدي إطلاقاً.

مرَّ شهرٌ على محاولاتي لنسيان كاثرين، والتي باءت جميعُها بالفشل. راسلتُ أمّي عدّةَ مراتٍ خلالها لطمأنتها عن حالي،كنتُ أخبرُها بأنني بخير واحتجتُ فقط لعزلةٍ مؤقتة. قرّرتُ بعدها أن أستسلم وأعود لحياتي الطبيعية، لكنني لن

ألتقي بكاثرين مُجدّداً، وسأحاول إكمال حياتي بدونها، مُتَجنِّباً إياها في كل شيء. فتحتُ هاتفي المُغلق، فوجدتُ عشرات المكالمات الفائتة من أهلي وكارولين وعمي سميث، وحتى ماكس، فضلاً عن عدّة رسائلٍ منهم.

"أين أنتَ يا بنيّ؟!

كفاكَ انعزالاً وعُد إلينا".

"لِمَ لا تُجيب على الهاتف؟ أبوك على وشك المرض بسببك... أرجوكَ أجب".

"هل كاثرين معك؟ أنتما الأثنان مختفيان، هل سافرَت معك؟ لم تترك خبراً عنها".

ما إن قرأتُ الرسالة الأخيرة حتى أُصِبتُ بالجنون: أين ذهبَت؟ هل أنَّبَها ضميرُها بسبب اختفائي وفعلَت بنفسها شيء؟! أم أنّ مكروهاً قد أصابَها؟ قطعتُ تذكرة وعدتُ في اليوم التالي. بحثتُ عنها في كلّ مكان بلا نتيجة، قبل أن أتذكّر أنها قد تكون في منزلها القديم، الذي سكَنَتهُ قبل أن تأتي إلى القصر. كارولين أخبرتني إنهُ قد احترق بعد وفاة زوجها بأيام، ولم يعُد صالحاً للسكن، لكن جرى ترميمُه فيما بعد. خرجتُ يومها من القصر بعد أن طمأنتُ عمي ألبرت وزوجتهُ بأننا حتماً سنجدها هُناك، لكنّني ما إن خرجت حتى رأيتُ كاثرين قادمة من بعيد، دَخَلَت عبر بوابة القصر الكبيرة لأهرول نحوها وأعانقها لا إرادياً وأنا أتنفّس عطرَ شعرها، امتلأت عيناها الخضراوان فرحاً لرؤيتي.

- ستيفن متى عُدت؟! أينَ كُنت؟

- لماذا فعلتِ هذا كاثرين؟! كِدنا نَجِن قلقاً عليكِ.

- لا تقلــق أنــا بخــير. أردتُ فقــط البقــاء لوحــدي بضــعة أيام،وبالنسبة لذلك الموضوع، فأنا سأجيبُكَ عنه عمّا قريب.

7

الزفاف الدامي

(كاثرين / لندن / 2021م)

أحسَستُ بتأنيب الضمير بعدَما حَدَث من اختفاء ستيفن. كنتُ أشعر بحاجة للبقاء وحدي لبعض الوقت، فذهبتُ لبيتر قبّلتهُ وعانقتُه، وأوصيتُ ليونا وأمي بشأنه دون إخبارهم بغيابي لبضعة أيام، لكي لا يقطع أحد خلوَتي. ذهبتُ إلى منزلي الذي كنتُ أسكنُ فيه مع مارك.

كان أثاثُه جديداً بعد إصلاحاتي والترميم، إذ تحوّل القديم إلى رماد بفعل الحريق.

مكثتُ فيه لأيام، وكانت كارولين فقط تعلم بمكاني. عندما عدتُ وجدتُ ستيفن في القصر، نتيجةَ علمه بأمر اختفائي. استنتجتُ أن كارولين قد استخدمت غيابي كطُعم لإعادة ستيفن إلينا، لكنّني لم أعاتبها، بل حمدتُ الربّ على سلامته. كنتُ سعيدة لعودته بخير، وقررتُ اختيار كل كلمة سأقولُها له بعناية.

في مساء يوم عودتي، كنتُ جالسة في شرفة غرفتي أرتشف مشروبي المفضل، وهو الحليب الساخن،بعد انتهائي من حكاية ما قبل النوم لبيتر.

كنتُ أتأمل النجوم في السماء، و افكر في سنواتي الضائعة من عقلي، طرقَت كارولين الباب:

- تفضّلي.

- ألا زلتِ تحبّين مشروب الأطفال هذا؟ لقد كبرتِ يا فتاة،انضجي قليلاً...

- نعم مشروب أطفال لكنني أعشقه، ما فِهمكِ أنتِ بذوقي الرفيع؟
- أنتِ محقّة جداً كاثرين، فالعشق لا يمكن فهمُه أبداً. ربّما تجدينَ امرأةً قوية وناجحة في كل شيء، لكنها في العشق طفلةٌ غبيّة... مثلكِ مثلاً...
- ماذا تقصدين لم أفهم!!
- بل فهمتِ! أنتِ لا تستطيعينَ فتح قلبِكِ لستيفن، مهما عظُمَ حبّهُ لكِ ومهما فعل لأجلكِ، لأنك لا زلتِ تحبّين سايمون.
لا أعرف ما أصابني عندما سمعتُ بالاسم لأول مرة، كأنّني على معرفةٍ وثيقةٍ به. تسارعَت صورٌ غريبة كَلَمح البَصر أمامي،واختفت تتابُعاً حتى لم يبقَ منها شيء في عقلي. شعرتُ بغضبٍ شديد بينما ازدادت ضربات قلبي قوّةً وسرعة.
- ما هذهِ الحماقة التي تتفوّهين بها؟! إياكِ نطق هذا الاسم أمامي مجدّداً...
- دقيقة أنا لم أقصد... مَن سايمون أصلاً لقد قصدتُ مارك، لكن لمَ هذا الغضب هل تعرفين أحداً اسمه سايمون؟!
نهضتُ بتوتّر بالغ لدرجة أن كوب الحليب سقط على الطاولة وبدأ يسيل على الأرض.
- كاثرين ما بكِ جننتِ فور سماع هذا الاسم... مَن هذا الشخص؟
لا ألومها على استغرابها وصدمتها من ردّة فعلي، فأنا نفسي صُدِمت، لأنني لا أتذكر شخصاً في حياتي بهذا الاسم، فجأة وجدتُ نفسي في قمة الغضب والتأثّر بمجرّد سماعه بالخطأ.

خرجت كارولين من الغرفة بعد أن طردتُها، عقفتُ جسدي داخل السرير ورحتُ أبكي وجسدي يهتزّ، وأنا أنظر إلى فوق وعيناي تنهمر بالدموع. لم أفهم ما الذي جرى لي، قلبي يخفق بشدّة وأطرافي ترتجف.

"اللعنة ما الذي يحصل معي..."

لم يكُن في عقلي أي سَبَب لِما كنتُ فيه، وكأنَّ جزءاً مني يذكُر شيئاً قد غابَ عن الجزء الآخر.

لقد مررتُ بحالةٍ،وتصرّفتُ بطريقةٍ لم أملك تفسيراً عقلانياً لها. طرقت والدتي باب غُرفتي.

- عزيزتي كاثرين هل هناك خطبٌ ما؟! سمعتُ صراخكما أنتِ وكارولين...

تمالكتُ نفسي فوراً وأجبتُها:

- لا أمي ليس هنالك شيء، كنّا نمزح مع بعضنا.

- حسناً عزيزتي اذهبي إلى غرفة والدك إنهُ يُريدكِ.

مسحتُ دموعي ووضعتُ بعض الماكياج لإخفاء آثار البكاء، ثم ذهبتُ لغرفة والدي. كان مستلقياً على السرير , رحّبَ بي حالَ دخولي.

- أهلاً بكِ يا جميلتي الغالية. تعالَي واجلسي بجانبي.

- عزيزي وبطلي ,كيف حالك؟

- أيتها المحتالة، لو كان يهمّكِ حالي لما اختفيتِ هكذا وكدتُ أموت قلقاً عليكِ.

- سامحني أبي أنا حقاً آسفة. لقد كان تصرفاً طفولياً وطائشاً.

- ولِمَ فعلتِ ذلك؟ هل لأن ستيفن صارحكِ بحبِّه وطلبَ يدكِ؟! لا بدّ لكِ من شريك حياة لتكملي حياتكِ معه، فالحياة مستمرّة ولن تتوقف على أحد يا ابنتي. أنا في الواقع لا يمكنني الوثوق بشخص لائتمانه على جوهرة غالية، مثلكِ أنتِ وبيتر، غير ستيفن. إنه ولدي الذي لم أنجبه، كما إنهُ يحبُّكِ جداً. هل في قلبكِ شخصٌ آخر؟ صارحيني.

- لا يا أبي ليس هناك أحدٌ آخر.

- إليان صديق طفولتكِ، هل هو مجرّد صديق؟

- بالطبع. إنه كأخي، وحماسي بشأنه كان لأنني لم أقابله منذ زمن طويل.

- إذن يا ابنتي أرجوكِ...

دعيني أطمئن عليكِ قبل أن أودّعكم،فصحّتي لم تعُد تتحمّل المزيد من الأعباء...

وضعت رأسي على كتف أبي.

- بابا لا تقول هذا أرجوك! ستعيش عمراً طويلاً.

- أتمنى ذلك حبيبتي، فأنا لم أكتفِ منكِ بَعد. لقد قضيتُ عمراً وأنا أبحث عنكِ، وعندما أجدكِ تكون صحّتي قد استُهلِكت.

- لم تُستهلك على العكس، ما زِلتَ شاباً. لكن عليكَ ترك التدخين وسأراقبكَ بنفسي.

- هاهاهاها... كما تأمرين غاليتي.

ضممتهُ وتبادلنا أطراف الحديث حول بيتر وكارولين وأشياء مُختلفة، ثم عدتُ إلى غُرفتي لأقضي معظم تلك الليلة بالتفكير فيما قالهُ.

في الصباح جاء ستيفن على الفطور ومعه أوراق يلزمها إمضاء أبي، ليجدنا جالسَين على طاولة الطعام في الحديقة.

- صباح الخير عمّي، كيف حالك اليوم؟

- بأحسن حال، لا أعرف كيف أشكرك يا عزيزي على تعِبكَ معنا في تلك الفترة.

- ما الذي تقوله عمي، إنه واجبي...

كان يتحدث وعيناه لا تنزلان من عليَّ, بينما احاول اشاحة نظري عنه عمداً علَّهُ يتوقف عن النَظَر الي, بينما يقلب الاوراق لأبي كي يوقعها , والتي ما ان انتهى منها قال مازحاً

- حسناً، الآن لقد وقَّعتُ أوراقي، وبقي توقيع رئيس مجلس الإدارة. خُذا الأوراق من طاولة الافطار لمكان آخر، أيلاحقني العمل حتّى في إفطاري؟! هيّا انهضا ماذا تنتظران؟

- حسناً أبي كما تشاء.

نهضنا من الطاولة مُتجهين إلى شرفة غرفة الجلوس، بينما سمعتُ أمي وهي تهمس لأبي:

- آه عزيزي، إنهما رائعان مع بعضهما. أتمنى لو إن كاثرين توافق...

- ستوافق يا جاكلين لا تقلقي. إنها ابنتي وأعرفها جيداً.

سَبَقني ستيفن للشُرفة، ثم لحقتُه لأجدهُ يُرتّب أوراق الملف. قام من مكانه فورَ رؤيتي.

- لماذا نهضت؟ ابقَ مكانك.

أحدّق في الحديقة واستنشق رائحة زهور الياسمين المزروعة في الشرفة. صرتُ أخجل من النظر في وجهه بعد الذي بَدَرَ مِنّي، حتى كَسرَ هو الصمت الذي ساد بيننا:

- لقـد اشـتقتُ لـكِ حقـاً. لا تفعـلي هـذا مجـدداً. أقسـمُ إنـنـي لـن أفـتح موضـوع الـزواج أو الحُـبّ مجـدّداً، لكـن أرجـوكِ لا تبتعـدي مرةً أخرى.

- هنالـكَ تسـاؤل يـدور في خُلـدي، الآن، وأنـتَ تعـرف إنّنـي لا أريـدكَ كحبيـب، هـل لا زلـتَ مسـتعداً للبقـاء في حيـاتي كمجـرّد صديق؟

- نعم.

- لماذا؟

- السـعادة التـي أحظـى بهـا وأنـا بجانبـكِ تغنينـي عـن الكثـير مـن الأشـياء، وتُـذهِب بـأحزاني وقلقـي وبكـلّ شيء بعيـداً. حتـى إن تزوّجـتُ بغـيركِ لتكـوين عائلـة، فسـوف أخبرُهـا منـذ البدايـة بأنـكِ أساسية في حياتي ولن أتخلى عن صداقتكِ.

- وإن أخبرتُك أنني موافقة؟

- على ماذا؟ أن نكون أصدقاء؟

- لا... أن نتـزوج. لكـن حتـى أسـتعيدَ ذاكـرتي سـنكون زوجَـين حـبراً على ورق فقط.

- هل تمزحين؟! هل ما تقولينه صحيح؟!

- أنـا لا أمـزح وأتكلَّـم بجديـة. إن كُنـتَ رافضـاً للفكـرة فـلا بأس،اعتبرني لم أقُلها.

استـدرتُ لأبتعـد فشـدّني مـن ذراعـي إليـه حتـى صرنـا متقـاربَين جداً.

- الغبـي فقـط هـو مَـن يـرفض عـرض دخـول الجنـة. وجـودكِ في حياتي جنّةٌ بحدّ ذاته.

بالإضافة إلى كونكِ على حق، لن تستقري نفسياً ما لم تعود لكِ ذاكرتكِ، وسأساعدكِ في استعادتِها. أعدُكِ أنني سأجعلكِ أسعد إنسانة في العالم.

عانقني بشدّة.

- ستكسر أضلاعي ستيفن هاهاها.

مرَّت الأيام... بالتأكيد لا داعي لأخباركِ بحجم فرحة أمي وأبي وكارولين حينَ علموا بقبولي الزواج من ستيفن. بدأت تجهيزات الزفاف، وكان الجميع في قمّة الحماس لليوم المنتظر، إلا إنني كنتُ دائماً أحدّثُ نفسي:

"لا أعرف ما الذي أفعلُه! هل هو صحيح أم خاطئ؟ ما أعرفه هو أن سعادتي الآن ظاهرية وليست حقيقية،فهناك شيء غريب في داخلي يجعلني غير مُرتاحة أبداً، كأنّني أقحمتُ نفسي في طريقٍ لا عودةَ منه،واستمرّيتُ بالمضيِّ قدُماً". حتى جاء يوم الزفاف، الذي بدا فيه كلّ شيء رائعاً.

بدا ستيفن يومها غارقاً في الفرح، حتى إنني سمعتُ ضحكاته ومزاحه مع المدعوّين من شرفتي.

لقد أقمنا حفل الزفاف في قصرٍ كبير كانت تُقام فيه حفلات الملوك والنبلاء قديماً، فيه حديقةٌ واسعة جرى تزيينُها بالكامل.

كان الضيوف في توافدٍ مستمر، بينما كنتُ في غرفتي أتجَهَّز بمساعدة كارولين.

خرجت أختي لأنّ أبي ناداها، لتصطدم بستيفن عند باب الغرفة.

- ستيف! ما الذي تفعلُه هنا؟!

قالتهـــا وهـــي ترفـــع أحـــد حاجبيهـــا وتضـــع يـــديها عـــلى خصـرها،ليُجيبها بتَهكُّم:
- مـا هـذا يـا فتـاة؟ أنـتِ اليـوم رائعـة الجـمال. يجـب أن أجـد لـكِ عريساً من المدعوّين لأتخلص منكِ.
- لا تحـــاول أن تتحـــاذق فالـــدخول ممنـــوع! أولاً هـــي لم تُكمـــل بعـد، ثانيـاً رؤيـة العـروس بفسـتانها في غـير مكـان الزفـاف هـو نَحس.
- حقـاً؟! أنظـري، لا تفهمينـي خطـأ لكـنّ عمـي ألـبرت قلـبَ الـدنيا عليكِ في الخارج...
- حقاً؟ حسناً سأذهب، ولكن تذكّر، ممنوع الدخول.
فـور ذهـاب كـارولين دخـل سـتيفن، وكنـتُ قـد ارتـديتُ الفسـتان الأبـيض وأقـف أمـامَ المـرآة مُتمعِّنـةً بتفاصـيله، فـتكلّم ليُفـاجئني بوجوده داخل الغرفة.
- يا إلهي! أميرتي... هل تنوينَ قتل كلّ مَن بالحفل وأوّلُهم أنا...
التفتُّ نحوه هاتفةً:
- سـتيفن! مَـن أدخلَـكَ إلى هنـا، هـل جننـت؟! لـديَّ إحسـاس بأنّـكَ بدأتَ بنسيان الاتفاق من الآن...
- لم أنـسَ الاتفـاق، لكنّـكِ تعـرفين كـم أحبُّـكِ، ولا أريـدكِ أن تنسـي هذا أبداً، وسأكون معكِ دائماً حتى موتي.
- هل من المنطقي أن تتحدّث عن الموت في يوم كهذا؟!
- أنا معـكِ لم ولـن أكـون منطقيـاً... معـكِ فقـط أمـارس كـلَّ طقـوس الجنون...
- حسناً، اذهب من هنا الآن... وإلا غيّرتُ رأيي.

قلتُ ذلك وأنا في طريقي لإحضار التاج من الغرفة المجاورة.
- كلا كلا سأذهب.
كـلّ شيء يمكننـي تحمّلـه إلا ان تُغـيري رأيـكِ.... حبيبتـي مـن أينَ لـكِ هـذا؟ إنـه في غايـة الجـمال. سآخذهُ لـديَّ كرهينـة حتـى لا تغيِّري رأيكِ هاهاها.
لم أسمع جيداً ما قالهُ، وعندما عدتُ كان قد خرج.
- ماذا قُلت؟ ستيفن؟
"هه الأخرق سيجلب لنا النحس بسبب جنونه".
صـفّفتُ شـعري ووضـعتُ التـاج، ثـم أكملـتُ لمسـات الماكيـاج وارتديتُ حذائي، وبذلك أتممتُ الاستعداد بمُفردي.
تسـاءلتُ عـن مكـان أمـي وكـارولين, لمـاذا لم يعـودا الى غُرفتي،أخـذتُ أتطلَّـع مـن النافـذة، التـي كانـت مُطِلّـة عـلى الحديقة الأمامية للقصر، مقابلَ بوّابة قاعة الحفل.
"ما هذا؟ لماذا لا يوجد أحد في الحديقة؟!"
كـان اتفاقُنـا أن لا أدخـل إلى القاعـة إلا برفقـة أبي، وهـو إشـبيني الـذي سيُسـلّمني إلى سـتيفن. اتّصـلتُ بكـارولين فلـم تـردّ، لـذا بقيتُ أنتظر،وأنا أراقب الساعة تارةً، والنافذة تارةً أخرى.
"لا... هـذا غـير منطقـي إطلاقـاً. يجـب عـليَّ النـزول لمعرفـة مـا يجري تحت... لقد مرَّت نصف ساعة على الموعد!"
خرجـتُ مـن غرفتـي ونزلـتُ بـبطء، لأجـد هـدوءاً عجيبـاً يعـمُّ المكـان. لم يوجـد أحـد في ممـرّات القصـر. ألقيـتُ نظـرةً عـلى المطبخ وعـلى البهو،كانـا فـارغَين مـن البشـر، لا أحـد مـن المـدعوّين أو الخـدَم، وكـذلكَ كانـت الحديقـة. خرجـتُ إلى الشـُرفة، كانـت

الأجـواء هادئـة لدرجـة أن وَقْـع كعـب حـذائي صـار يـتردَّدَ في أرجـاء القصر.

"هل يُعقَل إنهم دخلوا جميعاً إلى داخل القاعة؟!"

عـبرتُ الحديقـة، ماشـيةً بـين الطـاولات المُزيّنـة بزهـور الاقحـوان والمِخمَـل الزهـري والخاليـة مـن النـاس، بيـنما هَبَـت ريـاح خفيفـة جَعَلـت بِـدني يقشـعر وانـا ارفـع اطـراف فُسـتاني الابـيض عـن الارض،لأصـل إلى قاعـة الزفـاف التـي واجَهَـت بوّابتهـا حديقـة القصـر. دفعـتُ تِلـك البوابـة الخشـبية العاليـة لأجـدها مُغلقة،استغربتُ جداً.

"لماذا هي مُغلقة؟ أين ذهب الجميع؟"

تلَفَتُّ أتفحص ما حولي، كان السكون مرعباً بِحَق.

"حسناً سأحاول فتح الباب..."

تضـاعفَ خـوفي لصـمود البـاب أمـام محـاولاتي الكثـيرة لفتحه،فبدأتُ أنادي على أهلي بأعلى صوتي.

- أبي! أمي! كارولين! ستيف! هل أنتم في الداخل؟

لم يسـتجِب أحـد، واسـتمرّ الهـدوء، كـأنَّ القاعـة كانـت فارغـة. أصـبحتُ في مـأزق كبـير وأنـا لا أسـتوعب مـا يجـري. عَـلا صراخـي وازدادَ ضربي عـلى البـاب بكـل قـوتي وبكلتـا يـديّ، حتـى احمرّتا،دون جدوى. بدا أنني كنتُ وحيدةً هناك.

- هل يسمعني أحد، أجِبوني أرجوكم.

عدتُ ركضاً وانـا اتفحـص القَصـِر بِدقـة وانـادي عـلى الجميـع , لا يوجـد أي احـد القصـِر كـان خـالي تماماً مـن أي شَـخص عـداي خلعـتُ حـذائي لأرميـه ارضـاً واصـعد السُـلَّم مُسـرعة إلى

غرفتـي,وانـا الهـث بِتـوتُر وقَلـق أخـذت الهـاتف مـن عـلى طاولـة التسريحة لأتصل بأبي:
"رقم الهاتف المطلوب مغلق أو خارج نطاق التغطية..."
تكـــرّرت نفـــس الجملـــة تلـــك عنـــد اتصـــالي بوالـــدتي وبستيفن،ولعدّة مرات.
"لا يا إلهي... سأجنّ".
اتصـلتُ بشـــرطة النجـدة، وأبلغـتُهم أنّ كارثـةً قـد وقعـت في قاعـة القصـر التـاريخي، قبـل أن أنـزل صـارخةً عـلى حـراس البوابـة الخارجية،ليهرعوا مُسرِعين إليَّ. هتفتُ لاهثةً:
- أيها الحَرَس... حمداً لله إنكم هنا...
- ماذا هناكَ سيّدتي؟ ماذا حصل؟
- الجميـع عـالقون داخـل القاعـة، أخرجـوهم أرجـوكم... اكســروا الباب...
" لـيسَ مِـن المنطقـي ان يكـون جمـيعهم قـد دخلـوا القاعـة " كُنـتُ افكـر بـذلك فيـزداد رُعبـي وخـوفي , ولكننـي احـاول اقنـاع نفسي بالعكّس.
لكـنّ بوابـة القاعـة امتنعـت عـن التزحـزح تحـت وطـأة أجسـاد الحرس القوية، كأنها كانت من الكونكريت.
- لحظة، توقّفوا...
لنـذهب مـن الجهـة الأخـرى ونحـاول كســر النوافـذ. إنهـا أسـهل طريقة للدخول. لِمَ لم أفكّر بذلك من قبل!
وصـلنا إلى النوافـذ، التـي كانـت معتمـة بسـبب السـتائر المُسـدلَة مـن الـداخل، فرفـعَ الحـارس أحـد الكـراسي وضرب بـه إحـداها.

فجأةً ارتدّ الكرسي بوجه الحارس بينما لم يُصَب الزجاج حتى بخدش!

- ما هذا بحق السماء؟ ما الذي يحدث هنا؟

في تلك اللحظة جاء ماكس مع الشيف، حاملينَ كعكة الزفاف لإدخالها إلى القاعة، ليتفاجأ برؤيتي جاثيةً على ركبتيّ بفستان الزفاف مُنهارة قرب مدخل القاعة. وصلت الشرطة , حاولوا فتح البوابة بشتى الطُرق.

سأل ماكس:

- سيدتي ماذا حدث؟ سيّدي الضابط ما الأمر؟

ردَّ الضابط:

- حقيقةً، الأمر في غاية الغرابة. لا نعرف ما الذي يجري هنا. جاءت العروس فوجدت القاعة مُقفلة، وهي لا تُفتح بأيّة وسيلة، ولا أحد يسمعنا أو يجيب نداءاتنا. منذ نصف ساعة ونحن على هذا الحال.

كنتُ مُنهارةً و يداي تؤلمانني في إثر ضربي العنيف للباب. عانقني ماكس ليخفّف من روعي.

- أين كنتَ يا ماكس؟ لماذا تركتَهم؟ أخبرني...

- أرجوكِ لا تتشاءَمي سيدتي. لا بُدّ إنهم بخير. ماذا يمكن أن يحدث لهم أصلاً! رجال الأمن سيكسرون الباب بعد قليل وسيخرج الجميع...

- ماكس، لقد اتصلتُ بهم وكلّ هواتفهم خارج نطاق التغطية!

استسلم الباب المنيع أخيراً لرجال الأمن وانكسر، فانبثقت سُحُب الدّخان الكثيفة خارجةً منه لتعمّ الأجواء، حتى لم يَعُد

بإمكاننـا رؤيـة أيـدينا وهـي أمـام أعيننـا. تـلاشى الـدخان شـيئاً فشيئاً، بينما كنتُ أصيح كالمجنونة:

"ما الذي حَدَثَ بِحَق الرب؟ حريق؟ لكن كيف؟"

انقشـع الـدُخّان أخـيراً لنجـد إن كـلّ مـا بالقاعـة قـد أضـحى رمـاداً... كـلّ شيء... وكأنّهـا إبـادةٌ جماعيّـة. مـا إن رأيـتُ منظـر القاعة حتى فقدتُ الوعي...

Mary

قَبل ساعة....

في يوم الزفاف، كان الكلّ سُعداء جداً، عدا كاثرين، التي كانت في حيرةٍ من أمرها حول القرار الذي اتخذتهُ. قطعَ ستيفن سلسلة أفكارها وهي تنظر إلى نفسها في المرآة، وهي بفُستان الزفاف. تبادَلا حديثاً لطيفاً، لتذهب بعدها كاثرين للغرفة المجاورة لإحضار تاجها. عند خروجها لمحَ ستيفن في غرفتها حجراً شبيهاً بالياقوت، بداخله شيء بدا كجُرمٍ سماوي ذهبي اللون يسحرُ الناظر، كان معلَّقاً في ميدالية ذهبية.

- من أينَ لكِ هذه حبيبتي؟ إنها في غاية الجمال! سآخذها كَرهن حتى لا تُغيّري رأيكِ هاهاها...

علَّقَها ستيفن في بدلته ونزل للحفل لاستقبال المدعوّين ووقف بالقرب من السيد سميث، لتنضمّ إليهما كارولين بعد دقائق.

- أيها الكاذب، زوج أختي الكاذب الشقي، أبي لم يكن يناديني! أنظر أبي لقد كذب عليَّ ليشاهد كاثرين قبل بدء الزفاف،سيجلب صهركَ الشؤم لنا في هذا اليوم.

- ربما اشتاقَ لها، فتحضيراتَكُنّ تدوم لساعات، بينما نحن نحلِق ذقوننا ونرتدي البدلة ونخرج مباشرةً هاهاها...

لَمَحَ سميث القلادة على بدلة ستيفن فجأةً، فتغيّرت ملامحهُ وظهرَ عليه قلقٌ واضح.

- ستيفن عزيزي، تعال أريدكَ في كلمة على انفراد.

- حاضر عمي.

- من أين جئتَ بهذه القلادة بنيّ؟

- أخـذتُها مـن غرفـة كـاثرين رهينـةً، حتـى لا تغـيّر رأيهـا بشـأني هاها...
- أعطِني إياها فوراً! اخلعها واعطِني إياها...
- ما بِكَ عمّي؟ لم أفهم!
- آه كاثرين آه... لِمَ أخفيتِها عني!
- عمّي ماذا هناك؟ ماذا أخفت عنكَ كاثرين؟
فقدَ السيد سميث أعصابه لينفجر بالصراخ:
- صَه! أنتَ لا تفهم شيئاً... هاتَها بسرعة واصمت!
في تلـك الأثنـاء لاحظـت كـارولين خـروج تينـا إلى خـارج القصـر مـع الأطفـال، فهرَعَـت لِتَلحَـق بهـا خوفـاً عليهـا مـن الضيـاع، بيـنما أخـذ ألـبرت القـلادة مـن سـتيفن ليصـعد إلى غرفـة كـاثرين، لكـن بوابة القاعة كانت مُقفلة عند وصوله لها، فصاحَ بغضب:
"مَـن أقفـلَ البـاب؟! هـل جُننـتم جمـيعكم اليـوم؟! افتحـوا البوابـة على الفور!"
لم يُجِبـه أحـدٌ مـن الخـارج، ودبَّ الـذعر بـينَ الحـاضرين بعـد صُراخـه، فكـفَّ عنـه، لكنّـهُ اسـتمرّ في الضـرب عـلى البـاب مـن الداخل، بلا رد أو نتيجة. ركض ستيفن إليه.
- عمي ماذا هناك؟
- ألا ترى أنّ الباب لا يُفتَح؟!
- ولِمَ القلق؟ قد يكون عالقاً، سيفتحه الحرس حالاً سأتصل بهم.
أخـرج هاتفـه ليتفاجـأ بعـدم وجـود شـبكة اتصـال، وكـأنهم في مكـان آخـر. سـادَ الرعـب والاضـطراب في صـفوف المدعوّين، عـدا تينـا، التـي كانـت تلعـب بـبراءة داخـل القاعـة، حتـى أسـقَطَت

شـمعةً عـلى الأرض سـهواً، فانتـشرت نارُهـا والتهمـت كـلّ شيء قريـب منهـا بسـرعة رهيبـة. فشـلت مسـاعي إخـماد النـار بالميـاه المتـوفّرة، وكانـت تتصـاعد بشـكل أقـوى بعـد رشّـها. تعالَـت صـيحات الموجـودين في القاعـة، وكأنهـا صرخـات ضحايا مجـزرة، في ذات الوقـت الـذي كانـت فيـه كـاثرين تضـرب عـلى البوابـة مـن الخـارج وتنـادي دونَ مُجيـب. كانـت مُنهـارةً خـارج البوابة،ووالـدُها في الـداخل يُحـدِّث نفسـه: "لماذا يـا كـاثرين؟ لِمَ لم تخبريـني منـذ البدايـة؟ رُبّمـا تكـون غَلطتـي لكـن كـان بوِسـعي إصـلاحُها". بعـد أن فُتِحَـت البوابـة ورأت كـاثرين كيـف تحولَّـت القاعـة برمّتهـا إلى رمـاد، فَقَـدَت وعيهـا وسـقطت. تـمّ نقلهـا للمستشـفى، وظلّـت راقـدة بسـبب تعرّضـها لصـدمة حـادة عطلّـت وظـائف الإدراك لـديها بشـكل مؤقّـت. عنـدما فتحـت عينيهـا كـان الطبيب واقفاً بقربها.

- حمداً لله على سلامتكِ سيدتي.
- أين أبي وأمي؟ ماذا حدث؟ أين كارولين... وستيفن؟
- كارولين بخير. إنها فقط متعبة قليلاً، لكنها بخير لا تقلقي...
- كان ذلك كابوساً... أليس كذلك دكتور؟
- خذي قسطاً من الراحة الآن واطمئني. كل شيء سيكون بخير.

اسـتمرّ الكـادر الطبـي بطمأنتهـا حتـى هـدأت، وبعـد مـرور اسـبوعين أخبرهـا الطبيـب أنّ بإمكانهـا الخـروج، وكـان معـه نقيـب شُرطة.

- حضرة الطبيب، حضرة....؟
- أدعى النقيب جوناثان.

- أصبح بمقدوري الذهاب الآن أليس كذلك؟ لقد أدركتُ أن ما حدث كان حقيقياً، وإنّكم تريدون تهدئتي فقط. لقد تخدّرت مشاعري وجفّت دموعي، لذا أرجوكم أخبروني الحقيقة كاملةً. أريد معرفة ما الذي حَدَث وكيف؟ هل كان بفعل فاعل أم ماذا بالضبط؟

- سيدتي، أولاً اجلسي واشربي بعض الماء.

دفعت كوب الماء بيدها ليسقط أرضاً وهي تصرخ:

- لا أريد منكم شيئاً سوى الحقيقة! أريد معرفة ما حَدَث! أنا صاحبة المصيبة هنا ولا أحد يهتمّ لذلك... لقد متُّ معهم... لقد انتهيت... لستُ سوى جثة تمشي على الأرض... ألا تفهمون؟

- سيدتي لا يمكننا التحدّث وأنتِ هكذا. يجب أن تهدئي، لأن ما سنقوله حتى نحن لم نستوعبه في أهدأ حالاتنا... فكيف ستستوعبينه وأنتِ هكذا؟!

- حسناً... لقد هدأت، وسأفهم كل ما تقولون. احكوا لي ما وجدتموه بالتفصيل، ولا تغفلوا شيئاً...

- كلا لم تهدئي بعد، لكن ذلك من حَقّكِ..... حينما اتّصلتِ بالشرطة كانت البوابة مغلقة، والجميع داخل القاعة. أنتِ نزلتِ لتتبيَّني سبب الهدوء المُفاجئ، في مكانٍ يُفترض إنّه مُكتظٌّ بالمدعوّين والخدَم. وصلت الشرطة بعد اتصالكِ، وتمّ استعمال شتّى أساليب كسر الأبواب المنيعة على تلك البوابة بلا جدوى،وبعد ساعةٍ من الجهود المُضنِية انفتحت الباب بركلةٍ يائسة من أحد الضباط!

ثم صمت النقيب ونظر إلى الطبيب (إيريك) ليكمل الحديث.

- عندما وصل الفريق الطبي، بعد الاتصال به، وجدَ أنّ قاعة الحفل قد أمسَت رماداً، ولا أثر لجثث، سوى بعض بقايا العظام، وهناك بعض المعادن التي كانت من ضمن الديكور قد انصهرت، وهذا يعني أن درجة الحرارة التي تولَّدت من الحريق قد وصلت إلى ألف درجة مئوية أو أكثر، وذلك الأمر مستحيل في الحرائق الطبيعية! لم يُسفر التحقيق عن شيء،سوى العثور على شيء واحد لم تمسُّهُ النار ولم تؤثّر به،رغم وجود العديد من المصوغات الذهبية المنصهرة حوله. ذلك يعني أنّ هذه القلادة قد قاومت درجة انصهار الذهب دون أن تتأثّر أبداً!

أخرجها من صندوق صغير وأعطاها لكاثرين، التي حدَّثت نفسها قائلةً:

"هذه القلادة أعرفها جيداً، ورأيتُها من قبل في مكانٍ ما، لكن أين؟"

بدأت صورٌ من الماضي تعود لها، لكنها لم تستطِع رؤيتها بوضوح. عادت تتساءل:

"إنّني نسيتُ فقط ما يتعلّق بمارك... ما علاقة هذه القلادة بمارك؟!"

فتذكّرَت فجأةً كلام ستيفن الذي لم تسمعه جيداً، وتفكيرها بأنه أخرق وسيجلب النحس في ذلك اليوم. أدى ذلك إلى شرودها بينما كان النقيب جوناثان يتكلّم معها.

- سيدة كاثرين، هل أنتِ معي؟

- أجل معك. ما تفسيركم للحالة؟!

- ليس لدينا تفسير سيدتي. الحادثة لا يمكن أن تكون بفعل فاعل، ولا يمكن أن تكون طبيعية أيضاً!
- لا بُد من وجود فاعل. استمرّوا بالتحقيق، لن يهدأ لي بال حتى أعرف مَن فعلها وينال جزاءه.
- بالتأكيد سيدتي، اطمئني.
- الآن أرغب برؤية كارولين وبيتر... أذكر جيداً أن إبني لم يكن قد وصل بعد في وقت الحادث... ماذا عن كارولين؟
- الآنسة كارولين لم تكن معهم في الداخل. قالت إنها ذهبت خلف الطفلة تينا، بعد خروجها للّعب مع الأطفال، وفورَ خروجها للشارع تعرّضت الآنسة لحادث. صدمَتها سيارةٌ مُسرعة لم ينتبه أي من الموجودين على سائقها أو رقمها. لقد فعلنا كلّ ما بوسعنا... لكنّها للأسف لن تكون قادرة على المشي بعد الآن...

تبادلَ الطبيب والضابط نظرات تعجُّب، من الهدوء الذي تَملَّك كاثرين بَعدَ إعطائها القلادة وإخبارها بتفاصيل الحادث،حيث أنّها لم تُضِف أيّة كلمة أخرى، قبل أن تغادر الغُرفة لرؤية أختها المنكوبة. كانت كارولين مُنهارةً تماماً بالبكاء على والديها تارةً وعلى نفسها تارةً أخرى. بذلت كاثرين قصارى جهدها للتماسك وحَبس الدموع لمواساتها. غمرَها إحساس في داخلها بوجود سِرّ وراء الحادث المروّع،لكنّها لم تَعلم ما هو. كلّ ما عرفتهُ أنها ستبحث عنهُ وتجدهُ مهما كلّف الثمن.

بعد يومين، حضر ماكس لأخذ كاثرين للقصر، فخَرَجَت تملؤها اللهفة لرؤية بيتر، الذي قال الطبيب إنّه كان مع

ليونا،وقد وصَلا مُتأخّرَين بعد انتهاء الحادث. دَخلَت إلى القصر فوجدت بيتر ينتظرها عند الباب وقد اغرورقت عيناه بالدموع. لم يسمحوا له بزيارتها في المستشفى، لأنهم خافوا عليه من أن يظنّها ميتة عندما كانت فاقدة للوعي. بلغَّها ماكس إنهم لم يخبروه بشيء ممّا حَدَث،بل قالوا له أن جدّه وجدّته وأمه قد سافروا، لكنّ أمّهُ وخالتهُ ستعودان قريباً. غير إنها أحسّت بحُزنٍ عميقٍ في عينيه، كأنّهُ فهم ما دارَ حولهُ لكنّهُ فَضَّلَ أن يصمت ويكبت الألم بداخله. فور أن رآها مسحَ دموعه من على خَدَّيه وتحوّل حُزنه إلى ابتسامةٍ عريضة على وجهه الجميل، واتجه راكضاً نحوها. انحنَت وفَتَحَت ذراعيها لهُ، عسى أن يخفّف عناقه القليل من ألمها، فضَمَّتهُ وقبّلتهُ عشرات القُبل وكأنّها لم ترهُ منذُ سنين. رفع رأسهُ وسألها:

- ماما لماذا تركتموني؟ أين ذهبتم؟ لماذا وجدتُ نفسي فجأةً وحيداً ولا أحد يجيب أسئلتي؟ هل قمتُ بفعلٍ سيّء لتُعاقِبوني هكذا؟

فطرَت كلماته قلبها فبدأت دموعها تتساقط لا شعورياً. كانت تمسح دمعة فتسقط الأخرى، ولم تعرف بمَ تُجيبهُ، فَنَهَضَت واستدارت كي لا يرى دموعها فيَخاف ويحزن أكثر.

- بالعكس حبيبي، لم تفعل سوءاً. نحن جميعنا نحبّك، جدّك وجدّتك، وخالتك وستيف، وقد أرسلوني لأبلّغ سلامهم وقبلاتهم لك. إنهم بخير، لكننا سنسافر، أنا وأنت، لإنجاز عملٍ طارئ مهم. لهذا تأجّل الزفاف وسوف نسافر، ولن نراهم لفترة. هيا حبيبي احزم حقائبك مع ليونا لنذهب.

لم تجـد كـاثرين طريقــةً أفضـل مــن تلـك لإقنـاع بيــتر بأنــهُ لم يحــدث شيء، إضــافةً إلى أنهــا لا تســتطيع البقــاء بالقصـــر، ولا الخــروج منــه. إذا بقيَــت فيــه ســتُطاردها ذكريــات كــلّ زاويــة منــه،وإذا خَرَجَــت ســيَعرفها الجميــع وســيُحملِقون بهــا بعيــون فضــوليّة، فالحادثــة الغامضــة التــي حــدثت قــد هــزّت أركــان البلد،وأصــبحت لغـزاً انتشــر بســرعة كبـيرة بـين النـاس وارتــبط اسـم عائلـة سـميث بهـا. حتـى أنّ إشـاعاتٍ فظيعـة تـردّدت، هنـاك مَـن يقـول أنهـا لعنـة أصابت عائلـة سـميث، وهنـاك مَـن قـال أنـه حـادثٌ مُـدبَّر، ومَـن ادّعـى أن كـاثرين سـميث امـرأةٌ منحوسـة... و تَصَّــدَرت اخبــار الزفــاف الــدامي عنــاوين الصُــحف ومواقــع التواصل الاجتماعية والمواقع المشهورة لأشهر ...

(كاثرين / بيت العجوز كارلا / 2021م)

بعد ذلك هربتُ من كل شيء، وخرجتُ ببيتر بعيداً أقودُ من غير وجهة، إلى أن وصلتُ إلى قريتكم وانتهى الوقود أمام مزرعتكم... هذِه هي حكايتي..
أخشى أنني أطلتُ عليكِ جداً.
- لا أعرف ماذا أقول لكِ يا ابنتي، لكن حكايتكِ غريبة وغامضة جداً.
- ليس عليكِ قول شيء، لأنني لم أروِها لكِ لأسمع حلولاً. أحياناً نرتاح لمجرد البوح، لمُجرّد الشعور أنّ هُنالِكَ مَن يسمعنا. أعرف إنه لا يوجد حلّ لوضعي، فما حدث قد حدث.
حكيتُ حكايتي أيضاً لأنني كنتُ بحاجةٍ لِسردها على نفسي، عَلَّني أتذكّر شيئاً أو أرتّب أفكاري... لكنّ ذلك يبدو أمراً ميؤوساً منهُ.
- لا يأسَ مع الحياة، طالما نحنُ نتنفّس فهناك أملٌ في تحويل مسار قصتنا. قد يولَد الأمل من شرارةٍ صغيرة لم ننتبه لوجودها مِن قبل، فتنقلب حياتنا من جحيم إلى جنّة، أو العكس. ما نحتاجهُ فقط هو الانتباه لهذهِ الشرارة، لذا يجب عليكِ أن تنتبهي لها.
بينما كنّا نتحدّث دخلَ زوجها العم (كليف) مع بيتر، حاملاً بضعة أكياس بيده.

- هـل انتهيـتُما مـن الحكايـات أم لـديكم المزيـد؟ نحـن نتضـوّر جوعـاً أنـا وبيـتر، وقـد جلبنـا طعامـاً جـاهزاً مـن جارتنـا (لارا)، هيـا لنأكل.

قالهـا وهـو يفـتح الأكيـاس، التـي ضـمّت أنـواع المـأكولات الشـهيّة،البيرغر المنـزلي واللازانيـا وحسـاء الـبروكلي وغيرهـا. فاحَـت رائحتهـا الزكيّـة، وشـجّعَتني عـلى الأكـل فأكلـتُ حتـى التُخمـة. بعـد الطعام نظرتُ إلى هاتفي، فكانت الساعة الرابعة عصراً.

- يا إلهي لقد تأخّرت!

- عن ماذا يا ابنتي؟ هل لديكِ عمل؟

- كـلا، بـل يجـب أن أذهـب إلى أقـرب محطّـة وقـود لجلـب وقـود للسيارة. قال العم كليف أنهُ سيدلّني عليها...

- مامـا أنـا سـآخذكِ للمحطـة. إنهـا قريبـة جـداً. لقـد نـام العم،مسكين لا بدّ أنهُ مُتعب.

- حسناً حبيبي إذن لنذهب، قبلَ حلول المساء.

- اذهبا وارجعا بسرعة...

هكـذا خرجنـا أنـا وبيـتر مـن المنـزل مشـياً مُتّجهـين للمحطـة. تحمَّـسَ بيـتر وهـو يُرينـي القريـة ومعالمهـا الجميلـة، البـئر، معمـل الخياطة،مزارع الأبقار، وغيرها.

كانـت قريـةً رائعـة الجـمال، لم أكـن أتصـوّر أنـهُ في سـنة 2021 لا تـزال هنـاك قُـرى بتلـك البسـاطة تنـبضُ بالحيـاة. وصـلنا إلى المحطـة، وقمنـا بمـلء خزّاننـا البلاسـتيكي الصـغير بـالوقود. حـلَّ الغـروب وقتَهـا، قبـل وصـولنا إلى المزرعـة. سـاعدَني بيـتر بنقـل الوقـود إلى خـزان السـيارة، واشـتغَلَت أخـيراً. أطفَأتُهـا واتجهنـا نحـو

المنـزل، ومـا إن اقتربنـا منـه حتـى لاحظـتُ حركـاتٍ مريبـة بـين الأبقـار والـدجاج، كأنهـا كانـت مـذعورة. اسـتغربتُ للأمـر، دنـوتُ أكـثر مـن المنـزل لأتفاجـأ بـأنّ البـاب مُهشَّـمة. أصـابني الهلـع وهرعتُ نحوه وأنا أصرخ:

- عمي كليف، عمّتي كارلا، هل أنتما بخير؟ ما الذي حصـ....

قـاطعني منظـر العـمّ مُمَـدّداً قـرب البـاب عـلى الأرض، بـداخل المنزل،والـدماء تسـيلُ مـن رقبتِـه بغـزارة، مـن جـروحٍ بالغـةٍ وعميقـة،بينما تحوَّلـت عينـاه بالكامـل للّـون الأبـيض. حاولـتُ إيقاظـهُ بيـأس، وأخـذتُ أتحسّـس نبضـه، لكنـه كـان مفقـوداً. غمـرني رعـبٌ شـديد ورحـتُ أرتجـف. وقـفَ بيـتر خلفـي مصـدوماً وقـد سـقطت الحلـوى التـي اشـتريتُها لـهُ أرضـاً. عـدتُ إلى الـوراء وأغمضـتُ عينَيـه لـكي لا يـرى تفاصـيل ذلـك المشـهد البشـع،لنتفاجأ بصـوت صُراخ مُتقطّـع مـن الـداخل، صـوت العمـة كـارلا، فالتفَـتُّ إلى بيتر وأعطيتُه مفتاح السيارة مباشرةً.

- اذهب واجلس في السيارة الآن، وإيّاكَ أن تلحق بي.

- لكن ماما...

- بدون نقاش هيّا بسرعة...

- جـاء صـوت العمّـة مـن غرفـة الجلـوس، فمشـيتُ نحوهـا بخطـى حـذرة وخائفـة. رأيتُهـا جالسـة عـلى كرسـيّها الهـزّاز، وهـي نصـف مذبوحـة والـدماء قـد أغرقـت ملابسـها، وبـدا الشـحوب واضـحاً عـلى وجههـا. خرجـت كلماتهـا متقطّعـة، ترافقهـا حشـرجة الاحتضار، فاقتربتُ منها كي أحاول مُساعدتها.

- يا إلهي , ما الذي حدث عمّتي كارلا من فعل هذا؟

فأمسكت بسترتي قائلة بصوت هامس:

- اهـ.. اهربي... هنالك مَن يطاردكِ... اهربي بعيداً...

-ماذا؟ مَن يطاردني؟! لن أذهب بدونكِ، دعيني أحملكِ.

- لا تكوني.. غبيّة.. أنا سأموت... اهربي! سيأتـ...

العجوز كارلا

وقبـــل أن تُنهـــي جُملتهـــا لفَظـــت نَفَسَـــها الأخـــير بشـــهقة عالية،وبعـدها فارقـت الحيـاة، لتتحـوّل عيناهـا المفتوحتـان فـوراً للّـون الأبـيض. خرجـتُ أركـض مُتعـثّرة، وأنـا أبـكي بشـدّة، متّجهـة نحـو السـيارة. كـان بيـتر بـداخلها، ففتحـتُ البـاب وركبـت، وقـدتُ بأقصى سُرعة.

- امـي مـاذا حَـدَث؟ مَـن فعـل ذلـك بـالعم كليـف وهـل العمّـة قتلوها أيضاً؟ هل سيقتلوننا نحنُ أيضاً؟

- لا حبيبي... لـيس هنـاك خطـر علينـا. إنهـم عصابة لصـوص قـاموا بسرقتهم... أسأل الله أن تخلد روحهما في الجنة...

أُصِـبتُ بصـدمةٍ وحـزنٍ شـديدَين، لا يمكـن لأيّ بشـرٍ اسـتيعابُهما. مَـن كـان يطـاردني؟ ولمـاذا؟ هـل لشـيءٍ حصـل في السـنوات السـبع الـلاتي فقـدتُها مـن ذاكـرتي؟! دعـوتُ ربّي أن يُنَجِّنـا أنـا وابنـي، وأن يعينَنـي في فهـم أمـري. لم أعـرف إلى أيـن أذهـب، وقـرّرتُ أخـيراً اللجـوء إلى إحـدى الكنـائس الكبـيرة لأكـون بحمايـتهم، إذ لم يعُـد بإمكـاني العـودة للقصـر، فهـو مكـانٌ مكشـوف ومعـروف لأيّ شـخصٍ يلاحقنـي. هكـذا دبّـرتُ بعـض الملابـس التـي تُخفـي ولـو قلـيلاً مـن هـويتي، وتوجّهـتُ إلى (ديـر ويستمنسـتر) هاربـةً مـن شيء لا اعرف ما هو ولما يُلاحقني-

8

لست خائنة...

(كــاثرين / لنــدن / ديــر ويستمنســتر / 2022م)

السـماء حالكــة السـواد ولا توجـد نجمــةٌ واحــدة فيهــا. لقــد هجرَتهـا النجـوم كـما هجـرني النـوم، كأنّهـا تُعلِـن الحـداد. كيـف لي أن أنام في كنف كلّ تلك الغربة والوحدة.

لم أتوقّـع في يـوم مـن الأيـام أننـي سأصـل إلى تلـك الحالـة، حيـث إننـي التجـأتُ لـذلك الـدير هاربـةً، ولم أعـرف حتـى مـن مـاذا. رُبمـا مــن الــذكريات التــي تُقَطّـعُ قَلبــي وتَنهَشــه،ومن نظـرات النــاس الفضولية، أو من المجهول الذي طاردَني.

طيلة وجودي في الدير كانت الراهبة ماتيلدا تسألني:

-هــل ســتبقَيان معنــا؟ لمَ لا تســمحين لبيــتر بــالخروج واللعــب في الحديقة لوحده؟ ألا تثقين بنا ونحنُ خادمات الربّ؟

لم أحبّذ الـرد عليهـا فكنـتُ أبقـى صـامتة، لأننـي فعـلاً لم أعـد أثـق بأيّ شيء أو شخص.

رأيـتُ في عينيهـا اسـتغراباً وفضـولاً شـديدَين، للسـبب الـذي يـدفع بــامرأةٍ مــن الطبقــة المخمليّــة لــترك قصــرها، والــذي قــد تبلــغ مسـاحته ضـعف مسـاحة الـدير. ديـر ويستمنسـتر الـذي بُنـيَ منـذُ قرنٍ أو أكثر، كلّ ما فيه عبـارة عـن تـاريخ، لكـن مـا زالـت فيـه تلـك المهابــة. رسـومات جـدران الـدير والتماثيـل وعَظَمَــة البنـاء تَشـهَد بمـدى رُقيّـه في العصــر الــذي بُنـيَ فيـه، حتـى أنّ الملـوك القـدماء كـانوا يُقيمـون حفـلات تتـويجهم فيـه. بـرغم ذلـك، كنـتُ أجـد في

كـلّ غرفـةٍ وزاويـة صـلواتٍ وأَنـين مَـن كـانوا يعـانون، ومَـن احتَـلَّ نفوســهم حُــزنٌ كبــير فجــاؤوا ليغســلوه تَحــتَ ســقف الــرَّب، أو ليعترفـوا اعترافـاتٍ خجلـوا أن يصـارحوا بهـا أنفسـهم. تحـت سـقف تلــك الكنيســة هنالــك أسرارٌ ودمــوع، ومعهــم الأمــل في الخــلاص. لقــد جئــتُ مُحَمَّلــةً بكــلّ مــا سَــبَق، إلا الأمــل، إذ فَقَدتــهُ تَمامــاً، ولم أعــرف لمَ كنــتُ أســتمر بــالتنفّس أصــلاً. شــعور الفَقــد يحــوِّل الأنفاس إلى عدٍّ تنازلي، يقرّبكَ من الموت مع كلّ شهيقٍ وزفير.

لم يــدفعني للعــيش إلا بصــيص أمــلٍ، زرعَتــهُ فيَّ عينــا بيــتر وابتســامتهُ الجميلــة. بعــد الكارثــة التــي اصــابتني صرتُ كالجثــة التــي تمشــي عــلى الأرض، لم تعــد لشــيءٍ عنــدها قيمــة، ولم أجــد حتــى الوقــت لتمالُــك نفســي، فبقــائي في القــصر كــان كالسـجن في مكــانٍ كــلُّ شيء فيــه حــيّ. كــلّ قطعــة أثــاث فيــه بكــت وعاتبتني،وســألَتني أيــن مَــن كــانوا هنــا. غرفــة والــديّ، مكتبــة أبي،بيــانو أختــي، غرفــة الطعــام التــي كانــت تستضــيف جلســات والدتي مع رفيقاتها.

أنظــر إلى مــرآة أمــي فأتــذكّر وجههــا الجميــل وملامحهــا الهادئــة بابتسـامتها الوديعـة، وشـعرها القصـير الـذي كـان يـزيّن رقبتهـا، مـع الشــيب الــذي تخلّــلَ خصــلاته جــاعلاً مــن وجههــا لوحــةً فاتنــة. أتــذكّر أقراطهــا اللؤلؤيــة التــي تعلّقــت بهــا جــداً دون بقيــة مجوهراتهــا، فقــد كانــت أولى هــداياها مــن أبي، وهــي بالأصــل أقــراط أمــه التــي أوصــتهُ بإعطائهــا لمَــن تَملِــك قلبــه، فكانــت المحظوظــة هــي أمــي. كانــت تحــبّ جلســتنا كــل ليلــةٍ نحــنُ الأربعــة، نتبــادل أطــراف الحــديث، ونتــابع التلفــاز ونحــن نأكــل

ونمـزح، فكانـت تمـرّ عـلى غرفنـا أنـا وكـارولين وتناديـنـا لـنجلس معـاً،لكنّ تعبـي في ذلـك الوقـت مـن المسـاء ووجـود يـوم حافـل جديـد بانتظـاري في العمـل المكتبـي والإداري مـع أبي منعـاني مـن النـزول في أغلـب الأيـام، أمـا كـارولين فقـد فضـلّت غالبـاً العـزف والتمـرّن عـلى البيـانو في غرفتهـا، فتأخـذ أمـي بيـتر وتبقـى لتلعـب معه وتحكي له الحكايات. ليتَني قضيتُ وقتاً أطول معها.

آه كـم أحبّـت بيـتر، روحهـا وحفيـدها الغـالي. كـان يرافقهـا أيـنما ذهبـت، ومـلأت حضـنه بالهـدايا يوميـاً، في ظـل اسـتنكاري وخـوفي عليـه مـن الـدلال الزائـد، فكانـت تجيبنـي مبتسـمةً "دعيـه يـنعم بوجـود أجـداده يـا ابنتـي، فقـد نكـون اليـوم هنـا لكنـه غـداً لـن يجـدنا بجانبـه". فعـلاً يـا أمـي لم تعـودوا هنـا، لقـد تَرَكتمـوني فجـأة دون سابق إنذار. أمـي، بيـتر يسـألني عـنكم كـلّ يـوم ولا أعـرف بـمَ أجيبهُ. بعد خمسـة أشـهر فقـط سيُتِمّ عامـهُ الثـامن، كُنـتِ متلهّفـةً لعيده الثامن وتُجهّزين له. لماذا تركتموني وحيدة؟

عنـدما أمـرُّ قـرب حديقـة القـصر كنـتُ أرى أبي جالسـاً في الحديقـة بجانـب المسـبح، وهـو يرتشـف قهوتـهُ السـادة ويُـدخّن سـيجارتهُ التـي كرهـتُ رائحتهـا. لطالمـا خشـيتُ بـأن تكـون السـبب في فقداننا له، ولم نجلس سويةً إلا واعترضتُ على تدخينه.

لكـن أبي كـان رجـلاً حكـيماً ومنضـبطاً، لم يـدخّن إلا بتـوازن وفي أوقـاتٍ محـددة. آه كـم اشـتقتُ إلى نظراتـه المليئـة بالحنان،ووجهـه السَـمِح، وشـعره الأشـيب وقيافتـه، وإلى نصـائحه الرائعـة. قلَّـما أسـدالي نصـيحةً في أمـرٍ مـا، وكـان دائمـاً يـردّد إنننـي فتـاة عاقلـة وحكيمـة مثلـه. لم أكتـفِ مِـنهم أبـداً، وسرقهـم القـدر

مني باكراً. في كلّ مكان قصدتُه خارج القصر كان الجميع يحدّق بي، حتى من لا يعرفني. حاولتُ ارتياد أماكن أكثر شعبيّةً لكي أتناسى ولا ألقى مَن يذكّرني بما حدث، إلا أنهم قد ميّزوني هناك أيضاً. نحن أصلاً معروفون في الطبقة المخمليّة،ومنذ وقوع الحادث أصبح آل سميث حديث البلاد،بحادثتهم الغامضة التي أَودت بحياة مئات المَدعوّين،وعلى رَأسهم أُمي وأُبي وزوجي. فورَ دخولي للمكان كنتُ أتصرّف بشكلٍ طبيعي، لكنّ الموجودين يلتفتون ويصرّون على التحديق بي والتهامس، حتى وإن كنتُ أتغاضى عن الأمر، وكيف يمكنني التغاضي عن طوفان الحزن الذي غمرني في وقتها. كانت نظراتُهم تُعيد ما حدث وكأنّه فيلم أمامي، فأختنق بحسرة كبيرة وأتمنى البكاء والصراخ بأعلى صوتي. بعضهم كان يغلب عليه الفضول فيأتي ليستفسر بِخَجل: "أنتِ كاثرين سميث، أليس كذ... " وقبل أن يُكمِل كنتُ أنهض مغادرةً، محاولةً إخفاء وجهي كي لا تظهر دموعي ولوعتي. لذلك لم تبقَ لي وجهةٌ سوى الدير للفرار من كل شيء، لكن مَن يستطيع الهرب حقاً من نفسه وذكرياته، ومن مشاعره وحزنه؟

لم أتعافَ بعد من جروحي لتأتيني جروحٌ جديدة وهمومٌ من حيث لا أعلم. أين ذهبتِ أنتِ أيضاً يا كارولين بالله عليكِ؟! ألا يكفي قلبي المتعب وعيناي المؤرقتان همّاً وحُزناً. أجبرتُ على العودة للقصر الذي هربتُ منه. أتذكّر دخولي الأول لهُ،ومقدار الأمل الذي غمرني في بداية حياة جديدة، بعيدة عن

أحزان الطفولة وتَعبَها. دخلتُهُ مجدداً وشعرتُ بأنّ كل ركنٍ منهُ يحاول نهشي بأسنانه، وبذكريات تأبى الخروج من رأسي. مُرتَبِكة، حائرة، مُتَعَثِّرة الخُطى لا أعرف على مَن وعلى ماذا أحزن.

أخذتُ أجري لا شعورياً، صعدتُ السلّم باتجاه غرفتها،فوجدتُ ليونا مدبّرة المنزل، تمشي في ممّر الغرف آتية من غرفة كارولين. اتّسعت عيناها فرحاً لرؤيتي ثم هَبَّت لمعانقتي.

-عزيزتي كاثرين وأخيراً قررتِ العودة... أهلاً بكِ في منزلكِ من جديد. لقد اشتقنا لكِ جميعاً.

-أنا أُقدِّر محبتكِ يا ليونا، لكنهُ حقاً ليس وَقت الترحيب. الأهم الآن هي كارولين، أين اختفت؟ أحقاً لم تجدوا لها أثر؟

وأنا أتقدّم نحو غرفة كارولين، متجاوزةً ليونا بخطوات سريعة متلهّفة، على أمل أن أجد ما يدلّني عليها، فقاطَعتني ليونا:

-لكن سيدتي... كارولين موجودة في غرفتها... مَن قال أنها اختفت؟

وقفتُ للحظة متفاجئة مما قالتهُ ليونا، التفتُّ إليها ثم فتحتُ باب غرفة كارولين، لأجدها نائمة على سريرها، وبجانبه كرسيّها المدولَب.

-هذا غير معقول، جاءني ماكس وأبلغني باختفاء كارولين... دقيقة أين ماكس لماذا لم يدخل؟ ألم يكن في السيارة مع بيتر؟!

-سيدتي... ماكس ليس في لندن اصلاً.

-ما الذي تقصدينهُ؟ ماكس بالخارج مع بيتر... هو من أوصلني إلى هنا.

-لقـد جـاءهُ خـبر وفـاة أخيـه الأكـبر وسـافر إلى ليفربـول منـذُ يومين،ولن يعود إلا بعد أسبوع...

أصِبتُ بصـدمةٍ هـزّت كيـاني. "مـن الـذي جـاءني إذن؟!" أخـذتُ أركـض بجنـون، وكـأنّني ألاحـقُ روحـي التـي سُـحِبَت مـن جسـدي. خرجتُ إلى خـارج القصـر وأنـا أنـادي بجنـون عـلى بيـتر، لكـن ...... لم يكــن هنالــك أحــد. بــدأت حبّــات المطــر بالتســاقط مِــن جَديـد،بينما رحـتُ أَجـوب حديقـة القصـر شِـبراً شِـبراً بَاحثـةً عـن ابني.

-يا إلهي أين ابني؟! كيف حدث هذا؟!

أَلَـمَّ بي دوار شـديد لكننـي بقيـتُ مُتماسـكة. رافقنـي أدريـان في البحـث، واشـتدّ المطـر حتـى تبلّلـت ثيـابي بالكامـل، وتشـبَّعَت الحديقـة بالميـاه التـي تلاطمـت عـلى جـانبَي خطـواتي. مـا فعلتُـهُ جنـون لكـن مـا حـدث كـان بـدوره جنونـاً. وصـلتُ إلى بوّابـة القصـر الخارجية فوجدتُها مُقفلة.

كيــف اســتطاعوا أن يأخــذوه والبوّابــات موصــدة؟! عــدنا أنــا وأدريـان إلى القصــر فخرجـت لنـا ليونـا التـي كانـت تبحـث في الداخل:

-سـيدتي، بيـتر لـيس في الـداخل. لقـد بحثـتُ في كـل مكـان ولم أجده.

فجـأة أصـبحت صـورة ليونـا ضـبابيّة وخـارت قـواي وفقـدتُ تـوازني. عنـدما فتحـتُ عينـيَّ كنـتُ داخـل غرفتـي عـلى السـرير والصباح قد حَلّ. بـدا لي أن مـا حـدث لم يَكُـن مُجَّـرَد كـابوس، وقـد أخـذوا بيـتر حقـاً منـي. لكـن مَـن أخـذهُ وكيـف اسـتطاع خـداعي

هكذا؟! كنتُ مُتأكدة في ذهني أنّ ماكس هو مَن أتاني بالأمس. ربما أخطأتُ في ثقتي به بتلك السهولة، سأجد إبني ولو كلّفني ذلك حياتي.

-ليونا... ليونا أين أنتِ؟!

-صباح الخير سيدتي...

لقد جاء النقيب جوناثان ويُريد رؤيتكِ.

-أيّ خير يا ليونا وابني قد اختفى وضاع مني! أدخليه حالاً.

أتى النقيب الذي كان يُحقق بحادثة زفافي، والذي اتصلتُ بهِ فور صحوتي.

-مرحباً سيدة كاثرين كيف حالكِ؟ لقد قلقتُ جداً عندما قُلتِ أن الموضوع لا يمكن شرحهُ عبر الهاتف. ما الذي حدث؟ أين كُنتِ مُختفية كُل هذهِ المُدّة؟

-لأن الموضوع فعلاً لا يمكن شرحهُ إلا وجهاً لوجه، وأعتقد أنكَ لن تصدّقني...

-لِمَ ذلك؟ تكلّمي وسأصدّقكِ مهما قُلتِ، فأنا شاهدٌ على الحادثة الغريبة تلك، منذُ فترة ليست بالقصيرة، وفي الواقع، أنا أصنّفها ضمن الحوادث الخارقة للطبيعة. تفضّلي فكلّي آذانٌ صاغية.

سردتُ له ما حدثَ بالتفصيل، حتى لحظة فقداني للوعي عند باب القصر.

-يا إلهي! هذا حقاً شيء لا يُصدَّق. هل أنتِ متأكدة إن ماكس في ليفربول؟!

-نعـم أنـا مُتأكـدة، فبعـدَ أن أخبَرَتنـي ليونـا بمغادرتـه قمـتُ بالتأكّـد عـبر برنـامج تتبّـع مواقـع المـوظّفين الخـاص بشـــركاتنا، والموصـول بهاتفي، ووجدتُ أن ماكس فعلاً في ليفربول.

(لفهم سبب ما يحدُث لكَ وما سـيحدث، يجـب أن تُراجـع ماضـيك... لأنّ الإنسان دون ماضٍ لن يكون له حاضرٌ ولا مستقبل)

مريم محمد حسن

(كاثرين / لندن / قصر ال سميث / 2022م)

بعد إخباري له بما حصل معي، كنتُ واثقة أن النقيب جوناثان سيحصل على طرف خيط يدلّنا على بيتر.
بعد يومين من حديثي معه، دَخَلَت ليونا إلى الشرفة التي كنتُ أجلس فيها:
-سيدتي، الرائد جوناثان هنا ويريد مقابلتكِ.
شعرتُ بفرحةٍ وأملٍ كبيرين فور علمي بمجيئه لأستقم في مكاني بلهفة ، تَرَقّبتُ منه ما يبدّد ولو القليل من الغموض الذي اكتنف حياتي من كل الجهات.
-أدخليه بسرعة.
حالَ سماعه لما قلت دخل من خلف ليونا، لكنّ نظراته لم توحي بالخير إطلاقاً.
-أهلاً جون، أرجوك قُل أنّكَ قد وجدتَ...
-كاثرين اسمعيني. بدأتُ رحلة البحث والتحقيق من بيت العجوزين، وفعلاً وجدنا الباب مُهشّماً، لكننا لم نجد أثراً للجثّتين، وعندما سألنا الناس في القرية قالوا أنهم قد انتقلوا قبل ثلاثة أشهر من تلك المنطقة، ولم يعرف أحد إلى أين...
-ماذا؟! لقد كانوا في المنزل... أنا تركتُهم قبل شهرٍ واحد من الآن... كان العمّ كليف مُمدّداً والعمة كارلا على الكرسي... أنا متأكدة ممّا شهدتُه!

-اسمعي كاثرين، أنا أثق بما تقولينهُ، لكنكِ هذا ما نراه الآن. لماذا لم تُبلغي الشرطة في وقت الحادثة؟ وأين ذهبت الجثث؟! هنالك آثار اقتحام فعلاً ولكن لا توجد جثث.
-لا أعرف، أعتقد إنني شعرتُ بالخوف. لم أرغب بكشف مكاني،لأنني لو أبلغتُ الشرطة فذلك يستلزم حضوري لأكون شاهدة، ممّا سيُعرّض حياتي وحياة بيتر لخطرٍ لا أعرف حتى ماهيّته. يبدو أن الذي يحدُث أكبر ممّا ظننت. كيف انتقلوا من منزلهم وأنا كنتُ معهم ... لقد ضيّفوني لأيام... هذا جنونٌ لا يمكن تصديقه. إمّا إنني قد بدأتُ أجَنّ وأتخيّل أشياء لا وجودَ لها، وإمّا أنّ هنالك قتلةٌ يلاحقونني، وقد أخذوا ابني مني دون رجعة...
-أرجوكِ لا تقولي هذا. سأحاول استعادتهُ بكل ما أملك من وقتٍ ومجهود. فقط ثقي بي. يجب الآن أن تبقَي في القصر،وقد وضعتُ حراسةً مُشدّدة عليه...
-ماذا؟! تريدني أن استريح هُنا وابني مُختَطف ولا أعلم ما يواجهه؟! لن أبقى...
-أرجوكِ سيدة كاثرين لا تُصَعّبي الأمر. وجودكِ في أي مكان آخر له خطر عليكِ وعلى ابنكِ، فأنتِ أيضاً مُهدَّدة. أرجوكِ ابقَي هنا، وأعدُكِ إنني غداً سآتي بنفسي وأصحبكِ معي لتطّلعين على مستجدّات البحث والتحقيق في القضية...
-لا يمكنني ذلك... أنتَ تعرف هذا...
بدأت عيناي تزوغ وتشوّشت صورة جوناثان أمامي فانقسمت نصفَين وعادت واحدة. شعرتُ بفقدان توازني وتفكّك

أعصابي،ولم أقوَ على الوقوف أكثر فتَشَبَّثتُ بدرابزين الشرفة ليسندني.

-كاثرين؟ ما بكِ؟

فجأةً سقطتُ وأصبح كُل شيء أسوداً حولي. فتحتُ عينيّ بعد مُدة، لا أعرف كم كانت ربما ساعات أو دقائق أو حتى أيام. كنتُ في غرفتي وعلى سريري، وتم تبديل ملابسي إلى ثوب نومي الرمادي. نظرتُ إلى الساعة على الجدار المقابل للسرير فكانت الرابعة فجراً. نهضتُ أتطلّع حولي، النافذة مفتوحة على مِصراعيها وقد ملأ نسيم الهواء الغرفة مما جَعَل الستائر تتمايل معه . فجأةً سمعتُ صوتاً من الشرفة، وكأنّ شخصاً ما تحرّك هناك، فدخلتُ الشرفة بحذر مُمسِكةً بالتمثال الذي كان يستقر اعلى الدُرج الصغير بجوار الشُرفة ، مُتهيَّأةً لضرب أياً كان مَن يحاول الدخول أو الهروب. اقتربت أكثر نحو مصدر الصوت لأتفاجأ بمنظر طائر رائع الجمال أبيض لامع، ريشهُ يتوهّج كسراج الليل، أكبر قليلاً من حمامة لكنّ وجهه يشبه وجه نسر، ذو ذيل طويل متعدّد الخصل وعَلَت رأسه أذنان طويلتان بنهاياتٍ سوداء. تخلّلت طبقات الريش البيضاء في صدره طبقاتٌ فضية متوهّجة وله نقش أسود على صدره.

Mary

كـان طـائراً في غايـة الجـمال والغرابـة، لم أرَ مثلـه في حيـاتي. تسـمّرتُ في مكـاني أُحـدّق فيـه بخـوف، وهـو كـذلك حـدّق بي بغرابـة، يميـل رأسـه يمينـاً ويسـاراً وعينـاه شاخصـتان نحـوي، وكأنّـهُ يعرفني!

بـدأ يقـترب منـي وأنـا أتراجـع للخلـف حتـى اصـطدمتُ بالحـائط خلفـي، فـدنا منـي جـداً ووضـعَ رأسـهُ تحـت يـدي ورمـى بشـيء عـلى الأرض مـن فمـه، ثـم ابتعـدَ قلـيلاً فانحنيـتُ لأخـذه... كـان سـوار بيـتر الفضـي الـذي أهدتـهُ إيّـاه أمـي في عيـد مـيلاده الخـامس، محفـورٌ عليـه اسـمه، وهـو الشـيء الوحيـد الـذي لا يفارق بيتر أبداً.

"مـا علاقـة الطـائر ببيـتر؟! كـلا بالتأكيـد إننـي أهـذي أو أحلـم... ذلـك غـير منطقـي". أغمضـتُ وقرصـتُ يـدي بشـدّة لأصحو مـن الحلـم، ولكننـي فتحـتُ عينـاي ومـا زال ذلـك الطـائر أمـامي، نـاظراً لي بغرابة.

-أنا لستُ في حلُم، وأنتَ حقيقي فعلاً؟-.....!

حَرَكَ رأسهُ يميناً

-هل تفهمني؟

حَرَكَ رأسهُ يساراً ثم يميناً

-من أين أتيـت بهـذا السـوار؟ إنـهُ لأبنـي... أرجـوكَ دلّنـي أيـن هـو؟ يا لجنوني أكلّم كائناً عجيباً وأريدهُ أن يُجيبني، هه.

لكنـه هَـزَّ رأسـهُ بـبطء وكأنـهُ فهمنـي، أجـل أنـا متأكـدة لقـد هـزَّ رأسهُ إيجاباً ثمّ طار واقفاً على درابزين الشرفة.

-لا، انتظر أرجوك لا تذهب...

توقّف ونظر لي ثمّ للحديقة الخلفية عدّة مرات، كأنّهُ يشير لمكانٍ ما بها.

-حسناً سآتي معك، لكن إلى أين؟

طار من الشرفة، فَنزلتُ من غرفتي بأقصى سرعة على السلالم محاولةً اللحاق بهِ. أعلم إن ذلك جنون غير أن شيئاً ما جعلني أشعر أن للطائر علاقة باختفاء بيتر. حاول أدريان الذي كان يشرب الشاي في المطبخ التكلّم معي لكنّني لم ألتفت إليه. خرجتُ إلى حديقة القصر الخلفية، فوجدتهُ واقفاً على الساقية الحجرية القديمة هناك. كان ينظر لباطنها، الذي انبعث منهُ ضوء غريب. وصلتُ إليها وإذا بالماء يتوهّج بلونٍ زُمرّدي عجيب.

-ما الذي يحدث بحق السماء؟! ما هذا؟

عندما اقتربتُ اكثر رأيتُ انعكاس صورتي على الماء، كنتُ أظهر مرتديةً ملابس غريبة. أعدتُ النظر إلى ملابسي التي لم تتغيّر في الواقع، ثوب النوم الرمادي، إذاً إنه الماء يُظهرني بصورة مختلفة. قرّبتُ يدي من الماء لألمس صورتي فيه، وما إن لمستُه حتى سُحبتُ بقوة داخلهُ ، كأنّها لم تكن ساقية بل بحيرةً زمرديّة متوهجة. بدأت أغرق في ماء ذي عمق لا متناهٍ، وكأنّني في القاع وأحاول الصعود عبثاً. صرتُ أختنق، ونظرتُ إلى الفقاعات الخارجة من فمي وأنا أتخبّط محاولةً السباحة،لكنني كنتُ أغوص أكثر إلى القاع، حتى خارت قواي واستسلمت، لأجد نفسي بعدها على سطح الماء. أخرجتُ رأسي وأخذتُ أشهق كشخصٍ عادت لهُ الروح وخرج من الموت

تــواً. ســبحتُ بعــدها باتجــاه الشــاطئ وصــعدتُ إليــه، واســتدرتُ لأكتشــف أننــي كنــتُ في نهــرٍ بطــيء الجريــان. بقيــتُ لــدقائق مغمضــةً عينــاي ومُســتلقية عــلى الأرض فقــد خــارت قــواي مــمّا حصــل، ثــمّ فتحــتُ عينــيّ ليــذهلني مــا حــولي، فقــد كنــتُ أســتلقي عــلى أرضٍ أعشــابها ســوداء ملمســها كــالوَبَر، وكــأنّني عــلى ظهــر إحــدى الحيوانــات الوبريــة. نهضــتُ مُســرعةً لأبتعــد لا إراديــاً،لكنني انصــدمتُ أكــثر عنــد رفعــتُ رأسي إلى الأعــلى، فقــد بــرزت في الســماء ثلاثــة كواكــب، الأول والأصــغر بيــنهم يشــبه القمــر تماماً، والثاني أرجواني والثالث أسود اللون.

"يا الهي ما هذا المكان؟! أين أنا؟"

شــعرت بــالبرد والخــوف الشــديدين في المكــان العجيــب ووضــعتُ يــديّ عــلى أكتــافي لــكي أزيــد مــن دفء جســدي، فالمكــان فــوق غرابتــه كــان بــارداً جــداً ومُخيفــاً للغايــة. كانــت أمــامي أحجــار عملاقة، ربّمــا تفــوقُ طــولي بأربعــة أضــعاف، تحرّكــت بــداخلها مــادة متوهّجــة بشــكلٍ متمــوّج، وأحاطــت بكــل حجــر مــن الخــارج شــبكة مـــن الأغصـــان الضـــخمة وتحتهـــا أوراق نباتيـــة ســـوداء، بـــدت كنباتــاتٍ خارجــة مــن تحــت الأرض. بيــنما امتــدّت خلفــي ســهولٌ جليديّــة عــلى مــدّ البصــر، وكــأن الأرض مقســومةٌ نصــفين، النصــف المقابــل لي جليــدي والنصــف الآخــر هــي الأرض ذات الــوبر الأســود التــي امــتلأت بتلــك الأحجــار البيضــوية الضــخمة، والفاصــل بــين النصــفين هــو النهــر الزمــرّدي، الــذي أصــبح لونــهُ طبيعيــاً مــا إن خرجتُ منه.

"ما هذا المكان بحق الجحيم؟"!

تقـدّمتُ بحـذر نحـو الغابـة السـوداء المخيفـة، وبعـدها تتابعـت خطواتي، المتوجّسة مما سيصادفني في الطريق.

بعـد فـترةٍ نظـرتُ لقـدميّ الحـافيتين، وفجـأةً أغلقـت أجفـاني لوحـدها مـن التعـب والمشـي بـلا وجهـة، وبـرغم المسـافة التـي قطعتُهـا فـما زلـتُ عالقـةً بوسـط تلـك الغابـة. شـعرتُ بتعـب وإرهـاق شـديدَين، وقاومـتُ كثـيراً. كانـت عينـاي تُغلـق لا شـعورياً وأعود لفتحهما مكملـةً سـيري عـلى أمـل الخـروج مـن الغابـة وذلـك المكان الـذي لم أعـرف كيـف وصـلتُ إليـه. فتحـتُ عينـاي في إحـدى المـرات عـلى صـوتٍ غريـب، بعـد أن غلبنـي النعـاس ونمـتُ دون إدراك. كـان قبـالتي عـلى بُعـد عـدّة أقـدام مخلـوقٌ غريـب لم أرَ مثله قبلاً وصعب الوصف.

Mary

كـان ينظـر إليَّ ولعابُـه يسـيل مـن فمـه، فـأوحى منظـرهُ أنّـهُ كـائن مفـــترس. كنـــتُ نائمـــة بجانـــب إحـــدى تلـــك الأحجـــار الضخمة،فنهضـــتُ بـــبطء ثـــم انطلقـــتُ راكضـــةً بخطـــى واسـعة،لكنني وقعــتُ جـرّاء تعــثّري بغصــن، فــانقضَّ الكــائن عليَّ،قبـل أن أرمـي بنفســي جانبـاً بعيـداً عنهُ،ليسـقُط ثقـلي عـلى إحدى تلك الأحجار، فصارت تنفطر.

"يا الهي هذه بيوض وليسَت حجارة"!

تمالكــتُ نفســي سريعــاً ثــم ركضــت بيــنما كــان المخلــوق ورائي بأقصــى سُرعتــه، ولحســن حظّــي إنــهُ لم يكــن سريعــاً وإلا صرتُ وجبتهُ في ثوان.

فجــأةً بــدأ يقفــز مــن بيضــة عملاقــة إلى أخرى،وكأنــهُ أراد محاصرتي من الأمـام. كـان يقفـز مسـافات طويلـة جـداً، بيـنما كنـتُ أركـض ونَفَســي يكـاد ينقطـع رُعبـاً وتعبـاً. ثـمّ حَـدَث مـا كنـتُ أخشـاه، إذ قفـز أمـامي وأصـبح بمـواجهتي فاسـتدرتُ وإذا بثلاثـةٍ مـن نفـس المخلـوق خلفـي، لأصـبح مُحـاصرة مـن كُـل الجهـات. بدأوا يتقدّمون نحوي ببطء ولعابهم يسيل.

فكّرتُ أن أمري قـد انتهـى، لـن أرى ابنـي ثانيـةً ولـن أعـيش حتـى أعيـدهُ إلى حُضـني... سـأغمض عينـاي وأستسـلم لِمصـيري. لم يكـن معــي مــا أســتطيعُ بــه الــدفاع عــن نفســي، ولم يوجــد مخــرج فالأحجــار الضــخمة ســاعدتهم عــلى مُحــاصرتي بســهولة. كنــتُ ســأموت عــلى يــد كائنــات مجهولــة في مكــانٍ أراهُ لأول مــرة في حيـاتي. اقتربـوا منـي أكـثر، وأصـوات لهـاثِهم وزمجـرتِهم تقـترب مـن أذني.

"سينهشـونني في أيـة لحظـة... ألـيس هـذا مـا كنـتُ أريـدهُ؟! ألم أتمنى الموت؟! فلأتقبّله بثبات"...

فجأة سمعتُ صوت امرأةٍ تهتف بلغةٍ غريبة، لم أفهم كلماتها:

-كاهينو داموراي... كاهينو داموراي...

فتحـتُ عينـي لأجـد أمـامي امـرأة شـاحبة البَشـَرة ذات آذان طويلـة بنهايـاتٍ سـوداء، وعـلى وجهها وفخـذها نقـوش سـوداء. توهّجت عيناهـا وهـي توجّـه نحـوي سـهماً، وأوحَـت ملابسـها بأنهـا محاربـة أو شيء مـن هـذا القبيـل. كانـت تقـف بيـنهم، وبـدا أنهـا منعـتهم مـن الاقـتراب منـي. ربّمـا كـانوا أصـدقائها أو حيواناتهـا الأليفـة، فهـم لم يكونـوا مـن فصـيلة واحـدة. لم أكلّمهـا لأنهـا تحـدّثت بلغـة غامضـة، لكنهـا فاجـأتني عنـدما تكلّمـت بلغـةٍ انكليزية أمريكية اللكنة!

Mary

- اسـمعي أيتهـا البشــرية، لا تظنّـي إننـي أنقـذتُ حياتـكِ لأنـكِ ذات قيمــة، لكــن لأنّــكِ الوحيــدة التــي تســتطيع إصــلاح مــا أفسدتِه، وإلا فأنـتِ تستحقّين المـوت بأبشـع الطـرق جـزاءً عـلى مـا فعلتِه.

-بغضّ النظـر عـن مـا قلتِـهِ للتـو، والـذي لم أفهـم منـهُ شـيئاً، هـل تعرفينني؟! مَن أنتم وما هذا المكان؟

-هل نسيتِ أوزوريـس بهـذه الســرعة؟! أنـتم البــشر، يـا لكُـم مـن حُثالات ومخادعين...

-لقــد تــم اختطــاف ابنــي مــن جهــة مجهولــة، لا أعــرف مكانــه،وجئتُ إلى هنـا بالخطـأ ولا أعلـم حتـى مـا هـذا المكـان... أينَ الخِداع في الأمر؟

-ابنــكِ ســيموت الآن بســببكِ، أتعلمــين لــو وصــلت إليــكِ الملكــة قبلي لأعدمتكِ على مرأى سكان المملكة.

-مــا الــذي تقولينــهُ؟! مــن أيــن تعرفيننــي انــا وابنــي؟ وكيــف سيموت بسببي؟

-أعرفهُ، بيتر... إن لم تنفّذي ما أقولُهُ لن تستطيعي إنقاذه.

-بـالطبع سـأنفّذ كـل مـا تريدينـهُ منـي، لكـن أرجـوكِ اتـركي إبنـي وشأنهُ... إنهُ طفل بريء لا ذنبَ له.

-لستُ أنا مَـن اختطفـتُ ابنـكِ وهـو لـيسَ لـدينا، لكننـا نعـرف مَـن اختطفــهُ وكيــف يمكــن تخليصــه. لقــد وضــعتِه ووضــعتِ نفســكِ بهذا المأزق... فهذهِ نتيجة الخيانة.

-أيّة خيانة؟!

-لم تنصت إليّ، وأخرجت من حزامها شيئاً أشبه بالكبسولة.

-هش، ولا كلمة.

اقترَبَت منِّي وأمسكت يديّ لتضمّهما إلى الخلف بقوة وتضع الكبسولة عليهما، فخرجت منها حبالٌ نباتيّة غليظة التفّت حول معصميّ وقيّدتني بقوة، ثمّ دفعَتني لأصعد على إحدى تلك المخلوقات التي كانت تريد افتراسي.

-أرجوكِ أخبريني من سيقتل ابني؟ وكيف أستطيع إنقاذهُ؟

-اتبعيني وأنتِ صامتة.

بقينا نمشي في الغابة أسألها وهي لا تجيب، حتى بدا أننا وصلنا إلى نهايتها حتى سئمتُ وانفجرتُ بغضب:

-هذا يكفي! أنا لا أذكر شيئاً... لقد دخلتُ في غيبوبة جعَلَتني أفقد جزءاً كبيراً من ذاكرتي. أنا لا أعرف هذا المكان صدّقيني،فكيف أتذكّركم أنتم؟! زوجي والد إبني لا أتذكر أي شيء عنهُ ولا حتى وجهه. أعلم إنّكِ لن تصدّقي هذا... لا أعرف من أنتم... نحنُ البشر يمكن أن نفقد الذاكرة حينما نمرّ بصدمةٍ أو حادث ما...

كُنا على وشك الخروج من الغابة، لكن فورَ انتهائي من الكلام توقّفت المرأة فجأةً لتستدير وتقترب مني.

-ماذا تقصدين؟ ألا تتذكّرين سايمون؟

مَن سايمون؟! .... لحظة .... هذا الاسم ذُكِر أمامي مرةً واحدة وشعرتُ وقتها بألم فظيع في رأسي، كأنّهُ كان يعني لي شيئاً لكنني لم أستطع تذكّر أي شيء بخصوصه...

-سايمون زوجكِ.

-ماذا؟! لا، زوجي كان اسمهُ مارك... أنتِ مُخطئة بشأن هذا...

-لستُ مُخطئة. زوجكِ يُدعى سايمون وابنكِ بيتر...
-ولكن ليندا قالـ.....
-وأنـتِ كـاثرين ووالـدكِ ألـبرت سـميث، هـل تريـدين أن أخـبركِ بالمزيد؟
-من أنتِ وكيف تعرفين كل ذلك؟! وما هذا المكان؟
ابتسمت واضعةً يدها على خصرها ثم أشاحت بنظرها عني.
-يبدو أنهُ فعلها معكِ. لقد قاموا باستغلالكِ إذن...
-من تقصدين؟ عمَّ تتكلّمين؟!
-لا بُدّ أنهم تلاعبوا بالمرآة، كيف لا وهي في حوزتهم...
-من هؤلاء؟ ماذا فعلوا معي؟ أرجوكِ أريدُ أن أفهم.
أنتِ فاقدةٌ للذاكرة فعلاً، على ما يبدو، ويجب عليَّ أن أعيدَها لكِ...
-أشكركِ لأنّكِ صدّقتِني، ولكن كيف ستُعيدين ذاكرتي؟
-كـما تـرين فأنـا لسـتُ بَشـَراً وهـذا لـيسَ وَطَنـكِ. هنالـكَ لُعبـةٌ قَـذِرة، لا أعـرف إن كُنـتِ قـد أدخلـتِ نفسـكِ بهـا أم أنّـهُ قَـدَركِ... عـلى أيـةِ حـال يجـب أن أسـاعدكِ لـكي تُسـاعدينا... أتُريـدينَ ذلـك أم لا؟
-بالطبع، لكن كيف سأنقذ بيتر؟!
-إذن سنذهب إلى مكان آخر قبل أن آخذكِ للملكة.
-سـأذهب معـكِ أيـنما تريـدين، إذا كـان في ذلـك إنقـاذ بيـتر. أنـتِ تعرفين اسمي وكل شيء عني، هل لي بمعرفة اسمكِ؟
-إيفا, الاميرة ايفا.
تقـدّم أمامنـا أحـد المخلوقـات التـي كانـت تلاحقنـي، وفجـأة بـدأت أطرافـه وملامـح وجهـه بـالتغيّر. لم أصـدّق مـا شـهدتُه، كـان

يتحوّل إلى كائنٍ أضخم بجناحَين عظيمَين. استمرّ بالتضخّم وبرزَ لهُ ذيلٌ طويلٌ وجناحان ضخمان، ثم بسطهما باتجاهنا وكأنهُ يريد منا أن نعتلي ظهرهُ. تقدّمت إيفا وأمسكت بذراعي المُقيّدة لِتَسحَبني معها وهي تتوجّه إلى أعلى ظهر الكائن،ماشيةً على جناحه. خفتُ أن أخطو خطوة عليه فيتألّم ويركلني، لذا سحبتُ نفسي منها بالاتجاه المُعاكس, لتصرُخ بوجهي

-ماذا دهاكِ؟ هل تعتقدين إن الأمر متوقّف على رغبتكِ؟ ستأتينَ شئتِ أم أبيتِ!

-سآتي معكِ لكنني أخاف أن نؤلمهُ حين نمشي على جناحه.

-يا لغرابتكِ، تُشفقينَ على مخلوق أرادَ افتراسكِ قبل دقائق. الرحمة مُتناقضة مع ما أنتِ عليه... لا تقلقي أن أجنحتهُ قوية جداً، اصعدي هيا ولا تؤخّرينا أكثر.

وضعتُ قدمي على الجناح أتحسّس قوته بالضغط عليه بقدمي، فلقيتُه كالفولاذ. وهكذا صعدنا على ظهر الكائن الغريب وأنا لا أزال مُقيّدة اليدين.

-قلتُ لكِ إنني معكِ، لِمَ لا زلتِ تُقيّدينني؟!

أجابتني بلا مبالاة:

-ببساطة لأنني لا أثق بكِ. لا يمكن الوثوق بكلام الخونة حتى وإن أقسَموا مراراً وتكراراً... وأنتِ مجرّد خائنة.

-حسناً كما تقولين، فهمتُ إنني خائنة، ولكنني مَن الذي خُنتُه؟! أخبريني على الأقل.

-سوف تتذكّرين بنفسكِ بعد وصولنا...

استمرّ الكائن بالتحليق بنا في السماء، ومررنا فوق الكثير من الأراضي التي بدت عادية، وهو أمر غريب بالنسبة لذلك المكان، لكنّ السماء كانت مليئة بالأحجار اللامعة التي حلّقنا بينها. لاحت تحتنا مساحات خضراء واسعة، غابات وصحارٍ ووديان، لم أركّز فيها فقد كنتُ بانتظار الوصول ومعرفة ما الذي يحدث. أخيراً اقتربنا من جزيرة كبيرة جداً طافية بالسماء،رأيتُها من بُعد. كيف لجزيرةٍ أن تطفو في السماء! شعرتُ أنني في أحد الأفلام الخيالية، وفجأةً استدارت إيفا نحوي ودفعَتني للوراء، ليقوم الكائن بإنزال شيء فوقي فأصبحتُ داخل فراغٍ مُظلم، مكثتُ فيه لمدة لا تقل عن ساعة،قبل أن تُفتَح الحُجرة قليلاً، وأسمع صوت إيفا هامساً:

-لا تُصدري صوتاً، ابقي هنا حتى أقوم بإخراجكِ بنفسي.

-ولكن...

-اصمتي ونفّذي ما أقوله.

بقيتُ في الحُجرة المُظلمة، أسمعهم يتكلمون بلغتهم الغريبة التي لم أفهمها، وبعد فترة فَتَحت لي الحُجرة وكُنّا داخل كهف غير طبيعي،فقد كان كبيراً جداً ,بعض الحجارة على أطرافه مُضيئة وأنارت الكهف كُلّه. هنالك عرشٌ حَجَري في وسطها وأمامهُ بُحيرة واسعة ذات مياه رمادية اللون تضيء بشكل جميل وغريب جداً. نظرتُ أولاً ورائي لأتبيّن ماذا كانت تلك الحُجرة التي أطبقت فوقنا. لقد كانت جزءاً من جسم ذلك الكائن، تتكوّن من عظام، تشبه عظام القفص الصدري إلى حدٍّ ما، تصطفّ على ظهره وهو يتحكّم بها فيطبقها ويفتحها متى

شاء. ما تلك الكائنات والأماكن الغريبة، ما ذلك الجنون؟! كُل شيء كان عجيباً.
-هل ستتأمّلين كلّ شيء حولكِ طويلاً؟
-لا، فقط أذهلني المكان وما أراه هُنا...
-هيا انزلي، لا داعي للذهول.
-ما هذا المكان؟
-هذا المكان الذي ترينهُ أمامكِ الآن، والذي يبدو للوهلة الأولى جميلاً وساحراً، ليسَ سوى قاعة إعدام توجد واحدة مثلها في كل مملكة من ممالك أوزوريس الثلاث.
-قاعة إعدام؟! كيف يكون هذا الشيء قاعة إعدام؟ وما هي أوزوريس؟
-هل تُريدين أن أريكِ كيف يكون الإعدام؟ على العموم إذا علمت أمي بوجودكِ سيكون هذا المكان آخر شيء تجرّبينهُ في حياتكِ.
-لماذا جلبتِني إلى هُنا؟ هل بيتر هنا؟
-أمسكت بذراعي المُقيَّدة برفق وسحبتني ببطء نحو البحيرة حتى صارت تبعُد عن قدميّ الحافيتَين مسافةَ شبرٍ واحد.
لتقترب من اذني هامسةً بِخُبث
-أنظري إلى هذهِ المياه، كم هي جميلة وهادئة وساحرة, يقبع بداخلها أشرس وأقوى وحوش الظلام في أوزوريس، ما أن تُلقى له ضحية حتى يلتهمها بلحظة، قبل أن تتفوّه حتى بأمنيتها الأخيرة.
ابتلَعتُ ريقي بتوتُر

-لا أفهم لماذا تخبريني بهذا...

فجأةً وقبل أن أكمل جملتي تراجعت إيفا قليلاً، وقبلَ أن ألتفت نحوها جاءتني رَكلة قوية على ظهري أفقدتني توازني فسقطتُ داخل البُحيرة مُقيّدة الذراعين. غطستُ في الماء وكأنني جذعُ شجرة. فتحتُ عيناي داخل المياه وكانت البُحيرة خالية، لم أرَ غير ماء رمادي واشعاعات الضوء المتفرقة التي اخترقت المياه. ترقّبتُ ظهور ذلك الوحش، وأنا أحاولُ تحريك أطرافي بكل طاقتي للصعود إلى السطح،ولكن عبثاً، فقد كنتُ أغوص في الأعماق. حينها استسلمتُ وكانت الفقاعات التي تخرج من فمي هي آخر شيء رأيتُه قبل أن يتسرّب الصقيع من جسدي إلى داخل دماغي، حينَها أغلقتُ عيناي ولم أعد أشعر بشيء سوى البرودة في رأسي. عندما فتحتُ عينيّ كانت حدّة الصقيع قد خفّت في رأسي، وتوضّحت الصورة أمامي بالتدريج. كانت إيفا بصحبة إحدى تلك الكائنات، تجلس بعيداً وتنظر إليّ بلا مبالاة.

-لقد أخرجتِني من البحيرة... ظننتُ أنه قد انتهى أمري...

نهضتُ ألتقط أنفاسي بصعوبة وتقيأتُ بعض المياه التي ملأت جوفي ، فَنَهَضت إيفا من مكانها ببطء:

-والآن، هل تستطيعين التذكّر؟

-أنتِ...

سرحتُ قليلاً.

-نعم، بعض الصور والأحداث بدأت تعود لي، أشياء لم أرَها منذ سنوات، ونسيتُ وجودها تماماً.

-لم أصدّق، كيف يمكن استعادة الذاكرة هكذا؟ لقد زرتُ الكثير من الأطباء ولم يُجدِ ذلك نفعاً. لماذا الآن فقط؟!

-ما الذي فعلتِه بي؟ كيف جعلتِني أتذكّر؟!

-ليسَ أنا، إنها بُحيرة الكريدينس، لها خاصيّة فريدة اكتسبَتها من ذلك المخلوق. لعلمكِ، لم أصدّق أنكِ فاقدة للذاكرة إلا عندما رأيتُ هذه النُدبة على رقبتكِ.

اقتَرَبَت مني ورفعت شعري المُبلّل كاشفةً رقبتي.

-هذهِ نُدبة مخلوق الكريدينس، هو مَن خلّفَها لكِ، وتسبّب ندبتهُ فُقدان للذاكرة. يمكن استعمال أنيابهُ لإحداث نفس التأثير، ويبدو أنهم قاموا بجرحكِ بإحدى انيابه. بقيَ أن تعرفي أنّ مياه بحيرته تعكس تأثير الندبة عند ملامستها لمكان الجرح،لِذلك عادت لكِ ذاكرتكِ يا كاثرين.

قبل 12 عام...

(كاثرين / لندن / 2010م)

نَزلـتُ وأنزلـتُ حقـائبي مـن سـيارة الأجـرة. كنـتُ مُتحمّسـة جـداً ,اعطيـتُ الأجـرة للسـائق، ومـا إن ركـب السـيارة وأدارَهـا ليـذهب حتـى لاحظـتُ أن حقيبتـي اليدويـة ليسَـت معـي. اسـتدرتُ نحـو التاكسـي الـذي تَحـرّكَ تـواً لألمحهـا في المقعـد الخلفـي. صـندوقي الخشـبي كـان في داخـل الحقيبـة أيضـاً، في نفـس الوقـت الـذي كـان السـائق قـد وضـع في أذنيـه سـماعات الأذن.

-توقّف سيدي... أرجوك توقّف... نسيتُ حقيبتي!

لكنـهُ لم يسـمعني وانطلقـت سـيّارته. لحقـتُ بـهِ واسـتأجرتُ تاكسيـ آخـر، وتعَقّبنـاه حتـى توقّـفَ ونـزل أمـام أحـد المطاعم،فأخبرتُ السائق بالتوقّف أيضاً وهممتُ بالنزول.

-آنستي، الأجرة؟

-آه حسناً، تفضّل...

أعطيتـهُ البطاقـة التـي أحملهـا معـي، والتـي فَعلهـا لي اليـان ووضع بها بعض المال تحسباً لأي طارئ.

هَرَعـتُ خلـف ذلـك السـائق لأدخـل المطعـم، عسىـ أن أجـدهُ فيـه. دخلـتُ أبحـث بـين الجالسـين وبـين الوجـوه عنـه، واسـتغرب النـاس من دخولي المفاجئ وطريقة بحثي في الوجوه، فأتاني النادل:

-آنستي، ماذا هناك؟ عمَّ تبحثين؟

-أبحـث عـن رجـل أصـلع ذي شـارب... لا أسـتطيع وَصـف شـكله بالضبط، لكنهُ دخل المطعم للتو...
-لقد أزعجتِ الزبائن، من فضلكِ اخرجي.
قالهـا وأخرجَنـي بلطـف لأجـد التاكـسي عـلى الإشـارة المقابلـة في الشـارع المقابـل، فأخـذتُ أجـري كالمجنونـة بـين السـيارات عـلى الشـارع العام،مسـبّبةً الـذعر والإربـاك بـين النـاس وعرقلـتُ حركـة السـير بسـبب هرولتـي الجنونيـة. ولكننـي لم اسـتطع اللحـاق بـه للحظـةٍ شـعرتُ أن أنفـاسي تكـاد تنقطـع، فأمسـكتُ خصـري الـذي آلمَنـي مـن شـدة الـركض، ووقفـتُ حانيـةً ظهـري، ليقـف بجـانبي شخص.
-ما بكِ؟ قولي عمَّ تبحثين... ماذا فقدتِ؟
رفعـــتُ رأسي لألقـــي نظـــرة عليـــه، وأنـــا ألهـــث مـــن التعـــب والألم،وشـعري متنـاثر عــلى كتفـيّ، بيـنما تصـبَّبت قطـرات العـرق من جبيني.
-لن ينفع بعد الآن أي شيء. لقد ذهب... كيف سأجده الآن...
-آنستي، ما الذي فقدتِه بالضبط؟ سأحاول مُساعدتكِ.
-وكيف ذلـك؟! هـل أنـتَ سـاحر أو مـا شـابه... أرجـوك ابتعـد عنـي واتركني أفكّر كيف سأتدبّر أمري.
-آنستي أرجوك اسمحي لي بمساعدتكِ...
-استغربتُ من إصراره.
-ولِمَ أنتَ مُصـِرّ هكـذا؟! مـن أيـن تعرفنـي ومـاذا تريـد؟! قلـتُ لـك لستُ بحاجة إلى المساعدة.

Mary

عـدّلتُ ظهـري ورفعـتُ يـديّ لأكمـل سـيري، بيـنما ظـلّ الشـاب واقفاً يراقبني، عاقداً ذراعيه أمام صدره.

-حسـناً إذن، دعينـي أرى كيـف سـتجدين الشـيء الوحيـد الـذي تركتهُ لكِ والدتكِ دون مساعدة.

تفاجأتُ بشدة مما قالهُ، فالتفتُّ وعدتُ إليه مُسرعة:

-هيي هـل أنـتم عصـابة؟ أنـتَ مـع سـائق التاكسـي ألـيس كـذلك؟ هـل تريـد أن تسـاومني؟! أيهـا الحـاذق، أنـا لا أملـك شـيئاً، ومـا سرقتُمـوه لـيس بشـيء ذي قيمـة ماديّـة أصـلاً... ثـم كيـف عرفـتَ إنه تَرِكة من والدتي؟!

-وكيـف تعـرفين أنـه بـلا قيمـة ماديـة وأنـتِ لم تفتحيـه بعـد هـا؟ أنـتِ قلـتِ كـل شيء للنـادل خـلال إقناعـه بالسـماح لـكِ بالبحـث داخـل المطعـم. أنـا كنـتُ بـالقرب مـنكما في المطعـم، فقطعـتُ وجبتـي وتركـتُ أصـدقائي وجئـتُ لمسـاعدتكِ، لكـن يبـدو أننـي فعلاً أحمق...

-هكـذا إذن... حسـناً أنـا أعتـذر، لكننـي متـوترة جـداً الآن، كيـف ستساعدني؟

بـالطبع، أنـتِ في مكـان غريـب عنـكِ تمامـاً، معـكِ حـق في أن تتوتّري وتخشَي الجميع.

-وكيف عَرَفت إنني لستُ من هُنا؟

لهجتُكِ كافية... لا داعٍ لأدلّةٍ أكثر.

-حسـناً، أنـا فعـلاً غريبـة، وصـلتُ مـن فرنسـا قبـل سـاعات فقـط... لم تخبرني كيف ستُساعدني الآن؟

-هذا بسيطٌ جداً، هل حفظتِ رقم سيارة الأجرة؟

-نعم، خلال ملاحقتها...
-جيد، سأتصل بمعارفي لنحصل على رقم هاتف صاحب السيارة بناءاً على رقمها، ثم نتصل به لنستعيد الصندوق.
-بهذهِ البساطة؟
-أجل... بهذهِ البساطة.
رَفَعَ هاتفهُ فأعطيتهُ الرقم واتّصَلَ بصديقٍ له.
-مرحباً جيك، هل لي بخدمة؟ لقد نسيت صديقتي أغراضها في سيارة أجرة، هل بإمكانكَ أن توصلنا بهِ؟ هذا رقم السيارة...
أغلقَ لاحقاً الهاتف، بعد أن اتّفق مع السائق على اللقاء في كافيه قريب، وكلّمني بابتسامةٍ رقيقة.
-هل ارتحتِ الآن؟
-ليس قبل استرداد حقيبتي.
-إذن تعالَي لننتظرهُ في المقهى.
دخلنا للمقهى وجلسنا، طلب هو كوباً من اللاتيه بينما لم أطلب أنا سوى الماء.
-ماء فقط؟
-أجل لا أرغب بشيء آخر.
ليستدير نحو النادل
-أحضر لنا اثنين لاتيه.
كما تأمر سيدي.
-حسناً، ألن تُخبريني باسمكِ؟
-كاثرين.
-يا لهُ من اسم جميل...

-رَنَّ هاتفهُ لينهض.
-ها قد وصل السائق، سأذهب إليه.
ذَهَب وبعد دقائق عاد حاملاً حقيبتي، فأخذتُها منهُ وفتحتها بِسرعة ولهفة للاطمئنان على الصندوق.
-إنهُ هُنا وما زال مُقفلاً. لا أعرف كيف أشكركَ يا... لم أعرف اسمك بعد.لا عليكِ فأنتِ كنتِ في عالم آخر، تطاردين الصندوق ولم تهتمّي بمعرفة اسم هذا الذي تَرَكَ كل شيء فور رؤيتكِ محتاجة للمساعدة. أنا سايمون رايتشل.
-تشرّفتُ بِكَ سايمون. أنا جداً آسفة لأنني ظننتكَ لِصاً في بادئ الأمر، وشكراً جزيلاً على كل شيء.
-لا عليكِ. أنا موجود، متى ما احتجتِني فقط أغمضي عينيكِ وانطُقي إسمي وستجدينني أمامكِ.
ارتَسَمَت على وجهه ابتسامةٌ مازحة زيّنت محيّاه.
-حقاً أشكرك.
-لا عليكِ لم أفعل شيئاً. دعيني أوصلكِ إلى حيث تريدين.
-لا داعٍ لذلك حقاً، سأستقلّ سيارة أجرة...
-وتنسَيْن الصندوق فيها وتعودين للمطاردات أليس كذلك؟
-هاهاها... حسناً معكَ حق. يبدو أنني فعلاً متوتّرة بسبب مجيئي لمكان وحياة جديدة لستُ مُعتادة عليها.
خرجنا من المقهى وتمشّينا قليلاً لنصل إلى سيارته.
-ما سَبَب مجيئكِ إلى لندن؟
-جئتُ لأجل الدراسة في جامعة لندن، وسأمكُث في سَكَن الطالبات هُناك.

-جميل جداً. أتمنى لكِ التوفيق، والاعتياد السريع على المدينة.

وصلنا إلى سيارته الفيراري الفضيّة التي كانت بأحدث موديل،ودَلَفتُ إليها بعد أن فَتَحَ لي الباب. حالَ اشتغال السيارة انطلقت مقطوعة موسيقية هادئة، ولم يسألني سايمون سؤالاً واحداً بعدها فعمَّ الهدوء خلال الطريق. وصلنا إلى الجامعة وأوقفَ السيارة، فشكرتُه ليرمقني بنظرة هادئة مع ابتسامة. نزلتُ والتفتُّ لكي أكلّمهُ، لأجده قد غادر.

" لماذا ذهب بهذه السرعة! كنتُ سأدعوه لشرب القهوة. كم هو غريب، لكنهُ لطيف بنفس الوقت" حَدّثتُ نَفسي لأتوجّه بعدها إلى مبنى الجامعة، وكان المساء قد حَلّ. ناداني أحد الحرس الخاص بالجامعة فور رؤيتي.

-آنستي لقد أتيتِ قبل ساعة وذهبتِ تاركةً أغراضكِ هنا،فأدخَلناها واحتفَظنا بها لك لحين عودتك.

شكراً لكم حقاً، أنا طالبة جديدة وقد تمّ قبولي لدراسة الهندسة المعمارية هنا...

نعم آنستي، لقد بحثنا عنكِ في المنظومة الإلكترونية للجامعة ووجدنا إنكِ إحدى الطالبات الثلاث اللواتي أحرزنَ أعلى علامة في اختبار القبول، لذا تمّ وضعكِ مع زميلتيكِ المتفوّقتَين في غرفة واحدة لثلاثة أشخاص. تفضّلي معي لنذهب إلى سكن الطلبة الخاص بالجامعة.

نهض من الحاسوب ليرافقني بعد عثوره على اسمي ورَقَم غُرفتي، بزيّه الرَسمي المكويّ بِعناية. وهكذا كنتُ أول الواصلين إلى غرفة السكن. كانت الغرفة واسعة جميلة وكأنها

شـقّة،تحتوي عــلى حــمّام وثلاثــة أسرّة ونافــذة كبــيرة. أدهشــني جمالهـا وترتيبهـا فتفحّصتُها بإعجـاب، قبـل أن أرمـي بنفســي عـلى الســرير الأقــرب إلى النافــذة بفرحــة كبــيرة، وتفرّجــتُ منهـا عــلى شوارع لندن التي تعجّ بزحمة الناس والسيارات.

"بما إنني أول الواصلين، فسوفَ أختار السرير الذي يعجبني."

استيقظتُ صباح اليوم التالي على صوت طرق باب الغرفة.

-آنسـة كـاثرين لـو سـمحتِ افتحـي البـاب. لقـد وصـلت شريكتـكِ في الغرفة ليندا.

-حسناً أنا آتية.

فتحــتُ البــاب وأنــا أتمطّــى وعينــي نصــف مفتوحــة، فوجــدتُ الأســتاذة مـادلين مُشــرفة الطلبـة عـلى البـاب، ومعهـا فتـاة شـقراء خمريّــة اللــون متوســطة الطــول، بــدت عفويّــةً وودودة، حَدَســتُ ذلك من ابتسامتها البلهاء وطريقة مصافحتها لي.

-أهلاً بكما صباح الخير.

-أهــلاً بــكِ كــاثرين، أنــا لينــدا تشــرّفتُ بمعرفتــكِ حقــاً... أنــتِ جميلــةٌ جــداً! زميلتنــا الثالثــة لــن تــأتي فقــد ألغــيَ قبولهــا في الجامعة، لذا ستبقى هذه الغرفة لنا أنا وأنتِ فقط.

-كاثرين، تَولّي أمرها وأريها الغرفة وعلّميها ما علّمتكِ إياه.

-حسناً أستاذة.

دخلَـت لينـدا بابتسـامة عريضـة وعـانقتني، وبـدا عليهـا الحـماس لمشاركتي الغُرفة.

-سـنكون أفضـل صـديقتَين، أنـا متأكـدة مـن ذلـك. لقـد ارتحـتُ لـكِ جداً منذ الآن، فكيف إذا سكنّا مع بعض.

-حسـناً سـتكون صـداقتنا رائعـة بالتأكيـد ... لكننـي حقـاً نعسانة،أرجوكِ دعيني أعود للنوم قليلاً.
مرَّ شهران، تعرَّفنا فيهما على بعض وأصبحنا صـديقتين، وتمكّنـتُ مـن إيجاد عمل، مندوبة مبيعات لشركة عبر الإنترنت، وفّرَ لي أجـراً شـهريّاً مناسباً ساعدَني في تكفّل جزء من مصـاريف الجامعـة. في مسـاءٍ كنـتُ جالسة على السـرير بجانـب لينـدا، وقـد انتهـت تـواً مـن سرد قصـة انفصال والديها.
-الآن حـان دوركِ لـتحكي لي حكايتـكِ. أيـنَ والـداكِ؟! هـل لـديكِ أخوة؟!
سـقطت دمعـة مـن عينـيّ بعـد أن فشـلتُ في مـداراتها، فعـانقتني زميلتي بلطف:
-ما بكِ عزيزتي؟! أخبريني...
حكيتُ لها قصتي وما حَدَثَ معي لغاية قبولي في الجامعة.
-إذن لماذا تخشَين فتح الصندوق؟!
-خوفاً من أن أُصدَم بحقيقـةٍ أسـوء مـن كـلّ مـا عشـتُه، فكـلام أمـي في ذلك اليوم أخافني جداً، صرتُ أخاف من كلّ شيء ليندا...
رَبَّتَت على كَتِفي بِلُطف.
-عزيـزتي يجـب أن تـواجهي مخاوفـكِ وتفتحـي الصـندوق. يجـب أن تعرفي ما بداخله.
نهضـتُ محضـرةً الصـندوق مـن خزانتـي بتـوتّر، بيـنما كانـت ليندا تهـزّ رأسـها إيجابـاً مـع ابتسـامة لتشـجّعني عـلى فتحـه،أردَفَت قائلة:
لا تخافي، افتحيه.

فتحتُ الصـندوق، وكانـت بداخلـه قـلادةٌ فيهـا حجـرٌ ذهبـيّ رائـع اللــون، كأنّــه يحتــوي عــلى أجــرام ســماويّة بداخلــه تســحر الناظر،وبجانبه ظرف...!

ليندا / لندن / 2010م

كانت كاثرين تقرأ الرسالة عندما بدأت تنهال الدموع من عينيها كالسيل. لم أعرف ما كُتبَ فيها لأنها باللغة الفرنسية، أما كاثرين فقد قرأت بصمت وهي تبكي، ولم تُجِبني عندما سألتُها. رَفَعت رأسها باتجاه النافذة ثم نهضت من السرير وفتَحَتها. كانت هناكَ عاصفة ثلجية في الخارج، فَفي هذا الوقت من كل عام تتساقط الثلوج بغزارة. دلفَ الهواء البارد ورَذاذ الثلج إلى الغرفة فورَ فتحها للنافذة، فتطايرت الستائر والأوراق التي كانت على المكتبة، بينما وقفت كاثرين أمام الهواء ببيجامة نوم قطنية لا يمكن أن تقيها من البرد.

-ما بكِ كاثرين؟! ماذا كُتِبَ في الرسالة؟ ولماذا فتحتِ النافذة؟!

دون ان تُجيبني كانت الرسالة بيدها، فأمسكتها بيدها الأخرى ومزّقَتها نصفين ثم أربعة وثمانية، قبل أن ترميها من النافذة. طارت قطع الرسالة في العاصفة واندَمَجَت مع حبّات الثلج، حتى وصَلَت لمكانٍ خارج مدى الرؤية. اعتقدتُ أنني عرفتُ ما كُتبَ في الرسالة دون أن تخبرني كاثرين، وبدا إنه فعلاً سيغيّر حياتها للأبد. تقرّبتُ منها ووضعتُ يديّ على كتفيها،قبل أن أعانقَها من الخلف بمُواساة.

-لا بأس يا صديقتي... صدّقيني سيمضي كلّ شيء.

فاستدارَت لتعانقني وهي تبكي. شعرتُ بعد فترة قصيرة أنها هدأت، لكنّها لم تخبرني بشيء وأنا بدوري لم أسأل. لقد قلقتُ عليها كثيراً، صحيحٌ أن صداقتنا حديثة العهد لكنّ قصة كاثرين

وشخصيتها قد أثّرَت بي إلى حدٍّ لم أكن أتصوّره. لقد كنتُ دائمة الاعتقاد بأنّني مظلومة وتعيسة ووحيدة جداً، لأن أمي وأبي بعيدان عنّي، يقضِيان وقتهما في العمل، وكلٌّ منهما في بلد وفي حياةٍ مختلفة عن الآخر،والاثنان مختلفان عن حياتي تماماً،لكنّهما على الأقل موجودان،وهذا منحني الأمل في أن يعودا لبعضهما. مهما كنتُ قويّة فلن أبلغَ قوة كاثرين، والمصائب الكبيرة لا تحدث إلا للبشر الأقوياء، لأنّ "الله لا يكلِّفُ نفساً إلا وسعَها". تلك العبارة من الكتاب المُقدّس للمسلمين "القرآن"، الذي قرأتُه بعد أن سمعتُ أنه يجلب الطمأنينة والسكينة لقارئه. هناكَ عبارات كثيرة فيه لامست قلبي، لكنّ أكثرها ترددّاً في نفسي "إنّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له كُن فيكون" و "لا يُكلّفُ اللهُ نَفساً إلا وسعَها"، لأنها عَنَت أنّ الله يعطيكَ هبة القوّة وفي المقابل يجعل ظروف حياتك على قدر قوّتك التي منحكَ إياها، وهو قادر على تغيير قَدَرك بكلمة واحدة إذا شاء. يا لها من آياتٍ جميلة!

أصبحت الساعة التاسعة مساءاً وأنا جالسة قرب المدفأة،أحاول حلّ الواجب المنزلي الذي كلّفَنا به أستاذ الرسم الهندسي، والذي كان صعباً معنا ومتَزَمِّتاً منذ البداية. لا أفهم لِمَ كان يستعجل في شرح المواضيع المقرّرة، في ظل معاناة أغلب الطلاب من طريقته بشرح المادة. يقولون إنه سوف يُحال إلى التقاعد في نهاية العام فقد وصل للسنّ القانوني، فلا عجَبَ في أنه قد فقدَ قدرتهُ على التعمُّق في إيصال المعلومة. أما كاثرين فقد غلبَها النعاس ونامت، بعد أن هدأت ومكثت قليلاً تتأمّل

القــلادة التــــي كانـــت داخـــل الصـــندوق. أنـــا أيضـــاً ســـآخذ قيلولـــة،فَمنظر كـــاثرين وهـــي نائمـــة في الفـــراش الـــدافئ يشـــجّع الـرائي عـلى النـوم ويثـير النعـاس فيـه. نهضـتُ واتجهـتُ إلى سريـري الـــدافئ، آه كـــم هـــو جميـــل النـــوم في جـــوٍ كهـــذا. أثقـــلَ النعـــاس أجفـــاني، وأنـــا أتطلّـــع في كـــاثرين وسريرهـــا الـــذي يبعـــد بضـــعة أمتـــار عـــن سريـــري. تلـــكَ الماكـــرة، لقـــد حجـــزَت الســـرير الأقـــرب للنافـــذة قبـــل مجيئـــي. غلبنـــي النـــوم، ولم أشـــعر إلا بصـــوتِ هســـيس بعـــد فـــترة، لا أعلـــم كـــم طالـــت. فتحـــتُ عينـــيّ ولم تكـــن كـــاثرين في سريرهـــا، فنهضـــتُ وبحثـــتُ عنهـــا، لم أجـــدها في الحـــمّام ولا في الغرفة، وبدا أنها خرجت.

"أهـــي مجنونـــة؟ كيـــف تخـــرج في جـــو كهـــذا؟! العاصـــفة لم تهـــدأ بعد"...

فتحـــتُ هـــاتفي واتّصـــلتُ بهـــا، كـــان هاتفهـــا مغلقـــاً. تمنّيـــتُ أن لا يصـــيبها مكـــروه. لا تستســـلمي يـــا صـــديقتي، فـــما زلنـــا في بدايـــة حياتنـــا، وســـنواجه الكثـــير مـــن الرَّزايـــا وقـــد ننهـــار، لكـــن يجـــب أن نتماسك ونقوم من جديد، فلَيسَ لدينا حلٌّ آخر.

سجينة التريفي

(كاثرين / 2022م / 3962 قـ)

-هل تتذكّرين الآن؟

-نعم تذكّرتُ بعضاً من الأحداث وليس جميعها. لماذا ذلك؟

-سيعود كُلّ شيء إلى عقلكِ بالتدريج...

قبـــل أن تكمـــل جملتَهـــا هَـــرَع إلينـــا أحـــد المخلوقـــات وهـــو يصـــرخ بشـــكلٍ غريـــب وبصـــوتٍ خافـــت، كأنّـــهُ لم يـــرِد أن يســـمعَهُ أحـــد مـــن

بعيد، وخلفهُ مُباشرةً دخل عدد كبير من المخلوقات المُشابِهة لـ إيفا، كانوا ذكوراً من فصيلتها، بَدَت هيأتهم كجنود حيث حملوا أسلحة مُخيفة غريبة الشكل. كنتُ أقف وأنا مُبتلَّةٌ بالكامل، فاتّجهوا نحونا أنا وإيفا وطوّقونا، واضعينَ أسلحتهم على رقبتي بينما أمسكَ اثنان منهم بإيفا من ذراعيها. كانت غاضبة وتحاول أن تفلت من قبضتهم، فراحت تزمجر عليهم مُكشّرةً عن أنيابها. فجأةً تنَحَّى الحرس جانباً لتدخل أنثى مهيبة، تختلف عنهم بحجمها وملابسها، حيثُ أنها تضع تاجاً ضخماً وغريباً، انحنى الجميع لها عند دخولها

Mary

حتى إيفا جَثَت وحَنَت رأسها ووضعت يديها أمام جبينها وهما مقبوضتان، ثم أدارَتهما خلف رأسها، وكرّرت الحركة ثلاث مرات، قبل أن تتحدّث معها بلغتهم الغريبة. بدت غاضبة أو مستاءة منها، وهي تشير إليّ وتنظر نظرةً حانقة. قاموا بعدها بِأخذي ورميي في إحدى الفجوات الحجرية في أعمق مكان في الكهف، وما إن أدخلوني حتى أُغلِقَ باب الحجرة بحاجزٍ شفاف أشبهُ بالزجاج الأزرق، وبداخله أسواط بيضاء شفافة اللون تحتوي زغباً مُضيئاً وتتحرّك كالأفاعي الصغيرة. لم يكن الحاجز من زجاج بل من مادة غريبة، قرّبتُ يدي منهُ لألمسَه فشعرتُ أن يدي خدرَت بالكامل ولم تعد تتحرّك، ثم صارت تؤلمني بشدّة كأنّ جيشاً من الديدان يأكلها. بقيتُ هكذا لساعاتٍ،بينما وقف اثنان من الحرس خارج حُجرتي الصخريّة الضيّقة تلك.

قبل 12 عام.....

(كاثرين / 2010م)

فتحتُ الصندوق بعد تشجيع ليندا وإلحاحها بألّا أؤجل الأمر. ما أثارَ استغرابي كثيراً هو احتفاظ أمي بتلك القلادة الغالية،وعدم بيعها للاستفادة من ثمنها في ضائقتنا الماليّة. بدت القلادة باهظة الثمن،وتساءلتُ من أينَ لنا بتحفةٍ مثلها. فتحتُ الظرف المُرفَق،والذي اهترأ وتغيّر لونه للأسمر بعد سنوات الحفظ الطويلة،وأخرجتُ الرسالة منه بعناية. حملت الورقة العتيقة رائحة أمي، وكانت مخطوطةً بخط يدها الجميل. كان خطّها كالمزج رشيقاً وجذّاباً، كأنّها تعزف قطعةً موسيقيّة عبر الكتابة.

"ابنتي الرائعة كاثرين...

عندما تقرئين هذه الرسالة أكون أنا قد توفّيت. لا أريدكَ أن تكرهيني، فأنا أحببتكِ دائماً وسأحبّكِ للأبد. أنا وآريان لم نكن ننجب الأطفال، حتى بعد زواجنا بعشرة أعوام، وكان جلّ أمنياتنا أن نرى طفلاً معنا. في أحد الأيام جاء آريان لي بطفلةٍ رائعة الجمال كانت تختنق وتكاد تموت، وجدَها في سريرٍ صغير خاص بالأطفال، وقد امتلأ سريرها بالماء وبجانبه صندوق خشبي. قُمنا بأخذِها إلى المستشفى ونَجَت بأعجوبة، وكانت هذه القلادة بداخل الصندوق، فعَرَفنا أنها قد ضاعت في عرض البحر من عائلتها، لكنّنا تعلّقنا بها لهذا لم نبلّغ بالعثور عليها.

حتـى أنّ جماعـةً جـاءوا إلينـا برفقـة الشرطة، يبحثـون عـن فتـاةٍ ضـائعة، لكنّنـا كـذبنا علـيهم وأنكرنـا وجـود طفلـة لـدينا. سـافرنا بعـدها مـن المنطقـة التـي سـكنّاها وذهبنـا لمكـان لا يعـرف بـه أحد. وقتها يئسـنا مـن إنجـاب طفـل وقرّرنـا بـدء حيـاة جديـدة مـع تلـك الطفلـة التـي غمرتنـا بالسـعادة وكانـت نـور حياتنـا، لكـن سرعـان مـا بـدأ النـور بـالتلاشي مـع وفـاة آريـان، وبقيـتُ وحيـدةً أصـارع الـزمن معهـا. شَـعرتُ بالنَـدَم الشـديد عـلى مـا فعلنـاه، لكـنّ الأوان كـان قـد فات،لهـذا كتبـتُ هـذه الرسـالة وسـأحاول تسـليمها لـكِ بـأيّ ثمـن، بمجـرّد شـعوري بخطـر عـلى حيـاتي أو بقـائي معـكِ. سامحيني عزيـزتي لقـد تصـرّفنا بأنانيـة أنـا وأبـوكِ، سـامحينا. أتمنـى من كل قلبي أن تجدي عائلتكِ الحقيقية... أحبُّكِ جداً".

قرأتُهـا ويـا ليتَنـي لم أفعـل. هـل مـن المعقـول إننـي عشـتُ كذبـةً كبـيرة؟! يـا للأسـف ويـا للحسـرة! مَـن ظننـتُ إنهـما والـديّ قـد وجـداني بالصـدفة، ثـم أخفيَـاني عمـداً عـن عـائلتي الحقيقيـة،وهربا بي إلى مكـان بعيـد. لم أعـرف مـاذا حصـل لي، أصـبحت حـروف الرسـالة تـتراقص أمـام عينـيّ، اسـودَّت الـدُنيا بـوجهي،وصرتُ أشـعر بالرسـالة في يـدي كـالجمر الـذي يحرقنـي وعـليّ الـتخلّص منـه بـأسرع وقـت. هرعـتُ للنافـذة وفتحتُهـا، كـان الجـو صـقيعاً والعاصـفة قويـة لكـن الغريـب إن داخـلي كـان يغـلي ويحـترق لدرجـة إننـي لم اشـعر بـالبرودة القارصـة التـي غـزت دفء غرفتنـا فـور فتحـي للنافـذة. مزّقـتُ الورقـة إلى قطـع صـغيرة، بعـد أن قطَّعَـت أوصـالي وقلبـت ذكريـاتي رأسـاً عـلى عَقـب. عـانقتني لينـدا وحاولت مواسـاتي ولكـن بـمَ سـأخبرها؟ أأخبرهـا أننـي بـتُّ لا أعـرف

مَن أنا؟ وإنّ ما عشتُه كلّهُ كانَ كذبة؟! لأخبر شخصاً بهذا فعلَيَّ أنا تصديقُه أولاً، وكنتُ لا أزال في صدمةٍ. لم يبقَ لي ساعتها سوى تلك القلادة، أملي الوحيد والضئيل. كيف أعرف من أنا ومن أين بمجرّد قلادة؟!

غلبَني النوم وأنا أتأمّلها وأتذكّر كلمات الرسالة، وعندما استيقظتُ وجدتُ ليندا نائمة. شعرتُ باختناق من كلّ شيء واحتجتُ للخروج إلى مكانٍ فارغ ومفتوح، أبقى فيه بمفردي. ارتديتُ معطفي الصوف فوق بيجامتي القطنية،مع قبّعتي ولفّافي وخرجت. لم أعلم إلى أين اتجه،ولكن ما أعلمه هو أن تلك هي الوسيلة الوحيدة التي قد تخفّف ألمي، لعلَّ الصقيع عندما يصيب جسدي يطفئ النار التي شبَّت في قلبي.خرجتُ وسط تلك العاصفة الثلجية التي كانت تارةً تشتد وتارةً تهدأ. سرتُ في طريقٍ بلا وجهة، محاولةً ألا أبكي،لكنّ دموعي خرجت عن السيطرة. لم أشعر بنفسي إلا وأنا قريبة من جسر لندن المُطلّ على نهر التايمز. لفحَ الهواء البارد وجهي كأنّهُ شفراتٌ حادّة تقطّع وجنتيَّ، ونزلت دموعي الدافئة عليهما فشعرتُ أن جراحها تلسعني. انقلبت ذكرياتي والصور التي في عقلي جميعها رأساً على عقب، كلّ لحظة حب خِلتُها نابعةً من قلب أمي صرتُ أراها لحظة استغلال وانتهاز فرص، من قِبل شخصٍ سرقني وسرق طفولتي، وحرمني من أهلي الحقيقيّين. قالت إنهم أنقَذوا حياتي! لو تركوني أموت لكنتُ الآن في السماء أفضل من هذه الحياة التي جَعلوني أعيشها. ما أنا الآن سوى فتاة ليس لها ماضٍ ولا مستقبل.

-لماذا يحدث معي كلّ هذا؟! حياتي التي عشتُها من تعاسة وسعادة كانت برمّتها خدعة. "هل من المعقول إنه لا يوجد إنسان صالح في هذا العالم بأسره؟ لماذا كلّما تقدَّمَ بي العمر أكتشف الشر الكامن في كلّ مَن حولي؟!

لماذا يا إلهي؟"

فجأةً أتاني صوتُ رجلٍ من خلفي:

-التوقّعات هي التي تَجلُب لنا خيبة الأمل وليس الناس. ببساطة لا ترفعي سَقف توقّعاتكِ بأحد، حتى لا ينهار عليكِ ذاتَ يوم.

فكّرتُ أنني قد فقدتُ شعوري وتحدّثتُ مع نفسي بصوتٍ عالٍ فسمعَني أحدهم، لكنّ الصوت كان مألوفاً. مسحتُ دموعي والتفتُّ نحوه، كان الشاب ذاته الذي ساعدني سابقاً في استرداد الصندوق.

-سايمون؟ ألم يكُن هذا اسمك؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟!

-كنت أمشي على الجسر الخالي من الناس في هذا البرد القارس وأتأمّل... هاهاها، لا أنا أمزح. كنتُ خارجاً من العمل وطريقي من هنا، وفضّلتُ أن أمشي في أجواء كهذه. أشعر أنها تُنسي المرء كلّ ألمٍ عاناه في حياته، لكنّ البعض تتفاقم جروحهم في أجواء كهذهِ...

سمعتُ في أثناء سيري صوتاً عذباً،أحزنَني أنّ صاحبتَهُ تبكي بألم.سَرَحتُ في ما قاله فَحقّاً هاجَت جروحي كلّها وأحسستُ بداخلي ناراً مستعرة تأبى أن تنطفئ. احتبسَ الكثير من اللوعة والوجع بداخلي، ولم يخرج منهما إلا تنهيدة عميقة. زفرتُ

سحابة بخار من صدري، كأنّه دُخّان قلبي المحترق وهو يتصاعد عبر أنفاسي.
-اذهب من هنا. لا أريد رؤية أحد أمامي.
اختفت ابتسامة المزاح التي كانت على وجهه. أخذ الثلج يتجمّع على أكتافنا ورؤوسنا، ونحن نقف تحته بلا مبالاة. استدرتُ وابتعدتُ عن سايمون نحو أقرب مقعد ثمّ جلستُ،فتبعَني وجلس بجانبي، واتّخذَ كلامهُ نبرةً أكثر جدِّية.
-ما بكِ أنتِ؟! لماذا تتكلّمين معي بهذه الطريقة؟ إنها لا تليقُ بكِ بتاتاً. ثمّ هل جننتِ لتخرجي في هذا الصقيع مرتديةً معطفاً خفيفاً؟!
هل تريدينَ أن تتجمّدي؟!
فنظرتُ إليه باستغراب وأنا أضمّ ذراعيَّ إلى جسمي من شدّة البرد، وأضغط معطفي على صدري لعلّهُ يُدفئني.
-قل هذا الكلام لنفسك وليسَ لي.
لستَ مُجبراً أن تجلس وتتكلّم معي فنحن لا نعرف بعضنا أصلاً. عُد إلى منزلك.
-لماذا تفعلينَ هذا؟ ما الذي يجعلكِ حزينة إلى هذهِ الدرجة؟ لا شيء يستحق دموعكِ مهما كانت قيمتُه.
-هذا ليسَ من شأنك...
سايمون أرجوك، لا يمكنني تحمّل دخول المزيد من الأشخاص في حياتي. ابتعد من هنا وإلا سأذهب أنا...
-لن أذهب إلا معكِ، وسأعيدكِ من حيث أتيتِ.
-ما خطبُكَ أنت؟!

قمتُ مـن مكـاني بغضـب وسرتُ مبتعـدة عـن المكـان بأقصـى سرعـة لـدَيّ، لكـنّ الـثلج كـان قـد تكـوّمَ عـلى الأرض وارتفـع لسنتمتراتٍ، مما صعَّبَ حركة قدميّ.

-كاثرين مهلاً انتظري... لا يمكنكِ الذهاب هكذا... دعيني أوصلكِ.

فَهـرولَ خلفـي قبـل أن يمسـك بـذراعي التـي كانـت في جيبـي ليسحبني منها.

مـا تلـك الجـرأة التـي لديـه، ومَـن يكـون ليفعـل ذلـك؟! انتـابني غضب شديد وبنفس الوقت شعرتُ أن أطرافي تتجمّد.

-لماذا أنتِ عنيدة هكذا؟! أنا فقط أريد مساعدتكِ...

أفلَتُّ يدي منه بقوة وأخذتُ أصرخ بهستيريّة:

-ومَـن طلـبَ مسـاعدتك؟! أغـرب عـن وجهـي، لا أريـد أحـداً... لقـد اكتفيت.

ثـم جثـوتُ عـلى الأرض فقـد بـتُّ عـاجزة عـن المشـي والنهـوض مــن الــبرد. رفعــتُ رأسي وأخــذتُ أنظــر إلى الســماء الحالكــة السواد،التي توسّطَها قمرٌ خجول مختبئ خلف الغيوم.

تسـاقطَ رذاذ الـثلج عـلى جبينـي ووجهـي فأغمضـتُ عينـيّ وأنـا أفـتح ذراعـيّ للصـقيع. تمنّيـتُ أن تكـون تلـك هـي لحظـاتي الأخيرة،لعلّ ألمي يخفّ بعد ذلك.

-أتريـد معرفـة مـا بي؟ اليـوم اكتشـفتُ أن والـديّ مزيّفـان. لَقَـد اسـتغلّاني وأبعـداني عـن عـائلتي الحقيقيـة فقـط لأنهـم احتـاجوا طفـلاً يمـلأ علـيهم حيـاتهم! أنقـذاني مقابـل تملّكهـم لي، وكـأنّني دميـة بـلا روح أو مشـاعر، ويمكـن لأي شـخص امتلاكهـا! ليتَنـي مُتُّ منذ ذلك اليوم ولم أعِش ما عشتُه.

انهمرت الدموع مع الكلام الذي خرج من أعماق قلبي لا إرادياً، فانحنى سايمون عليّ لكي يسندني.
-أرجوك انهضي، ستمرَضين. صدّقيني الزمن يشفي كل الجِراح.
لكنّني لم أقوَ على النهوض، فقد فقدتُ الشعور بيديّ وأقدامي.
-كاثرين، كاثرين أرجوكِ انهضي... لن يصيبكِ مكروه وأنا موجود...
فتحتُ عينيّ ثانيةً لأجد نفسي في غرفتي ممدّدة على السرير،وبقربي ليندا.
كاثرين حمداً لله إنكِ بخير، أيتها المجنونة! كيف تنزلين في هذهِ العاصفة؟! الخطأ خطئي، أنا مَن دفعكِ لفتح الصندوق.
نهضتُ وأنا أشعر بقليل من الدوار.
ماذا... ما الذي أتى بي إلى هنا؟! هل سايمون هو مَن أحضرَني؟! من أين له المفتاح... فقد تركتُ مفاتيحي هنا عندما نزلت... لا بدّ إنه طلب مساعدة السيدة مادلين.
-كاثرين هل جُننتِ؟! تتكلّمين مع نفسكِ.
عندما نزلتُ كنتُ منهارة، والتقيتُ بسايمون رايتشل الذي حدّثتُكِ عنه. كان بالصدفة موجوداً في ذات المكان وقد أُغمِيَ عليّ، وها قد استعدتُ وعيي هنا.

(كاثرين / أوزوريس / 2022م)

مـا زلـتُ داخـل الـسـجن الحجـري والـذكريات تـداهمني بشـكل متقطّع.

لم أعـد أطيـق مـا كـان يجـري، لمـاذا لم أسـتطع تـذكّر كـلّ شيء كـاملاً، ولمـاذا قـام اولئـك الغربـاء بسـجني؟ وجـبَ عـليّ الخـروج بأيّ ثمن لإيجاد ابني وسط ذلك الجنون.

حاولـتُ تحريـك ذراعـي التـي فقـدتُ الشـعور بهـا، فتحرّكـت بـبطء شـديد،وبعدها قـدميّ وبالتـدريج اسـتعدتُ قـدرتي عـلى الحركة.

صرخـتُ مطالبـةً بـالخروج، ولكـن بـلا فائـدة فَـالحرس لم يلتفتـوا لي أصـلاً. مـرّت سـاعات وربّمـا أيـام وأنـا هنـاك،لم أتمكّـن مـن تقـدير الوقت وأنا داخـل أعمـق نقطـة في كهـفٍ واسـع ومظلـم، لكـنّ تلـك المادة الشـفّافة في الجـدار كانـت تضـيء المكـان عـلى الـدوام. كنـتُ مُسـتلقية بجانـب إحـدى الصـخور عنـدما سـمعتُ صـوتاً يناديني،فنهضـتُ لأنصـت ونظـرت باتجـاه الحـاجز، فَلـم أرَ سـوى الحارسـين الـواقفين عـلى جـانبي الحُجـرة وكانـا يعطيـاني ظهرَيهما،ولم يوجد غيرهما في الخارج.

تتبّعـتُ الصـوت فاقتربـتُ مـن جـدار السـجن الحجـري المقابـل للباب، إذ جاء الصوت من خلفه، فقلتُ بصوت هامس:

-إنها أنتِ أليسَ كذلك؟ كيف استطعتِ فعل ذلك؟

-نعم أنا إيفا... للأسف سأساعدكِ.

-إيفا... ما الذي يحدث هنا؟ لا أعرف ما الذي تريدونهُ مني... بدأت بالتذكّر لكنّني لم أرَ شيئاً عن هذا المكان في ذكرياتي... ساعديني أريد إنقاذ ابني أرجوكِ!

-الملكة تريد إعدامكِ والقصاص منكِ، كما طلبَ منها الشعب ذلك.

-أيّ قصاص؟ لماذا؟ ما الذي فعلتُه بحقّ السماء أخبريني؟

-كاثرين، سأساعدكِ ليس لأنّكِ بريئة لكن لأنّ هذا هو التصرف الصائب، حتى وإن خالفتني أمي الرأي، يجب أن أفعل الصواب.

-كيف ستُساعدينَني وأنتِ خلف الجدار؟

-اسمعي، يوجد ممرٌّ سريّ في هذهِ الحُجرة، كنتُ قد صنعتُه للهرب منها عندما كنتُ صغيرة...

-هل كنتِ مسجونة هنا؟! لماذا؟

-هذا ليسَ من شأنكِ... المهم أن تجدي الممرّ وتخرجي منه، وأنا سأكون بانتظاركِ في نهايته...

-حسناً، كيف سأجدهُ؟

-هنالك أعشاب أرجوانية اللون، تتوهّج عندما تقتربينَ منها، خلفها صخرة كبيرة بعض الشيء، أزِحيها وسوف تجدينَ حفرة، ادخلي فيها.

نظرتُ حولي، كانت الحجرة مليئة بالأعشاب الأرجوانية التي خلفها صخور.

-هنالك الكثير منها ... أي واحدة من بينِها تقصدين؟

-لا أذكر بالضبط، ابحثي وستَجدينَها. هيا فأمّي قد أعطت الأمر بإعدامكِ وقتَ الفجر... سيأتونَ إليكِ قريباً، أسرعي!

تصاعدت دقات قلبي رعباً. الثلاث جهات من الحجرة كنّ مليئاتٍ بالصخور الكبيرة والصغيرة فَكيفَ عسايَ أجدها. جرّبتُ إزاحة إحداها مع شكّي بقدرتي على ذلك، وضعتُ يديّ وحاولتُ دفعها بكلّ قوّتي، لكنّ العجز أصابَني من أول محاولة ومن دون أن تتزحزح حتّى. يئستُ من الوضع، سالَ العرق من جبيني وتصاعدت أنفاسي وأنا أحاول ثانيةً بما أوتيتُ من عزم،وعينيّ مغمّضتان وكفَيَّ على الحجر حتى انزاحَ أخيراً. نظرتُ إلى ما تحته لاهثةً، كانت مجموعة من الحشرات أو الزواحف المخيفة التي طارت بوجهي وأفزعَتني، فرميتُ جسدي إلى الوراء مبتعدةً عنها لأصطدم بالجدار الشفّاف الذي كان يغلق الحجرة، فصرختُ وسقطتُ راقدةً على الأرض، وقد استشرى ألمٌ حادّ في ظهري مع عجز تام عن الحركة، بينما كانت تلك الحشرات الغريبة تحوم في الحجرة. اقتربت إحداهنّ من وجهي ووضعت ذيلها السّوطي أمام عينيّ وأنا تحتها مشلولة.

Mary

"يا إلهي ما العمل الآن"!

صرختُ بأعلى صوتي فأبعدَت سوطَها وطارت، لحسن حظّي.

استمرَّ ذلك الحال لساعتين، من تلف الأعصاب والرعب،حتى تمكّنتُ أخيراً وبعد زوال الشلل المؤقّت، ومحاولاتي الجَهيدة من تحريك أطرافي، فنهضتُ وكنتُ ثقيلةً بشكلٍ لا يُعقل. لقد عشتُ شعور الشخص المشلول بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى. اتّجهتُ نحو صخرةٍ ثانية، ومع ثقل حركتي وجسدي أخذتُ أدفع الصخرة عسى أن يكون تحتها ذلك الممر.

في تلك الأثناء قامت الحشرات بمُهاجمتي، وكانت ذيولها السّوطية تلمع كالسكاكين الحادة، فتركتُ الصخرة وحاولتُ طردها عني بيديّ، فنجحت، لكنّ ذيولها كانت تسبّب لي جروحاً في ذراعي ويدي، وبدأ دمي ينزف. في إحدى محاولاتي لإبعادها قمتُ بضربها مباشرةً فسقطت أرضاً لكنّ ذيلها الطويل شقَّ ذراعي كالسكين وبدا أنه قطعَ أحد أوردتي، لأن دمي سال بغزارة حتى أصابني دوار وجلستُ على الأرض.

في تلك اللحظة مددتُ كفّي لأسندَ نفسي فإذا به يدعس شيئاً لزجاً. اعتقدتُ أنني دعستُ حشرة، ورفعتُ يدي لأجد مادة لزجة يقطّر منها لون بنفسجي، أشبه ما بداخل البيضة. عندها لاحظتُ أنني كنتُ أحطّم بيوض الحشرات خلال دفعي للصخور، ولهذا هاجمَتني بضراوة. قطعتُ من فستاني قطعةً وقمتُ بعقدها حول ذراعي لإيقاف نزف الوريد، ونهضتُ نحو الصخور واحدة بعد الأخرى، كلّما أبدأ بدفع صخرة تحتها بيوض تقوم الحشرات بمهاجمتي، فأعرف بذلك أن

الممر ليس تحت تلك الصخرة وأتركها. حتى وجدتُ في النهاية الصخرة التي لم تهاجمني عندها الحشرات، لكنّها كانت الأكبر بين الصخور الموجودة، لدرجة أنني لم أفكر بها مُطلقاً! كان من المستحيل زحزحتُها، خصوصاً مع جروحي النازفة، لكن ذلك كان آخرَ أملٍ لي في النجاة، وإن مُتّ فأفضّلُ الموت بتلك الطريقة على الإعدام بيد مخلوقات غريبة.

وضعتُ كلتا يديّ على الصخرة الكبيرة وبدأتُ أدفع وأدفع بلا جدوى. كنتُ ضعيفةً، وامتلأت القماشة التي ربطتُها حول ذراعي بالدماء. ازدادَ نزيفي وخمّنتُ إنني هالكة لا محالة. فجأةً استشعرتُ حركة خارج الحجرة، حيثُ نهض الحارسان للتكلّم مع مخلوق مثلهما، لكنهُ بدا أعلى منهما رتبة، ليضعا سلاحهما على الجدار المتوهّج فيبدأ بالاختفاء تدريجياً. ساعتها صرتُ أدفع الصخرة بجنون وبكل ما تبقّى عندي من قوة،حتى كاد قلبي يقف وأنفاسي تنقطع ويديّ تتصلّب، وبدأ الدم يقطّر من القماشة على الأرض، حتى تزحزحت قليلاً ليظهر جزء صغير من فتحة الممر، فحشرتُ جسدي فيها وولجتُ بصعوبة بالغة، وأخذتُ أزحف في الداخل.

كان النفق ضيقاً جداً، وأكملتُ زحفي حتى وصلتُ لمنفذ ضوءٍ في آخره، فخرجتُ منه وتوقّفتُ لأرتاح وأتلفّت حولي. لم أجد أحداً ينتظرني كما قالت إيفا، كلّ ما وجدتُه هو الجدار الخارجي للكهف وأمامه وادٍ كبير مليء بنباتاتٍ قصيرة ذات أغصان سوداء ملتوية، تحمل كُراتٍ كبيرة زرقاء اللون، وبينها خيوط مثل بيوت العناكب، وتليها غابةٌ بأشجارٍ مُتشابكة

شاهقة العلوّ. سمعتُ صوتاً خلفي، كان الحراس يلاحقونني من نفس الممرّ الذي هربتُ منه! هربتُ راكضةً بسرعة خلال ذلك الوادي ذي النباتات الغريبة. كنتُ أدوس على تلك النباتات بغير قصد فتفيض منها مادة لامعة لزجة أغرقت أقدامي،لكنّني استمريتُ بالجري دون توقف، مع عدّة انزلاقات على الأرض الوعرة. لم أتوقّف حتى وصلتُ إلى الغابة المُتشابكة. بدَت بذلك القرب أقلّ رهبةً بكثير، فدخلتُ إليها بلا تردّد. على الأقل ستحميني أشجارها الضخمة من تلك المخلوقات الغريبة. لم أتوغّل كثيراً حينَ صار جَسدي يرتجف بشدّة، وسقطتُ بالقرب من إحدى الأشجار. آخر ما فكّرتُ فيه أنني قد فقدتُ من الدماء أكثر من قابلية تحمّل جسدي المسكين.

٩

أصدقاء ولكن...

قبل 12 عام...

(كاثرين / 2010م)

بعدَ ليلة العاصفة الثلجيّة، عانيتُ من انتكاسة شديدة، ولم أغادر غرفتي في سكن الطالبات لبضعة أيام، اضطررتُ بعدها للعودة إلى الكليّة، لكنّي كنتُ في معزلٍ عن الجميع.

لم أتحدّث مع أحد، ولم ألقِ التحية أو أردّ عليها حتى. كلّ شيء بدا باهتاً بالنسبة لي، وعندما يسرح ذهني لم تخطُر في مُخيّلتي غير صورة ذلك الشاب، بحضوره المُهيب وقوامه المفتول وملامحه الجذّابة، ثم أعود إلى الواقع مفكّرةً: "ما بكِ يا حمقاء، شخصٌ غريب ساعدكِ مرّتين فقط، لماذا تتذكّرينهُ كلّما سَرَحتِ!".

كنتُ أتمشّى ذاتَ يوم في حديقة الجامعة، وأنا أكلّم نفسي وأتساءل عن السبب الذي يجعل سايمون عالقاً في رأسي، عندما اختَرَقَ عطره الأجواء فجأةً. التفتُّ لأجدهُ جالساً بمفرده على أحد مقاعد الحديقة وبيده كتاب، ثم نهضَ ووضع يده على حفنة من زهور الياسمين، لمسَها واحدةً تلو الأخرى في أثناء سيره،وكأنه لم يرغب بتفويت عطر إحداها. تفاجأتُ من وجوده واندفعتُ نحوه بعصبيّة:

-لا، لقد تأكّدتُ الآن أنكَ تلاحقني. لا تقُل إنها صدفة... إيّاك أن تقول هذا!

-عفواً... هل تتكلّمين معي؟

التفتَ سايمون لي، كنتُ أضع يدي على خصري وأرفع أحد حاجبيّ. لم أعرف ما الذي أغضبَني منه إلى تلك الدرجة.
-كفاكَ ألعاباً صبيانيّة بالله عليك. ماذا تريد؟ ما الذي تفعله في جامعتي؟
-أعلم أنها جامعتكِ، لكنّني أستاذٌ فيها، وسأدرّسكم مادة الرسم الهندسي اعتباراً من اليوم.
صدمَني كلامه وشعرتُ بخجل عظيم ممّا قلتُه.
-ماذا؟! حقاً؟
التفتَ ثانيةً إلى الورود وأخذ يلمسها ويتحسّسها بيده مجدّداً.
-لا أحبّ أبداً قطف الورود، فقطفُها يعني قتلها، وهي تعطينا الجمال، الذي يعطي معنى لحياتنا. إنها تمنحنا سعادةً لا مثيل لها كلّما استنشقنا عطرها، فهل نجازيها بالقطف! أرى أن نبرتكِ قد تغيّرت فورَ معرفتكِ بأنّني أستاذٌ من أساتذتكِ. ترى هل اختلفَ فيّ شيء غير وظيفتي؟! ليكُن في علمكِ أن ذلك لا يغيّر كوني سايمون الذي تعرفينه.
أشحتُ بوجهي عنهُ خجلاً مما قُلتُه، لم أدرك سبب غضبي أصلاً ,كانت حماقة مني.
-أنا لا أعرف عنكَ سوى اسمك، بينما أنتَ تعرف قصة حياتي كلها. أنتَ أستاذي الآن وأكنّ لكَ كلّ الاحترام. عن إذنك.
استدرتُ لأنصرف فقالَ بطريقةٍ استفزازية:
-إن كنتُ أستاذكِ فيجب أن تبقَي، فأنا لم أسمح لكِ بالانصراف بعد.
-حسناً، أنتَ أستاذي داخل القاعة فقط، أمّا خارجها فلا.

-إذن عـامليني عـلى هـذا الأسـاس مـن فضـلِك. أنـا سـايمون رايتشـل صديقكِ أو أي شيء آخر عدا أستاذكِ، ما دُمنا خارج القاعة.
عدتُ إلى المُحاضرة وأنا سارحة، فسألتني ليندا:
-ما خطبكِ كاثرين هل حصل شيء؟
-ها، لا يوجد شيء. لا تقلقي.
في اليـوم التـالي التقيـتُ بسـايمون صـدفةً في ممـر الاسـتراحة. لا أعرف لماذا ارتبكتُ بشدّة، فبدأ هو بالحديث.
-كيف حالكِ كاثرين؟
كيف أصبحتِ الآن؟
ابتسـمتُ ابتسـامةً باهتـة ونظـرتُ جانبـاً مـا إن ذكـرَّني بمـا اتناسـاه ثم وضعتُ يدي على جبيني وكأنني ألملم شتات افكاري لأردّ:
-كيف سأكون برأيك؟!
أنـا فتـاةٌ لا تمتلـك ماضـياً ولا عائلـة، عاشـت في كذبـة كبـيرة وانتهت الكذبـة بـألم كبـير. لـن تسـتطيع الشـعور بمـا أشـعر بـه الآن لأنك لم تعِش ما عشتُه.
نظـرَ إليَّ وكأنّـه يفكّـر بأيّـة طريقـة يغـيّر بهـا مزاجـي، يحـاول اختلاق أي شيء يغيّر الموضوع.
-كـاثرين، كـوني قويـة. لا يليـق بـكِ الانهيـار والضـعف، أنظـري للأمر من زاويـة مُختَلِفـة، ربّمـا والـداكَ الحقيقيّـان مـا زالا عـلى قيـد الحيـاة، وسـوف تجـدينهم وتعيشـين حيـاة العائلـة التـي حُرمـتِ منها منذ طفولتكِ.
-كلامك يبعث على الأمل، أنتَ مُتفائل جداً... كيفَ سأجدهم وأين؟
فأخذَ يدي ووضعَ يده الأخرى فوقها.

-سأبحثُ معكِ عنهما، حتى لو شَعَرتِ أنتِ بالاحباط وفقدان الأمل فأنا لن أيأس، ولو اضطررتُ أن أجوب البحار والقارّات السبع في سبيل ذلك فَلن أتردّد.
سحبتُ يديّ، وأنا في غاية الاستغراب من اهتمامه بشؤوني لذلك الحد. نظرتُ إلى عينيه مباشرةً، محاولةً قراءة ما في عقله،لكنّني لم أفلح.
-شُكراً لكَ، لكن حقاً لا داعٍ لتتعب نفسك بمشاكلي... أستأذنكَ الآن لديّ محاضرة.
لم يدلّ أسلوبي معه إلّا على خشيتي من دخول أحد في حياتي. كنتُ أرفض أن يأخذ أي شخصٍ جديد مكاناً في قلبي، فلن أتحمّل كذباً أو غدراً بعد الآن.
بيدَ أنّ سايمون كان غريباً، فقد بدا إنّهُ يعرفني جيداً منذُ أول يوم قابلتُه، وأنا أيضاً شعرتُ بأنّه مألوفٌ لي، بطريقةٍ صعبة التفسير. بغضِّ النظر عن ذلك، كان يجب عليَّ تجنُّبُه قدرَ المستطاع، لكن كيف وهو أستاذي؟ اضطررتُ لالتقائه يومين على الأقل في الأسبوع.
كنتُ أتحاشى رؤيته، فإن أردتُ دخول مكان هو موجود فيه كنتُ أغيّر وجهتي، وصرتُ أتغيّب حتى عن محاضراته، ولا بأس إذ كانت ليندا تسجّل لي المحاضرة على دفترها، وفي كل الأحوال لم أعلم ما أصابني في محاضرته بالذات فكلّ انتباهي يتشتّت ووجودهُ يُربِكُني جداً. بعد مرور أيام كنتُ جالسة في حديقة الجامعة أمام المكتبة، وأنا أضع سماعات الأذن أستمع لموسيقى هادئة،وأتصفح دفتر الملاحظات التي سجّلتها لي ليندا، وإذا

بسايمون فجأةً يجلس أمامي، بابتسامته الرقيقة المُعتادة ونظراته المُريحة.
-أنتِ تتجَنَّبينَني وهذا واضح، لكن لماذا؟! هل أخطأتُ معكِ في شيء من دون أن أشعر؟
-على العكس، لكنني أصِبتُ بوعكةٍ صحية منعَتني من حضور المحاضرات.
-أراكِ تدخلينَ جميع المحاضرات إلا محاضراتي. في كلّ مرة تبقى عيني معلّقة على الباب منتظراً أن تطرقيه وتطلبي الإذن بالدخول بلا جدوى... ما السبب؟!
-ولِمَ أتَجَنَّبَك؟!
-لا أعرف، هذا ما أسألُكِ عنه.
-لستُ أتَجَنَّبَك. سأحضر مُحاضرَتك القادمة.
-حسناً إذن. ماذا تقرئين؟
-هذه ملاحظات ليندا... من المحاضرات التي فاتَتني.
-كيف أصبحتِ الآن؟
-إنني بحالٍ أفضل، وبدأتُ أعتاد على الوضع. في النهاية جميعُنا نتكيّف ونرضخ لتقَبُّل الواقع كما هو.
-نعم، في النهاية نتقبّل الواقع، لكنّنا لن نكفَّ عن محاولة تغييره في أول فُرصة تُتاح لنا.
جاءت ليندا.
-مرحباً كاثرين، أنتِ هُنا وأنا أبحثُ عنكِ؟
فنهضَ سايمون.
-إذن سأنتظركِ في المُحاضرة القادمة.

-حسناً.

حيّت ليندا سايمون قبل ذهابه، لِتجلس بجانبي وتهمس لي:
-ماذا كان يُريد منك؟
-إنهُ سايمون رايتشل الذي أخبرتُكِ عنه.
-هل تمزحين؟! لمَ لَم تُخبريني من قبل...
-ولمَ أخبركِ؟ إنها صدفة أن يكون هو أستاذنا الجديد.
-حسناً ربما صدفة، لكنني لا أعتقد ذلك.
-لماذا؟

-أغلقتُ الدفتر والتفتُّ إليها.
-ألم تُلاحظي الطريقة المُختلفة التي ينظر بها لكِ؟ بصراحة لا أستبعد أنهُ جاء هُنا عَمداً.
-هذا هُراء! لمَ يتعمّد ذلك؟
-أيتها الغبيّة إنّه مُعجبٌ بكِ...

-لا يوجد شيء كهذا. أنتِ تعلمين إنني لا أفكر بهذهِ الأشياء... علاقتنا لا تتعدّى علاقة طالبة وأستاذها.
-أتعلمين أن أغلب الطالبات مُعجبات بهِ؟
-ماذا؟
-أجل ولمَ الاستغراب؟ إنهُ مُلفت للأنظار، جذَّاب ووسيم لمَ لا يُعجَبن به!
-هذا ليس مُهمّاً، وليسَ من شأني...
-حسناً، كما تُريدين.
أنتِ بلهاء كعادتكِ.

حضـرتُ المحـاضرات وبعـدها عُـدنا للسَـكَن. أتمَمنـا دراسـتنا قبـل أن نجلـس مسـاءاً أمـام المِـدفأة، لتنظـر لينـدا لي بابتسـامةٍ خبيثة،وهي تُحضّر كوب الحليب وتضعهُ أمامي.
أحم، غداً المحاضرة الثانية هي للأستاذ سايمون...
-أجل، وماذا في ذلك؟
-ألـن تفوّتيهـا كعادتـكِ؟ لأنّنـي عرفـتُ إنّـكِ في كـل محاضراتـه تختلقينَ حجّة للغياب...
-لا أختلق حججاً، سأحضر هذهِ المرة.
-طبعاً، فقد طلبَ منكِ ذلك بنفسه...
-ليندا، اصمتي وشغلّي الموسيقى.
-حسناً هاهاها.
في اليوم التـالي، حـانَ وقـت المُحـاضرة وكنّـا بانتظـار الأسـتاذ. مـرَّت نصـف سـاعة ولم يـأتِ بَعـد، وضـجّت القاعـة بكـلام الطـلاب ومُزاحهم مـع بعـض. بـدأ قسـمٌ مـنهم بالمُغـادرة بعـد مـرور خمـس وأربعـين دقيقـة، بيـنما كنـتُ أفكّـر "تُـرى لمـاذا لم يـأتِ؟ هـل حَـدَثَ معهُ شيء؟" لتقطع ليندا سلسلة أفكاري:
-كاثرين دعينا نغادر نحنُ أيضاً.
-لماذا؟ دعينا ننتظر لعلَّهُ يأتي...
-هاهاها وتقولين إنهُ "ليس من شأني..."
-لا تفهمينـي بشـكل خـاطئ، لقـد فـاتتني الكثـير مـن المُحـاضرات في هذهِ المادة، وأريدُ تعويضها.
-لا تقلقـي، مـن المُمكـن أنّ لديـهِ ظـرف قـد منعـهُ مـن المجـيء. على أية حال سيعوّضها لنا فيما بَعد.

خرجنا من القاعة وأنا شاردة الذِهن، أرى شفاه ليندا تتحرّك ولا أسمع الكلمات.
-ليندا أنا مُتعبة... سأغادر.
-ولكن لدينا مُحاضرة بعد.
-أعلم، لكنني مُتعبة جداً.
-لا تقلقي بشأن سايمون...
-لستُ قلقة على أحد، إنّني مُتعبة فقط.
-حسناً، كما تُريدين.
مرَّ أسبوعان وغابَ سايمون لأربع محاضراتٍ، تمّت الاستعانة بأستاذٍ مؤقّت بديلٍ له في الثلاث الأخريات منها.
شعرتُ بحُزنٍ لم أعرف سببه، هل قَلقتُ عليه حقاً؟ في عطلة نهاية الأسبوع التالية، استيقظتُ في الساعة العاشرة صباحاً،وذهبتُ إلى المقهى الذي أخذني له سايمون في أول لقاءاتنا. جلستُ قُرب النافذة أحدِّق بالمارَّة، وأمامي كوب اللاتّيه الذي طلبتُه ولم أشربه بعد، التفتُّ لأجد سايمون فجأةً واقفاً بقربي.
-عجباً كاثرين! ما الذي تفعلينهُ هُنا؟
-أهلاً سايمون... أعجبني هذا المقهى وأحببتُ الجلوسَ فيه .
-اجل انهُ مقهاي المُفضَّل.
-اينَ انت , لماذا لم تحضر المُحاضرات؟
-أخذتُ إجازةً قصيرة. صديقي كان لديهِ ظرف حَرِج وسافرتُ إليه. هل قلقتِ عليَّ؟
-لا، ولكن...

-لمِ تقلقي عليّ؟!
-لا... أقصـد قلقـتُ ولكـن... لـيس مُهـماً. لقـد فـاتَني عـدد مـن المُحاضرات.
-إن كـان هـذا مـا يُقلقـكِ، فسأعوضّـها لكـم لا تهتمّـي. أنـتِ كيـف حالكِ؟
-أنا بِخـير، لكـن يجـب عـليّ المغـادرة الآن، فقـد تواعـدتُ مـع لينـدا للغداء سويةً.
نهضتُ لأهمَّ بالمُغادرة فأمسك ذراعي وشدَّني إليه.
-ما مُشكلتكِ؟ لماذا ضرباتُ قلبكِ وأنفاسكِ غير مُنتظمة.
كان يبتسم بينما لفحت أنفاسهُ الدافئة وجهي.
-هل أنتِ متوتّرة؟
-لا لستُ كذلك... ولمَ سأتوتّر؟!
سحبتُ ذراعي منه ببطء.
-لا أعـرف. أنـتِ قـولي لي لمـاذا تتـوتّرين لهـذهِ الدرجـة عنـدما ترَينَني؟
-أنتَ مُخطئ.
-إذَن ابقَي قليلاً بعد.
بَلعـتُ ريقـي بصـعوبة وتثاقلـت انفـاسي بيـنما اضـطرَبَت نبضـات قلبي
-لكن...
-لكن ماذا؟
-أرجوك أنا لا أستطيع. لم تعد لديّ القدرة...
-لا تستطيعينَ ماذا؟ لم أفهم؟

بصوت حنون وابتسامة رقيقة كان يسألني عن كُل كلمة اقولها وكأنهُ يَتعَمَّد ارباكي ويستمتع به
-نتكلّم في وقت آخر، عن إذنك.
-مهلاً كاثرين، متى؟
-لا أعرف.
تركتُهُ في المقهى وخرجت أتمالك نفسي بصعوبة، شعرتُ أن حرارتي قد ارتفعَت واضطربتُ كُليّاً .
في مساء ذلك اليوم وانا جالسة على الاريكة قُرب المدفأة اقرأ رواية (شيفرة دافنشي) للكاتب دان براون , لتخرجني مِن حالة الحماس التي عشتها فيها صوت رنين هاتفي واعتدلتُ في جلستي واضعةً الكتاب على الطاولة لأتناول الهاتف رسالة من رقمٍ غير مُسجَّل:
(مرحباً كاثرين، أنا سايمون. أنني أنتظركِ في المقهى المقابل لسكنكِ... أتمنّى أن تأتي.)
ارتبَكت نبضات قلبي جداً
"يا إلهي... هل أذهب أم لا؟"!
كنتُ بمفردي وقتَها فَقد ذهبت ليندا منذ العصر للالتقاء بابنة خالتها التي جاءت حديثاً إلى لندن, أحدِّق في الساعة المُعلّقة قبالتي على الحائط وأتمتم: " ما الذي يُريدهُ مني هذا الآن ؟ هل أذهب؟! بأيّ صفةٍ نلتقي؟ إنه مجرَّد أستاذ لي. لا لن أذهب"...
بعد نصف ساعة من الحيرة، فقَد تشَتت تفكيري ولم اعد قادرة على اكمال القراءة مهما حاولت , لأنهض اخيراً و أرتدي

معطفــي الأســود عــلى فســتاني الكلاســيكي الزمــردي ، أهــداهُ لي جــدّي وود بمُناســبة قبــولي في الجامعــة. كــان يعــودُ ســابقاً لزوجتِه،لكنّهُ جميلٌ جداً وبحالـةٍ ممتـازة حتـى انـهُ ناسـبني تماماً . لبسـتُ حـذائي الأسـود الأنيـق الـذي ابتعتـهُ مـن زارا بعـد اسـتلامي اول مُرتــب لي مــن الشــركة التــي اعمــل بهــا , صـحيح اننــي لم اشـتري غـيرهُ كـون سـعرهُ غـالي , لكننـي احببـتُ ان اجـرب شـعور ارتـداء شيء ثمـين مـن ماركـة معروفـة ، وبيـنما كنـتُ أقفـل بـاب الغرفـة مـن الخـارج نظـرتُ إلى ملابســي بتعجّـب "مـاذا بي، لمـاذا لبسـتُ هكـذا أصـلاًَ؟! هـل أعـود لتغيـيره؟ أففـف مـا بي متـوتّرة هكذا"

خرجـتُ وسرتُ لعــشر دقـائق حتـى وصـلتُ إلى المقهـى القريـب. دَخلـتُ أبحـثُ عنـهُ بـين الوجـوه، لأجـدهُ جالسـاً ينتظـر وهـو شـاردٌ يُحدّق عبر النافذة.

كــان أنيقــاً كعادتــه، اتّســمَت ملابســهُ بالبســاطة والرُقــيّ دائمــاً، مثـل كلماتـه، التـي يختارهـا بعنايـة لتـترك تأثيرهـا الـذي لا يُمحـى من البال.

ارتسـمَت عـلى وجهـه ابتسـامة رقيقـة فـور رؤيتـي واسـتقام في مكانهُ.

-أوه كـاثرين... شـكراً عـلى مجيئـكِ... أنـتِ فاتِنـة كعادتـكِ خصوصـاً لـون الفُسـتان الزُمُـردي مـع لـون شـعركِ وعينيـكِ , تبـدين فعـلاً كأميرة حقيقية.

-شكراً لك هذا مِن لُطفك.

-لم أتوقع إنّكِ تُحبّين النمط الكلاسيكي في الفساتين...

-بـل أحبّـه جـداً , لأن جـمال الاشـياء القديمـة لا ينتهـي , انـهُ يـزداد مع الوقت.

-انــتِ رائعــة حتــى بطريقــة تفكــيركِ مــعَ ان كلامــكِ قليــل جــداً وتصنعينَ جدار سميك يفصلكِ مع كُل مَن حولكِ.

-الحيـاة علمتنـي انَّ الخـوف هـو اقـوى غريـزة لـدى الانسـان اذا تعامـل معهـا بـأتزان فالحَـذَر وليـد الخـوف , ان لم تخَـف الفَشَـل لـن تـنجح , ان لم تخَـف المـوت لـن تعـيش وان لم تخَـف المُتطفلـين لن تستطيع حماية نفسكَ .

-ههههه اكيد انا من المُتطفلين بالنسبةِ لكِ.

-لا العفو , لم اقصد ذلك ولكنني عنيتُ بالعموم.

-قُلـــتِ لي اننـــي لا اعـــرف شـــيئاً عنـــكَ ســـوى اســـمك وهـــذا صـــحيح ,لهـــذا اريـــدُكِ ان تســـأليني وتُخبرينـــي بكـــل مـــا يـــدور في بالكِ عني.

-حسناً.

-حسناً

ما إن قـال ذلـك حتـى أطلقـتُ سـيل الأسـئلة التـي كانـت تَجـولُ في داخلي:

-مَـن أنـتَ حقـاً؟ ولمـاذا دَخلـتَ حيـاتي فجـأة وسـاعَدتَني في كـلّ شيء؟ لماذا أهمُّكَ لهذه الدرجة؟

ابتسمَ وكأنّهُ كان ينتظر مني تلك الأسئلة.

-أنـا ملاكُـكِ الحـارس. ألَـم أقُـل لـكِ فقـط اغمضـي عينيـكِ وفكـرّي بي وسأظهَر أمامكِ هاهاها.

-سايمون أنا أتكلّم بجديّة، إن لم تُخبرني بكلّ شيء عنك سأذهب ولن ترى وجهي بعد الآن.

-حسناً، حسناً. لا تغضبي، إنني أمازحكِ فقط لكَي أرى ابتسامتكِ. أسمي سايمون رايتشل، ابن صاحب سلسلة مطاعم رايتشل كاستل الشهيرة في لندن. أبي هو مَن قام بتربيتي لأن أمي انفصلت عنهُ منذ أن كُنت في العاشرة من عمري،وتزوّجَت برجلٍ آخر، ومنذ ذلك الحين وأنا وحيد، فأبي تغيَّرَ كثيراً،خصوصاً بعد أن توَسَّع عملهُ وأصبح مشهوراً وذا مال وسُلطة. كان يتركني مع المربّيات والخدم ويسافر بين الدول، حتّى توفّي لأبقى وحيداً بشكل رسمي.

وهكذا كبرتُ وأنا أقضي أغلب وقتي في الدراسة التي كانت تسلّيني في وحدتي وتَسدّ بعض الفراغ في داخلي، إلى أن تخرّجت لأصبح أصغر أستاذ في انكلترا في عمر ستة وعشرين عاماً...

وبعدَ ثمانية أعوام قابلتُ فتاةً رائعة ومجنونة، كانت تجري خلف سيارة أجرة في شوارع لندن. حينَها شعرتُ أن وحدتي ستنتهي عمّا قريب.

خلال حديث سايمون وإصغائي إليه، كانت ليندا في نفس المقهى تبحث عنّي بين الطاولات، لتتّصل بي بعد دقائق، في لحظة صمتٍ بيننا أنا وسايمون رَنّ هاتفي في الحقيبة، اتّصال وارد (ليندا)

-إنها ليندا، لقد أتت. سأعرّفكما على بعض.

-أخرجتُ الهاتف من الحقيبة وأجبتُها.

-مرحباً ليندا .
-أينَ أنتِ يا فتاة؟ أنا لا أجدكِ...
-أنا هنا على يمينكِ.
-استدرتُ إليها بينما كانت تنظر يساراً.
-أين أنتِ؟ هل أنتِ متأكدة أنهُ المقهى نفسه؟!
-على اليمين أيتها البلهاء أنتِ تنظرين في الاتجاه المعاكس!
فأدارت وجهها لتجدني، وتلوّح بيدها وتأتي.

-أهلاً بكِ، ما كُل هذا التأخير يا فتاة؟! سايمون هذه صديقتي ليندا رفيقتي بالسكن التي تحدّثت لكَ عنها، ليندا هذا سايمون.

مثّلت ليندا دور المتفاجئة.
-ألستَ الدكتور سايمون أستاذ الرسم الهندسي، أم إنّكَ تشبهه؟!
فضحكَ ضحكةً خفيفة.
-لا بل أنا هو...

نظرت إليّ بنظرة تثير الضحك، وسايمون بالكاد سيطر على كبت ضحكته.

-ماذا لماذا تنظرين إليّ هكذا؟ !
حسناً آنساتي، اسمحا لي أن أقدّم لكما ضيافتي.

-ماذا، هل هذا المقهى تابع لأبيك؟!
-بل تابع لي، أنا صاحبه.

ذَهَب إلى النادل وتَكَلَّم معهُ ثم عاد. تناولنا العشاء في جوٍّ بهيج، من تبادل الحديث والنُكات والنقاشات، واندمجنا نحنُ الثلاثة وكأنّنا أصدقاء منذ زمن بعيد.
فاتت ثلاث ساعات قبل أن انتبه للساعة انها اصبحت الثانية عشرَ ليلاً
-أنا حقاً أعتذر سايمون، كان اللقاء رائعاً ولكن الوقت تأخر جداً وغداً لدينا جامعة كما تَعلم .
-كاثرين دعينا من هذا فنحن الآن مع أستاذنا...
فرمقتُها بنظرة جعلت سايمون يضحك بشدة قبل أن يقول:
-هي لم تقصد يا كاثرين، لكنّها استمتعت بوقتها هنا. أعرف بمَ تفكّرين، اطمئني لن أميّزكما عن باقي طلابي، ولن أعطيكُما أكثر من الاستحقاق.
وضعتُ هاتفي في الحقيبة ونظرتُ في عينيه وأنا أبتسم.
-أنا لا أقلق بهذا الشأن، لأنني لن أقبلَ بعلامةٍ لا أستحقّها. حقاً لقد تغيّرَ مزاجي، شكراً جزيلاً لَكَ من كلّ قلبي.
-سأكون معكِ في أي وقتٍ تحتاجينَني فيه، لا تنسَي ذلك...
فقاطعتهُ ليندا:
-حقاً طعامُكم شهيٌّ جداً، سأزورُكم كلّ يوم هاها.
-يا لكِ من فتاةٍ لطيفة! أنا حقاً سعيد بمعرفتكِ عن قرب، وآمل أن تعتبريني صديقاً، ودَعكِ من تذكيري بأنكم طلابي، فنحنُ خارج أماكن عملنا مُجَرَّدون من ألقابنا، وإن لم تستطع كاثرين فعل ذلك سأطلب النقل إلى جامعة أخرى لكي أمحو هذا الحاجز...

-واو! ألهذه الدرجة أنتَ متشبّث بصداقة كاثرين، أشمُّ رائحة نار بدأت تشتعل هنا...
فنكزتُها بقوّة ودنوتُ من أذنها لأهمس:
-إن لم تصمتي الآن، أقسم إنّني سوف أخرج وأتركك. ما هذا الذي تتفوّهين به؟!
-حسناً ها قد خرست.
أخذ سايمون يضحك بصوتٍ غير مسموع وهو ينظر إلينا.
-أتمنى أن يكون حديثكما قد تمّ على خير.
-شكراً جزيلاً سايمون، إلى اللقاء.
-لا، ليس وقت هذه الكلمة، فأنا سأوصلكُما إلى السكن بنفسي.
-يا لَكَ من لطيف ومُحترم...
-لا شكراً جزيلاً، لا داعٍ لذلك. سوف نذهب بأنفسنا إنه قريب من هنا، وقد أتعبناكَ وأخذنا من وقتك بما فيهِ الكفاية، أليس كذلك ليندا؟!
فهمست ليندا لي:
دعي الرجل يوصلُنا يا مُتخَلّفة.
مهما قلتُما لن أتراجع. هيا أمامي لنذهب نحو سيارتي، لن أدعكما تذهبان مشياً.
أوصلَنا سايمون إلى سكن الطالبات، ودخلنا غرفتنا لتنظر إليه ليندا من النافذة، حيث إنه كان ينتظر دخولنا الغرفة والاطمئنان علينا لكي يذهب. لوّحَت لهُ بيديها فأدارَ سيارته وذهب.
-كاثرين إنه حقاً شابٌّ رائع بكلّ معنى الكلمة، وإعجابُه بكِ عميقٌ وواضح جداً في كلّ تصرّفاته...

أدارَت وجهها فوجدَتني مستلقية على سريري احمل جهاز التحكم لأشغل التلفاز.

-ما هذا يا بنت هل أتيتِ للنوم أم لتُشاهدي التِلفاز! لماذا فعلتِ ذلك إذن؟

-لأنني ببساطة أردتُ إنهاء اللقاء بثلاث ساعات كحدٍّ أقصى.

-لكن لماذا؟!

نهضتُ لأعتدل في جَلستي على السرير.

-لأنني لا أعرف ماذا يحدث يا ليندا. فَلقاءاتي بهذا الرجل معدودة، ويغمرني شعورٌ غريب، وكأنّنا ارتبطنا ببعض في اللّاوعي. افكِرُ فيه فيظهر امامي او يتصل بي او يحدث شيء يخصُه اتضايق فأجده اول الناس , تَصَوّري أنّني عندما رأيتُه في الجامعة أوّل يوم رحتُ أوبّخهُ دون سبب مُقنع، كأنّني أعرفه منذ سنين.

حضورُه يُربكني، فأتلَعثم وأخاف، أخافُ جداً ممّا يعتريني عندما أراه!

-لكنّني لم ألاحظ ارتباطكِ به بقدر ما لاحظتُ اهتمامهُ بكِ .

-وهذا أكثر ما يخيفني... لمَ يعاملني هكذا أصلاً؟!

-ما بكِ يا بنت أأنتِ فعلاً غبيّة لهذه الدرجة! ألَم تسمعي بشيء يدعى الحبّ؟ الحب هو ما يحدث بينكما، أمّا مسألة الصداقة فانسيها تماماً. إنّ ما رأيتُه لا يمكن أن يكون صداقةً فقط.

-لا هُنالِكَ شيء عميق وغامض , عِندما انظُر الى عينيه تعتريني رجفة وكأنني دخلتُ بئراً مُظلمة ليسَ لها قاع واُسحَب الى

اعماقها , كأن جذورنا مُتصلة ببعضها كيف لا اعرف ولكن هذا الشعور يُقلقُني وما يُرعبني اكثر انهُ يسعدُني جداً, كيف لأنسان ان يشعُر بِسعادة جراء شيء كهذا ؟

-أجل، لاحظتُ كيف شحب وجهُكِ عندما اختفى لأسبوعين. لكن لماذا تُرفضين مشاعركِ نحوه؟ دعيها تأخذ مجراها الطبيعي، عسى أن تكوني سعيدة, رُبما تُعقدينَ الامور بسبب ما حَدَثَ مع والدتكِ في طفولتكِ.

-وان يكُن لا يمكنني ذلك، لأنني لن أتحمّلَ صدمةً أخرى...

-وماذا إن كانت فُرصةً للسعادة الحقيقية؟

عدتُ لأستلقي على الفراش ببيجامة النوم الزهرية, احدق في السقف الذي تتدلى منهُ ثرية بسيطة التصميم.

-هيا ننام يا ليندا. أنا الآن بحاجة للأصدقاء والعائلة أكثر من حاجتي لحبيب.

-أها، إذن هو صديقكِ؟

-قُلتُ لكِ إنّني بحاجةٍ للأصدقاء.

-كونا صديقَين... هاها كثيرٌ من قصص الحُبّ تبدأ كصداقة.

أغمضتُ عينيّ وأدرتُ وجهي عنها لأنام.

-ليندا، نامي.

-حَسناً. تُصبحين على خير.

ازدادت لقاءاتنا مع سايمون، فأصبحنا نلتقي كل يوم في الجامعة وخارجها، حتى أضحَت عادةً لا غِنى عنها. أصبحنا أصدقاء مقرّبين، وكنتُ أشعُر بسعادةٍ غريبة بوجوده، كأنّني

إنسانةٌ مُختلفة، شعور غريب , سعادة مُشوبة بالتوتر والدفئ والبرود , وكأن كُل النقائض تتراكم في صدري دُفعةً واحدة.

في يومٍ من أسوء أيام حياتي، كنتُ أمشي مُسرعةً، خارجةً من سكن الطلاب نحو الشارع المؤدّي للجامعة. في وقتها لم يتبقَّ على بدء المحاضرة إلا دقيقتَين، وتلك الأستاذة لن تسمح لي بالدخول بعدها. لم تتوقّف السيارات عن المرور ولو للحظة، ففكّرت "إلامَ سأبقى أنتظر... سأعبر ركضاً بعد هذه السيارة". عبرتُ الشارع لأتفاجأ بصوت سايمون ينادي "كاثرين ابتعدي!" وشعرتُ بشخصٍ لم أتمكّن من رؤيته يدفعني بقوّة، لأسقط على الرصيف وعلى جانبي الأيسر. آلمتني يدي وذراعي، وارتكزتُ على الأرض لأنهض، والتفتُّ لأشهد منظر سايمون مُمَدَّداً على الأسفلت والدماء على جسده وحوله. "يا إلهي هل هذا حقيقي؟!" تجمّع الناس والسير قد توقف، ونزلَ صاحب الشاحنة منها.

لم أكن أتخيّل! هرعتُ نحو سايمون، كان مُستَلقياً على الأرض والدماء تملأ قميصه الأبيض الذي أحبّه فَحوَّلَته للّون الأحمر، ثم انسابت منه كالنهر الذي يشقّ طريقه في الشارع، وسالَ من أنفه خيط رفيع من الدماء.

جلستُ في وسط دمائه، وشعرتُ بتوقّف كل شيء هناك، لم أسمع كلّ الضوضاء من حولي وفقدتُ قدرتي على الصراخ والبكاء في لحظتها. "ماذا حدثَ لسايمون؟" عيناه مغلقتان وكأنّه نائم،اعتراني رعب لم أشهد له مثيلاً من قبل. "لماذا لا يفتح عينيه؟!" حاولت إيقاظه بلا وعي:

-لا تتركنـي سـايمون، أنـا بـدونك أمـوت... لمـاذا قفـزتَ وفضّـلتَ أن تفـديني بنفسـك؟ أرجـوكَ سـايمون... أجِبنـي افـتح عينيـك... لـن تتركني لا...

فتحَ عينيه ونطقَ كلماته بصعوبة، وهو يجود بروحه:
-كـاثرين... حتـى إن افـترق جسـدي عنـكِ فسَـوفَ أبقـى معـكِ للأبد، معكِ وفي داخلكِ ...

توقّفَ عن الكلام وأغمضَ عينيه، فصرتُ أهزّه وأصرخ بجنونٍ:
-لا سـايمون لا تغلـق عينيـك لا تتركنـي... إبـقَ مسـتيقظاً، ستصـل النجدة قريباً، اصمد... أنتَ لن تتركني!

لم يستيقظ، هـل مـن المعقـول أن تلـك هـي النهايـة؟ لم تكـن هنـاك بدايـة بعـد لتُكتَـب النهايـة بهـذه السـرعة. انفجـرتُ باكيـةً وأنـا أضمّ جسدهُ الممدّد:
-سـايمون حتـى أنـتَ أيضـاً سـتتخلّى عنـي؟ ألَـم تخـبرني بأنّـك لـن تترگني مهما حصل؟!
تراجعـت جمـوع النـاس بعـد سـماعهم صـوت سـيارة الإسـعاف، التـي نـزل منهـا مسـعفان، نقـلاهُ سـايمون إلى داخـل السـيارة وفحص أحدهما نبضه بسرعة قبل إبلاغ زميله:
-هنالكَ نبضٌ ضعيف، أسرِع!
-تمّ اعطاء صدمتَين كهربائيّتين لقلبه، أمامَ ذهولي ورعبي الشديدَين.
-لا تقلقي آنستي، فما زال يتنفس، اصعدي.
ذهبـتُ معهـم إلى المستشـفى، حيـث نُقِـل إلى الطـوارئ ثـم أُدخِـل إلى صـالة العمليـات الطارئـة، بيـنما بقيـتُ أنـا أنتظـر في

الخارج. مُحَطَّمة تماماً، وكأنّ آخر آمالي في الحياة يحتضر ببطءٍ قربي.

تورَّمت عينيّ من شدّة البكاء وما زالت الدموع تنهمر منهما.

مرَّت ثلاث ساعات من الانتظار عليَّ كأنّها دهُور،وتضاءلَ الأمل داخلي مع كلّ دقيقةٍ تمرّ. لم يخرج أحد من الصالة، وجلستُ بمفردي أواسي قلبي المفجوع. "ما هذا كاثرين! لم يكن ذلك حبّاً فقط بل عِشقٌ عظيم. كم كنتُ حمقاء حينَ رفضتُ إعطاء فرصةٍ لحبِّنا! لقد ضحّى بحياته من أجلي دون تردّد، وأنا لم أستحق تضحيته أبداً". وصلت ليندا فنهضتُ إليها وكأنها نَزَلَت من السماء، عانقتُها بقوّة لأنهار بعدها بالبكاء على كتفها.

-ليندا لقد ضحّى بحياته لينقذَني! أنا لا أستحق الحياة... أنا حقاً بدونه لن أعيش...

إن حدث له مكروه سأموت!

-لا تقولي هذا. سايمون قويّ وسيتجاوز هذه المحنة ويعود لكِ من جديد. تفاءلي بالخير أرجوكِ! كفاكِ بكاءاً، هيا اغسلي وجهكِ...

-لن أغادر هذا المكان حتى يخرج أحد ويطمئنني على سايمون... لن أبرح مكاني هذا!

مرت ساعات أخرى ولم يخرج أحد سوى ممرّضة رفضَت التحدّث. في النهاية خرجَ الجرّاح بنفسه فنهضتُ متلهّفة نحوه:

-أرجوك دكتور كيف حال سايمون؟ هل هو بخير؟

-لقد قُمنا بكلّ شيء كما يجب، وليسَ علينا إلا الانتظار الآن. شفاؤه يعتمد على قوة جسده وتمسّكه بالحياة.

غادر الطبيب وتركَني بحالةٍ لا توصَف من الحزن والارتباك،تم نقل سايمون إلى العناية المركّزة، وقضيتُ الليلَ بطولِه في صالة الانتظار القريبة منه وأنا أنتحب. في صباح اليوم التالي كنّا أنا وليندا نائمتَين على مقاعد ففتح باب ردهة العناية ليخرجوا سايمون على سرير متحرّك، فقمتُ راكضةً نحوه.

-سايمون... أفيقي ليندا لقد أخرجوه. سايمون هل تسمعني؟!

-آنستي إنّه حالياً فاقد الوعي، لكنّه لحسن الحظ قد تحسَّنَ بشكل ملحوظ، وسيكمل علاجه في ردهةٍ خاصة.

-كانوا يضعونَ له محلولاً وريدياً بينما رأسه وصدره ملفوفان بضماداتٍ عريضة. رافقناهم حتى أوصلوه إلى غرفته ونقلوه بعناية على سرير هناك.

-تهانينا على سلامته آنستي. سيصل طبيبه الذي أجرى له العملية ليطمئنكم على وضعه.

لم أصدّق عينيّ، عاد سايمون لي من جديد! لقد عادت الروح إلى جسدي، لم أشعر بشيء كهذا من قبل. شكرتُ ربّي لاستجابته دعواتي. لم يَعُد لي غير سايمون في الحياة، وبعد ما حصل تيقّنتُ إنّه قد امتزجَ بداخلي وصارَ كالروح التي تسكنني دون أن أدرِك ذلك. أصبحَ دائي الذي لم ألاحظ أعراضهُ سوى الآن.

-تهانينا كاثرين على سلامة سايمون. ألَم أقُل لكِ أنكما تعشقان بعض، لكنكِ لم تصدّقيني. لم ترَي نفسكِ كيف كُنتِ ستُجَنّين

بانتظار خروجه. لم أركِ هكذا من قبل، حتى في أسوء حالاتكِ. لا تفرّطي به أبداً، فَلن تجدي كلّ يوم شخصاً تحبّينه ويحبّكِ بهذه الطريقة أيتها البلهاء...
أتى الطبيب وحيّانا:
-مرحباً. تهانينا على سلامة السيد سايمون. اطمئنّوا، كلّ شيء سيكون على ما يُرام، فَقد أبدى جسد السيد سايمون استجابةً رائعة خلال وبعد العملية. عادةً حوادث كهذه نسبة النجاة منها 30%، وتعتمد كثيراً على جسد المريض. لم أكن أتوقعه بهذه القوة، فقد التأمت الجروح الداخلية وكسور الجمجمة أسرع بسبعة أضعاف من المتوقّع. أعتقد أنّ ما حَدَث كان معجزةً إلهيّة، لأنه شيء يعجز الطبّ عن تفسيره. يبدو أن الله قد استجابَ لدعائكِ آنسة كاثرين.
-شكراً لك دكتور، أشكرَك حقاً. متى سوف يستعيد وعيه؟
-عفواً فأنا لم أقم إلا بواجبي.
من المتوقّع إنه سيستعيد وعيه في الساعتين القادمتَين. تهانينا مجدّداً... عن إذنكم.
-الآن دعينا نحتفل بسلامة سايمون، سأذهب لأطلب وجبة دليفري لنأكل. أنا في قمة الجوع ولم نأكل منذ صباح الأمس...
-آه منكِ ليندا، كلّ تفكيركِ بالطعام...
-هل تريدين أن أطلب لكِ شيئاً معيّناً؟
-لا شكراً، فقط اذهبي.
جلستُ بجانب سايمون ممسكةً بيده، سَرحتُ أتأمّل في وجهه وأتمتم: "آه يا مجنون هل يُعقل ما فعلتَهُ ؟! كيفَ دَخَلتَ حياتي

ومتى أصبحتَ تعني لي كُلّ هذا؟! إيّاكَ أن تتركني، فأنتَ مَن أعادَ لي الأمل. كلّما أحتاج لسَنَد ألقاكَ بجانبي، فلا تُفرّط بوعدكَ لي وابقَ بجانبي أرجوك." ...

فتحَ عينيه قليلاً وتكلّمَ بصوت خفيضٍ جداً:

-أنا أعشقُكِ حدّ الموت... هل تطلّبَ الأمر أن أموتَ لأجلكِ لتعترفي لنفسكِ بقيمتي لديكِ...

تَملّكَتني فرحةٌ غامرة بسماع صوته، وكأنّهُ عِناقٌ دافئ لروحي.

-أحبُّك...

-كرّري ما قُلتِه أرجوكِ. هل حقاً ما سَمِعت أم إنني أهَلوِس؟!

-هاهاها...

(مهما وجدتَ من شرٍّ في الناس فلا بدّ ان تلتقي يوماً بِشخصٍ يضيء عُتمتَك وتَزدَهر بقربهُ اكثر من أي وقتٍ ان عَثَرتَ عليه تمسّك به، فالحبّ الحقيقي كالموت والولادة لن يأتِ إلا مرةً واحدةً فقط، وما قبلَه وبعده مجرّد مُحاولاتٍ فاشلة للنسيان)

مريم محمد

10

بشر على أرضنا؟!

(كاثرين / 2022م)

فتحتُ عينيّ على صوت حركة في الأشجار المجاورة، بعد فقداني للوعي بسبب النزيف. شعرتُ بالقلق والخوف وتأهّبتُ للهروب، قبل أن يظهر من خلف تلك الأشجار كائنٌ زاحف ضئيل الحجم. كان غريب الشكل، لكنّني بدأتُ أتعوّد على الأشكال المخيفة في ذلك المكان. من الغريب أيضاً أن جذوع الأشجار خضراء، وحتى الكائنات والحشرات حولي كانت خضراء اللون. الثمار التي لاحظتُها كانت كذلك غريبة، ولم أفكّر بتجربة أيٍّ منها حتى لو متُّ جوعاً، فقد تكون سامّة لأن شكلها مُريب. لكنّني حقاً صرتُ أتضوّر جوعاً، والجو باردٌ مع إنني داخل الغابة، ومن المفترض أن يكون الجو أكثر دفئاً. انتبهتُ إلى ذراعي التي توقّف نزيفها، كانت ملفوفةً بورقة شجر خضراء، بينما كنتُ نائمة تحت شجرة جذعها كبير وأغصانها أكبر، من الممكن أن يحتمي الشخص تحتها من البرد والحيوانات المتوحشة. "لكن كيف جئتُ هنا؟! " فجأةً سمعتُ صوت تحرّك الأشجار مُجدّداً، فحاولتُ حَمل جَسَدي للاختباء،لكنّني الإرهاق غلبَني ولم أتمكّن. خرج كائنٌ أفزعَني لدرجة أنّ قلبي كادَ يتوقّف. لا أعرف كيف أصف شكلهُ، فهو خليط بين النمر والقطة لكنّهُ دونَ وبر، بل غطّى جسدهُ جلدٌ صدَفيّ أسود اللون، مع شعر أبيض على جانبَي رأسه ورقبته. كانت عيناه واسعتَين ورقبته طويلة بعض الشيء وأذناه

طويلتـان، أمّـا ذيلـه فنصـفهُ مثـل ذيـل الحصـان، وبـرزَ مـن وسـطه ما يشبه السّوط، وبدا إنّه يستطيع التحكّم به.

Mary

بدأ يقـترب منـي ببطء، كأنّـه يتفحّصـني، ثـمّ تكلّـمَ فجـأةً بصـوتٍ خفيض غريب اللهجة:

-إنهـا بشـرٌ فعـلاً... إنهـم موجـودون كـما توقّعـت! لكـن كيـف استطاعوا الوصول إلى هنا؟!

لأجيبهُ بخوف:

-لا أعـرف! صـدّقني لا أعـرف كيـف وصـلتُ إلى هنـا. فجـأةً وجـدتُ نفسي هنا ولا أعرف كيف أخرج.

-كيف فعلتِ ذلك؟!

-فعلتُ ماذا؟

-كيـف اسـتطعتِ فهـم كلامـي؟! لغتـي لا يفهمهـا إلا أبنـاء جنسي،كيف تمكّنتِ من سماعها وفهمها وأنتِ مجرّد بشرية؟!

-لا أعرف. أنـا أصـلاً لا أعـرف مَـن أنـتم ولا هـذا المكـان الـذي نحـنُ فيـه. أعتقـد إننـي في كـابوس، وإلا مـا هـذا! كـلّ المخلوقـات عجيبة... والآن أصبحتُ أتكلّم حتى مع الحيوانات!

-أنتِ في أوزوريس...

قبـل أن يكمـل كلامـهً نظـر إلى عنقـي فاتّسـعت عينـاه بطريقـة أخافَتني.

-مـا بِـكَ مـاذا هنـاك؟ هـل أنـتَ مَـن سـاعدني وعـالجني؟ إذا كنـتَ أنت فشـكراً جـزيلاً لـك... هـل غـيّرتَ رأيـك لتفترسَـني الآن؟ طعمـي بشع صدّقني.

-من أين لكِ هذا الحجر؟ كيف حصلتِ عليه؟

تلمّسـتُ عُنقـي، كانـت القـلادة التـي تركَتهـا لي أمـي معلّقـة في رقبتـي، لكـن حجرهـا قـد تحـوّلَ للّـون الأسـود وبداخلـه ذرّات

تشبه النجوم، لامعة وتتحرّك ببطء. تذكّرتُ أنّ لونه وشكله لم يكونا هكذا من قبل، أو ربّما إنّني مشوّشة ولم أستطع التذكّر جيداً.

-لا بُدّ أنّ خلفكِ قصةٌ طويلة ولستِ بشريّة عادية، وإلا كيف وطأتِ أرض أوزوريس بهذه السهولة! أنتِ أول بشر تطأ قدماهُ هذا المكان منذ...

هل يوجد غيركِ هنا الآن؟

-لا صدقني لقد جئتُ بمفردي إلى هنا، وبالصدفة...

فجأةً طار شيء صغير من خلفي، كان سريعاً جداً لدرجة إنّني لم أستطع رؤيتهُ بوضوح، قطعَ القلادة من عنقي خلال أجزاء من الثانية، رغم محاولتي إمساكها، وسرقَها مني. عندما ابتعدَ عنّي حطَّ على أحد الأغصان، فتمكّنتُ من رؤيته. كان مخلوقاً صغيراً يشبه الجنيّة في الحكايات الخيالية، لكنها غريبة الشكل حقاً. نظَرَت إلينا ثم طارت مُسرعةً بالقلادة، حاولتُ اللحاق بِها، لكنّ المخلوق الناطق قام بلفّ ذيله الطويل حول ذراعي،حيثُ انتبه قبلي لأصواتٍ تقترب منّا، كأنها حيوانات تركض، وبدأت الأشجار تهتزّ ولونها يتغيّر تدريجياً، الجذوع نحو الأبيض والأرجواني، والأوراق إلى الأسود والرمادي.

-اتركني دعني أذهب، لقد سرق ذلك الشيء قلادتي، ماذا تريدون منّي؟!

-ششش اصمتي لا تثيري ضجّة، تعالي.

دخل إلى فتحة شبيهة بالحفرة تحت الشجرة، وسحبَني بذيله بقوّة ليدخلني خلفه. امتدّت الحفرة لتصل إلى داخل

الشجرة، التي كان جذعُها مجوّفاً وفيها فتحة صغيرة، راح ينظر من خلالها إلى الخارج.
-لماذا أتيتَ بي إلى هنا؟ مذاقي مقزّز صدّقني أنا سيّئة الطّعم...
-مَن ينوي أكلكِ أساساً أنا نباتيّ! اصمتي وإلّا تمّ التهامُنا وتمزيقُنا.
-ماذا هناك؟!
-هذهِ مخلوقات الآرسيميا (أسوأ سلالات الجان في أوزوريس)... إنهم الخرافة الحقيقية. جميعُنا ظننّاهم مجرّد خرافة وأسطورة، قبل أن يظهروا فجأةً في هذهِ الغابة. إذا أحسّوا بوجودنا فَسوفَ يفتِكون بنا، لذا يجب أن ننتظر حتى يغادروا،ومن ثمّ سأفهمكِ كل شيء، وفي أثناء ذلك يجب أن تحافظي على أقصى درجات الهدوء والسكون.

قبل عشرة أعوام...

(كاثرين / 2012م)

كنّا في غرفة المستشفى، أنا وسايمون، نتبادل حقيقة المشاعر المخفيّة عن بعضنا، أو بالأحرى التي كنتُ أنا أتجنّبها خوفاً من التعرّض لصدمةٍ جديدة، لكنّني وقتَها استسلمتُ لقلبي. يبدو إنّهُ القَدَر، وأعتقد أنهُ أجمل أقداري ، كل ما مررتُ بهِ مِن حُزُن وقلق وكأن قلبي كان على وَشك التوقف ليس هناكَ تفسيرٌ آخر غير إنّني قد عشقتُه.

-هل شعوركِ بقربِ فقدانكِ لي هو ما جعلكِ تدركينَ الحقيقة؟

-لا أعرف ما إذا كان شعوري صائباً أم لا، ما أعرفهُ هو أنني فعلاً كدتُ أموت خوفاً عليك. لكن ما يُخيفُني أكثر هو أن تخذلَني كما فعل معي مَن أحببتُهم ووثقتُ بهم، أمّي وأبي.

كان يهمّ بالرد لكن ليندا دخلت حاملةً أكياس الغداء.

-مَن استيقظ! حمداً لله أنكَ عُدتَ إلينا، لقد قلقنا عليكَ كثيراً،أمّا كاثرين فكادت روحها أن تخرج من جسدها حزناً وخوفاً عليك يا رجل. لقد جلبتُ لكما معكرونة إيطالية، فأنا مغرمة بالطعام الإيطالي، ولا أقبل الاعتراض...

-مرحباً بكِ ليندا العزيزة. أريد إخباركِ إنه وأخيراً شعرَت صاحبتكِ العنيدة بحبّي. يبدو أنّ هذه كانت الطريقة الوحيدة التي من الممكن أن تثبتَ حبّي لها.

-هـي أصـلاً تُحبّـك، بـل تعشـقك، لكنهـا صـعبة المـراس ورفضـت الاعتراف منذ البداية.

-وأنا أعشقها أكثر من أي شيء في هذا العالم.

انتبَهتُ على ذراعه الأيسر، كان عليه وشمٌ جميل.

-ما هذا الوشم سايمون، هل لهُ معنى أم ماذا؟

-هـل أعجبـكِ؟ في الحقيقـة كـان لـديّ جـرح بـاقي الأثـر منـذُ الطفولـة، أردتُ إخفـاءه في أيـام المُراهقـة. عـرضَ عـليّ الواشـم مجموعـة مـن التصاميم وهـذا الوحيـد الـذي أعجبنـي وقتهـا، قـال إنّهُ يرمز إلى السموّ والشموخ.

-إنه جميل، وغريب نوعاً ما.

مـرّت الأيـام، وخـرج سـايمون مـن المستشـفى، فكنـتُ أزورهُ كـلّ يـوم وأعتنـي بـه حتـى تعـافى تماماً. كـان الـزمن يتوقّـف برفقتِـه،ونبقى وحـدنا في هـذا العـالم، كأنّـهُ قـد خُلِـقَ لأجلنـا. إعتـاد سـايمون إيقـاظي في الصـباح باتصـالٍ منـهُ، فأخـذَ تلـك المهمـة مـن لينـدا، التـي كانـت تـوقظني يوميّاً لأنّ نـومي ثقيـل وكنـتُ أطفـئ المُنبّه وأنام ثانيةً.

ألـيسَ مـن الصّـعب تـرك الفـراش في الصـباح البـاكر؟ رنَّ هـاتفي بنغمــة سـايمون الخاصــة برقمــه، كنــتُ أتبَسَّــم كالبَلهــاء كلّــما سـمعتُها، نفـس ابتسـامتي ذلـك الصـباح عنـدما رفعـتُ الهـاتف. أعتقـد أنّ الحـب هـو مـا يجعلنـا نبـدو كالبُلَهـاء،لكن إن كـان ذلـك يجعلنـي بتلـك السـعادة فـما أجملَهـا مـن بَلاهـة! جـاءَ عـبر الهـاتف صوتهُ الحنون الذي أعشق نبرته والبحَّة التي فيه.

-صباحكِ سُكَّر أيتها الكسولة، عندي اليوم وقت فراغ، وأريد قضاءه معكِ.
-لا أعتقد إنني سأتمكّن من الخروج معك، فَجدولي مليء بالمُحاضرات.
رنّ جرس غرفتي بينما كنّا نتحدّث.
-مَن هناك، هل جرسكِ يرنّ؟
-نعم لكن مَن سيأتي الآن... ليندا قد خرجت لتوّها، ربما نَسَت شيئاً وعادت لأخذه. إبقَ على الهاتف سايمون.
-بالطبع حبيبتي سأنتظركِ.

فتحتُ الباب فَلم أجد أحداً، لكنّني وجدتُ ورقةً قديمة على عتبة الباب رُسِمَت عليها رسمة غريبة،

شـعرتُ إننـي رأيتُهـا سـابقاً في مكـانٍ مـا. لم أدقّـق فيهـا كثـيراً، وتلفَـتُّ يمينـاً ويسـاراً لأرى مَـن أوقعَهـا، فوجـدتُ العاملـة مُنَظِّفَـة الغرف تتجه نحو الغرفة المقابلة لنا، فناديتُها.

-سيدتي عفواً، هل سقطت منكِ هذه الورقة...

لمحتُ الورقـة بنظـرة اخـيرة فتـذكّرتُ فجـأة "أليسَـت هـذه صـورة وشم سايمون؟"!

دخلتُ وعدتُ لهاتفي:

-هل تأخّرتُ عليكَ حبيبي؟

-لا على العكس، مَن كان على الباب؟

-لا شيء، كانـت عاملـة التنظيـف قـد دقّـت الجـرس لتعـرف إن كنّا نريد تنظيفاً أم لا, حسناً أينَ تُريد أن نَلتقي؟

-هل غيّرتِ رأيكِ بشأن المحاضرات؟

-أجل، أريدُ رؤيتَك.

-لنلتقي في مقهانا المعتاد.

-كلا، أفضّل اللقاء في مكان آخر...

-حسناً، سآتي إليكِ ونُقرّر أينَ نذهب.

بعـد ربـع سـاعة أتى لاصـطحابي، وقرّرنـا الجلـوس عـلى نهـر التـايمز. كنتُ صامتةً تقريباً.

-كاثرين؟ ما بكِ؟

-ها؟ لا شيء...

-أنتِ لا تتكلّمين.

-سايمون، عندما طُرِقَ الباب قَبل قليل...

-أجل؟

-فتحتُهُ ووجدتُ هذهِ الورقة على الأرض، أمام الباب.
أعطيتُها له وفتحَها ليتفاجأ.
-إنّه وشمي!
أجل، ما معنى هذا؟
-ليسَ لهُ معنى. رُبّما رغبت إحدى زميلاتكِ في السكن بعملِه،ووقعَت الورقة منها على بابكِ سهواً...
-ممم، نحنُ عادةً نحتفظ بالصور في الهواتف فلو كانت تَرغب بخزن صورة الوَشم الذي اعجبها لأحتفظت بها في هاتفها.
-لا أعلم، إنّهُ جيل مجنون، لا يُمكن التنبّؤ بأفعاله...
-هيي لا تسخَر من جيلي.
-إنهُ أجمل جيل، لأنّهُ جلبكِ إليّ.
-أي ان هذا الشيء ليسَ لهُ مَعنى ؟
-اطلاقاً, واي معنى سيكون له.

عقف الورقة ليرميها في النهر , بقينا يومَها حتى الظهيرة،لنعود بعدها ونقضي معظم الليل في تبادل الرسائل. في صباح اليوم التالي كانت أول محاضرة لسايمون معنا بعد أن تماثلَ للشفاء، فدخلَ وألقى التحيّة وقامَ الطلبة بتهنئته على السلامة، وقدّم بعضُهم له الورد، فشكرَهم وبدأ المحاضرة،واسترسلَ خلال الشرح قائلاً:

-أتعلمونَ، القوانين توجد فقط في الكتُب والمناهج، لكن في الحياة لا يوجد قانونٌ ثابت. بإمكان موقف أو شخص تغيير كل قوانين حياتك، كما فعلَت معي الإنسانة الوحيدة التي تمَسّكتُ بالحياة بسببها... لقد دَخَلَت حياتي قبل نقلي إلى هذه

الجامعــة، وعلقَــت بقلبــي بكــلِّ تفاصــيلها، ابتســامتها، غضــبها، طريقة كلامها، مفرداتها وكل تفصيلةٍ بها سكنَت داخلي.

وضـعَها القــدر في طريقــي مــرةً أخــرى، فــازددتُ عشــقاً حــدّ الثمالة. أعتقـد إنّكـم جميعـاً عرفتُموهـا، فقـد حصـل الحـادث قـرب الجامعة، ولا شك أن الجميع تداول الحديث بشأنه...

أخــذ الطــلاب ينظــرون لي مبتســمين، فأصــابَني خجــلٌ شــديد. "سايمون بحق السماء ماذا فعلت، هل هذا وقت جنونك"!

-اليوم وأمامكم جميعاً...

تقدّمَ باتّجاهي وبسطَ لي كفّه.

-أعطِني يدكِ حبيبتي، تعالي...

أعطيتُه يدي، متسـائلةً عـمّا ينـوي فعلـه، فقَـد اعتـدتُ عـلى جنونـه الذي أحبّهُ حقاً.

أتسَـمَّر في مكـاني بكـلّ مـرة ينظـر لي هكـذا، أشـعر إنّنـي أطـير في الســماء مثــل النجــوم اللامعــة. نظراتــهُ وابتســامتهُ تُدغــدغان مشـاعري، والحـبّ الـذي يكمـن في عينيـه لم أرَ مثلـه عنـد بشــر." هــل كــل حــبٍّ هكــذا، أم أن حبّنــا أنــا وســايمون هــو المُختَلــف؟ "

انكسرَت لحظات الصمت بكلمات الحبيب:

-أحبُّـكِ جـداً، وسـأحبُّكِ إلى مـا لا نهايـة، هـذا قَسَـمٌ منـي... أريـدكِ أن تشاركيني حياتي، وأن نشيخَ معاً...

بدأ الطلبة بالتصفيق، وهتف بعضهم:

-قولي نعم، قولي نعم...

-غمرَني الخجل والفرح العظيمان، فأومأتُ برأسي، ليعانقني هو بشدّة.

-أحبُّكِ جداً.

وقفَ الطلبة وهم يصفّقون ويباركون لنا, وسط ضجتهم اعلَنَ بصوتٍ عالي وبأبتسامة تملأء محياه الفاتن وانا اتأبط ذراعه
-سيكون حفل زفافنا قريباً، وجميعُكم مدعوّون بالطبع.
كانت أجمل أيام حياتي، حتى شككتُ حينَها إنني في حلم. لم أفهم أبداً كيف يستطيع سايمون الإحساس بي بكلّ الأوقات، إذا حزنتُ أو تضايقتُ قليلاً ألقاهُ أمامي أو يتصل بي، كأنّهُ فعلاً ملاكي الحارس.
(بعد أسبوعين)
كنتُ في المكتبة أبحث عن كتاب في تقنيات الهندسة المعمارية وإدارة التصاميم، ضمن الرفوف الخاصّة بذلك المجال لكنّني لم أجده، فعدتُ إلى حيث كُنتُ أجلس، لأجد أمامي شابّةً، غريبة الشكل قليلاً، أراها لأوّل مرةٍ في الجامعة.
كنتُ وقتَها في نهاية سنتي الثانية، وفكّرتُ إنني بالتأكيد لم ألتقِ بعد بالكثير من الطلاب. سألَتني فجأة:
-هل هذا ما كُنتِ تبحثين عنه؟
ارتعبتُ قليلاً من قولها، وكأنها قرأت أفكاري.
كان بحوزتها كتابان في الهندسة، أحدهما هو الكتاب الذي كنتُ أبحث عنه.
نظرتُ إليها بِتمعّن، كانت ترتدي ثوباً أسود طويل، ذات وجه شاحب البياض وشعر رمادي قصير يصل لأذنيها، ملامح وجهها المربّع بارزة لكنّها كانت نحيفة بعض الشيء، وتضع قفّازات يد قصيرة شفافة. مَن يلبس مثل ذلك الزيّ التاريخي الآن! فكّرتُ أنّ موضته ربّما عادَت دون علمي.

-نعـم إنـه نفـس الكتـاب الـذي أريـده. هـل يمكـن أن تعيرينـي إيّـاه بعد أن تنتهي منه؟ لكن كيف عرفتِ ذلك؟

فابتسمَت بثقة، بينما كانت تعابيرِ وجهها في قمّة الغرابة.

-انا أعـرف كـل شيء عنـكِ. لا أحتـاج هـذه الكتـب، بـل أحضــرتُهما لــكِ فأنــتِ مســكينة جــداً وتحتــاجين للمســاعدة في الكثــير مــن الأشياء.
استغربتُ من كلامها جداً.
-عفواً؟! لم أفهمكِ كيف إنّي مسكينة؟ من أين تعرفينني؟
-اســمكِ كــاثرين وأنــتِ في كليــة الهندســة المعماريــة، ومخطوبــة للأســتاذ ســايمون، والــدتكِ توفّــت في إثــر حادثــة مأســاوية وأنــتِ في ســن التاســعة، ثــم التجــأتِ لخبّــاز وعملــتِ معــه إلى أن كــبرتِ وسافرتِ لهذه الجامعة... هل أُكمِل؟
صُـدِمتُ مـن كـمّ المعلومـات التـي تعرفهـا عنـي تلـك الفتـاة، وأثـارَ كلامها في داخلي تساؤلاتٍ عديدة.
-مَن أنتِ؟! كيف تعرفين كلّ ذلك؟!
أعرفُكِ منذ أن وُلِدتي.
-هــل أنــتِ مجنونــة؟! لا بُــد إنّــكِ قمــتِ باســتقصاء عنّــي وجمعــتِ المعلومات.
ابتعدي عنّي لا وقتَ لديّ لأمثالكِ.
اسـتدرتُ في طريقـي للخـروج مـن المكتبـة، فخـاطبَتني بنـبرةٍ حـادّة وهي لا تزال في مكانها:
-هل تعرفين سايمون حقّ المعرفة؟!
فتوقّفتُ للحظة، وكان ظهري باتجاهها فأدرتُ وجهي جانباً.
-نعم، أعرفه أكثر ممّا أعرف نفسي.
-أها؟ إذن هل رأيتِ والدَيه؟ أو أيّ أحدٍ من عائلته؟
-ما الذي تريدينه مني؟ مَن الذي أرسلكِ إليّ؟

-أريـد أن أحـذّرَكِ مـن الخطـر المُحـدِق بـكِ! كيـف سـتتزوّجين شخصاً لا تعرفينـهُ جيـداً؟ إنّـه خَطِـرٌ جـداً، وإن قلـتُ لـكِ مَـن هـو ومـن أيـن أتى فلَـن تصـدّقيني وسـتتّهمينني بـالجنون، لكنّنـي مُسـتَعدّة لإثبـات كـلّ كلمـة أقولهـا، ولجعلـكِ تـرَين كـل شيء بـأمّ عينَيكِ.
التفتُّ عائدةً نحوها.
-وأنـتِ مَـن تكـونين؟! لا أعرفـكِ أصـلاً فكيـفَ يمكـن أن أثـق بـكِ؟! ابتعدي عني لا أريد أن أعرف منكِ شيئاً.
-حسـناً، كـما تُريـدين. لكـن لا تخـبري سـايمون إنّـكِ رأيتِنـي، وإلا سوف لـن تعـرفي الحقيقـة أبـداً، فقـد يـتخلّص منـي كي لا أخـبركِ بما أعرف عنه...
-أنتِ مجرّد دخيلة كاذبة، اغرُبي عن وجهي!
غـادرتُ المكتبـة بعـدَها بسـرعةٍ كالهاربـة مـمّا قالَتـهُ، فقـد دبَّ الرعـب في داخـلي، وهربـتُ كي لا أسـمع أكـثر . مشـيتُ بخطـى مُرتبكـة ومتـوتّرة حتـى وصـلتُ إلى غرفتـي. في الحقيقـة أنـا لم أسـتمع لهـا خوفـاً مـن أن يـدمّر كلامهـا كـلّ شيء. كنـتُ أثـق بسايمون ثقـةً عميـاء، لكنّنـي فعـلاً لم أعـرف أي شـخص مـن عائلتـه. لقد أخبرني أنه ظـلّ وحيـداً بعـد وفـاة والـده، وزواج أمـه مـن رجلٍ آخـر منـذُ طفولتـه وهـو لا يعـرف عنهـا شيء، ولـيس لـه أقارب،هـذا ما عرفتهُ عنـه. "مـاذا سـيكون مـا ارادَت إخبـاري بـه؟" فكّـرتُ إننـي سـأعرفهُ مـن سـايمون نفسـه، هـو سـيخبرني قبـل أي شـخص فأنـا أثـق بصـدقِه معـي. لكـنّ مـا قالتـهُ أثـارَ عاصـفةً هوجـاء داخـل عقلي... "لماذا قـد يـتَخلَّص منهـا سـايمون إذا عَلِـمَ بأمرهـا؟! يـا إلهـي

لمــاذا لا تكتمــل ســعادتي أبــداً ". في زحمــة أفكــاري والتناقضــات التي اندلعت في رأسي، رنّ الهاتف، اتّصال وارد (سايمون)

-مرحباً سايمون.

-أميرتي كيف حالكِ... اشتقتُ لكِ جداً. هل أستطيع رؤيتكِ؟

-نعم بالطبع. أنا أيضاً أريد التحدّث معك.

جـاء إلى الســكن وأخـذَني في ســيارته، رغـم إننــي أنــسى الوقـت وكـلّ شيء حـينَ أكـون معـهُ، لكنّنــي لم أنـسَ مـا قالتـهُ تلـك المـرأة. وصـلنا للمقهـى، والـذي كـان مـن النـوع البسـيط المفضّـل لـديّ، وسط المدينة.

-إنه جميل، من النوع الذي أحبّهُ تماماً.

-نعـم، ووجـدتُ أيضـاً مَطعـماً بـأجواء باريسـيّة رائعـة، سنقصـدهُ في وقتٍ لاحق.

-جلســنا عــلى طاولــة بقــرب النافــذة المطلّــة عــلى النهــر. كانــت الأجــواء ربيعيّــة رائعــة، واسترســلنا في الحــديث، قبــل أن أســألهُ بدون مقدّمات:

-سايمون...

-نعم حبيبتي.

-هل هنالك شيء في حياتك لم تخبرني به؟!

صمَتَ للحظات، وبهتَـت ابتسـامتُه وكأنّـه قـد تفاجـأ مـن سـؤالي. لم تُريحُني ردّة فعله تلك. أخذَ رشفةً من كأسه ثمّ قال باستغراب:

-لمَ هذا السؤال حبيبتي؟ هل تشعرين إنني أخفي عنكِ شيئاً ما؟

-كـلا، مطلقـاً. لكنّنـي لـن أسـامحك إن كنـتَ كـذلك، لا سـيّما إن كانَ مُهمّاً.

بَدَت تعابير وجهه وكأنه يريد أن يقول شيئاً.
-كاثرين... أنا...
-نعم... أسمعكَ.
-أنا... أنا مثلكِ تماماً، لقد تبَنّاني السيد رايتشل من دار الأيتام.
-هذا فقط؟! لماذا لم تُخبرني منذ البداية؟
-هذا الأمر سبّبَ لي عُقدةً منذُ الطفولة و...
تكلّمتُ بِحزم وأنا أضغط على قاعدة الكأس.
-أنتَ تُخفي عني أمراً آخر سايمون!
-ما بكِ حبيبتي؟ هذا هو الشيء الوحيد الذي لم أذكرهُ لكِ.
غمـــرني إحســـاس بوجـــود سرّ مهـــمّ كـــان عـــلى وَشـــك البـــوح به،وأكّــدَت إحســـاسي تعـــابير وجهـــه التـــي تغـــيَّرَت. ربّمـــا منعَـــهُ الخـــوف فدفعـــه لتأجيـــل الموضـــوع حتّـــى وقـــتٍ لاحـــق، وربّمـــا أنّ كـــلام تِلـــك المـــرأة الغريبـــة قـــد دفـــعَ خيـــالي لمســـتوياتٍ بعيـــدة عـــن المنطق.
-اطمئنّـــي حبيبتـــي، فَأنـــا لا أخفـــي شـــيئاً آخـــر أبـــداً. مـــاذا قـــد أخفـــي عنكِ بحقّ السماء ولماذا؟!
خطَـرَت عـلى بـالي آلاف الأشـياء التـي يمكـن أن يكـون قـد خبّأهـا عني، فقـد أشـعلت تلـك الغريبـة نـيران الشـكّ داخـل قلبـي وعقـلي معـاً. تمنّيـتُ رؤيتهـا مـرة أخـرى، لكننـي لـن أصـدّق أيّـة كلمـة تقولها من دون دليل .
بعـد ذلـك اليـوم أصبحَ تعـاملي مـع سـايمون بـارداً فجـأة، لـيس لشـــيء لكنّنـــي كنـــتُ أنتظـر منـه إخبـاري بكـل شيء بنفسـه، قبـل أن يخـــبرني شـــخص مجهـــول. كنـــتُ سأســـامحُه مهـــما كـــان مـــا

سـيخبرني إيّـاه، لكنّـهُ كـان يتهـرّب كلّـما سـألتُهُ أو لمَّحـتُ لـهُ، مـمّا ضـاعفَ يقينـي بوجـود سرّ، يُخفيـه عنّـي الرجـل الـذي أحببتُـه مـن كلِّ قلبي.

11

ليتها لم تكن ذكرى...

(كاثرين / 2022م)

لم يمكنني الإذعان والبقاء داخل الشجرة مع ذلك المخلوق المُتكلِّم وقلادتي قد سُرِقَت منّي. اقتنعتُ بوجوب الخروج، فَلا بدّ إنّهُ كان يضمر لي شيئاً غير الذي قالهُ.

-لماذا تتحرّكين؟ قُلتُ لكِ اهدئي، سيرحلون عمّا قريب.

-دعني اتّخذ مكانك قرب الفتحة أرجوك. أكاد أختنق هنا، لا يصلُني الأوكسجين والمكان مُظلم جداً، وأنا أرتعب من الأماكن المُغلقة.

-حسناً، لكن إيّاكِ أن تُصدري صوتاً وإلا سوف يتمّ التهامُنا أحياء.

تنحّى جانباً عن الفتحة لأقترب أنا، بعد أن فكَّ ذيلهُ من ذراعي. حالَما أصبحت الفتحة أمامي، ومن دون أن أنظر منها حتى، اندفعتُ عبرها بسرعة فخرجتُ من جذع الشجرة مُتدحرجة.

-أيتها الحمقاء! سنهلك الآن بسببكِ!

أخذتُ أجري بين أغصان الأشجار الكثيفة دون أن أنتبه لما حولي، بهدف الهرب بعيداً عن ذلك المخلوق وإيجاد مَن سرق قلادتي. فجأةً قطَعَت طريقي مخلوقاتٌ بشعة، في رؤوسها قرون وأنيابها خارج الفم، ولديها أجنحة مثل الجراد لكنّها كانت تمشي على أطرافها الأربعة وأحياناً تطير

Mary

هـــاجَمتني مجموعـــةٌ مـــنهم وهـــم يطلقـــونَ أصـــواتاً كفحـــيح الأفـاعي، وقـد بـرزت أنيـابهم عـلى سـطح أفـواههم السـوداء، بمنظـرٍ مُرعـبٍ ومُقـزّزٍ جـداً. بقيـتُ أتراجـع وهـم يتقـدّمون، حتـى انـدفعَ نحوي أحـدهم فأغمضـتُ واضـعةً كلتـا ذراعـيّ أمـام وجهـي لأصـدهُ عنـي، لكنّـهُ لم يهـاجمني، فتحـتُ عينـيّ لأجـد المخلـوق الـذي هربـتُ منـه واقفـاً يزمجـر علـيهم، مكشـّراً عـن أنيابـه الطويلـة وكانـت النقـوش عـلى جبينـه تضـيء بشـدّة، حتّـى ابتعـدوا عـن طريقنا، فانطلقَ يركض وهو يقول:

-هيّا لنهرب... سيلحقون بنا.

-شكراً لكَ على مساعدتي...

-لا وقـتَ لـذلك، سنصـبح وجبـة عشـاء لهـم قبـل أن تُكمـلي امتنانكِ.

لفَّ ذيلهُ على ذراعي بسرعةٍ خاطفة وسحبَني نحوه.

-هيا اصعدي على ظهري بسرعة.

-حسناً.

ركبـتُ عـلى ظهـره وانطلـقَ راكضـاً، بعـد قليـلٍ سـمعتُ أصـوات لهـاثٍ مـن خلفنـا فاسـتدرتُ لأرى ظـلالَ خمسـةٍ مـنهم أو أكـثر يلاحقوننا بوحشيّة، بدَوا كأنّهم سيقطّعونَنا إرباً لَو حَظوا بِنا.

-لقد كنتَ مُحقّاً، ما كان يجدر بي الخروج أبداً.

-لا فائـدة مـن هـذا الآن. يجـب أن تصـمتي حتـى أسـتطيع التركيـز للخروج من الغابة...

توغَّلنـا بـين أغصـان الأشـجار المُتشـابِكة، التـي سـبَّبت لنـا العديـد مـن الخـدوش، بيـنما كنـتُ مُتَمسّـكةً بظهـره بقـوّة كي لا أسـقط. في

النهايـة، تمكنّـا بأعجوبـة مـن مُغـادرة الغابـة. مشـى لمسـافة قليلـةٍ خارجَهـا، قبـل أن أسـقطَ مِـن عـلى ظهـره، بيـنما تمـدّدَ هـو عـلى الأرض، وقد غلبَنا الإعياء والتعب بعدَ تلك المطاردة الرهيبة.

قبل سبعة أعوام...

(كاثرين / 2015م)

لم أرَ تلك المرأة الغامضة مرةً أخرى بعد اللقاء في المكتبة،وكنتُ أقضي معظم وقتي متوتّرة غير متأكدة من شيء،وفي رأسي صراعٌ مُقلِق. لم أعرف إن كان ما قالَتهُ حقيقة أم إن سايمون فعلاً صادقٌ معي؟ هل أصدّق قلبي، الذي يخبرني بأنّه لا يمكن أن يكون كاذباً؟ وكيفَ لي أن أكذِّب قلبي بعد اختفاء تلك الشابة؟ حبّي لسايمون كفيلٌ بجعلي أتغاضى عن كلّ شيء، فقد تكون تلك أوهام من صُنع خيالي فقط. "عندما يدخُل الشكّ في عقل المرء فهو لا يتركه حتّى يُخرّب حياتَه". كنتُ أعرف ذلك لكن الأمر ليسَ بيدي. مرَّت ثلاثة أعوام وتخرَّجت، ومعَ كلّ يومٍ يمضي أزدادُ حبّاً وتَعلُّقاً بسايمون، لكنّ هاجسي كان الخوف من أن يخيّب آمالي ويفطر قلبي في يومٍ ما. إن فعلها فكيفَ لي أن أشفى من جرحه يا تُرى؟! كان من الغريب إنّني ازددتُ تعلّقاً به رغم ذلك الشك، وأيقنتُ أنّني سأموت حتماً إن فطر قلبي، لأنهُ باتَ لي في كَفَّة والعالم كلّهُ في كَفَّةٍ أخرى. كان يجب عليّ إنهاء كُلّ شيء منذ لحظة البداية، لكنّني لم أفعل للأسف. انتهت الامتحانات واقترب زفافنا. هل سبقَ أن راودَكم شعور الفرح والخوف الشديد في آنٍ واحد؟ هذا ما مررتُ به حينَها. خفتُ أن تكون تلك السعادة التي كنتُ بها مجرّد كذبة في النهاية.

رَفَعَت ليندا الغطاء عني في ذلك الصباح، فشعرتُ بالهواء يتسلّل إلى أضلاعي. كم كرهتُ تلك الحركة التي اعتادَت أن تفعلها كي تخرّب نومي الهادئ وتوقظَني. كانت متحمّسة جداً،ليس بقدر حماسي وسعادتي طبعاً، برغم تعكّرها بالقلق اليومي. لم أستطِع نسيان ما قالته تلك الشابّة غريبة الأطوار،حتّى بعد مرور سنوات على لقائي بها. كان كلامها ينخر عقلي وقلبي، حتى ولَّد داخلي ألماً كبيراً من العدم. "ماذا لو كانت على حقّ!" لم أبتسم مرّةً إلا واتَتني تلك الفكرة التي تسيطر على عقلي.

خرجتُ مع ليندا نتجوّل بين دور الأزياء لاختيار فستان الزفاف من بين المجاميع المعروضة. تميَّز كلّ فستان عن غيره بميزة جماليّة، لكنّني لم أقتنع بواحد منهم، حتى تعبنا من القياس والتجربة، وبالطّبع صارت ليندا تئنُّ جوعاً كعادتها،فَتوجّهنا لمطعم قريب. دخلنا إليه وجلسنا على إحدى طاولاته الأنيقة في الهواء الطلق، ليرنَّ هاتفي باتّصالٍ وارد من سايمون.

-جميلتي كيف حالكِ؟

-أهلاً حبيبي. أنا بخير، وأنتَ؟

-كيف لا أكون في أسعد حال، ولم يتبقَّ على اجتماعي بكِ تحت سقف واحد إلا أيامٌ معدودة؟

-حقاً أنا لا أصدّق أن كل شيء بات قريباً هكذا وسنكون لبعض أخيراً. أنا الآن مع ليندا نختار فستان زفاف، لكن لم يعجبني شيء حتى الآن.

-حبيبتـي، يجـب أن يكـون فسـتانكِ بتصـميم خـاص بـكِ لوحـدك، ويسمّى موديل كاثرين، اذهبي وصمّمي ما ترغبينَ به هيّا.
-هاهاها حسناً حسناً.

أنهينا المكالمـة فقـد جـاء النـادل مـع قائمـة الطعـام وكنـتُ جائعـة جداً، فرفعتُ رأسي إليه.
-تفضّلا آنساتي...

باغتَتني رؤية شابّة كانت تجلس على الطاولـة المجـاورة لنا،دَفعـت الحساب للتوّ واتجهـت خارجـةً مـن المطعـم. "إنّهـا هـي! لـن أدعَهـا تذهب قبل أن تخبرني بكـلّ مـا تعـرف، ومهـما كـان الـثمن!" نهضـتُ ولحقتُ بها لا إرادياً، نادَت خلفـي لينـدا لكـن لم يكـن هنالـك وقـت لأشرح لها. لا بُد أن ألحق بـالمرأة التـي كانـت بمفردهـا، وكـدتُ أفقـد أثرها وسط جموع الناس في شارع المتاجر الكبيرة. تجاوزتُهم ولاحقتُهـا حتى وصلت إلى حديقةٍ عامة بعيدة قليلاً عن مركز المدينـة. تقلّصـت المسافة بيني وبينها إلى أمتار قليلة، وناديتُهـا أكـثر مـن مـرة لكنهـا لم تنتبه أو تتوقّف حتّى.

سـمعتُ صـوت لينـدا خلفـي بمسـافةٍ قليلة،فاسـتدرتُ نحوهـا، وعنـدما عـدتُ أنظـر إلى الشـابّة كانـت قـد اختفـت تمامـاً! لم تعُـد موجـودة في أيّ مكـان بعـد أن كانـت أمـامي قبـل لحظـات. وصـلت ليندا إليّ وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة.
-أيـنَ ذهبـتِ هكـذا مـن دون أن تخبرينـي بشـيء... هـل جُننـتِ كاثرين؟
-لينـدا ألم تـرَي تلـك المـرأة التـي كنـتُ خلفهـا... ذات الشـعر الرمادي؟

-كـلا لم أرَ أحـداً. كُفّـي عـن تصـرّفاتكِ الصـبيانية كـاثرين بـالله عليك، وكفاكِ مزاحاً، لقد أتعبتِني حقاً.

لم أفهـم لمـاذا ظهـرت أمـامي واختفـت، وتعقّـدَت الأشـياء في عقـلي حتـى كـاد ينفجـر. لم ألـقَ تفسـيراً سـوى أنهـا فعـلاً لم تملـك حقـائق تقولهـا، ولَـو كـان لـديها دليـل لَـوَاجهَتني بـه بشـجاعة،لكنّها حاولـت الاختفـاء حـالَما رأتنـي، إذن غايتهـا كانـت إذكـاء نـار الشـك بيني وبين سايمون.

لـذا قـرّرتُ نسـيان أمرهـا تمامـاً، ووضـع حـدّ لمـا تولّـدَ في قلبـي بسـببها. في ذلـك اليـوم لم أجـد مـا يعجبنـي في أي مـن دور الأزيـاء التـي زُرناهـا، فعُـدنا في المسـاء مُتعبتَـين إلى السـكن. مـا أن دخلنـا الغرفـة حتـى تفاجأنـا بمنظـر فسـتان زفـاف رائـع الجـمال مُعلَّـق في وسـطها. انبهـرتُ بجمالِـه للحظـات قبـل أن أنتبـه إلى باقـة زهـور حمـراء بجانبـه وعليهـا بطاقـة. شـممتُ عطـر الزهـور وأنـا أقـرأ مـا كُتب على البطاقة:

(إلى أمـيرتي وملكتـي... قُلـتُ لـكِ أنّ مـا ترتديـه يجـب أن يكـون قـد صُـمّمَ وصُـنِعَ لـكِ فقـط، لم ترتديـه فتـاة قبلـكِ ولا بعـدك. أحبّـكِ بعدد أنفاس خلائق الكون)

كـان كفسـاتين أمـيرات الأسـاطير، حقـاً كـالحلم. لكـن يقولـون قـديماً إنـه إذا رأى العـريس فسـتان عروسـه قبـل الزفـاف سـيكون فـألَ نحـس، فكيـفَ إذا جلبَـهُ بنفسـه، لـذا امتنعـتُ عـن ارتدائـه. كنـتُ أخـشى أن يتعطّـل زواجنـا أو أن يحـدث مكـروه يفرّقنـا. اتّسـعَت عينـا لينـدا مـن الـذهول والإعجـاب وهـي تـتفحّص تفاصـيل الفستان قائلة:

-واو... سايمون فنان بمعنى الكلمة! كيف استطاع عمل فستان كهذا؟ كأنّهُ مصنوع من شعاع النجوم! لا بُدّ إنّهُ استعان بمصمّمٍ مشهور...
-طبعاً، لأنّه ليس مصمّم أزياء. يا لَذكائكِ الفائق ليندا!
رنّ هاتفي، مُكالمة واردة من سايمون.
-حبيبي ما هذه المفاجأة الرائعة؟ إنهُ أجمل فستان زفاف رأيتُه في حياتي.
-عرفتُ أنهُ سيُعجبكِ، فأنا مَن رسَمَهُ بكلّ تفاصيله. كنتُ أتخيّله عليكِ طول الوقت.
-أنتَ رسمتَه! كيف خطرَ لك هذا التصميم؟! لم أعلم أنه لك معرفة بـ...
-لي معرفة بكل ما يخصّكِ، وأعرفُكِ أكثر ممّا تعرفينَ نفسكِ... ذوقكِ، طبعكِ وكلّ شيء يليق بكِ أعرفهُ.
-لكنني للأسف لن أستطيع ارتداءه، لأنكَ رأيتَه فسيكون فأل نحس علينا... ربما يفرّقنا قبل أن يتمّ الزفاف.
-حبيبتي إيّاكِ والاعتقاد بخرافةٍ يمكن أن تفرّقني عنكِ. أنتِ لي وأنا لكِ، وسأبقى معكِ عاشقاً لآخر يوم في حياتي، حتى يفرّقنا الموت... لذا ستلبسينهُ وستبدينَ فيه أجمل نساء العالم.
لم أعرف حقاً كيف أصِف شعوري... سايمون هبةٌ من الله لي.

(8-9-2015)يوم الزفاف

لم أفكّر في النوم تلك الليلة بسبب المشاعر المتناقضة التي اعترتني، سعادة وحماس، خوفٌ وقلق. خفتُ أن لا تكتمل سعادتي، وأن يحدث ما يخرّب عليّ بداية حياتي الجميلة،ليدمرّها قبل أن تبدأ. في وقتٍ متأخّر من تلك الليلة جلستُ ممسِكةً هاتفي، في شرفة غرفتي بفندق هايد بارك الفخم، والذي اخترناه لعقد حفل الزفاف، بينما كان سايمون في الغرفة المجاورة، يراسلني عبر برنامج المحادثة وأنا أبتسم.

-حبيبي يجب أن ننام. ينتظرنا يومٌ حافل... حفل زفافنا غداً،للتذكير.

-لكنني أريدُ أن أتكلّم معكِ حتى شروق شمس الغد.

-لا تكُن مجنوناً، لدينا العمر بأكمله لنتكلّم.

-اممم حسناً. عُمتِ مساءاً يا وردتي. أحبُّك.

تركتُ الهاتف ودخلتُ لأستلقي على الفراش، متخيّلةً كيف سيكون الغد. جميع طُلاّب سايمون وزملائي سيحضرون، وحتى أساتذتي، وتمنّيتُ لو كانت لي عائلة تشاركني فرحتي الكبيرة تلك. سمعتُ طرقاً على الباب، فنظرتُ إلى الساعة الجدارية.

"إنها الثانية بعد مُنتصف الليل! مَن سيأتي بهذهِ الساعة؟" ناديتُ فَلم يُجِبني أحد. "يا إلهي ماذا لو كانت هي؟! ماذا سأفعل؟ هل أستمع لها أم أطرُدها!" اتجهتُ نحو الباب بخطى بطيئة متوجّسة.

-مَن الطارِق؟

-.....

لم أسمع ردّاً، ولم أرَ أحداً من خلال العين السحرية. ابتلعتُ ريقي بصعوبة وفكّرت "كنتُ أعلم أن هناك ما سيخرّب سعادتي. كنتُ أعلم..."

فتحتُ الباب بحذر ليسحبني أحدهم إلى الخارج، نَظرتُ وإذا بهِ سايمون بابتسامته الجميلة وعينيه الساحرتين. كان ينظر إليّ بطريقته التي تُذيب قلبي.

-يا مجنون ماذا تفعل! ألم نُنهِ كلامنا قبل قليل.

اقتربَ منّي كثيراً وأسندَني على الحائط.

-لكنّني لا أريد أن ينتهي كلامنا...

كانت أنفاسهُ تلفحُ وجهي القريب جداً له، فأحسستُ بحرارة الدم في وجنتيّ وتباطأت أنفاسي، بينما تسارعت ضربات قلبي واشتدّت حتى صارت كالطبول، قبل أن يدنو فمه من أذني ويهمس بِلُطف:

-ما رأيكِ أن ننزل إلى الأسفل، نجلس معاً ونتحدّث إلى أن يحين وقت الزفاف؟ فأنا لن أنام هذه الليلة.

-هههه مجنون... أنا أعلم إنّكَ لن تغيّر رأيك حتى إن رفضتُ النزول.

-إذن هيّا بِنا.

نزلنا إلى الحديقة يداً بيد، كان يمسّد على باطن كفّي بلطف جعل جسدي يقشعرّ.

-ما هو شعوركِ حيال الغد؟

-لا أعرف خليط معقّد من السعادة العارمة، والقلق...

فانعقدَ جبينُه وشدَّني من يدي ليتقابل وجهانا.
-ممَّ تقلقين كاثرين وأنا معكِ؟
-مممم... مِنكَ ربما.
-منّي؟!
-من شِدَّة حُبي لكَ، ومن غموضك! أخشى أن تجرحَني... وأنا...
وضَعَ طرف سبابته برفقٍ على شفتيّ، ثمّ حركّه على وجنتي قبل أن يستقرّ على جانب رقبتي.
-كاثرين، أنا لستُ مثالياً، لن أقول إنّكِ ستعيشين حياةً أجمل من الأحلام معي، لكنّ مشاعركِ وسعادتكِ ستكون عندي في المقام الأول وقبلَ كُلّ شيء.
طَبَعَ قُبلةً رقيقة على شفتيّ ثمّ عانقني، وقام بتشغيل أغنية La Vie En Rose قبل أن يضع إحدى السمّاعات في أذنيّ.
-هذه هي الأغنية التي سنرقُص عليها غداً.
-أنا أعشقُها...
-وأنا عشقتُها منذُ أن أحببتُكِ.
بقينا هكذا إلى أن نمنا ونحنُ في مكاننا تحت إحدى أشجار الحديقة، حتى حلَّ الصباح فأيقظَنا عمّال الفندق.
كانوا مستغربين من نومنا في الحديقة بتلك الطريقة، لم يعرفوا طيش سايمون وفعله ما يحلو له، وكنتُ مجنونةً أكثر منه وقد أحببنا جنون بعضنا وطيشنا.
نهضنا ونحنُ نضحك على أنفسنا، وقد تَشنَّجَت أطرافنا وظهورنا، لكن برغم ذلك لم نشعر سوى بالسعادة الغامرة.

تَفقّدتُ هاتفي فوجدتُ عشر مكالمات فائتة من ليندا، إذ لا بدّ أنها قلقت عليّ حين لم تجدني في غرفتي.
-إنها التاسعة صباحاً سايمون! لن نلحق على التحضيرات بسببك.
-حبيبتي أنتِ أجمل امرأة في الكون، ولا تحتاجينَ لأيّة زينة. يكفي أن ترتدي فستان الزفاف وسَتُبهرين كل الحضور وأوّلهم أنا بجمالكِ.
-أبدو هكذا في عينيكَ فقط. هيّا يكفي كلام يجب أن نذهب ونتجهّز.
-أُحبُّك.
-وأنا أيضاً.

ذهبتُ إلى غرفتي واستكملنا التجهيزات، وأغلبها كانت معمولة بالأمس ولم تتطلّب إلّا بعض اللمسات البسيطة. حلّ المساء، وبدأ المدعوّون من أصدقائنا ومعارفنا أنا وسايمون بالحضور، بينما أتممتُ زينتي لأقف أمام المرآة وأنا سارحة بشكلي بالفُستان المُرصَّع بالكريستال. لم أكن بمثل تلك السعادة سابقاً في حياتي، وتمنّيتُ لو كان أحبابي معي، مثل فيرا، التي اشتقتُ لها كثيراً وإن لم تكُن أمي الحقيقية، وجدّي وود أيضاً. جاءت ليندا بابتسامتها العريضة ومعها سايمون، الذي كان في غاية الأناقة والوسامة.

ما أن رأيتُ سايمون في بدلة العريس حتى تسَمّرنا أمام بعضنا، الابتسامة على شفاهنا، ونظراتنا تنطق بما لم تستطع شفاهنا قوله. كانت تلك من أجمل لحظات حياتي، عندما

يصبح أكثر إنسان تحبّهُ لك وتصبح أنتَ له، يراودكَ شعور لا يمكن أن يوصف بكلمات، لهفة، شغف،راحة، وكأنكَ ملكتَ العالم وحقّقتَ جميع أحلامك مرّةً واحدة. دنا مني سايمون وهمس في أذني.

-أنا الرجل الأسعد والأكثر حظّاً في العالم.

ابتسمتُ واقتربتُ من أذنه، يملؤني الشّغف به ونشوة الحماس لحياتي القادمة معه، هامسةً:

-عِدني أننا سنكون لبعضنا دائماً وأبداً.

-أعدُكِ بأنني لن أفرّط بكِ ولو للحظة، مهما كان الثمن.

احتضَنَت يدهُ يدي، واتّجهنا إلى قاعة الزفاف المزيّنة باللونين الأبيض والذهبي مع أزهار التوليب والياسمين البيضاء. كانت أجواء الحفل في قمّة الروعة، كلّ اصدقائنا كانوا هناك، واقفين ويصفقّون لنا. يومٌ لن أنساهُ ما حُييت.

كان ذلك اليوم نقطة بداية الحياة الحقيقية بالنسبة لي. ذهبنا في شهر العسل إلى سنغافورة، حيث زرنا أجمل معالمها السياحية، وقضيتُ أوقاتاً لا تتكرّر برفقة الإنسان الوحيد الذي عوَّضني عن العائلة والأصدقاء والأحبّة.

كنتُ أمارس معهُ طقوس الطفولة والجنون،فَلعِبنا كالأطفال،تسَلَّقنا المرتفعات، ركبنا الخيل،ورقَصنا في الشارع مع الراقصين المتجوّلين. انطلَقَت معهُ الطفلة الكامنة بداخلي، الطفلة التي لم تعِش طفولتها أبداً. فاجأني سايمون بعدها برحلةٍ إلى باريس مدينة العشّاق، وهي مدينة أحلامي منذ نعومة أظافري، حيث تمشّينا في الشانزليزيه ووقَفنا تحت قوس

النصــر، تجوّلنـا في اللـوفر وصـعدنا بـرج إيفـل. شـعرتُ لأول مـرة بـأنّني حُـرّة بـدون قيـود. لقـد حَـرَّرني حبُّـه، ومعـهُ وجـدتُ كـاثرين الحقيقيـة، التـي لا تضـغط عليهـا ظـروف خارجـة عـن سـيطرتها ولا حزنٌ يؤلمها.

لم أشـعر إلا بالسـعادة والشَّـغَف وصـار لقلبـي جناحـان، فَبـاتَ يُرفـرف ويَطـير كالحمامــة ويضـحك كالأطفـال. عنـدما عُـدنا إلى لنـدن كـانَ منزلنـا الـذي أعـدهُ سـايمون مفاجـأة جديـدة لي إذ لم يرينـي إيّـاه مـن قبـل. كـان قـد صـمّمَ كـلّ شيء فيـه كـما أحـب وأرغـب، أيقنـتُ بعـدها إنـهُ فعـلاً يعرفنـي أكـثر مـن نفسـي. بعـد أن اسـتقرّينا، وقَّعـتُ عقـداً مـع شركـة مقـاولات كبـيرة وبـدأَت حيـاتي المهنيـة. أضـحى سـايمون أمـي وأبي وعـائلتي، وحيـاتي كلّهـا. في يـوم مـن الأيـام جاءتنـا أجمـل هديـة مـن الله، قطعـةٌ منّـا نحـن الأثنان،طفلُنـا الـذي حملتُـه في أحشـائي، فَـصرنا أجمـل عائلـة مـن ثلاثـة قلـوب، أنـا وسـايمون وثمـرة حبّنـا بيـتر. مضَـت الأيـام بسـرعة واقـتربَ عيـد مـيلاده الثـاني، الـذي قرّرنـا أن نجعلـه حفلـة كبـيرة بحضور المعارف والأصدقاء.

(كاثرين / 2022م)

ليتها لم تكنْ مجرّد ذكرى! يا لهُ من حُب ذلك الذي جمعني بسايمون. لا أصدّق إنهُ مات فجأةً وتركني، ولم أعد أملك حتى صورة له، ولا عجبَ إنّني عشتُ صدمةً كبيرة بعد موته. كان هو والد بيتر، "لكن لماذا لم تخبرني ليندا باسمه الحقيقي؟! لقد كَذَبَت عليّ، ربما حتى في سبب موته كانت تكذب، لكن لماذا؟"

فتحتُ عينيّ لأجد تلك المخلوقة الطائرة التي تشبه الجنيّات أمامي

لكنّني كنتُ مُقيَّدة ومربوطة على سرير من الخشب غريب الشكل.

-ما هذا؟! أين أنا؟

-هشش لا داعٍ للصراخ أنا بجانبكِ. لقد ثقبتِ أذني بصيحتكِ هذه...

-مَن يتكلّم، مَن هنا؟ أظهر نفسَك!

تفحّصتُ المكان بأكمله ولم أرَ أحداً. كانت غرفة خشبية مليئة بالرفوف المحمّلة بقوارير تحتوي أشياء مضيئة وغريبة،بدت كالعقاقير، وفي وسط الغرفة بجانب السرير طاولة خشبية دائرية معلّقة بثلاثة حبال إلى السقف، الذي كانت تُضيئه دوارق زجاجية، فيها حشرات سراج الليل، أو ما يقابلها في ذلك العالم على الأقل. لم يوجد شخص عدايَ،تساءلتُ إن كنتُ أهلوس أم أن المتحدّث كان مختبئاً.

-لمَ تتفحّصين المكان هكذا؟

-مَن أنتَ ولماذا قُمتَ بتقييدي... وأينَ المخلوق الذي كان معي؟

-أوبارو، اسمهُ أوبارو... ذلك المخلوق الذي قام بإنقاذكِ.

-أتعرفه؟ هل أنتَ مَن أرسلهُ ليحضرَني إلى هنا؟

- ....

-أجِبني! لمَ لا تُظهر نفسك؟ ماذا تريد مني؟ هل أنتَ مَن خطفَ بيتر؟

-أنتِ ثرثارة جداً ولا عجبَ أن ابنكِ هرب منكِ. اصمتي قليلاً ودعيني أرتب أفكاري.

-....

-أولاً أنا حالياً كائن خفيّ، لأنني فيرونسيٌّ مَنفيّ، وهذا القانون يُطبَّق على كلّ مَن يتم نفيُه من فيروسيا، حيث يُعاقَب بتعويذة تجعلهُ غير مرئي طوال حياته، حتى ملابسه تختفي معه، لهذا أنتِ لا ترَينَني...

-ماذا يعني فيرونسيّ أصلاً؟

-نسيتُ إنّكِ بشرية جاهلة بكلّ ما يوجد هنا. إن كُنتِ جاهلة فَلمَ لا تسمعين الكلام وتُهلكينَ مَن يحاول مساعدتكِ؟!

-ما الذي تقصد، من الذي أهلكتهُ؟

-أوبارو يحتَضر الآن بسببكِ... جروحهُ بليغة لدرجة أنني أستبعد أن يعيش.

-أنا آسفة جداً... لكن قلادتي التي تركَتها لي أمي قد سُرقت مني... سرقتها تلك الكائنة الطائرة، رأيتُها عندما فتحتُ عينيّ لكنّها اختفَت الآن.

-إنها جنيّة بريكلز، لها اسم وتدعى ميلاروز.

-أجل. لقد أخذَت قلادتي.

-القلادة لا تخصّكِ أصلاً. من أينَ وكيفَ حصلتِ عليها؟

-قُلتُ لك أن أمي تركتها لي قبل أن تموت... أقصد المرأة التي ربَّتني... قالت أنها كانت معي منذُ أن وجدتني وأنا طفلة.

-أولاً لا تنظري لجانب الطاولة لأنّني بجانبكِ من جهة كتفكِ الأيسر. ثانياً، هل تمزحينَ معي؟! مَن تكون والدتكِ ومَن تكونينَ أنتِ لتتمكّنا من احتواء حجر أنترياس؟!

-حجر ماذا؟ أتقصد الحجر الذي بداخل القلادة؟!

-قوّتهُ جبّارة ولا يمكن لأي مخلوق لمسهُ أو التحكّم به لمدة طويلة.

لا تكذبي عليّ وإلا رميتُكِ للآرسيميا، تلك المخلوقات التي كانت تريد افتراسكِ وإقامة طقوسهم الدموية عليكِ.

-هل أنتَ مجنون؟ أياً كُنت، أنا أتحدّث للهواء، وفوق هذا يقوم بتهديدي لأنهُ يظنّني كاذبة! ما الذي يجعلني أكذب في هذا الموضوع؟ لا علاقة لي بكم وبعالمكم وأحجاركم لا اعرف عنها شيئاً... أنا أريدُ ابني فقط... فكّ قيودي الآن وكفاكَ هُراءً.

-لن أفكّ قيدكِ... ستهربين كما فعلتِ مع أوبارو.

-لا، بحق السماء لا تفعل معي هذا... أريدُ إيجاد ابني.

-مَن تكونين؟ ومن ابنكِ؟ معرفة جواب هذا السؤال هو ما سيجعلكِ تجدينه. ماذا يفعل ابنكِ هنا إن كنتِ ترينَ أرض اوزوريس لأوّل مرة، ومَن أخَذه إن كان لا يعرفكِ أحد هنا؟ أنتِ لستِ إنسانة عادية، أنتِ أوّل مخلوقة احتفظَت بحجر أنترياس لسنين ولم يحصل لها شيء...

فجأةً ظهر صوت من جهة الباب، قاطع الحديث. كان أوبارو يحاول التكلّم بصعوبة كأنّهُ على وشك السقوط.

-نعم إنها غير عادية... هناكَ شيء يجعلني أعتقد أنها تنتمي لسلالة ماكدونيليا.

-أوبارو صديقي، حمداً لله على سلامتك. اعتقدتُ أنك تحتضر... فعلتُ ما بوسعي ولكنني كدتُ أيأس.

-من الجيد أنكَ عُدت... أشكرك على إنقاذي وآسفة جداً لما حصل لك بسببي... لم أكن أقصد إيذاءك صدّقني.

-أنتِ لن تؤذينا، بل ستساعديننا بطريقة لا يمكن لكِ تصوّرها.
-كيف ذلك؟

12

سعادة لم تكتمل...

(كاثرين / 2022م)

قاموا أخيراً بفكّ قيودي وبدأنا نتكلّم.

-اسمعوا، لنتفق منذ البداية، سأقول لكم الحقيقة كلها ويجب أن تثقوا بكلامي، وأنا أعدكم بأنّني سأثِق بما تقولونه... سأفعل المستحيل لكي أجد ابني، حتى إن اضطررتُ للتحدّث مع الهواء.

-حسناً. سنصدّقكِ بالطبع إن كان ما تقولينهُ منطقياً.

-أولاً أنا لا أتذكر سبع سنوات من حياتي، وابني ، وقد تمّ اختطاف ابني من جهةٍ مجهولة وبطريقة غير طبيعية. منذُ أيام ظَهر لي طائر فضي بريش لامع ويحوي جسدهُ نقوش سوداءو...

أخبرتُهم بكل ما حصل معي قبل التقائي بأوبارو.

-يبدو أنكِ أخطر وأهم ممّا توقّعنا، لكن المشكلة إنّكِ لا زلتِ تحاولين التذكّر. يجب أن تبقَي هنا بأمان حتى جمع كُل الحلقات الناقصة من ذكرياتكِ.

-لا أستطيع البقاء هنا... أريدُ البحث عن ابني.

-لكنكِ لن تتمكّني من ذلك إن لم تستردّي ذاكرتك بالكامل لترَي مَن من الممكن أن يكون قد أخذه... لا تقلقي، أنا سأساعدكِ... سأفعل أي شيء لأعود كما كُنت، وأعتقد أن قصتكِ ستغيّر الكثير من الأمور المصيريّة بأوزوريس. أحم، بالمناسبة لقد مددتُ لكِ يدي للمصافحة لكنّكِ لا ترينَها. أنا كلينتاي وأنتمي إلى مملكة السحرة فيروسيا، أي إنني ساحر بالأصل، لكنّني تجرّدتُ من سحري ومُنِعتُ من استخدامه ونُفيتُ لأنني حاولتُ التمرّد على طُغيان الملك الأسود.

-من هو الملك الأسود؟

-سـيطول الشـــرح عنــه... لا يمكننــا إخبــاركِ بكــلّ شيء مــا لم تتــذكّري بنفســكِ مــا تعرفينــهُ عــن عالمنــا. نريــد معرفــة صــلتكِ بعالمنا كما هي بدون مؤثرات.

قبل خمسة أعوام....

(ليندا / 2017م)

عـدتُ إلى لنـدُن خصيصاً مـن أجـل عيـد مولـد بيـتر الثـاني، فَمـن المحال أن أفوّت مناسبةً كَتِلك.

لقـد مـرضَ أبي السـاكن في موسـكو، وطلـبَ رؤيتـي، فـذهبتُ إليـه مبـاشرةً بعـد زفـاف كـاثرين، لأتفاجـأ برؤيتـه هـزيلاً وقـد أنهكـهُ الشـّرب وتسـبّب لـهُ بسـرطانٍ فتّـاك، وبـاتَ يعـرف دنـوّ نهايتـه. عنـدما وصـلتُ إليـه كـان يرقـد في غرفـةٍ فخمـة عـلى سريـرٍ ثمـين، بقربــه الخَــدم والحَشــم،جميعهم كــانوا ينظــرونَ إليــه بعــين الشفقة.

أبي الـذي لم يرغـب بتضـييع بضـعة أيـام مـن عملـه ليقضـيها مـع ابنته ويعطيهـا الشــيء البسـيط مـن حنانـه، فَقضــى معظـم سـنين حياتـه بالعمل،وأوقـات فراغـه خصَّصـها لشــرب الخمـر والنسـاء، تاركـاً ابنتـهُ في المـدارس الداخليـة وبـين أيـدي المربّيـات. "لمـاذا ذلـك يا أبي؟ لماذا لم تمنحنـي فرصـة لأهـتمّ بـك؟ لمـاذا تركـتَ مـا لـهُ قيمـة حقيقيــة وأفنيــتَ حياتــكَ في سراب لا فائــدة تُرجــى منــه؟ عملك،ثروتــك وكــل شيء جمعتَــهُ لم يســاعدكَ في النجــاة مــن المـرض. حتـى بقيـتَ وحيـداً وسـط الغربـاء مـن الخـدم والحَـرَس والأطبـاء، دون زوجـة أو ابنـة. بـالرغم مـن نسـيانكَ وجـودي سـنين حياتـكَ كُلهـا، ومعـاملتي عـلى أننـي شـخص لـه حسـاب مصــرفي تــزوّده بنفقــات التعلــيم والمعيشــة، إلا أنــكَ ســتبقى أبي الــذي

أحتاجـهُ ولـن أتخـلى عنـهُ، وقـد جئتُـكَ فـور أن احتَجتَنـي دون أن أتردّد ولو للحظة."

أبي ذو الشـعر الجميـل والعينَـين البرّاقتَـين والجسـم الريـاضي القـوي، صـارَ بـالغ النحـول، مَحنـيّ الظهـر، أصـلعاً ذابـل العينين،المُحـاطَتَين بهـالاتٍ سـود، وغـزَت التجاعيـد بـاطن كفّيـه فكانـت هيئتـه كالميّـت الحـي. في الواقـع كـان ذلـك أوّل لقـاء يجمعنـي بـه، قبلهـا كنـتُ أراهُ بالصـور فقـط! لم أره منـذُ أن كنـتُ بعمـر التاسـعة، ووصـلَتني بانتظـام الحـوّالات المالـية باسـمه. عنـدما أصـبحتُ بسـنّ الثانيـة عشـر تركَتنـي أمـي أنـا وأخـي في مدرسـة داخليـة، وكانـت تطمـئنّ علينـا بـين فـترة وأخـرى، ونزورهـا في العطلة الصيفية.

عنـد سـؤالنا عـن أبي تجيـب أنـهُ يعمـل ويُسـافر مـن مكـان إلى آخـر ولـيس لديـه وقـت لـكي يسـأل عنا،وعنـدما كـبرتُ أكـثر فهمـتُ أنهما مُنفصلان .

فـتح أبي عينَيـه الجـاحظتَين فـرآني لكنّـه لم يَعرفنـي. "مـا هـذا؟! هـل فقد أبي الـذاكرة؟ أم إنـهُ فعـلاً لم يـرَني مـن قبـل؟! كيـف يـراني وهـو حتى لم يكن يتّصـل بي ولا يتواصـل مـع أمـي، لا بـدّ انـهُ لـن يتعـرّف على شكلي الآن."

-أبي أنها انا , ابنتك ليندا، هل تعرفني؟

حينَهـا دخلـت أمـي إلى الغرفـة، برفقـة كبـيرة الخـدم، وهـي امـرأة في الخمسين من عمرها، تربط شعرها إلى الخلف.

-أمي؟ لم أعلم أنكِ قد جئتِ أيضاً...

-أهلاً عزيزتي كيف حالكِ؟ في الواقع، أنا مَن أحضرهُ إلى هنا.

-سيّدتي، لقد غيّرنا الأغطية ونظّفنا فراشه. هل تأمرين بشيء آخر؟
-كلا. شكراً لكم.
-ماذا يحدُث أمي، لم أفهم؟
-تعالَي معي خارجاً كي نتحدث. دعي والدكِ يرتاح.
ذهبتُ معها إلى غرفة المكتب وجلسنا.
-أمي ماذا يجري؟
-ابنتي حان الوقت لتعرفي الحقيقة. والدكِ لم يُرسل لكِ مالاً قَط... أنا مَن كُنتُ أرسل الحوّالات باسمه لكِ ولأخيكِ، لأنّني انفصلتُ عنه بسبب جريمة بشعة ارتكبها في شبابه، عندما كنتم صغاراً.
لم أستطع مسامحتهُ عليها، وهدّدتهُ بالفضيحة إن لم يطلّقني ويتنازل لي عن ثروته، فجرّدتهُ بذلك من كل شيء.
حاولتُ كثيراً لكنّني لم أتحمّل أن أبقيكم أنتِ وأخوكِ معي،لأنني كنتُ أراه بوجوهكم... لهذا سجّلتُكم في مدارس داخلية ولم أخبركُما بشيء، وتذرّعتُ بانشغالي وانشغاله بالعمل. في هذه المدّة كنتُ قد نمّيتُ الثروة وتزوّجتُ رجلاً غنياً من روسيا، لكنّه توفى بعد فترة ومن الأشياء التي تركها لي هذا البيت الكبير.
-أمي ماذا تقولين؟! أبي مُجرم؟ ما الذي فعلهُ؟
-نعم يا ابنتي للأسف. قبل أسبوع كنتُ خارجة من إحدى المراكز التجارية لأركب سيارتي فوجدتُ رجلاً متسولاً رثّ الثياب نائماً على الأرض ويرتجف، بدا شبه ميّت. أشفقتُ عليه

فتقرَّبت لأنصدم بكونه أبيكِ. هذا ما آلَ إليه حالهُ بعد جريمته الشنعاء... يبدو أنها لعنة المرأة البريئة التي قتلَت نفسَها بسببه. جعلتُكِ تحضرين إلى هنا لتوديعه لأنهُ طلب أن يراكما أنتِ وأخوكِ قبل أن يموت، فَلديه سرطان مُنتشر في جسمه،وهو في آخر أيّامه الآن.

أخبرتني أمي بعدَها بالتفاصيل، وانعقدَ لساني لم أعرف ما أقول، فَلم أجد ما يعبّر عن صدمتي.

أبي كان ذلك القذر الذي تسبّبَ بانتحار أم كاثرين التي ربَّتها! لم أصدّق أن أبي هو ذلك المجرم! قمتُ لأترك القصر دون أن أنبس ببنتِ شفة.

-ليندا ما بكِ ابنتي؟ أنا آسفة لكن كان لا بُد أن تعرفي الحقيقة.

حاولَت اللّحاق بي فصرختُ بوجهها.

-إيّاكِ أن تلحقي بي... دعوني وشأني لم أعد ابنتكم! اعتبروا أنّني متُّ من الآن. أنتِ لستِ أفضل منه، لقد تخلّيتِ عنّا بسبب خطأ زوجكِ، الذي لم نكن نرى وجههُ سوى في الصور!

كنتُ بحاجة لأن أبقى وحدي، ابتعدتُ عن الجميع وسافرتُ إلى إيطاليا، البلد التي أحببتُها منذُ طفولتي، وهناكَ بدأتُ أؤسّس حياتي، عملي وكلّ شيء. لم يبقَ لي سوى أخي وكاثرين وسايمون أتواصل معهم. هؤلاء هم عائلتي الوحيدة الآن، التي وجدتُ معها الحب الذي افتقدتُه في عائلتي الحقيقية. ماتَ أبي لاحقاً، وآخر مرة رأيتُ فيها أمي كانت عندَ قبره في الجنازة،وبعدها محيتُ وجودها من ذاكرتي، فَمَن تتخلّى عن أطفالها لأسباب تافهة سيتخَلَّون هُم عنها لأسباب أتفه. وصَلَت

طـائرتي إلى مطـار لنـدن، حيـث كانـت كـاثرين في اسـتقبالي. رنّ هاتفي، باتّصالٍ وارد منها.
-أهلاً بكِ عزيزتي، أنا أمام باب المطار بانتظاركِ.
-وأنا أيضاً في الباب، أين أنتِ؟ لا أراكِ.
كنتُ أنظر للجهة المعاكسة كعادتي.
-أين تنظرينَ أيتها الخرقاء هاهاها.
اسـتدرتُ لأراهـا تنتظـرني في سـيارتها، فاتّجهـتُ نحوهـا. خرجـت لي ورفعَت نظارتها الشمسية ثم عانقَتني ضاحكة:
-أتمنـى أن تنظـري بالاتجـاه الصـحيح لمـرّة واحـدة... اشـتقتُ لـكِ صديقتي الغالية.
-وأنا اشـتقتُ إليـكِ، وإلى لنـدن بأكملهـا. كيـف حـال بيـتر الجميـل؟ لقد جلبتُ له الكثير من الهدايا.
-بخـير، لقـد كَـبرَ كثـيراً وبـات ينطـق كلمـة ماما بطريقـة مُضـحكة جداً. هيا تعالي لا بُدَّ أنكِ مُتعبة من الطريق.
ذهبنـا للمنـزل، وشـعرتُ بيـنهم أننـي بوسـط عـائلتي. كـان بيـتهم دافئـاً تسـوده المحبّـة، حـديثاً بديكوراتـه الأنيقـة العصـريّة،بألوانها الرماديّـة والبيضـاء والحمـراء المُتناسِـقة. لطالمـا أُعجِبـتُ بـذوق كـاثرين، المميّـز والراقـي في اختيـار الأشـياء، وبيـنهما هـي وسـايمون حبٌّ ولغة حـوار خاصّـة حيـثُ كانـا يفهـمان بعضـهما مـن النظـرات بدون كلام.
تمنّيتُ أن يبقوا هكذا للأبد .
في يـوم وصـولي سـهرنا طـوال الليـل نلعـب العـاب الفيـديو ثـم شاهدنا فيلم المُنشـار ، كـان مخيفـاً جـداً لدرجـة أنّنـا وبيـتر كنّـا قـد

غطّينا رؤوسنا ولم نُظهر سوى أعيننا، بجانب سايمون الذي كان يسخر منّا.

-إن كنتُما خائفتَين لهذه الدرجة فلماذا أصرّيتُما على مشاهدة هذا الفيلم؟

معهُ حق، لكن لمشاهدة أفلام الرعب متعةٌ خاصّة، في أجواء العتمة والهدوء وعيش لحظات الترقّب مع أبطال الفيلم، وكنّا قد اعتدنا على ذلك أنا وكاثرين منذ أيام الجامعة.

نمنا نحن الأربعة مقابل التلفاز على الأريكة، حتى أتى الصباح وكان أول المستيقظين هو بيتر الذي أيقظنا وهو متحمّس جداً ليوم عيد ميلاده الثاني، نطقَ أسماءنا بطريقة مضحكة، ناداني إيندا.

هكذا استيقظنا وقُمنا بتزيين الصالة، ثم تحضَّرنا لاستقبال المدعوّين. وصلت كعكة الميلاد الرائعة بحجمها الضخم وتفاصيلها، فقد صُمّمَت على شكل قصر والت ديزني، لأنّ بيتر مولع جداً بأفلام والت ديزني، وقالت كاثرين أنهُ بدأ بمتابعتها منذ يومه الثالث هاهاها.

كان الحفل جميلاً للغاية. وقفت كاثرين مع سايمون وهما متعانقان كعادتهما، كأنّهما تزوّجا بالأمس.

لم تبرد شرارة الحب بينهما بل زادت، وذلك هو الحب الحقيقي برأيي. أطفأنا الأضواء لكي نطفئ الشمع.

-هيّا بيتر تمَنَّ أمنية.

"ترى هل سيعرف يتمنّى؟!" أطفأ الشمعتَين بثلاث نفخات متتالية ليصفّق له الجميع.

أمسكت كاثرين يده لتُساعدهُ على قطع جزء من الكعكة، ثم امسك سايمون بيده وساعده في قطع الجزء الآخر، لكنّ الغريب أن كاثرين اختفَت فور انتهائها من قطع الكعكة... وبحَثنا عنها في كل مكان في المنزل بلا جدوى!

(كاثرين / 2017م)

كُنّا سعداء جداً، لكن متى سمعتَ عن سعادة دامت للأبَد! في عيد مولِد ابني بيتر عشتُ أسعد اللحظات، وأنا أراهُ يُطفئ الشموع ويُصفّق بضحكته البريئة التي زَيَّنَت وجهه، بينما عانقهُ سايمون وهو يُمسك يدي، قبل أن أرفعَ رأسي لأراها مُجدّداً، تلك الفتاة ذاتها التي أصبَحَت كابوساً لي، ظهرت فجأة. كانت واقفة خلف زحمة المدعوّين تُحدّق بي، "لماذا الآن وبعد كل هذه السنين عادت لتظهر؟"!

-حبيبي سايمون، اعتنِ بالحفل أنتَ وليندا، سأذهب لغرفتي قليلاً لتعديل هندامي وأعود في الحال.

-جميلتي لا تحتاج لتعديلات... حسناً افعلي ما تريدين فأنا هنا.

مشيتُ نحوَها، لكنّها ما أن رأتني قادمة حتّى خرجت من الباب الخلفي للمنزل مُسرِعة، فتبعتُها وناديتُها عندما خرجتُ من الباب.

-أنتِ أيتها الغريبة، انتظري إلى أين تذهبين؟ لماذا تظهرين ثم تختفينَ فجأة؟! ماذا تريدين مني؟

استدارت نحوي قائلة.

-اتبَعيني لتَعرفي كلّ الإجابات...

-عمَّ تتحدّثين؟! لقد اكتفيتُ من ألغازكِ.

توقّفــتُ في مكــاني لكنّهــا اســتمرّت بالابتعــاد، فَلَحقتُهــا كي لا تضيع مني ثانيةً.

بقيــتُ أمشــي خلفهـا حتـى ابتَعـدنا كثـيراً عــن المنــزل، ووصـلنا إلى حديقــة عامــة، لتتّجــه إلى النــافورة الحجريــة التــي تتوسّــطها وترمي نفسها بداخلها!

وصــلتُ إلى النــافورة لأجــد مياههــا تتــوهّج بــاللون الزمــردي، شيء عجيـب كيـف يتـوهّج المـاء بـذلك الشـكل السـاحر! انحنيـتُ عليــه وإذا بي أســقط داخلــه، لم أشــعر أبــداً أننــي ســقطتُ في نافورة، بل كنتُ أغرق في أعماق بحرٍ واسع!

فتحــتُ عينــيّ فغمرَهــا ضــوءٌ ســاطع، مــمّا اضـطرّني إلى الــرّمش مــراراً. أردتُ معرفــة مــا حصــل إذ أحسســتُ إننــي فقــدتُ الوعي،كــأنّني دخلــتُ بدوّامــة أو شيء أشــبه بــذلك، وآلمَتنــي عظـامي بشـكل لا يُصدَّق. اتّضحَت الرؤيـة قلـيلاً لألقـى نفســي في حقل كبـير مغطـى بنباتـات ملتويـة تشـبه الأفـاعي، أراهـا لأول مـرة في حيـاتي. نهضـتُ مرعوبـةً ورفعـتُ يـداي عنهـا، للحظـة ظننتُهـا سـتتحرّك وتلتـفّ عـلى ذراعـيّ. تلفَـتُّ لأشـهد أمـامي قريـة تحـوي أكواخـاً حجريّـة مخروطيـة الشـكل، وكـأنني في حكايـةٍ خرافيـة مـن القــرون الوســطى! تفحّصــتُ مــا حــولي، "أيــن أنــا؟ مــا أتى بي إلى هنــا؟" انتبهــتُ أنّ الســماء احتــوت عــلى ثلاثــة كواكــب ، أحــدهم ارجـوانيّ والآخـر أسـود وثـالثهم رمـاديّ اللـون. "هـل هـذا حلـم... أم أننــي في غيبوبــة؟!" هــبَّ نســيمٌ حــاملاً رائحــة عَذبــة غريبــة دغــدغت أنفــي، بيــنما تمايلــت الأعشــاب معــهُ تحــت أقــدامي.

أغمضـتُ عينـيّ وتمتمـت: "لا بُـدَّ أنـهُ أحـد كوابيســي المُعتـادة بِتِلكَ المرأة. هذا الأغرب من بينهم، ولكن"...
فجـأةً صـارت الأرض تهتـزّ مـن تحتـي، وسـمعتُ أصـوات حـوافر حيوانـات تضـرب الأرض كأنّهـا تَعـدو نحـوي، التفـتُّ نحـو مصـدر الصـوت خلفـي لأرى مـا لا أسـتطيع وصـفَه. كـان قطيعـاً مـن مخلوقـات عجيبـة ضخمة، تشـبه الثـيران، لهـا عظـام تشـبه الـدروع عـلى صـدرها، يعلوهـا رأسٌ صـغير، تـركض نحـوي كأنهـا تهـرب مـن شيء مـا. تـدافعَت المخلوقـات فـيما بينهـا للنجـاة، لدرجـة إنـهُ إذا تَعـثَّرت إحـداها وسـقطت كـان تنسـحق تحـت أقـدام البـاقين. لم تكـن ديناصـورات ولا فيلـة ولا أي كـائن رأيتـهُ مـن قَبـل، شـكلها غريـب جـداً لكنهـا بضـخامة الفيلـة أو أكـبر منهـا. كـان القطيـع الهــارب مُتّجهــاً نحــو غابــة ذات أشــجار كثيفــة شــاهقة الارتفاع،عبــارة عــن جــذوع عملاقــة تبــدأ بالصّــغر كلــما ارتفعــت،تحوي أوراق خضــراء كالمتســلّقات تتــدلّى مــن فوقهــا. ركضتُ مبتعـدةً عـن طـريقهم بأعجوبـة، ولـو تـأخّرتُ ثانيـةً واحـدة لَدَهسـوني بأقـدامهم الكبـيرة. تمكّنـتُ بعـدَها مـن رؤيـة مـا كـانوا يهربـون منـه، كـائن عمـلاق يشـبه النسـر، لديـه أجنحـة ضخمـة طـول الواحـد منهـا قـد يتعـدّى العشـرة أمتـار، ولـه قرنـان أعـلى رأسـه وعينـاه حمـراوان لامعتـان مثـل حمـم البراكـين. كـان يُلاحـق تلـك الكائنـات الغريبـة كأنّـهُ يريـد افتراسـها، تـارةً يُحلّـق بالسـماء وتارةً يهبط ليركض خلفها.
ذعرتُ مما رأيـت، ونظـرتُ حـولي. "يـا إلهـي أيـن سـأذهب؟ أيـن أنـا أصـلاً؟" وإذا بي ألمـح تلّـة عـلى مبعـدةٍ منـي، وفوقهـا مجموعـة مـن

الناس، فركضتُ نحوهم وأنا أنظر خلفي، إلى أن وصلتُ إليهم. كانوا يرتدون ملابس سوداء اللون ويحملون أسلحة غريبة الشكل ومخيفة، بدا أنهم فرسان أو ما شابه، كلّمتُهم:
-مَرحباً. أرجوكم أريدُ المُساعدة... أنا تائهة، أين نحنُ؟كانوا متجمّعين فتفرّقوا، في البدء ظننتُهم قد تفرّقوا بسببي،لكن ظهرَ شخص من خلفهم، كأنّهُ قائدهم أو كبيرهم، منادياً لذلك المخلوق الذي كان يطارد القطيع. تمعّنتُ بملامحه وإذا به سايمون، يرتدي زيّاً غريباً..." ما هذا الذي أراه يا إلهي... هذا حلم مليء بالهراء! " هرَعتُ نحوهُ مُسرعةً، برغم خشيتي من الدخول وسط جَمع الجنود المُخيفين الذين كانوا حولهُ، لكنّ أحداً منهم لم يُعرني انتباهاً، بنظرة أو التفاتة، حتّى وصلتُ إلى سايمون، ووقفتُ أمامه مُباشرةً لكنّهُ لم ينظر لي.

Mary

-سايمون حبيبي ماذا يحصل هنا؟ أين نحن؟ ما هذا الذي ترتديه؟ ومَن هؤلاء الناس حولك... وتلك الوحوش المخيفة؟
لكنّهُ كان ينظر إلى ذلك المخلوق وكأنّهُ لا يَراني ولا يسمعني،حاولتُ لمسهُ لكن يدي اخترقت كتفه ما أن وضعتُها عليه! "يا إلهي! هل أنا ميّتة؟! هل هذه روحي؟! لكن كيفَ متُّ ولماذا سايمون هنا؟ هل هذا هو الجحيم؟!" في وسط ذهولي وحيرتي هبط ذلك المخلوق المرعب

بجناحيه العملاقين خلفي بمسافة قليلة، وسبّبَ هبوطه ريحاً قوية كأنّ طائرةً مروحية قد نزلت على الأرض. تقدّمَ سايمون باتجاهي، في طريقه إلى ذلك الطائر العملاق. "لن أتنحَّ جانباً لعلّهُ يصطدم بي فينتبه لوجودي". بقيتُ واقفةً بمكاني وقد

أغلقتُ عينيّ وقبضتُ أصابعي، لكنّه اخترقَني كأنّني هواء ومرّ من خلالي إلى ذلك المخلوق الضخم، فتأكّدتُ حينَها إنني شيء غير محسوس وغير ملموس هناك. بدا سايمون كقائد اولئك الفرسان وكذلك سيّد المخلوق العملاق، فقد كان يعامله كحيوان أليف، حيثُ اقتربَ منه فأحنى المخلوق لهُ رأسه فقال لهُ مبتسماً:

-أحسنت آكارس أنتَ تبلي بلاءً حسناً في الصيد، ومعَ كل يومٍ تتحسّن...

مدَّ المخلوق جناحَهُ كأنه يدعو سايمون للصعود، فصعدَ وتبعتُه لأجلس على جناح ذلك المخلوق. كنتُ خائفة جداً، فقد كنتُ غير مرئية كالأشباح، وكلّ ما حولي كانَ غريباً ومجهولاً،تمنّيتُ الاستيقاظ من ذلك الكابوس بأسرع وقت. رفرفَ الطائر بجناحَيه مُحلّقاً في السماء، التي امتلأت بأحجار مضيئة، كأنّها كويكباتٍ متلألئة متناهية الصّغر. لاحظتُ طيوراً غريبة، ومخلوقات تطير فوقنا وتحتنا لا أستطيع وصفها. رأيتُ من بعيد جُزراً مُعَلَّقة في الهواء عالياً، "كيف يُعقل ذلك؟! تلك الجزر طافية ولم يسندها شيء" مخالفةً بذلك المنطق والطبيعة،كما هو حال معظم الأشياء هناك. كنتُ أجلس خلف سايمون وهو غير مُدرك لوجودي، مندمجاً مع مخلوقه الغريب الذي كان يطير بنا نحو المجهول. مررنا على سهول فيها كائنات كبيرة، حتى وصلنا في النهاية إلى قصر عملاق لا يقلّ ارتفاعاً عن ناطحات السحاب، بل كان أعلى. قصر مذهل مصنوع من الألماس على ما يبدو، لم أشهد نظيراً له من قبل. أوصلَنا المخلوق

الطائر إلى شُرفة واسعة وهبط فيها، قبل أن يمدَّ جناحَه لننزل نحن. دخلنا للغرفة، التي كانت قاعةً فخمة عظيمة المساحة داخل القصر، فيها عرشٌ، جلسَ عليه ملكٌ مهيب المنظر طويل الشعر قليلاً، يرتدي ملابس ملكيّة فاخرة. وقفتُ أتفرّج على سايمون، الذي تقدّمَ ببطء وألقى تحية إجلالٍ على الملك.

-مولاي العظيم كما أمرتَني، تفقّدتُ أحوال الرعيّة، شعب أوماريا يحبّونك وراضونَ عن حكمك، ويدعون الله أن يطيل في عمرك، وأرسلوا هدايا مع فرساني الذين سيصِلونَ بعدي. الكلاريوس يتمنّون رؤيتك والتبرّك بها، والإلينان أغلبهم أصبحوا توابعاً لنا عن طيب خاطر، أما بقية المخلوقات فقد خصّصنا لهم محميّة تحميهم من أرض أنترياس وجزيرة الهلاك كي لا تلتهمهم النار ولا يصيبهم الصقيع البارد. هل تأمرني بشيءٍ آخر جلالتك؟

انحنى سايمون احتراماً للملك فنهض له الأخير.

-هنيئاً لي بكَ عزيزي سايمون. حتماً سيطيل الله في عمري ما دامَ برفقتي وزير مخلص مثلك صديقي. في البداية لم أتوقع أن يأتي وزير مثل أكِبرا، وحتى عندما تجاوزتَ (اختبارات الدوكاتو) لم أكُن مُقتنعاً بك، لكنكَ حقاً أثبَتَّ أنني كنتُ على خطأ. لا تنحنِ بل تعالَ لنتسلّى معاً كالأصدقاء، لقد حضّرتُ لَكَ ما سيُمتِّعكَ كثيراً، احتفالاً بالعيد الألفي لسلالتنا الحاكمة.

وضع الملك يده حول كتف سايمون وخَرجا من الباب الكبيرة التي تقع في نهاية قاعة العرش، فتَبعتُهم في ممّر طويل، وقف فيه حُرّاس أشبه بالعمالقة ذوو جلدٍ أسود، أطوالهم تتراوح بين

مـترين وثلاثـة أمتـار، وعـلى أجسـادهم نقـوش كأنّهـا حُمـم بركانيّـة متوهّجـة، ويحملـون أسـلحة مثـل الفـؤوس ذات أشـكال ونقـوش غريبـة. أذهلَتنـي فخامـة تصـاميم القصـر، فَـذلك الممـر الـذي مشـينا فيـه لا نهايـةَ لسـقفهِ، وكانـت أرضـه تتـوهّج عنـد وطئهـا بالقَـدم وتظهـر ميـاه زرقـاء اللـون لامعـة أسـفلها، كـأنّ القصـر مبنـيٌّ فـوق بحـيرة. "كيـف اسـتطاعوا بنـاء كـلّ هـذا؟! لا تهـذي كـاثرين، إن مـا ترينـهُ مجـرد حلـم وكلّـهُ مـن تصـوير عقلـكِ الباطن". وصلنا بعـدَها إلى قاعـةٍ كبـيرة جـداً انبعثَـت منهـا أصـوات الموسـيقى والضـحك، ودخلنـا إليهـا. كانـت شـبيهة بقاعـة العرش،يقـامُ فيهـا احتفـالٌ مـا ينتظـر مجـيء الملـك. رحّـبَ جميـع الموجـودين بالملـك وانحنـوا لـه، ولاحظـتُ عـدّة نسـاء يرتـدينَ ثيابـاً جذّابـة شـبه عاريـة، كـنّ يرقصـنَ رقصـاً غريبـاً ويلتـوينَ مثـل الأفاعي، والجميع كانوا مستمتعين. وقف الملك يخطب:

-شـعبي ورعيّتـي المخلصـين... قبـل عـشرة أعـوام مـن الآن ودَّعـتُ شخصـاً كـان أقـرب النـاس إلى قلبـي، وكانـت خسـارتهُ مؤذيـة وصـعبة لنـا جميعـاً. ظننـتُ بعـده أننـي لـن أحظـى برفيـقٍ بمكانتـه أبداً...

لكـن أتى مَـن هـو أجـدر، وقـد أثبـتَ فعـلاً أنـهُ المناسـب ليكـون وزيـر ملـك الملـوك وحـامي أراضي أوزوريـس... سـايمون كيهـان هـو وزيري وأخي!

اقترب أحـد العمالقـة وهـو يجـرّ صـندوقاً ذهبيّـاً مزخرفـاً، ومحفـورةٌ عليـه رسـومات ذات معـانٍ لم أسـتطِع فهمهـا، وضـعهُ أمـام الملـك ليفتحـهُ ويخـرج منـهُ عصـا ذهبيّـة بطـول ذراع، تحمـل خنجـرين

مـن الألمــاس في نهايتَيهــا، ومُرصّــعة مــن الأســفل بأحجــار تشــبه الياقوت، أمسكَها بكلتا يديه ورفعها أمام الحضور.

-اليـوم سـأهدي رمـزاً مـن رمـوز سـلالتي الملكيّـة إلى الشـخص الـذي يسـتحقّه... سـايمون، لـيس هنالـك مَـن هـو أحـقّ منـك بالانضـمام للعائلـة المالكـة. اليـوم أُنصّـب سـايمون وَريثـي الشـرعي للعـرش،إلى أن يكبر الأمير ويبلغ سن الرّشد.

نهض سايمون من مقعده معترضاً.

-جلالتــك، لا يمكننــي القبــول بهــذا، فأنــا لا أنتمــي للســلالة الحاكمـة. أنـا فقـط أومـاريّ آويتَـهُ وجعلتَـهُ مقرّبـاً، عطفـاً وكرمـاً منكَ.

-بـل واجـبٌ عليـكَ قبولـه، هـذا أمـرٌ ملـكيّ والأوامـر الملكيّـة تُنَفَّـذ فقط.

-لا أعرف ماذا أقول مولاي...

-لا تقُـل شـيئاً، بـل كُـن دائمـاً سـايمون الـذي أعرفـهُ واثبِـت لي أن قراري صائب.

-بالتأكيد مولاي.

تقـدّمَ سـايمون ليأخـذ العصـا التـي تشـبه الصـولجان وينحنـي شـاكراً للملـك، فَبـدأ الحضـور بالتصـفيق والتهليـل والهتـاف باسـم الملك. استقامَ سايمون ورفع العصا بيده اليمنى.

-أعدُكَ يا مولاي أنني سأعمل جاهداً لكي أستحقّ ما قدّمتَهُ لي.

-أنا واثق من ذلك.

ربَّـتَ المَلِـك عـلى كَتِـف سـايمون، ثـم التفـتَ لعازِفـات الحفلـة في رُكـن القاعــة ليُشــير لهــنّ باســتئناف العــزف "هيّــا، لنســتمتع

بالحفـل". اسـتمرّت الحفلـة بِصَـخبها، وكنـتُ تـارةً أجلـس وتـارةً أتجـوّل بيـنهم، وهـم يتبـادلون الحـديث ويسـتمعون لأغـانيهم الغريبـة التـي أشـعرَتني بالدَوخـة، كـأنّ الصـوت الـذي يغنّـي قـام بتخـديري بـبطء، ولم أعـرف مـا الـذي كـانوا يشـربونَه في كؤوسـهم،إذ كـان شرابـاً شـفّافاً يحتـوي عـلى فقاعـات كبـيرة بـألوان مختلفـة. اسـتبعدتُ كونـه خمـراً لأنهـم لم يثملـوا، بيـدَ أنهـم اسـتمتعوا بشـربه، حتـى سـايمون شربَـهُ بـنَهم. في النهايـة بـدا الإرهاق على وجهه فأشار الملك له بالذهاب قائلاً:

-بطلنـا المغـوار، لقـد بـذلت جهـداً كبـيراً اليـوم، فاذهـب لترتاح،الحفلـة مسـتمرّة طـوال الليـل، وسـأهديكَ مـا أعـرف إنّـه يزيل تعبك. إيرينا، هيا اذهبي مع سيّدكِ واعتني به.

أرسـل معـه إحـدى الفتيـات اللـواتي كـنّ يرقصـنَ ويغنـين، لتتبعـه بعـدَ خروجـه مـن قاعـة الاحتفـال. لحقـتُ بهـما، وهـي تمشـي خلفه حانيـةً رأسـها، حتـى وصـلا إلى غرفـةٍ فـتحَ الحـرّاس بابهـا، ومـا أن دَخـلا الغرفـة وأُغلِقـت علـيهما البـاب حتّـى تغـيّرت ملامـح التّعـب عـلى سـايمون، فالتفـتَ إلى الفتـاة ورمقَهـا بنظـرةٍ حـادّة قائلاً:

-هل مولاتكِ ستكون هناك؟

-نعم سيدي، على الاتفاق.

فأمسـكَها فجـأةً مـن شـعرها بقبضـة يـد واحـدة وسـحبَها ليـضربها بالحـائط، فَبـدأ أنفهـا بـالنزيف لكـن دمهـا كـان أخضـر اللـون. رفـعَ وجههـا أمـام وجهـه وهـي تـبكي والرعـب ظـاهرٌ عـلى ملامحهـا، كيـفَ لا فَأنـا ارتعبـتُ بمجـرّد رؤيتـي لمـا فعلَـهُ عـن بُعـد.

تحوّلَـت أقـدامها إلى ذيـل أفعـى وأخـذ يلتـفّ عـلى ذراع سـايمون،محاولاً إبعـادهُ عـن شـعرها. نظـرتُ في عينَيـه، ورأيـتُ فيهما شرّاً كبيراً لا يمكن وصفهُ.

-إيـاكِ وقـولُ سـيّدي مـرة أخـرى! أنـا مـولاكِ وملـك أوزوريـس كلّهـا قريباً.

-أنا آسفة يا مولاي... سامحني جلالتك لم أكن أقصد.

رمى بها أرضاً وصاح:

-هيا اجلبي كل شيء واتبعيني.

خـرج مـن الغرفـة مُسـرعاً، وذهـبَ إلى غرفـة الملـك التـي كـان يحرسها اثنان من العمالقة، فورَ رؤيتهم لسايمون انحنَوا له.

-الملك طلبَني في أمرٍ مهم.

-لكن جلالـة الملـك قـد خلـدَ تـوّاً للراحـة مـع جلالـة الملكـة وطلـب ألا يزعجهُ أحد... لم يعلمنا أنهُ طلبَ رؤية حضرتك...

-أتقصـدونَ إننـي أكـذب مـثلاً؟! حسـناً سـأذهب، وقـد يكـون الملـك في خطـر وبحاجـة لمسـاعدتي لهـذا طلبَنـي، لكنّنـي سـأذهب الآن،وإن حـدث مكـروه للملـك فـأنتُما تـتحمّلان المسـؤولية، أنـتُما الأثنان!

-سـيدي نحـنُ لا نريـد أن يعاقبنـا الملـك، إن خالفنـا أوامـره سيُعاقِبنا أقسى عقوبة.

-حسناً إذن، كما تريدان.

كانـت ملامـح الغضـب واضـحة في نظراتـه إلـيهما، لكنّهـا تحَوّلَـت إلى ابتسامة خبيثـة مـا أن اسـتدارَ عائـداً مـن حيـث أتى. كنـتُ أسـير بجـواره، وشـعرتُ بشـيء غريـب يحـدث فعـلاً، جعلَنـي أسـتبعد

احتمال كون ما أراهُ حلماً. توقّفَ سايمون فجأةً في الممر المؤدّي إلى غرفة الملك، تفَقّدَ المكان حولهُ للتأكّد من خلوه، قبل أن يدفع بنفسه داخل الجدار، وإذا بهِ يخترقهُ !

أصِبتُ بالذهول لكنّني لحقتُ به، فعلى أية حال لم أكن مرئيّة أصلاً. دخلنا في ممرٍّ سريّ تضيئهُ شعلات نار على طول الطريق،وفي نهايته بوّابة دائرية صغيرة، وصلَ إليها وفتحَها،وإذا بها تؤدّي إلى داخل غرفة الملك مباشرةً... ليصدمني المشهد داخلها. الملك نصفُ عارٍ، قيّدَت أطرافَه أسواطٌ لامعة، ساحبةً يدَيه وقدمَيه كلّاً على حدة، لسانه قد قُطِع ومَلأت الدماء فمهُ ورقبتهُ، ولحيتهُ وصَدره. فورَ رؤيتي لهُ هرعتُ لا شعورياً لأخلّصَه وأفكَّ قيده، لكن لا فائدة ترجى، فقد اخترقَتهُ يديَّ كالسّراب. ما أن رأى سايمون داخلاً من الباب السرّي حتّى ابتسم وعاد الأمل إليه، وبانت في نظرته إلى سايمون الطمأنينة والثقة بقرب نجاته. خلفَ ستارةٍ شفّافة، فصَلَت بين السرير وباقي الغرفة، كانت الملكة جالسة أمام مرآة، تمشّط شعرَها وتضع العطر، وهي تتبَسَّم وتنظر إلى نفسها. كانت ترتدي فستاناً مكشوف الأكتاف أبيض اللون، جذّاباً ومُغرياً، كأنّها تجهَّزَت للقاء زوجها ولا تعلم ما حَلَّ به... لكنّه كان قريباً منها،ومحاولاته للصراخ مسموعةٌ بالنسبة لها." هل من المعقول إنّها لم تنتبه لهُ... أم هي...؟"

13

كابوس حقيقي...

(كاثرين / 2022م)

"يبدو أن الماضي أكثر تعقيداً مما توقّعت، وأنا التي ظننتُ أنني ما أن أتذكر سأفهم كل شيء"

-هل تتكلّمينَ معي؟

-كلينتاي أنتَ هنا؟

-نعم وأينَ سأكون. كيف أصبحتِ الآن؟

-أين نحن؟ ما الذي نفعله هنا؟

شرق غابة أوماروس بعيداً عن بحيرة الكريدينس. أغميَ عليكِ فجأة في كوخ الشجرة، وبقيتِ فاقدة للوعي، لكن الآرسيميا عثروا على مكاننا وهاجَمونا فاضطررتُ لتهريبكِ معي، بالمناسبة أنتِ ثقيلة...

كم وزنكِ؟! قمتُ بتضليلهم حيثُ صنعتُ نسخة من صوتكِ باتّجاهٍ مُعاكِس لنا فَلِحقوا بالصوت.

أنتِ بأمان هنا،فهذهِ المنطقة ليست خطيرة بقدر ما مررتِ به سابقاً.

-بحيرة الكريدينس؟ أليس هذا أخطر مخلوق في أوزوريس،ويُستخدَم في الإعدام؟

-أحسنتِ. يبدو أن لديكِ بعض المعلومات عن أوزوريس ولستِ كما ظننت. غابة الكريدينس سُمّيت بهذا الاسم لأنها تقع على ضفاف أكبر بحيرة في أوزوريس، وهي موطن الكريدينس.

-كم يوجد منهم في البحيرة؟

-أعتقـد اثنـان أو ثلاثـة، الكريـدينس يعمّـرون ملايـين السـنين ولا يمكـن قـتلهم فجـروحهم تلتـئم بسـرعة، ولا يسـتطيع أيّ مخلـوق الاقـتراب مـن جهـة الشـمال مـن الغابـة. أخبرينـي هـل تـذكّرتِ مـا يمكن أن ينفعنا؟

-قبـل أن أخـبرَكَ بشـيء، مـا الـذي تريـد فعلـهُ بي تلـك المخلوقـات المتوحشـة، هـل يـأكلونني؟ ولمـاذا منـذُ وصـولي إلى هنـا وكـلُّ مَـن يـراني يقـوم بحَبسـي أو ينـوي قـتلي... هـل الجميـع هنـا حاقـدون على البشر؟! ولماذا ينعتونَني بالخائنة؟!

-أول مـرة أسـمع منـكِ هـذا الكـلام... مَـن نعَتَـكِ بالخائنـة؟! اطمئنـي الآرسـيميا لـن ينعتـوكِ بالخائنـة لأنهـم يمتلكـون لغـة لا أحـد يفهمهـا، حيـثُ يتواصـلون بالتخـاطر مـع بعضـهم. يريـدون أخذكِ لممارسة طقوس الهلاك، التي لن تكتمل إلا بكِ.

-طقوس ماذا؟! وكيف تكتمل بي؟

-حسـناً، سـيقومون بتقييـدكِ عـلى إحـدى حلقـات الآرسـيم الحجريـة، وبعـدها يقومـون بجـرح يـديكِ، لتجـري دمـاؤكِ عـبرَ أنفـاق كَعـروق الأشـجار، حتـى تصـل إلى قلـب مملكـتهم القـابع بـالأرض، والـذي تُحيطـهُ حلقـات الآرسـيم، وبعـدَها سـوف نهلـك جميعاً.

-ما هذه المخلوقات بالضبط... وكيف ستهلَكون؟

-أنـتِ كثـيرة الأسـئلة، ولا ألومـكِ فَـإن كنـتُ مكانـكِ ربمّـا سـأكون أسـوء... الآرسـيميا أقـوى سـلالات الجـان في أوزوريـس وأكثرهـا وحشـية. كانـت لـديهم مملكـة مـن أقـوى الممالـك عـلى أوزوريس،وكـانوا يفترسـون ويقتلـون مـا يطيـب لهـم مـن

المخلوقـات، فَلهـم جيشـهم الخـاص وكـانوا يسـتَولون عـلى أراضٍ جديـدة مـن أجـل الافـتراس، لكـن عنـدما زاد بطشـهم قـام ملـك الأوماريـا (أرمـان الثـاني بشـنّ حـرب علـيهم) اسـتمرّت عشـرات السنين، وكانـت أتعـس الفـترات التـي مـرّت عـلى أوزوريـس، حتـى تـم قتـل ملكهـم أخـيراً، وأغلـبهم تـمّ قتلـهُ وأسرهُ مـن قبـل مملكـة أوماريـا واختفـوا في غياهـب السـجون، وباتـت حكـايتهم مجـرّد أسطورة لا أحد يصدّقها من الأجيال الجديدة.

لكـنّ مجموعـة مـنهم هربـت مـن السـجون عنـدما مـات الملـك تورمـــانيوس، وبـــدأوا يظهـــرون في غابـــة أومـــاروس وغابـــة الكريـدينس، والآن هـم يريـدون أن يوقظـوا جـدهم الأكـبر وهـو أقـوى آرسـيمي بينهم،عفريـتٌ هائـل القـوة والجـبروت، لـكي يسـتردّ لهـم حقّهـم ويحكمـوا أوزوريـس بجميـع ممالكهـا وأراضـيها مـن جديد...

والطريقـــة الوحيـــدة لإيقاظـــه تتطلّـــبَ اســـتخدام دم خمـــس مخلوقـات نـادرة ومِـن ضِـمنها البـشر، لهـذا يريـدون الحصـول عليكِ، ولـن يقومـوا بقتلـكِ مبـاشرةً لأنّ دمـكِ مهـم، ويُسـتنزَف كُلّـه في حلقة الهلاك.

-أنـا بالتأكيـد لـن أكـون سـبباً في نجـاح خطـتهم. مَـن أخـبرَني بشـأن الكريـدينس هـي فتـاة تـدعى إيفـا ذات أذنَـين طـويلتَين بيضـاء البشرة ولها نقوش سوداء على وجهها وقدميها.

-.....

-مـا بـكَ لمـاذا سـكتَّ؟ لقـد سـاعدَتني وقامـت بتهريبـي مـن السجن...

-أنـــتِ تقصـــدينَ الأمـــيرة إيفـــا؟! إذن كُنـــتِ ســـجينة في جزيـــرة التريفـي؟! بحـقّ السـماء مَـن تكـونين لتهـتمّ بـكِ وتسـجنكِ الملكـة أوليفيا؟!

-ماذا تقصد؟ لم أعرف لمَ قاموا بأسري...

-التريفـي يَقتُلـون مُبـاشرةً، أسرُهـم لـكِ يعنـي أنـكِ مُهمّـة. كيـف استطعتِ الوصول إلى هناك؟

-إيفـا أخـذَتني عـلى مـتن مخلـوق ضـخم طـائر أخفـاني تحـت جناحه أو شيء كهذا. لا أعرف فأنا لم أرَ الطريق.

-إنهـم لا يُطلِعـون أي شـخص عـلى كيفيـة الوصـول إلى جُـزُرهم. عنـدما تمـرّدوا كـانوا يـداً واحـدة فأصـبحوا قـوةً لا يُسـتهان بهـا... عـلى عكـس مـا حـدثَ معـي، فجميـع مَـن أحـبُّهم وحتـى عـائلتي تخلَّت عني حينَها.

قبل خمسة أعوام...

(كاثرين / 2017م)

ما زلتُ في ذلك الكابوس الرهيب مذهولةً بذلك المنظر الدموي.

دخل سايمون لغرفة الملك من الباب السري، ليرَمقهُ بنظرة من رأسه إلى أخمص قدميه. لم يتفاجأ عندما رآه هكذا بل ابتسم ابتسامةً عريضة، وأزاح الستار إلى نهايته ليتجه نحو الملكة التي جلست أمام المرآة الضخمة المزخرَفة بالنّحاس.

-لقد عرفتُ أنّكِ تستطيعينَ فعلها بكلّ سهولة، جميلتي.

نظرَ إلى انعكاسها بالمرآة، لتبتسم وتبادله النظرات وهي تُداعب خصلات شعرها الذّهبي، فوضع يديه حول خصرها من الخلف ولملمَ شعرَها جانباً، وأخذَ يطبع القُبلات على رقبتها وكتفها، فَبانَت عليها النشوة واستدارَت إليه لتُقبِّلهُ بحرارة. أغمضتُ عينيَّ بتقزّز، وأنا أتمنّى أن يكون ذلك مُجرّد حلم سأستيقظ منهُ، لكن بلا جدوى، فَحينَ فتحتُ عينيّ كنتُ ما زلتُ غير مرئية لهم، وكانَ الملك ينظر إليهما والدموع تترقرق في عينَيه، محاولاً الصراخ عَبَثاً. فكّرتُ بأيّة طريقة لمساعدته، لكن لم يكن بوسعي سوى الانتظار. أكمل سايمون والملكة قُبلَتَهُما الطويلة لتهمس له:

-إنّهُ كالحَمل المربوط يا حبيبي كما طلبت. هل أثبَتُّ لكَ الآن أنني مُستعدّة لفعل أي شيء لأجلك؟!

-لا أشكُّ بحبّكِ لي ولو بمقدار شعرة. هيّا لنبدأ الطقوس ولتكوني ملكتي إلى الأبد.

اتّجهَ سايمون نحو الملك وبيده الصّولجان الذهبي الذي قدَّمهُ لهُ، فدفعَه به لتنفتح قيودهُ ويسقط على السرير، وعادت قيودهُ لتربطه من جديد وإلى السرير هذه المرّة. وقفَ فوقه سايمون ليصبح الجسد المقيّد بين قدمَيه، ثم جلس على بطن الملك ووضع يده اليسرى على فكّه ليغلقَهُ وغرسَ الصّولجان في صدره وشَقَّهُ لتفيض دماؤه. أخذَ الملك يُنازع وارتعشَت قدماه وذراعاهُ، ثم أدخل سايمون يدهُ في الشَقّ إلى داخل صدره وبدأ بسحب شيء بكلّ قوّته، حتى نجحَ أخيراً بإخراجه فانفجرَت عينٌ من الدماء في صدر الملك، ملطّخةً كل ملابس سايمون. "هذا لا يُصدَّق... لقد أخرجَ قلبَه بيده! كلا هذا جنون... استيقظي كاثرين استيقظي كفى!" صفعتُ نفسي مراراً وتكراراً حتى انهرتُ وسقطتُ جاثيةً على ركبتيَّ، ولم يزَل المشهد على وضعه. انتفضَ جسد الملك مرّةً أخيرة وقضى نحبهُ، بينما نزل سايمون من السرير حاملاً القلب، ووجههُ ممتلئ ببقع الدماء. أمّا الملكة فقد أحضرت مادة تشبه رماد الفحم، وأخذت تكتب كتاباتٍ بِلُغةٍ لم أفهمها على ارض الغُرفة،وترسم رسومات غريبة، تشبه وحوشاً وشياطين داخل مضلّع سداسي على الأرض. أتى سايمون بالقلب ليضعهُ في مركز الدائرة التي تتوسّط الرسم، ثم جلب الصولجان الذهبي ونظر إلى الملكة.

-حسناً حبيبي، لنفعلها وينتهي الأمر.

أومأ برأسـه، ثـم اسـتدار وغـرس الصـولجان بالقلـب وبـدأ يتحـدّث بلغـــةٍ غريبـــة غامضـــة، لتبـــدأ الرســـومات بـــالتوهّج عـــلى الأرض،فسـطعَ شـعاع تعمـي قوّتُـه العيـون، ثـم ظهـر مـن العـدم كـائن طويـل الشـعر شـبه عـارٍ، وعـلى جبينـه علامـة تشـبه التـي رسـموها عـلى الأرض في وسـط السـداسي. لا يمكننـي وصـف شـكل ذلـك الكـائن والخـوف الـذي تملَّكَنـي بوجـوده، كـأنّ الغُرفـة امـتلأت بـالظلال المُظلمـة النابضـة بالشـرّ عنـد حضـوره. لم أفهـم مـا تحَـدَّثا بـه، كانـت اللغـة مُبهَمـةً لي، لكنـهُ أشـارَ إلى الملكـة التـي بـدت أيضـاً غـير فاهمـة لمـا يُقـال. اسـتدارَ نحوهـا سـايمون واضـعاً يـدهُ عـلى خدّها وهو يداعبهُ برقّة.

-لا يمكننـي نسـيان مـا فعلتـهِ لأجـلي، ولا بُـد أنـكِ سـتفعلين الأكـثر لكي تجعليني ملكاً.

-طبعاً حبيبي... أنا أعشقكَ لدرجة لا يمكنكَ تصوّرها.

-أنا أعلم حبيبتي.

قـرَّبَ شـفاهه مـن شـفتَيها، وقبَّلَهـا قُبلـةً طويلـة، عانقَتـهُ بعـدَها بشغف قبل أن يبتعد عنها قليلاً.

-لن أنساكِ أبداً.

اسـتلَّ الصـولجان وطعـنَ بـه عنقَهـا، فَفَغـرَت فاهـا لتفـيض منـهُ الـدماء وعيناهـا شاخصـتان، ثـمّ سـحَبَهُ لِتَسـقط عـلى الأرض جثّـةً هامــدة. لحظتَهـا تحـوَّلَ قلـب الملـك، المرمـيّ أمـام الكيـان المُخيـف،إلى حجـارةٍ سـوداء اللـون، أمسـكَ بهـا سـايمون وركـع لـه فأصـبحَت خاتمـاً، حملـقَ فيـه وارتـداهُ مبتسـماً، ليختفـي فجـأةً مـن أمـامي ويحـلَّ محلّـهُ دُخـانٌ أسـود. اختفـى وتركَنـي بـين ضحيَّتَيه...

لقد شهدتُ جريمةً من أفظع الجرائم، وفاعلُها هو أكثر شخص أحببتُه! "هل تلك كوابيس أم خيالات، أم هلوسات؟ "كنتُ بمفردي في الغرفة فمررتُ بسرعة عبر الباب الرئيسية، لأجد سايمون آتياً نحو الغرفة وقد غيَّرَ ملابسهُ وبرفقته حرّاس.

-الملك في خطر! لقد تلقّيتُ رسالة سريّة بأنّ التريفي يحاولون اغتيالهُ الليلة، انتقاماً لملكهم (كومالي)...

قَيِّدوا الحارسَين فَلا بُدّ أنهما متواطئان مع الخونة لذلك لم يُدخِلوني... يجب إبعاد الملك عن الأماكن الخطرة، وغرفتهُ مُستهدَفة.

قيّدوا الحرس الملكيّ واقتحَموا الغرفة، فوجدوا جثّة الملكة على الأرض، والملك منزوع القلب مقطوع اللسان، غارقاً بدمه على الفراش. اقتربَ سايمون من جثة الملك التي كانت مفتوحة العينَين.

-لقد تأخّرنا جداً...

وضع يدَيه على عينَي الملك وأغلقَهما، وصرخ صرخةً مدويّة هزّت أرجاء القصر "لااااا."

-لا أصدّق ما حدَث... كيف تمكّنوا من فِعل ذلك! لقد شعرتُ بشيء وحاولتُ الدخول لكنّ الحرس منعوني. نعم هذان... إنهما خائنان! اعتقلوهُما فوراً.

"يا إلهي أي نوع من الكوابيس ذاك! لماذا أرى سايمون بتلك الهيئة الوحشيّة الإجرامية؟! هل يُعقل أن عقلي الباطن يصوّر لي هذا كلّهُ... متى سأستيقظ؟ لم أعد أحتمل" لكن هيهات. أغمض عينيّ وأفتحها متمنّيةً اختفاء كل ذلك، لكن كلّ شيء

كما هو للأسف. ما زلتُ لا مرئية، أتفرّج على تلك الوقائع الغريبة لأناسٍ لا أعرفهم، في مكان لم أرهُ سابقاً حتى في خيالي.

بكى سايمون، ومثَّلَ أنهُ فقد أعصابه وانهارَ بعد مقتل ملكه،وبالتأكيد صدَّقَهُ كلّ مَن حوله. تمّ سجن العملاقَين المسكينَين وذاقا أشدّ أنواع التعذيب للاعتراف على قاتل الملك،وفي تلك الأثناء جرى تتويج سايمون بمراسيمٍ غريبة. خرجَ بعدَها الملك الجديد، متّجهاً نحو أحد أجنحة القصر، وهو يرتدي التاج الذي اختارَ أن يكون لونهُ أسود، عكس تاج الملك السابق الذي كان من الألماس. دخلَ إلى غرفة كانت عليها حراسة مشدّدة، ودخلتُ معه فرأيتُ امرأةً جالسة بجانب طفلَين نائمَين في السرير، ولدٌ وبنت، أعمارهم لم تتجاوز خمسة أعوام، وبدَت عليهما علامات المرض الشديد. فور دخول سايمون نهضَت المرأة وانحنَت له، كانت مرتبكة جداً وتلعثمَت كثيراً حتى قالت عبارة "أهلاً مولاي."

-أهلاً سايلا، كيفَ حال الأميرَين؟ هل هُما مريضان؟

هنا شعرتُ بالصدمة. ما دامَ للملك طفلان فَلا بدّ إنهُ سيقتلهما! نظرتُ إلى عينَيه ولم تُبشّر نظراتُه بخيرٍ مطلقاً. "ما ذنب الطفلَين المسكينَين يا إلهي... لم أعد أطيق المزيد من الإجرام! ما أراه من صنع خيالي المشوّش بالتأكيد... أجل لا يُمكن أن يكون غير هذا". ردّت عليه المرأة بخوف وشفتاها ترتجف.

-نـ... نعم جلالتك، للأسف إنهما مصابان بـ (حمى باراداس) على ما أعتقد، وحالتهما حرجة جداً.

يا لَلمساكين! يبدو إنني لم أفقد صديقي فَحسب، بل ابناءه أيضاً.

بينما كنتُ أراقِبهُما تحرّكَ الفتى الصغير، فتح عينيه ورفع رأسهُ قليلاً، وألقى نظرةً فضولية على الملك ثم أعاد رأسه على الوسادة وأغمض عينيه بعدَ أن نكزَتهُ أختهُ.

-اعتني بهما، أريدهما بصحة جيدة، فهما الذكرى الوحيدة لي من ملكي وصديقي تورمانيوس.

خرج سايمون، لكنّني لم أتبَعهُ بل فضّلتُ البقاء ومعرفة ما يخفيه أولئك الأطفال ومربّيتهم. ما أن خرج الملك حتّى نهض الطفلان وكانا متعافيَين، وعرفتُ أن المربّية هي مَن خطّطت لتلك الكذبة، لأنها تشكّ بأنّ سايمون هو مَن قتل الملك، لذا فعلت ذلك لكي تحميهم منه. استلمَ سايمون الحُكم، وكان في قمّة الظُلم والطّغيان. حوَّلَ جميع المخلوقات إلى عبيد، كانت لديه قوة غريبة يسيطر بها على الجميع. قامَ بسجن وقتل وتعذيب واستعباد مخلوقات عملاقة ومخيفة، كان يحبسها في قبو سفليّ تحت قصره. في يوم من الأيام أتت إليه سايلا مربّية الأميرَين إلى قاعة العرش، طلبت مقابلته وهي تبكي.

-سيدي أريد مقابلة الملك من فضلك... إنها مسألة حياة أو موت.

انتظري هُنا سأكلّم جلالته.

دخل إليه الحارس العملاق، بينما كان سايمون جالساً يحتسي الشراب المليء بالكرات الصغيرة الشفّافة، ويستمتع بالنظر من الشرفة إلى اثنَين مصلوبَين، قامَ الحرّاس بتعذيبهما.

-مولاي، المربّية سايلا تريد مقابلتك.
-حسناً دَعها تدخل.
-مرحباً جلالتك.
-مرحباً سايلا، كيف حال الصغار؟
-مـولاي، الأطفـال تفاقمـت لـديهم الحمّـى، والآن يجـب عـزلهما عـن الجميـع في الـبراري لأنهـما سـيموتان لا محالـة ولا يجـوز تـركُهما، فقـد يـنقلان العـدوى لسـاكني القصـر، وربّمـا لجلالتـك. إنّهـما شـبه ميّتَـين الآن، إسـمح لي أن أرافقهـما في آخـر أيـامهم وأوفي بالقَسَم الذي أقسمتهُ، بخدمتهم طول حياتي.
-حسـناً. فـورَ مـوتهم اقـتُلي نفسـكِ، وإلا قتلنـاكِ نحـن... فَالعـدوى ستنتقل إليكِ، وحمّى بارداس مُميتَة لا نجاةَ منها.
نادى أحد حرس القصر.
-خَصِّصـوا لهـم عربـة تـاميلي لتوصـلهم إلى حيـث يريـدون وتعـود من دونهم.
نقلَـتهُم عربـة التـاميلي النحاسـيّة، تسـحبُها اثنتـان مـن المخلوقـات التي تشـبه الكنغـر، فصـعدتُ معهـما فيهـا، لإشـباع فضـولي الشـديد لمعرفة مخطّط تلك المربّية.
سـارَت بنـا العربـة بـين الـبراري الخضـراء، وفجـأةً شـعرتُ أن كـل شيء حـولي أصـبح كالدوّامـة التـي تشـدّني داخلهـا، فَلـم أعـد أشـعر بجاذبيّــة الأرض كــأنّ هنــاكَ قــوّة خفيّــة في الهــواء أخــذَت تحرّكني،حتى صارَ كلّ شيء ظلاماً.
لاحَ لي خـلال العتمـة خيـطُ رفيـعٌ مـن النـور، رافقَـهُ صـوتٌ ينـادي باسمي.

-كاثرين... حبيبتي كاثرين هل أنتِ بخير؟ طمئنيني عنكِ ماذا حصل؟

كانَ صوت سايمون حبيبي، باتَ الآن يسمعني ويعرف بوجودي! اتّسعَ خيط النور الرفيع حتى رأيتُه. كان جالساً أمامي، يرتدي قميصاً بنيّاً اعتيادياً، لا ملابس غريبة ولا شيء من ذلك الكابوس. مددتُ يدي إليه حتى استطعتُ لمسه.

-سايمون حبيبي... بإمكانكَ رؤيتي أليسَ كذلك؟

-حبيبتي بالطبع... أراكِ أمامي وبخير. أين كنتِ؟ ما الذي أخذكِ إلى تلك الحديقة؟

كانَ يسمعني ويراني أخيراً، فَحَمدتُ الله على انقضاء ذلك الحلم المروّع.

-أيّة حديقة تقصد؟

-خلال حفلة ميلاد بيتر، كنّا قد أطفأنا الشموع وقطعتِ الكعكة معه، وحانَ دوري لكنّكِ قلتِ إنكِ ستأتينَ بعد قليل. عندما تأخرّتِ بحَثنا عنكِ في المنزل واتصلتُ بهاتفكِ فَكان خارج التغطية. بحثتُ عنكِ في كلّ مكان، مراكز الشرطة،المستشفيات، كدتُ أجنّ عليكِ حتى اتصلت بنا إحدى المستشفيات وأبلغونا أنّ الشرطة وجدتكِ في حديقة عامة،مُغمى عليكِ قرب نافورة ماء. لن تتصوّري كيف قلقتُ عليكِ... حياتي بدونكِ لا تساوي شيئاً.

أمسك بيدي وجَثا على ركبتيه أمامي، وراحَ يترجّاني ألّا أختفي عنه مجدّداً، لكنّني حقاً لم أعلم ما حدث... كلّ ما تذكّرتُه هو الكابوس الرهيب الذي مررتُ به، وقررتُ أنني لن أحكي

لسايمون عنه، فقد كنتُ فاقدة للوعي وما رأيتهُ مجرّد أوهام من صنع عقلي. وضعتُ يدي لألمس وجهه.
-حبيبي لا تقلق، لن أتركك. أنا أيضاً لا أستطيع العيش بدونك،فأنتَ وبيتر كل حياتي. أين بيتر، هل قلقَ بِشأني؟ هل يعرف أنني مُختفية؟
-لا، اطمئني لا يعرف شيئاً. إنهُ بخير ومع ليندا.

رفع يدي وأخذَ يشمّها ويُقبلها ، ثم نهض ليجلس بقربي على سرير المشفى. تنحّيتُ قليلاً ليستلقي بجانبي، وتأبَّطتُ ذراعهُ وأنا أسمع نبضات قلبه. أطلقتُ تنهيدةً عميقة وحمدتُ ربّي ثانيةً على انتهاء ذلك الكابوس. عادت ابتسامة الطمأنينة إليّ،وغفوتُ في غضون دقائق قليلة.

(كاثرين 5/1/2017م)

لم أتـذكّر كيـفَ اختفيـتُ ومـا الـذي أخـذني إلى ذلـك المكـان في يومهـا، لكننـي لم أرغـب في التـذكّر ولم يهمّنـي ذلـك. عـدتُ إلى منـزلي وإلى بيـتر وحبيبـي سـايمون، عـائلتي الجميلـة التـي لا أطيـقُ فراقهـا، كنـتُ أعشـقُهم، وشـعرتُ كـأنّني غبـتُ عـنهم سـنواتٍ عديـدة. لقـد تغـيّرَ شـكل سـايمون وأصـابَهُ النحـول، أخبرَتنـي ليندا أنـهُ رفض النـوم والأكـل في غيـابي، وانقلـبَ حالُـه رأسـاً عـلى عقـب. لم أسـتغرب، فـإن لم يفعـل ذلـك فهـو لـيس سـايمون، ولـو كنـتُ بمكانه لَفعلتُ الشـيء نفسـهُ وربّمـا أكـثر. مـا لَـم أفهمـهُ هـو سـبب ذلـك الكـابوس، ورؤيتـي لسـايمون بتلـك الصـورة الدمويـة المجرمـة التي لا تمتّ لهُ بأيّة صلة.

ظننـتُ أن كـل شيء عـاد لطبيعتـه،لكن في صـباح اليـوم الرابـع بعـد عـودتي، اسـتيقظتُ مـن النـوم، وكـان سـايمون قـد خـرج إلى العمـل وأوصـلَ بيـتر إلى الحضـانة في طريقه،لأجـد تلـك الفتـاة ذات الشـعر الرمـادي في غرفتـي، جالسـة عـلى الأريكـة الحمـراء المُقابلـة للسرير. قفزتُ من فراشي هاتفةً:

-أنتِ ثانيةً؟ كيف دخلتِ إلى هنا؟ ماذا تريدينَ مني؟

-اهـدئي لا تخـافي، فأنـا لسـتُ عـدوةً لـكِ، ولا أريـد إيـذائك بـل مسـاعدتكِ. لقـد أريتُـكِ الحقيقـة، رأيـتِ كـلّ شيء بـأمّ عينيكِ،عندما كُنتِ مفقودة.

-وما علاقتُكِ بما رأيتهُ؟

-أنـا مَـن جعلـكِ تـرَين كـلّ ذلـك. نقلتُـكِ عـبر الأبعـاد، عـبر مـرآة الـزمن الخاصـة بعـالمٍ وكوكـبٍ آخـر غـير هـذا الكوكـب الـذي تعيشون فيه الآن، (كوكب أوزوريس)

-ما الذي تتفوّهين به؟!

-ما رأيتِـه كـان قصـة سايمون الحقيقيـة قبـل أن يـتم لعنـهُ وحبسـهُ في أرضكم.

لقـد أصـبح حـاكم كوكبنـا بعـد أن عقـد اتفاقيّـة مـع إلـه الظـلام، قتل ملكه كقربـانٍ لـهُ، واسـتخدم قلبـهُ كمصـدر لقـوى الظـلام التـي يحصـل عليهـا مـن (داركيسـتر). كـان مجرمـاً، وعـاش كوكبنـا حقبـةً مظلمـة سـوداء في عهـده، والآن هـو في كـوكبكم الأسـتاذ سـايمون زوجـكِ. هـل فهمـتِ لمـاذا حـذّرتكِ مـن قبـل أن تتزوّجـي شخصـاً لا تعرفينهُ جيداً.

-هـذا هـراء... كيـف نقلتِنـي وكيـف رأيـت كـل ذلـك؟ كـان مُجـرد حُلم...

-جعلتُكِ تشـاهدين القصـة كـما لـو كنـتِ هنـاك معنـا. كنـتِ تـرين وتسـمعين كـلّ شيء حـدث قبـل مئـة عـام في كوكـب أوزوريـس مـن دون أن يشـعروا بـكِ أو يسـمعونكِ، لأن مـا رأيتِـه هـو تاريخ،والتـاريخ لا يكـذب. أدخلتـكِ لهـا لأنّنـي متأكـدة إذا حكيـتُ لكِ القصة بنفسي فَلـن تصـدِّقي. أنـا الأمـيرة كادمـا، ابنـة الملـك التـي أنقذَتها سايلا.

-أنتِ تكذبين... لا يمكن أن يكون ما رأيتهُ قد حدثَ بالفعل.

-كفـاكِ غبـاءاً... كيـفَ لي أن أعـرف تفاصـيل مـا حلمـتِ بـه إن كـان حُلماً بالفعل؟!

-تريـديـنني أن أصـدّق أن سـايمون لـيس بشـــراً مـثلي، وإنكـما مـن كوكـب آخـر؟! مـا هـذا الهُـراء... ألَـم تجـدي طريقـة أكـثر منطقيّـة لتوقعي بيننا، أيّة حكاية يمكن تصديقها مثلاً...

-لا أريـــد الإيقـــاع بيـــنكما... هـــه، أساســـاً علاقـــتكما لـــن تستمرّ،وسـتنتهي عـاجلاً أم آجـلاً، فهـو يعـرف مـا يفعلـه ومتـى سوف ينتهي منكِ.

-لقد تماديتِ كثيراً... اخرُجي من هنا وابعدي تُرّهاتكِ عني!

-كـاثرين، أنـا أقـدّر مـا تشـعرين بـه، عقلـكِ لا يسـتوعب الحقيقـة. لو كنتُ بمكانكِ لما صدّقت أيضاً.

-أنــتِ إمّــا مجنونــة مريضــة نفســياً وإمّــا ســاحرة دنيئــة... وفي الحــالتين لــن تتمكّنــي منــي أبــداً. سـأخبر سـايمون بكـل شيء وهـو بالتأكيد سيعرفكِ.

-بـالطبع، أخبريـه ليقـوم بقـتلي، وبهـذا تكـونين قـد قضـيتِ عـلى آخـر أمـل لـكِ ولطفلـكِ بالنجـاة مـن هـذا الـوحش، الـذي يرتـدي قناع الزوج والأب المُحِبّ.

-لا يمكنني تصديق أيّة كلمةٍ منكِ.

اتجهتُ نحو باب الغرفة للخروج لأجدها مُقفلة.

-لماذا أقفلتِ الباب؟ لن أصدّقكِ ولا أريدُ سماعكِ.

-لا بــل يجــب أن تســمعيني، شــئتِ أم أبيــتِ. أنــتِ آخــر أمــل لعالمنــا وعــالمكم، يجــب أن تعــرفي مَــن هــو زوجــكِ حقــاً، وأن تفهمـي مـا رأيتِـه هنـاك. سـايمون والملـك وأنـا وجميـع مـن رأيـتِهم مخلوقـات مـن كوكـب آخـر يـدعى أوزوريـس، وهـو كوكـب خفـيّ لا يمكــن أن يُرصَــد أبــداً. نحــنُ مــن ســلالة أوماريــا الأكــثر شــبهاً

بالبشـــر، لكـــن تركيبـــة أجســـامنا متطـــوّرة فتُمكّنُنـــا مـــن تغيـــر أشكالنا.

سايمون من نفـس سـلالتي، أعلـم إنـه مـن الصعب عليـكِ تصـديقي لكن لديّ كلّ الأدلّة، وسأجعلكِ تريِنَها بعينيكِ.

-كيـف هـذا؟! إن كـان مـا تقولينـهُ صـحيحاً، فَكيـفَ لم ينكشـف سره؟ أنـا وسـايمون متزوّجـان منـذُ عـامَين، وعشـنا قبلَهـا قصّـة حـبٍّ لخمسة أعوام في الجامعة.

لم أشعر للحظـةٍ واحـدة بـأنّ لـهُ سـلوك مريـب أو شريـر، بـالعكس كان أفضل إنسان ممكن لأي شخص أن يقابلهُ في حياته...

نهضَـــت المـــرأة مـــن الأريكـــة وتجوّلـــت في الغرفـــة، نـــاظرةً إلى اللوحـــات المطعّمـــة بـــألوان الأســـود والأبـــيض والزهـــري والرمادي،إحـــداها لمـــارلين مـــونرو، وأخـــرى لســـرب طيـــور مهاجرة،والثالثـة لوحـة سرياليـة حالمـة. مـرّرَت أطـراف أصـابعها عليها لتقول بهدوء:

-أنـــتم البـــشر طبيعـــتكم الغـــرور والعجرفـــة، إلى الدرجـــة التـــي جعلَـتكُم تظنّـون أن الله لم يخلـق سـواكم أنـتُم ومـا تعرفونـه مـن كائنـات، لـذلك فَمـن السّـهل عـلى أي فـرد منـا أن يقـتحم كـوكبكم دون أيّ شكٍّ بوجوده.

كنتُ واقفـةً في وسـط الغرفـة، شـعري مُبعـثَر لأنني صـحوتُ قبـل قليـل، وعينـاي شاخصـتان تراقبـان تلـك الفتـاة الغريبـة، التـي ظهـرت فجـأةً في غرفـة نـومي، لتخـبرني أن ذلـك الكـابوس الشـنيع هـو حقيقـة، وأنّ سـايمون حُـبّ حيـاتي لـيس سـوى مخلـوق فضـائي يشـبه الإنسـان، وهـو أكـثر المخلوقـات شرّاً عـلى وجـه الأرض، ونحـنُ

البشر سُذّج. هل كانَ عليَّ حقاً تصديق تلك التفاهات؟ نظرتُ إليها بحدّة وقلتُ بإصرار:
-ابتعدي عن حياتي. لا أريد رؤية أو سماع أي شيء منكِ أو من الخرافات التي تقولينها!
التفتَت لترمقَني بنظرة هادئة، وهي تشبك يديها أمام صدرها وكأنها تطلب مني التريّث. فجأةً ارتفعَت قدميَّ عن الأرض ببطء، وصرتُ أطفو في الهواء، وفي لحظات وجدتُ نفسي في ذات المكان الذي استيقظتُ منه، كنتُ مجدّداً في عربة التاميلي، والطفلان ومربّيتهما داخلها. التفتُّ إلى يميني فوجدتُ ذات الشعر الرمادي (كادما) تجلس بجانبي وتقول:
-أنظري إلى الطفلة المسكينة النائمة على حُجرِ أخيها. هذهِ أنا (كادما)، وهذا أخي روي. هكذا هربنا من قبضة ذلك الأوماري الدموي (زوجكِ)، أو بالأحرى ذلك ما ظَنّناه.
-ماذا تقصدين...؟
فجأةً انقلبَت العربة وتراشق عليها المازوك الناري من جهة القصر، فَشَبّت النيران فيها. أيقظَ الطفل أختهُ وهو مرعوب،فأخذَت تبكي وتصرخ، قبل أن يسحبها من يدها ليقفزا من العربة المشتعلة. تعدّت المسافة عشرة أمتار،لكنّهما سَقَطا مع كدماتٍ وخدوش بسيطة.
-لمَ جلبتِني إلى هنا؟!
أريدكِ أن تشهدي بنفسكِ. العِشق هو العمى رغم البصيرة،أنتم البشر ما أن تعشقوا حتّى تصبحون كالعُميان، لا ترَونَ الحقيقة حتى لو كانت أوضح شيء أمامكم، وتُفضّلون

تصـديق مَـن تحبّـون. أنـتِ تحبّينـه بجنـون، أعلـم هـذا لـذا قـد لا تصدّقين حتّى ما ستَرَينَه بعينَيكِ.

14

حتى القمر له وجه مظلم...

(كاثرين / 2017م)

ظلّ الأميران يسيران بِذُعر وهما يتلفتان لأيام إلى أن وصلا إلى غابة، فتوقّفَا عند كوخ محفور بجذع إحدى الأشجار، ليطرقا الباب الخشبي له. فتحَ لهُما رجلٌ كبير بالسن نوعاً ما.

- مرحباً، أنتَ كروند صديق سايلا، أليس كذلك؟

- نعم، ومَن أنتما؟

- أنا الأمير روي وهذهِ أختي كادما. سايلا أرسلَت لك هذهِ الرسالة.

أخرجَ من جيبه كُرة بها قرنان صغيران وعين واحدة، ليصدرَ صوت سايلا منها:

"عزيزي كروند، خُذهما إلى الجزيرة المخفيّة. إنهما الأمل الوحيد لأوزوريس الآن.

قمتُ بتهريبهُما بصعوبةٍ بالغة من يد الملك الأسود، أرجوك أوصِلهُما بأمان للملكة أوليفيا... وداعاً".

- هل ماتت سايلا؟

- للأسف ربما تكون قد ماتت... أنا حقاً آسف، كان ذلك بسببنا.

- لا تقُل هذا سموّ الأمير، لقد قطعَت عهداً على نفسها بحمايتكم تحت أي ظرف، وقد أوفت بعهدها أخيراً... فَلتَحظى روحها بالسلام الأبدي. تفضّلا بالدخول.

في اليوم التالي انطلق بهُما كروند إلى قمّة جبل في الغابة، ثمّ تحوّلَ إلى مخلوقٍ طائر لديه حُجرة مُصَفَّحة في ظهره.

- أيها الأميران، اصعَدا على ظهري.

صعدا ليُغلق الحُجرة عليهما، قبل أن يطير في الأعالي، حتى وصل إلى جزيرة خضراء تطفو في السماء، ذات أكواخٍ حجرية محفورة في الجبال. كانت الجزيرة في وسط الجليد لكنّها مخضرّة زاهية الألوان، مزدانة بالأشجار والزهور، وسفوح جبالها مكسوّة بالحشائش مع بيوت منحوتة عليها. اختلفَ الجوّ داخل حدود الجزيرة تماماً عن الجو خارجها،وبإمكانكَ وأنتَ على حدودها أن تمدّ اصبعكَ إلى الخارج فَيَبرَد ويمتلأ برذاذ الثلج، فخارجُها عواصف ثلجيّة دائمة من جهة، ومن الجهة المقابلة حممٌ بُركانيّة تغلي. فورَ هبوط كروند على أرض الجزيرة عادَ إلى هيئته الطبيعية، التي تشبه البشر، وأنزلَ الطفلَين، لكنّه تفاجأ بالأميرة وهي شاحبة وترتجف، فاضطرّ إلى حملها في أثناء السّير. بعد مسافةٍ ظهرَ لهُم كائنان يمتطيان شيئاً طائراً، بدت أشكالهم فضائية، فآذانهم طويلة أعلى رؤوسهم،وعيونهم صغيرة كالخرز. وجَّها أسلحتهم نحو الطفلين وكروند وأخذوهم أسرى. كانوا يتحدّثون بلغةٍ لا يمكنني فهمها،فقالت لي كادما:

هنا كنتُ على حافة الموت،قاموا بأسرنا فهم لا يعرفون بعد أننا أولاد الملك المغدور.

- لم يعرفوا عن الأوماريا سوى الملك الدموي الظالم الذي قتلَ وعذّبَ الكثير منهم، وباتوا يعتقدون أن كلّ أوماري يشكّل خطراً عليهم.

تمّ أخذُهم إلى مخلوقة ترتدي عباءة طويلة بنفس شكلهم،بتاجٍ على رأسها وصولجان غريب الشكل بيدها. جعلوا

الأطفال ينحنونَ لها، وبدت أنها ملكتهم. تحدّثت بلغةٍ فهمتُها وقالت:

- أيها الشّياطين كيف وجدتُم طريقنا؟ ومتى ينوي ملككم الأسود غزونا وتدمير حياتنا مجدداً؟ نحنُ مستعدّون لخوض حرب نموت فيها جميعنا حتى آخر شخص، ولن نستسلم!

فقال لها روي متوسّلاً وهو يبكي وقد ضمّ يديه بقوة أمام وجهه.

- صدّقيني جلالتكِ نحنُ لا علاقةَ لنا بالملك إطلاقاً، بل هربنا من بطشه. كان يريد قتلَنا، خشيةَ أن نسعى للانتقام وإيقاد نار التمرّد ضده. أرجو من جلالتكِ مساعدة أختي فقد أصيبَت بحمى شديدة نتيجة البرد الذي تعرّضنا له في الطريق إليكم. أرجوكم لقد التجأنا لكم آملين في عطفكم... نحنُ الأميران روي وكادما، أبناء الملك المغدور تورمانيوس.

لانت ملامحها وتغيّرت نظرتها الحادة فور سماع اسم الملك القتيل، لتردّ قائلة:

- لكنّنا سمعنا أنكما مريضَين بالمرض القاتل (حمى باراداس) وستموتان عما قريب.

- جلالتكِ إنها حيلة استخدمَتها مربّيتنا سايلا لإنقاذ حياتنا.

- حسناً، سوف نعتني بأختك الأميرة خيرَ اعتناء، فعصرُ والدك كان من أفضل العصور التي عشناها. شرّفتُمونا أيها الأمير.

هكذا عاشَ الطفلان في كنف سلالة التريفي ومعهما كروند،وصارا شباباً وهما يتدرّبان ويخطّطان ليوم الأخذ بثأر أبيهما بيديهما. في البداية درَسا عن بُعد كلّ شيء يخصّه، طباعه

وعاداتـه، مـا يحـبّ ويكـره، صـفاته ونقـاط ضـعفه، فنـون القتـال التــي يــبرع فيهــا والأســلحة التــي يتفــنّن في اســتخدامها، نــوع الإلينـان التـابعين لـه، وحتّـى عـن إلـه الظلام وكيـف عقـد اتفاقيّتـهُ معـه والشـروط التـي فرضَـها عليـه. كـان روي وكادمـا الشـابّان،بعد إنهاء تـدريبات التحـوّل، مـع المـدرب الـذي خصّصـتهُ ملكـة التريفـي لهـما، يـدخلان فـوراً إلى غرفـة مـع الحكـيم العجـوز للتريفـي، وهـو أكـبر الحكـماء وأقـدمهم في كوكـب أوزوريـس. كنـتُ أراقـب تلـك الفـترة كأنّهـا تحـدث أمـام عينـيّ مـع إننـي لسـتُ موجـودة فعـلاً بيـنهم، فمـثلاً كانـت كادمـا الصـغيرة أمـامي تُبـارز بـــ(المازوك)[1] بيـنما وقفـت كادمـا الكبـيرة بجـواري. نظـرتُ إليهـا فقالـت لي،وهـي تشـير إلى الغرفـة التـي دخـل إليهـا كادمـا وروي مـع حكـيم سـلالة التريفي تَوّاً:

- ادخُلي لترَين كيف استطعنا التغلّب على أقوى شرٍّ في الكون.
- هل تغلّبتُما عليه؟ إذن كيف أتى إلى كوكبي حسب قولكِ؟!
- نعـم تغلّبنـا عليـه وهـذا هـو سـبب مجيئـه إلـيكم. انتظـري وسترين بنفسك.

عنـدما دخلنـا وجـدتُ غرفـة عملاقـة فيهـا مجسّـم متـوهج في وسـطها، يخـرج منـهُ إشـعاع عـلى شـكل صـورة شـبيهة بتقنيّـة الهولـوجرام، تُظهـر حـال الملـك سـايمون ومـا يفعلـهُ وقتَها.كـان

1-(سلاح يستخدمهُ جيش الملك سايمون وهو سلاح خطير ولا يمكن لأي شخص الهروب منه، حيث ينطلق منهُ كائن شبيه بالسهم يطارد الفريسة او الهدف إلى أن يطيح به أرضاً. يحتوي على سم قاتل ينفثه في جسد الضحية ما أن ينغرس فيها، ثم ينسحب من جسده ويعود بسرعة إلى مالكه).

جالساً على عرشه يحتسي الشراب الفقاعيّ الغريب ويشاهد تعذيب اثنَين من المخلوقات الضخمة التي تشبه الغيلان أو العمالقة بجسدٍ متوهّج، حيثُ تمّ تعليقُهما من الأطراف والدماء صنعت تحتهما نهراً. كم هو قاسٍ" هل من المعقول أن تلك هي حقيقة سايمون؟! " تقدمتُ لأتقرّب من صورته وأنا أمعن النظر فيه لا شعورياً. كان الأميران والحكيم واقفينَ فاخترقتُهم في طريقي. ظنّت كادما انني اندهشتُ لقدرتهم على مراقبة سايمون بتلك التقنية، فقالت:

- نعم لا تَندهشي، هؤلاء قوم التريفي هم الأخطر على الملك سايمون، لأنّ أحد ملوكهم السابقين والد المَلِك كومالي)قد تعاهد مع داركيستر، لكنه لم يعلم أنّ داركيستر يعقد المعاهدات مع الملوك ويعطيهم القوّة ويلعب اللعبة بشروطه،حتى يحقّق غايته المعيّنة، وبعدها يلعنهُ ويجعلهُ يموت بأسوأ طريقة، وهذا ما حدث مع ملكهم فعلاً. لكن الملك الذي تلاه، والذي كان ابنه، لم يتمكّن منه داركيستر لأنهُ عرف سلفاً كلّ شي عن قوى الظلام التي أودَت بحياة والده، فقد درسَ عنها كثيراً ليخلّص أباهُ منها، لكنّ الوالد تمسّك بذلك الطريق إلى النهاية، بالرغم من جميع محاولات ابنه كومالي.

انضمّ روي وكادما لاحقاً إلى جيش سايمون (الملك الأسود) بأسماء مستعارة "جيم وجين"، وسرعان ما لوحظت خبرتُهم الواسعة بأمور القتال وتمكّنهم من حلّ الكثير من القضايا المُستَعصية بشؤون السياسة البسيطة، والتي نتجت من دراستهم المكثّفة لكل تفاصيل حياة الملك سايمون وما يمكن أن

يقـرّبهم إليـه، حتـى لَفتـا انتبـاه قـادة الجـيش، ووصـلت الأخبـار لِلملـك ببراعـة جـيم وجـين في القتـال والسياسـة لدرجـةٍ مذهلـة. شعر الملك بفضـولٍ للتعـرّف عليهما،وقـد اعتـاد كـلّ فـترة عـلى تغيـير الأشـخاص المقـرّبين لـه، يقتـل القـدامى كـونهم يعرفـون عنـهُ الكثـير مـن الأسرار، ويَجلـب جُـدد، يلازمونـهُ أيـنَما ذَهَـب ولا يغيبـون عـن ناظرَيـه، لأنـهُ لم يَثِـق حتّـى في خيالـه. فجـأةً انتقَلنـا أنـا وكادمـا الكبـيرة إلى قصـر الملـك سـايمون، ولا أعـرف لمَ شـعرتُ بالرعـب،مع معرفتي بـأنّ مـا كنّـا نشـهدهُ لـيس سـوى مـاضٍ، فقلـتُ لهـا بصـوت مُتعَب:

- أرجوكِ هذا يكفي. لا أريد أن أرى شيئاً آخر، أريد العودة.

- بل عليكِ رؤية ما حدث بأمّ عينيكِ لتصدّقي كلامي.

- وإن صدّقتُ كلامكِ ماذا سيحدث؟ ماذا تستفيدين؟

- انتظـري لم يتبـقَّ إلا القليـل. الحكايـة عـلى وشـك الانتهـاء وستعرفين كلّ شيء.

رأيـتُ سـايمون خارجـاً مـن قاعـة العـرش وهـو غاضـب، بعباءتـه السـوداء الحريريـة اللامعـة التـي غطّـت كتفَيـه العريضَـين،وقـد رفرفـت أطـراف قلنسـوته الفَـرو الضـخمة في الهـواء مـن سرعـة مشـيه في الممـرّ، وخلفـهُ عـدد مـن الجنـود. بـدا أنّ هنـاك مـا أدّى إلى اضـطرابه وغضـبه الشـديد، بطريقـةٍ لم أتخيّـل رؤيتهـا عـلى وجهه سـابقاً، فقـد بـدت عينـاه كأنّهـا تنفـث نيرانـاً. دخـلَ إلى قاعـة كبـيرة فيهـا طاولـة ممتـدّة عـلى طولهـا، وفي نهايتهـا وقـفَ شـخص مـن التريفـي يحمـل بيـده نفـس الكـرة ذات القـرنين والعـين الواحدة، فقالت لي كادما موضّحةً:

- هــذا المخلــوق يــدعى الكــونتير، نســتخدمه في أوزوريــس لنقــل الرسائل المهمة والبلاغات الملكية.
انحنــى رســول التريفــي للملــك ورفــع يدَيــه واضــعاً الكــونتير باتجاهه، لتفتح الكرة عينَها ويأتي صوت الرسالة:
"ملكة التريفي - أوليفيا
إن كنـتَ حقـاً أعظـم وأقـوى ملـك في الكـون كـما تـدّعي فَعليـكَ أن تحــارب بــشرف وبــالاعتماد عــلى قوتــك وقــوة جيشــك، ونحــنُ ســنختار أرض المعركـة. لقـد سـمعنا إنـك لم تقـرَب الأرض المحرّمـة (صـحراء أنتريـاس)، لمـاذا يـا تـرى؟ هـل لأنـك قـويّ أمـام الجميـع وضـعيف أمـام هــذه الأرض؟ للعلــم هــذه الرســالة بيــنما أنــتَ تسـمعها الآن تُـذاع في كـلّ مكـان مـن أوزوريـس، والجميـع سَـيعلَم مـدى ضـعفك، لأنّـك سـتخاف مـن المواجهـة عـلى صـحراء أنتريـاس وتــرفض المعركــة، وســتختار تســميته تمــرّداً لتقضــي عليــه بطــرق أخــرى. غــير أن الملــوك العظــماء لا يفعلــون ذلــك، لأنّهــم واثقــون مــن قــوّتهم ومــن جيوشــهم وأتبــاعهم. أعــذرُني فقــد نســيتُ أن كــل مــا تملكــهُ الآن لــيس لــك بــل اســتوليتَ عليــه عــبرَ خيانــة العهــد والــدناءة، لتحصــل عــلى قــوى داركيســتر أصــبحت عَبــداً لــهُ. إن لم تكــن فعــلاً عبــداً أو جبانــاً ولا تمتلــك ســوى قــوى الظــلام، اســتعد وتعـــال للحـــرب، وإلا فأنـــتَ لا تصـــلح أن تكـــون ملكـــاً لأوزوريس،وقد علم الجميع بهذا الأمر الآن."

XXI الكوثير

نهضَ رسول التريفي بعد انتهاء الرسالة فَجاءهُ من الخلف كادما وروي، اللّذان أصبحا من المقرّبين للملك. أخرج روي من حزامه سلاحاً يشبه المسدّس نوعاً ما، ولكن ما أن ضغط زنادهُ حتى انبعثَت منهُ شرائط سوداء متعدّدة، التَفَّت حول رأس التريفي وضغطت عليه بشدّة حتى انطحنَ وجهُه، بعظامه ودمه ولحمه وانفجر! لكن كيف يفعل روي هذا وهؤلاء التريفي قد آووه عندَهم هو وأخته، التفَتُّ إلى كادما ونظرتُ إليها باستغرابٍ شديد، فقالت:

- ما بكِ تنظرين هكذا؟ إن لم نفعل ذلك فمن المستحيل أن يثق زوجكِ بولائنا لهُ. كانت الرسالة من ملكة التريفي، رسالة تهديد واحتقار،وتنطوي على تحذير لسايمون لكي يتنازل عن عرشه لمَن هو أحقّ منه، وإلا فإنّهم سيشنّون حرباً يكون هو الخاسر فيها. أثارت الرسالة جنونه وكانت إهانة كبيرة لا يمكن لهُ التغاضي عنها.

ما أن سمع سايمون الرسالة حتى احمرّت عيناه واستشاطَ غضباً، واعتقدتُ بوجود ما يؤذيه أو يحدّ من قوّته في تلك الصحراء. تقدّمَ الملك نحو روي وكادما ليربتَّ على كتف روي قائلاً:

- اذهب إليهم يا جيم وخُذ هذه القمامة.

قال ذلك وهو مُشيراً الى جُثة رسول التريفي

- أخبرهم بأنّني مستعدٌّ للحرب، ولنرَ مَن الخاسر. أنا الملك الأسود ولا أحد يقف في وجهي. كان الجبناء مختفينَ لقرون،والآن يتحدّونَني بهذه الوقاحة؟!

- أمرُكَ مولاي.
تـركَ سـايمون القاعـة مرتبكـاً غاضـباً، واتّجـه إلى غرفتـه، صـارخاً بالحرّاس الذين كانوا خلفه:
- ابتعدوا جميعاً وإلا أعدمتُكم بأشنع الطرق! أريد البقاء بمفردي.
دخل إلى غرفته الواسعة الفخمة، وفجأةً ظهر ذلـك الكيـان الغريـب المُظلم ، الذي ظهر لهُ عندما قتل تورمانيوس وانتزعَ قلبهُ.
لم يـرفّ لسـايمون جفـن كعادتـه، رغـم حضـور الكـائن المـروّع،وتكلّم معـهُ بلغـةٍ لم أفهمهـا، فأجابـهُ سـايمون بـنفس اللغـة. أخـذَ صـوت الكيـان يعلـو ويـزداد حـدّةً وبشـاعة ، لكـن سـايمون حـافظ عـلى مسـتوى الصـوت التـي كـان يكلّمـهُ بهـا. حنـى رأسـهُ وأشـاح بنظـره عنـهُ، كـان صـوته يعلـو ويصـبح أضـخم في كـلّ مـرة يخاطب سايمون، وبدا أن ردود الأخير لم تُعجبه.
فكّـرتُ بسـؤال كادمـا كي أفهـم الحـوار، والتفَـتُّ حـولي فَلـم أجـدها بجـانبي! لا أحـد سـواي أنـا وسـايمون والـوحش الغريـب في الغرفـة." إذا تركَتنـي فَمَـن سـيُعيدني إلى منـزلي؟! " خرجـتُ مـن الغرفـة مخترقـةً البـاب بجسـدي،وطفـتُ في ممـرّات القصـر باحثـةً عـن كادمـا،حتى وجـدتُها في إحـدى الغـرف في طـابق الجنـود. كـان بـاب الغرفـة مفتوحـاً وهـي تقـف بجانبـه مراقبـةً مَـن في الـداخل. دخلـتُ ووقفـتُ بجانبهـا، كانـا كادمـا وروي سـويّةً يـتكلّمان مـع بعضهما، فَقلتُ بغضب:
- لمـاذا تركتِنـي هنـاك بمفـردي؟كـما أحــضرِتني وسـجنتِني هنـا كـأنّني مجـرد شـبح في هـذا المكـان العجيب،عليـكِ البقـاء معـي لتُخرجيني. ما الذي يحدث هنا؟ أريد أن أفهم أيّة حربٍ هذه؟

- هــذه الحــرب مجــرد خطــة لاســتفزاز ســايمون وجعلــه يــدخل الأراضي المحرّمة.
- وماذا سيحصل له إذا دخلها؟
- لا تستعجلي، سترينَ نهايتهُ قريباً.
أتى الحـارس الخـاص بالملـك ونحـنُ واقفتـان ببـاب الغرفـة، حيـث اخترق جسدي ودخل قائلاً:
- حضرة الجنرالات، الملك يريدكُما في قاعة العرش فوراً.
- حسناً نحنُ قادمان.
ابتسمت كادما الصغيرة والتفتَت إلى روي.
- ألم أخبركَ إنهُ سينادينا بعد دقائق!
- أتمنى أنّ غايتَنا قد تحقّقَت فعلاً.
ذهبنــا إلى قاعــة العــرش، فَوجــدنا الملــك ســايمون جالســاً عــلى العرش وقد جمع الوزراء والمقرّبين.
- مولاي، نحن طوع أمرك.
- سـنخوض الحـرب، وسـندخل تلـك الصّـحاري البغيضـة، وسـأدعَس رؤوس ســلالة التريفــي حتــى أبيــدَهم عــن بكــرةِ أبــيهم... حتــى الأطفــال ســأقتلهم، وســأعلّق رؤوســهم عــلى جوانــب الطّرقــات ليكونوا عبرة لمـن يقـف بوجـه الملـك الأسـود. أمـا بالنسـبة لأنتريـاس فَسَأشـيّد عليهـا قــصراً لي، ولــنرى أيّ مكــانٍ لا تســتطيع قــدماي وطأه في أوزوريس!
- أمرك مولاي، سمعاً وطاعة.
بــدأ جــيش ســايمون العظــيم بالتعبئــة والاســتعداد للحرب،فَجهّــزَ أقــوى وأغــرب أنــواع الوحــوش التــي لم أتخيّــل وجودهــا، وصــنوف

الأسلحة التي لا تخطر على بال بشر من حيث القوة والفتك،والكلاريوس المُدَرَّبين باحتراف على سحق الرؤوس، وبدا أنهُ عازمٌ على ارتكاب مجزرة أسطوريّة. وقفنا في غرفة سايمون وهو يتجهّز للانطلاق، مع الجيش الذي ينتظر خروجه، والذي قدّرتُ عدده بالآلاف من جحافل الإلينان الطائرة وجيوش الظلام والأوماريا والكلاريوس. لبس الملك درعاً غريباً أسود اللون، لم أعرف ما المادّة التي صُنعَ منها، وخرج من الباب الداخلي للقصر، حيث كان الطائر العملاق الخاص به بانتظاره. صعدَ عليه لينطلق صوت بوق عظيم وتبدأ الجحافل بالتحرُّك فور أن تَحرَّكَ المَلِك، نحو صحاري أنترياس.كنّا أنا وكادما قرب سايمون على ظهر طائره، وهو يُحلّق بنا مرفرفاً بجناحَيه العملاقَين، يقود سرباً من المخلوقات الطائرة مختلفة الأشكال،لم أستطِع التركيز في أنواعها لكثرتها، لكن لم ألاحظ بينهم شبيهاً لطائر الملك. نظرتُ إلى أسفل فشاهدتُ جيوش الملك كأسراب نمل أسود يزحف على الأرض بانتظامِ عالٍ، جيش عظيم مُرعب يضمّ ثلاث سلالات يقودهم ملك متحالف مع إله الظلام... "أيّ شخص يمتلك ذرّة عقل يفكّر بتحدّي ملك كهذا؟"

بعد مسيرةٍ طويلة وشاقّة، وصلنا أخيراً إلى الصحراء المنشودة. بدت كصحراءٍ تقليديّة، إلا أنها كانت المساحة الوحيدة التي يضيق عندها الفاصل بين الجليد والحمم البركانية تدريجياً حتى يتلاشى، ويلتقي الجليد بالحمم، لكن لا الجليد أطفأ النار ولا النار أذابت الجليد. كانت السماء فوق الصحراء من نصفين أحدهما مُنير والآخر مظلم، شيء مذهلٌ عجيب، وانتصَبَ جبل

عظيم في المنتصف كأنّهُ هو الذي شقّ السماء بتلك الطريقة. (جبل أنترياس) حجارته من ألماس، وقد بانَت نباتاتٌ بين شقوقه في تلك الصحراء القاحلة. دخلنا الصحراء وتقدّمنا، لكنّني لم أرَ جيشاً مقابلاً من التريفي. "أيُعقَل أنهم قد تراجعوا عن المعركة؟! "قاطعَت كادما سلسلة أفكاري وتساؤلاتي:
- لا تظنّي أن التريفي قد استسلموا. حالما يصل سايمون إلى جبل أنترياس سوف يرى الجيش بأكمله.
- ولماذا عند الجبل بالتحديد؟
- سترينَ بنفسكِ لماذا.
أصبح الجبل قريباً جداً، وبدأ جيش التريفي بالظهور في صفوف منتظمة مائلة، لكن على شكل صَفَّين، كل صف خلفهُ مجموعة صفوف مماثلة له بالميلان، وفي الوسط ظهرت ملكة التريفي من مغارة أرضية بالجبل، تمتطي ما يشبه الثور، رباعي القرون، بالغ الضخامة فقد فاقَ حجمه حجم ثيران الأرض بعشرات الأضعاف. هبطنا أرضاً وتواجهَ الجيشان، الجبل العظيم خلف التريفي، وتلال الصحراء خلف الجيش العظيم. ظلّ جيش التريفي ساكناً ولم يتحرك قيد أنملةٍ نحونا، مع أن ملكتهم هي مَن دعا لهذه المعركة، لذا أشارَ سايمون المتعطّش للقتل بالهجوم على التريفي بلا تردّد.

xx جبل اثرياس

انقضّت جموع جيش سايمون على التريفي بكلّ صنوفها،العمالقة والأوماريا وفرسان الظلام، وحدثَت مجزرة حقيقية، حوّلَت رمال الصحراء إلى اللون الأحمر من دماء التريفي، الذين اكتفوا بالتراجع ولم يحاولوا قطّ الدفاع عن أنفسهم، برغم امتلاكهم للأسلحة. ارتسمَت ابتسامة المُنتَصِر على وجه سايمون وهو على ظهر الطائر الضخم، وهو يستمتع بمنظر تحطيم رؤوس التريفي والتهامهم وتحويلهم إلى رماد منثور. بعض أسراب جيشه كانت تهاجم ضحيّتها من التريفي خلال الهرب، فتهجم عليها وتقطع رأسها لتأكله بقضمتَين،ويبقى جسدها واقفاً لثوانٍ يَبثُق الدماء كالنافورة من فجوة العنق قبل أن يتهالك،ليتّجه المهاجم نحو ضحية أخرى. أمّا العمالقة فكانوا يمسكون بالجندي من رأسه بيديهم الاثنتَين ويسحقونهُ حتى تنفجر جمجمتهُ، وبعضهم سحقَ الجسد بالكامل بين قبضاتهم الجبّارة. أمّا فرسان الظلام فكانوا يُحرقون جنود التريفي فيُحيلوهم إلى رماد دون تخليف ذرّة تدلّ على وجودهم. شاهدتُ تلك المذبحة أمامي وأنا غير مستوعبة.

- كادما ما هذا الذي يحصل؟ أين ملكة التريفي؟ لِمَ لا يُدافعونَ عن أنفسهم؟!

- تعالَي لأُريكِ أين هي.

سحبَتني من يدي وسارَت بي وسط المجزرة والدماء والرؤوس المحطّمة في كل مكان، والتي كنتُ أخترقها كالهواء. اعترَتني رجفة واقشعرّ بدني منها فهتفت:

- إلى أين تأخذينني؟ لا أستطيع تحمّل هذه البشاعة اترُكيني.

أفلتُّ يدي منها فاستدارت إليّ:

- أنـتِ مَـن أردتِ فهـم مـا يحـدث، وقـد حانـت النهايـة لتفهمـي كل شيء، إلا إذا غيّرتِ رأيكِ وتُريدين العودة بعد كلّ ما رأيتِه.

كانـت محقّـة، إذ وجـبَ أن أفهـم نهايـة مـا جـرى، ومـن غـير المعقـول التراجـع بعـد مـا وصـلتُ إليـه. أكملنـا طريقنـا وسـط المعركـة والجثـث حتـى وَصَلنا إلى مغـارة الجبـل، ودخلناهـا. كانـت الملكـة هنـاك، يحرسُـها حـوالي خمسـة عشـر جنـدياً، ملابسـهم تختلـف عـن بقيـة الجنـود كـأنّهم الحـرس الخـاص لملكـة التريفـي. كانـت تقـف أمـام حجـر صـغير ذهبـيّ اللـون، يطـوف في الهـواء بواسـطة قـوى غريبـة، فـوق بحـيرة صـغيرة بـداخل صـخرة، وحولهـا تماثيـل لنسـاء يحملـن أحجـار لامعـة أخـرى، وينظـرنَ نحـو الحجـر الأوسط،

الـذي بـدا كـأنّ مجـرّةً كاملـة تقبـع بداخلـه. كانـت الملكـة تـتكلّم بلغـةٍ غريبـة، كأنّهـا تقـرأ تعاويـذ أو شيء مـن ذلـك القبيـل. فجـأةً ارتفـعَ الحجـر، وازداد ارتفاعـه مـع تعاويـذها، وانطلـق منـه إشـعاعٌ قـويّ جـداً بنـور سـاطع أضـاء المغـارة بأكملهـا، لدرجـة أننـا أغلقنـا أعيننا من شدّته.

بعـدَها مبـاشرةً داهـم الملـك سـايمون المغـارة مـع حفنـة مـن جنـوده، وعـلى رأسـهم كادمـا وروي، بعـد قـتلهم للجنـود الـذين كـانوا يحرسـونها مـن الخـارج. نـزل سـايمون مـن طـائره ودخـل المغـارة، ومـا أن مشـى أول خطواتـه داخلهـا حتـى ظهـر جـدارٌ خفـيّ أغلقهـا تمامـاً، وانبثـقَ شـعاعٌ غريـب مـن مـوطئ قدمـه، غـزا المدخل فأضاءه.

اسـتدارَ سـايمون وحـاول إخـراج ذراعـه لكنّهـا اصـطدمَت بمـا يشـبه السـدّ أمامـه. فجـأةً رأى جيشـهُ خـارج المغارة،كانـت رمـال الصـحراء تلـتهمهم جميعـاً بـبطء، واحـداً تلـو الآخر،وسـط صراخ الوحـوش ومحـاولاتهم الفاشـلة للنجـاة. سـحبَ سـلاحهُ عـلى الملكـة وهجـمَ بكـلّ مـا أوتي مـن قـوة، فَكـان روي أول مَـن تصـدّى لـه. كـان سـايمون واثقـاً مـن قـواه الرهيبـة، لكنـه تفاجـأ بِوَهنٍ يسـيطر عـلى أطرافـه، كـأنّ قيـوداً أو قـوى خفيّـة قـد أخضـعَتهُ لسـيطرتها. سـقطَ سـلاحهُ مـن يـده مـذهولاً، اتّسـعَت عينـاه مـن الصـدمة وتصبّبَ عرقاً وهو ينظر إلى روي وكادما.

- مـا بـك؟ هـل تنظـر إلينـا عـلى أننـا خائنـان؟ كـلا، فـنحنُ لم نكـن معـك في يـوم مـن الأيـام. نحـنُ الأمـيران اللّـذان هربـا مـن قبضـتك قبل قرون، وها نحنُ نأخذ بثأر أبينا.

خـارَت قـوّة سـايمون إلى درجـة أنـهُ سـقط عـلى الأرض، كأنّـه أصيـب بشلل. رفعَ روي سلاحهُ لكي يقتلهُ، فأوقفَتهُ ملكة التريفي.
- روي، إيّاك أن تفعل هذا.
- لماذا جلالتك؟!
- لأنـك لـن تسـتطيع قتلـه! إنـهُ قـويّ إلى درجـة لا أنـت ولا غـيرك يسـتطيع قتلـه هكـذا. يكفـي إنـهُ تمكّـن مـن التحـالف مـع إلـه الظـلام.سـوف تأخـذ العدالـة مجراهـا، وأرض أنتريـاس سـتلعَنهُ عـلى الدماء التي سفكَها عليها.

فجـأةً ظهـر نـورٌ مـن جسـد سـايمون المسـتلقي عـلى الأرض، وتحـوّلَ جسـدهُ بالتـدريج إلى ذرّاتٍ مـن ضـوء، طـارت واتّجهـت نحـو تلـك الحجـارة الجميلـة ودخلـت فيهـا، وفـور دخولهـا كلّهـا أخذَت الأرض تهتـزّ كـأنّ الجبـل يتحـرّك، الصـخور مـن حولنـا بـدأت تعـود لتـدخل إلى بـاطن الأرض، كـان الجبـل ينـزل في الرّمـال! خـرج الجميـع مـن المغـارة، ومـن بيـنهم أنـا وكادمـا، ووقفـتُ أتفـرّج وأنـا مُندهِشة مـمّا أراه. غـاصَ الجبـل في عمـق الرّمـال، كـما لـو أنـه كـان يعود أدراجه.
- أتـرَين؟! هـذا مـا حـدث لسـايمون قبـل قرن،قبـلَ أن يجـد والـدكِ جبـل أنتريـاس بالصـدفة في إحـدى رحلاتـه البحريـة، حيـث أخـذ الكثـير مـن حجـارة الجبـل، التـي تُعتَـبَر في كوكـب الأرض باهظـة الـثمن، فطمـعَ بهـا، وعنـدما دخـل المغـارة وجـد ذلـك الحجـر الفريـد في مكـانٍ خـاص جـداً، يـوحي بـأنّ لـه أهميـة وقيمـة كبـيرة مختلفة عن بقيـةِ الأحجـار، فأخـذهُ، حيـثُ أنـه كـان محروسـاً فقـط من سكان أوزوريـس، أمّـا قـواه الحارِسـة فـلا تـؤثّر عـلى البشـر،كما

يبدو. صنع الرجل منه قلادةً لابنته البكر كاثرين، التي كانت لا تزال في رحم والدتها، ومنذُ أول يوم وُلدتِ فيه أصبح الحجر المقدّس الذي سُجِنَ به سايمون لكِ على شكل قلادة، ورافقكِ سايمون منذ تلك اللحظة.

لقد كانت روحهُ معكِ، وعندما ابتعد عن جبل أنترياس الذي كان يمتصّ قوتهُ وطاقتهُ لسنين، بدأ يستعيد قواه وعافيته، حتى تمكّن من الظهور لكِ بهيئتهِ الحقيقية... لأنّهُ ولكي يكسر اللعنة التي وُضِعت عليه، يجب عليه أن يذبح طفلاً من صُلبه في عيد ميلاده الثامن، كقربان لإله الظلام، ليعيد لهُ قوته ويكسر اللعنة. لقد تركه داركستر وتخلّى عنه بعد أن عصى توجيهاتهُ ولم يستمع لتحذيره من صحراء أنترياس المحرّمة، ويجب أن يفعل ذلك ليثبت ولائهُ له من جديد. إن عادت لهُ قوّته،سيعود أجشع وأظلم من ذي قبل، وسيعمّ شرهُ حتى كوكب الأرض وليس فقط أوزوريس.

لهذا تزوّجكِ، لكي يضرب عصفورَين بحجرٍ واحد. استطاع أن يجعلكِ تتعلّقين به وتحبّينه وتتزوجينه، لأنهُ كان يعرف كل شيء عنكِ. كلّ ما مررتِ به في حياتكِ كان يرافقكِ فيه. لهذا استغلّ ما يعرفهُ عنكِ للتقرّب والزواج منكِ، لتمنحيه القربان الذي سيقدّمه إلى داركستر لاستعادة قواه، حالَ بلوغه الثمان سنوات من العمر.

15

بين نارين...

(كاثرين / 2017)

هذا جنون! عقلي ما عاد يستوعب شيئاً. سايمون ليس هكذا... لا يمكنني التفكير بأنّهُ تزوّجني لكي يحصل على طفل يقدّمهُ قرباناً لغزو الأرض، مع كوكبٍ آخر لم يسمع به أحد! لا بدّ أنها تكذب، لم أعرف لماذا... لكنّ إحساساً قوياً بكونها كاذبة قد واتاني. فجأةً، تلاشى كل شيء من حولي ولم أشعر إلا بوقوفي في غرفتي مجدّداً، وكادما لا تزال أمامي. غمرَني تعبٌ ودوار شديدَين، حتّى ترنّحتُ وكنتُ على وشك السقوط. اقتربَت مني لِتسندَني، لكن في تلك اللحظة سمعنا صوت الباب وكان سايمون قد دخل المنزل، فاختفَت كادما، وسقطتُ على السرير.

لم أفقد وعيي لكن رأسي كان يدور، كأنّ بداخله قدر ماء يغلي ويتلاطم في جدرانه كلّما حاولتُ الالتفات أو التفكير. كيف لا،وقد شهدتُ وسمعتُ أشياء لا يمكن لأي بشر تصديقُها أو تحمّلها.فرَكتُ جبيني وما بينَ عينيّ بأطراف أناملي لتهدئة الألم وأنا جالسة على سريري، قبل دخول سايمون الذي توتّرَ عندما رآني على تلك الحالة، فَهرعَ إليّ مُسرعاً.

ما بكِ حبيبتي؟! لماذا تضغطين على جبينكِ بهذا الشكل هل عادَ رأسكِ يؤلمكِ ثانيةً؟

رفعَ يدي عن رأسي وقبّلَها، وأمسكَ جبهتي بيده الأخرى وهو يحاول الضغط عليها كي أرتاح. نظرتُ إليه باستغراب، ليس ممّا فعلَهُ بل ممّا رأيت وسمعت. "شَتّان ما بين ذلكَ الملك الطاغي وحبيبي سايمون، الذي عشتُ معهُ وعرفتهُ كلّ تلك المُدّة. من

المستحيل أن يكون تلك الرؤى حقيقية، وإن كانت حقيقية فإنّهُما شخصان مُختلِفان، أو قد يكون الأمر كلّهُ مجرد أوهام أمرُّ بها لأنني مريضة... لكنّني فعلاً أملك قلادة غريبة الشكل منذ الطفولة، هل يُعقل أنّه فعلاً كان محبوساً بداخلها؟!" رآني سايمون شَاردةً بعيداً عنه، فنهضَ من السرير وجثا أمامي على الأرض، مُمسكاً بيديَّ الاثنتَين.

- حبيبتي ما بكِ قولي لي؟ هل آخذُكِ للمستشفى؟
- كلا... أنا بخير.
- إذن لِمَ كل هذا الشرود؟ هل سمعتِ ما كنتُ أقولهُ؟
- أجل، كنت تسألني عن صحّتي وكيف أصبحت.
- صحيح، وقلتُ بعدَها أنّكِ كلّ حياتي، وإن حدث لكِ شيء سأموت بعدكِ... لا أتحمّل أن أراكِ متألّمة.
- لكنني بخير. ها أنا أمامك على ما يرام، لا تقلق.
- كيف لا أقلق كاثرين! لقد اختفيتِ لثلاثة أيام وكنتِ فاقدةً للوعي في مكان عام، لم تعرفي كيف وصلتِ إليه ولا ما حَدَث معكِ في تلك الأيام الثلاثة... وها أنا أذهب إلى العمل بعد أسبوع إجازة، وعندما أعود أجد وجهكِ شاحباً وتضغطينَ على رأسكِ من الألم... كيف تريدين أن أرتاح وأنا لا أعرف ما تعانين منه، ولا أستطيع مساعدتكِ!

أبعدتُ يدَيه عني بِرفق، لم أرغب بإقلاقهِ وقد يكون كلّ ذلك وهماً أو أيّ شيء لا يستحقّ الوقوف عنده أصلاً.

- سايمون أرجوك لا تُبالغ. إنسَ كلّ ما حدث، وأنا على ما يُرام. لِمَ عدتَ مبكراً اليوم؟

- حبيبتي لقد عدتُ في وقتي، إنها الثامنة مساءاً...
- إذن لنحضّر العشاء، ونصنع الفوشار لنأكله على فيلم السهرة.
- هـل أنـتِ مُتأكـدة أنّـكِ أفضـل الآن؟ لا أريـد سـوى الاطمئنـان عليكِ حبيبتي.
صدّقني، أنا بخير.

ذهبـتُ إلى غرفـة بيـتر، وضـممتُهُ وقبَّلتـهُ بشـدّة. طلبنـا وجبـة دليفـري، وجلسـنا لنشـاهد فـيلماً رومانسـياً **The City of Angels**، وهـو مـن أفلامـي المُفضّـلة. فكّـرتُ بمـدى الغرابـة والتشـابه بـين حيـاتي والأفـلام. لم يكـن بوسـعي تصـديق شيء مـمّا رأيـت، ولم أقـدر عـلى تكذيبـه أو إنكـاره أيضـاً **!**جلسـتُ بجانـب سـايمون وهـو يحتضـنني وابنُنـا في وسـطنا، نشـاهد الفـيلم ونأكـل الفوشـار .نظـرتُ إلى كـمّ السـعادة التـي عشـناها، "هـل يُعقـل أن سـايمون افتعـلَ كـلّ ذلـك الحـب والحيـاة الزائفـة فقـط ليحصـل عـلى بيـتر؟!" كـاد رأسي ينفجـر، فنهضـتُ وحملـتُ صـغيري مـن حضني.
- سايمون أنا لا أستطيع السهر أكثر، لقد نعستُ للغاية.
- مـاذا؟ لكـن السـاعة الآن الحاديـة عشرـة، ونحـن لا ننـام قبـل الثانية عشرة يومياً.
- أرجـوك سـايمون لا أسـتطيع، رأسي يـؤلمني. إبـقَ أنـتَ مسـتيقظاً إن شئت.
- لا طبعاً، إن نمتِ سأنام.

تَغـيّرَت طِبـاعي وصرتُ أنـام أغلـب الوقـت، ومـلأ القلـق والشّـك عقـلي وقلبـي. لم أرِد الاسـتيقاظ لـكي لا يغـرق ذهنـي في الأسـئلة

ثانيـةً، وتمنّيـتُ الإنفصـال عـن الواقـع، وأن يتجمّـد تفكـيري.فتحـتُ عينـيّ صـباح أحـد الأيـام وانـا اشـعُر بِصُـداع رَهيـب كـان سـايمون قـد غـادَر للعَمَـل , فنهضـتُ متوجهـة للمطـبخ لأصـنع كـوب مِـن القهـوة التـي لا اشربهـا سـوى لتهدئـة الصُـداع بعـد ان غسـلتُ وجهـي وتحممـت , ثـم توجهـتُ للحديقـة ، لأرى كادمـا أمـامي مجـدّداً جالسـة عـلى الاريكـة الخارجيـة قُـرب المَسـبَح وهـي تتأمَـل الحديقـة ليسـقُط كـوب القهـوة عـلى الارض الخشـبية, لأتوجـه مُسرعةً نحوها بِغضب وتوتُر

- أراكِ اعتـدتِ دخـول بيتـي كاللصـوص، مـاذا تريـدينَ منـي ثانيـةً؟ بسـببكِ حيـاتي تتـدمّر... هـل أنـتِ حقيقـة أم مـن صـنع خيـالي فقط؟

لتَنهض مُرتكزةً على رُكبتيها

- قولي مرحباً اولاً ..

اهكذا تَستقبلينَ الضيوف في مَنزلَكِ؟!

- انتِ لستِ ضيفة , اخرجي من منزلي الآن .

- كـاثرين، أنـتِ لم تفهمـي بعـد سـبب إصراري عـلى أن تعـرفي الحقيقـة كاملـة، والآن أنـا مُصِـرّة عـلى أن تتأكّـدي بنفسـكِ أن زوجكِ هو نفس الملك الملعون ذاك وسجين قلادَتكِ.

- وكيـف سـأتأكّد؟ بتلـك الخيـالات التـي جعلتِنـي أراهـا؟ ولِمَ لا تكـونين سـاحرة أو مُشـعوذة خَلَقَـت أوهامـاً مجنونـة لتتلاعـب بي؟!

- لـديكِ الحـق بهـذا الاعتقـاد، لـذا سـآخذُكِ هـذه المـرة بشـكل حقيقـي إلى كوكبنـا، وسـوف تـرَين كـلّ شيء حقيقـي وسـوف

تستطيعين لمسهُ والشعور به كذلك، وبرغم ذلك فأنا على يقين من أنّكِ ستبقين تشكّين بما نقولهُ لكِ وبما ترينهُ، حتى تُصدَمين بالحقيقة من سايمون نفسه.

وَضعَت يدها على السوار المُحيط بمعصمها، والذي احتوى على حجر كبير زمرديّ اللون، لتظهر فجأة بُحيرة من المياه المُضيئة الزُمرديّة في وسط أرضية الحديقة . كانت تتوهّج بشكلٍ أخّاذ، وتتحرك بداخلها دوامات بطيئة. ناولَتني يدها، ولم أعطِها يدي فقد ضقتُ ذرعاً بما يحدث، لم أرِد رؤية أو معرفة المزيد، لأنّ ما رأيتهُ بالفعل لم يخرج من رأسي بعد.

- اغرُبي عن وجهي، لا أريدُ منكِ شيئاً، ولن أتحرك من مكاني.

- ما الذي تقولينه؟! أنتِ حقاً غير مُدركة للخطر الذي يهدّد كوكبكم كُلّه، ولا تُريدينَ حتّى استيعاب أنّ بإمكانكِ إنقاذ عالمكِ وعالمنا... وأول شخص بيديكِ أنتِ فقط تخليصه هو ابنكِ بيتر. ألا تريدين إنقاذه؟

- أنقذهُ من أبيه؟! ما تقولينهُ حماقة لا يمكنني تصديقُها. ذلك الملك يحمل وجه سايمون لكنهُ ليس هو أبداً ...من المستحيل أن يكون هو...

- عاطفتكِ هي ما تتحكّم بكِ الآن. صدّقيني تعالَي معي للمرة الأخيرة ولن آتي إليكِ بعدَها... أنا أعدُكِ.

كنتُ متردّدة، متوتّرة وخائفة. لم أرغب بتصديقها، أو بالأحرى لم يكن بمقدور عقلي وقلبي تَقَبُّل أن سايمون هو ذلك الشخص،لكن ماذا لو ندمتُ فعلاً لأنّني لم أصدّقها؟! لم يَكُن عندي وقت طويل للتفكير، فالبحيرة بدأت تتضاءل تدريجياً،وفي

النهايــة أمســكتُ يــدها لتســحبني معهــا ونســقط معــاً في أعــماق تلك البحيرة.

فقــدتُ تــوازني ورحــتُ أختنــق داخــل المــاء المُضــيء،حيث لم أرَ سوى فقاعـات الهـواء التـي تتــسرّب مـن أنفي،وأنـا أتخـبّط مُحاولـةً الصعود إلى السطح غير الموجود أصلاً.

فجـأة اختفـى المـاء مـن حـولي كـأنّ شـيئاً قـد سـحبَهُ، وطفـتُ بســـرعة الضـــوء إن لم أكـــن أسرع! قـــد يبـــدو أننـــي أبـــالغ في وصـفي،لكنّني كنـتُ أطير أو أتقـدّم بســـرعةٍ خياليّـة منعَتنـي مـن تمييز ما حولي تماماً.

ارتطـمَ الهـواء بـوجهي بعنـف، فَوَضـعتُ كلتـا يـديّ أمـام وجهـي، وانقطـع تنفّســي لفــترةٍ مــن شــدّة الهــواء، قبـل أن أجـد نفسي ملقاةً على الأرض.

قمـتُ متفقّـدةً المكـان حـولي، فَكـانَ قاعـة العـرش نفسـها، داخـل القصـر الذي رأيـتُ فيـه سـايمون ملكـاً، لكـن مَـن كـان يجلـس عـلى العـــرش تلـــك المـــرّة هـــو الأمـــير (روي)، الـــذي كـــبرَ وأصـــبح رجلاً،بشـعرهُ المتمـوّج، حيـث هربـت بعـضٌ مـن خصـلاته مـن تحــت التــاج الفخــم الــذي اعــتلى رأســه. نهـضَ مُبتســماً فــورَ رؤيتنا،فاتحـاً يديَـه للترحيـب، قبـل أن ينـزل مـن عرشـه، وعباءتـه الملكيّـة الزرقـاء ترفـرف خلفـهُ عـلى آثـار خطواتـه، ليُعـانق أختـهُ كادما.

- عزيـزتي، أَحسـنتِ صُـنعاً بجلبـكِ كـاثرين لأتعـرّف عليهـا شخصـياً، ولتصـبح ضـيفتَنا للمـرة الأخـيرة حسـب طلبهـا... لكـن ألاحـظ وجود ضيفة جديدة؟

استغربتُ من كلامه واستدرتُ خلفي، لأرى ليندا خلفي تماماً، تنظر بدهشة وعينَين متّسعتَين إلى الملك وحراس العرش على جانبَيه.

- كاثرين... مَن هؤلاء؟ أين نحن؟! ما الذي يحدث بحقّ السماء أخبريني؟

في تلك اللحظة تسارَعَ نبضي بشدّة وترقرقت الدموع في عينيّ، لأنّ ذلك يعني أنّ ما رأيتهُ وما كانَ حولي وقتَها لم يكُن وهماً في رأسي، بل حقيقةً مؤلمة.

(ليندا – 2017/1/7م)

لقد عادت كاثرين، لكنها لا تعرف كيف اختفت تلك الأيام الثلاثة. عندما سألناها كانت تشرُد وكأنّها فعلاً تحاول التَذكّر ولا تستطيع، ثم تردّ:

- لقد كنتُ داخل الحفلة... أطفأنا الشموع وقطعتُ الكعكة مع بيتر، وبعدَها فتحتُ عينيّ ووجدتُ نفسي في المستشفى.

لم يحاول سايمون الضغط عليها، لكنّني شعرتُ ببركانٍ في قلبه، يغلي رُعباً وقلقاً عليها.

منذُ اختفائها وهو هكذا، فَفي تلك الأيام لم يرَ سايمون النوم ولم يأكل إلا القليل.

كيف لإنسان أن يطمئن وأغلى أحبابه قد اختفى ليظهر فجأةً في مكان عشوائي، دونَ ذكرى عمّا جرى.

كاثرين أصبَحَت غريبة منذُ عودتها، تفكّر كثيراً وتتكلّم قليلاً، لا تضحك من قلبها كما كانت تفعل، نظراتها توحي بالريبة من شيء مجهول.

أحسَّ سايمون بذلك،وقرَّرّ أن يفتح لي قلبهُ، فَبينما كنتُ جالسة بجانب المدفأة، أشرب كوب قهوة وأتصفّح موقعي على الإنستغرام، رنّ هاتفي بيدي وكان المتّصل سايمون. وضعتُ كوب القهوة جانباً وأجبتُه:

- ألو، مرحباً سايمون.

- كيف حالكِ ليندا ؟

- أنا بخير وأنت كيف حالك؟

كـان صـوتهُ مُريبـاً، وبـدا كأنّـهُ يُـدخّن سـيجارة وتحـدّث كُلّـما أنزلها عن فمه.

- لينـدا أنـا لسـتُ بخير. أشـعر كـأنّني أختنـق وفي صـدري غصّـة. هل يمكن أن ألتقي بكِ الآن؟

- الآن؟ ما الذي حدث أقلَقتَني؟

- إذا كُنتِ مشغولة فَلن أزعجكِ. أنا آسف...

- لا بـالعكس، تعـالَ الآن أنـا في المنـزل ولسـتُ مشـغولة... لكـن ماذا هُناك؟

- عندما أصل سنتحدّث.

- حسناً, سأكون بأنتظارك.

بعـد ربـع ساعة توقّفـت سـيارتهُ أمـام بـاب منـزلي، ليترَجَّـل منهـا ويقـف سـانداً ظهـرهُ عـلى صـندوقها الخلفـي. نظـرتُ إليـه مـن النافذة، بانتظار قدومـه لأفـتح لـهُ البـاب، لكنـهُ أخـرج هاتفـهُ وبـدا أنه يجري اتصالاً، فَرَنّ هاتفي، كلّمتُه.

- لينـدا اخرُجـي لنـتكلّم في الحديقـة، إذا لم يكـن لـديكِ مـانع. أنـا حقـاً ألـتقط أنفـاسي بصـعوبة، وأشـعر إننـي سـأختنق أكـثر في الداخل.

- حسناً، لا بأس اهدأ، أنا آتية.

ارتـديتُ معطفـي الصـوف الأسـود ووشـاحي الرمـادي، وخرجـتُ إليه. كانَ الجوّ بـارداً لا يشجّع عـلى الخـروج، لكـنّ ذلـك كـان أقـلّ مـا يمكـن أن أفعلـهُ مـع كـاثرين وسـايمون، فهـما عـائلتي الوحيـدة . ألقَت مشاعرهُ وتخبّطاتهُ الداخلية في عينَيه الحائرة.

- ما بكَ سايمون؟ هل حدث شيء بينك وبين كاثرين ؟

- كـاثرين، آه كـاثرين... لا أعـرف مـا الـذي حـدث معهـا وجعلَهـا تتغيّر لهذه الدرجة
. لا يمكننـــي رؤيتهــا هكــذا، أصــبحت قليلــة الابتســام ونظراتُهــا لي مُريبــة غامضــة! ألم تقُــل لــكِ شــيئاً؟ ألم تحــاول تَــذكّر مــا حــدث في أيام اختفائها؟
- ســايمون, لا يوجــد شخصــان يحبّــان بعضــهما ومرتبطــان بــبعض في العــالم بقــدركما عــلى مــا اعتقــد . أنــتُما لم تفترقــا ولــو ليــوم واحــد منذُ الزواج، هل ستفضّل هي أن تُخبرني بشيء لم تخبرَك به؟!
- إننــي أحــترق... مســتعد لفعــل أي شيء لأعــرف مــاذا بهــا وكيــف أســاعدها لتعــود كــما كانــت. يقــول الأطبــاء أنهــا لا تعــاني مــن شيء، إذن ما بها؟!
- ســايمون صــدّقني، الأيــام تــداوي كــلّ شيء. ســتعود كــاثرين كــما كانت وستتذكّر ما جرى وتُخبرنا به. فقط امنَحها الوقت الكافي.
لم أعــرف إن كنــتُ مصــدّقة لمــا قلتــهُ لســايمون،لكنّني حقــاً تمنّيــتُ عــودة كــاثرين لطبيعتهــا بــأقرب وقــت، لــنفهم مــا حَــدَثَ لهــا ونطمــئن عليهــا. شــعرتُ بــالأسى عــلى حــال ســايمون، إذ كــان ضــائعاً لا يعــرف مــا ســيفعل مــع كــاثرين أو كيــف يتصرّــف مــع أمرهــا. لم يستحق أن يمرّ بتعاسةٍ كَتِلك.

الحُــبّ الكبــير نقطــة ضــعف أحيانــاً ونقطــة قــوّة أحيانــاً أخــرى، هــذا مــا يحــدث عنــدما تُحِــبّ بِصــدق،وهذا مــا لمســتُه في علاقــة كاثرين وسايمون.

عــاد زائــري إلى ســيارته ودلفــتُ أنــا إلى المنــزل، عــدتُ إلى قهــوتي التــي بــردت لأرتشــف منهــا قلــيلاً. أعــدتُ الكــوب إلى الطاولــة

وأخــذتُ هــاتفي،فَوجــدتُ رســالة جديــدة مــن كــاثرين عــلى الواتساب.

- كيفَ حالكِ ليندا؟ ماذا لديكِ اليوم؟

- مرحبــاً عزيــزتي كــاثرين، أنــا بخــير. لــيس لــدي شيء، أتصــفّح الهاتف وأتناول قهوتي كالعادة.

- مـا رأيـكِ بـأن نخـرج سـويةً. أريـد أن أرفّـه عـن نفســي، فقـد غمرتني الكآبة. دعينا نذهب إلى مدينة الملاهي!

- بالطبع، لنخرج...

انتظرتُها أمـام مدينـة الملاهـي،أوقفَـت سـيارتها ونَزَلَـت ثـم فتحـتُ الباب للسيّد الصغير الجميـل لينـزل. "كـم أحبّـهُ يـا إلهـي! " ناديتـهُ وانحنَيت فاتحةً ذراعيّ لأعانقه.

- هل تأخّرتُ عليكِ؟

- لا على العكس، لكن لمَ لَم يأتي سايمون مَعكُما؟

- أريـد أن أغـيّر مزاجـي قلـيلاً لعـلّي أسـتجمع نفســي ثانيـةً، فأنـا أسـبّب لـهُ التعـب هـذه الأيـام. لقـد نـام، كـان مُتعبـاً ولم أشـأ أن أوقظهُ.

- هل نام فور وصوله؟!

- نعـم، لأنـهُ وجـدني نائمـة، ومـن عادتـه عنـدما يجـدني نائمـة ألّا يقوم بإيقـاظي، بـل ينـام بجـانبي وهـو يعـانقني. عنـدما اسـتيقظتُ وجدتهُ مستغرقاً في النوم وذراعهُ تحتَ عنقي، فَلم أزعج راحتهُ.

- كاثرين، ألا تلاحظينَ أنّكِ...

قامـت بمقاطعـة كلامـي، ربمّـا لأنهـا تعـرف إننـي سـوف أسـأل مـا خطبُها.

- هيا كفانا حديثاً، دعينا ندخل ونستمتع.
دخلنا إلى مدينة الملاهي لِنَلعب مع بيتر وكأننا في عمره. دخلنا نفق الرعب، قطار الموت، سيارات التصادم، وغيرها. كلّما بدأت كاثرين بالضحك والاندماج معنا كانت تتحول ضحكتها إلى ابتسامة قبل أن تتلاشى، كأنّ شيئاً غامضاً كان ينغّص عليها الفرح. حاولتُ انتهاز الفرصة في وقت تلاشي البسمة من شفتيها، عندما كنّا واقفتَين قرب عربة لغزل البنات، فَسألتُها:
- ما بكِ كاثرين؟ أنتِ لستِ على ما يُرام .ألستُ صديقتكِ التي تثقين بها؟
انتبهت لي كاثرين من شرودها، كأنّني قاطعتُ سلسلة أفكار عميقة، تدورُ في متاهة وتسمع صوتاً لا تعرف كيفَ سيساعدها هذا الصوت، فكلّ الطرق تتشابه عليها ولا تعرف من أي طريق يأتي.
- ما... ماذا قلتِ؟ عذراً ليندا لم أنتبه. ماذا كنتِ تقولين؟
- قلتُ أنَّ بكِ شيء غير طبيعي .أنتِ تُخفينَ عني أمراً، صح؟
- ليندا بربكِ هل أعجبكِ التحدّث وسط ضوضاء الملاهي؟! من الطبيعي إنّني لن أتمكن من سماعكِ. دعينا نتحدث لاحقاً.
عرفتُ أنها قد سمعتني، وأن أصوات الملاهي لم تشكّل ضوضاء بالقدر الذي يمنعها من سماعي بينما كنتُ واقفة بجوارِها. كنتُ أشكّ بأنها تُخفي شيئاً،وبعد ما حدث صرتُ شبه مُتأكّدة. خرجنا من مدينة الألعاب بعد ساعتين وكان بيتر مُتعباً جداً ويريد الرجوع للسيارة لكي ينام في الطريق إلى المنزل، لذا لم تُتح فرصة للكلام وقتَها.

فكّـــرتُ بزيارتهـــا في صـــباح الغـــد، فـــور خـــروج ســـايمون للعمل،وعدم تركها ما لم أعرف ما الـذي تخبّئـهُ بالضبط. خرجـتُ في صباح اليـوم التـالي، ومـررتُ بمطعـم فلامينكـو في الـرُّكن المقابـل لمنـزلي لأخـذ وجبـة فطـور قبـل أن أتّجـه إلى كـاثرين لنفطـر سـويةً. وصـلت إلى منزلهـا فنزلـتُ ومعـي الأكيـاس، التـي لـن تسـتغرب كاثرين منها فهي تعرف عشقي للطعام.

دفعـتُ البـاب بركبتـي فـانفتَح. "هـل يُعقـل أنّ سـايمون نَسـيهُ مفتوحـاً عنـدما خـرج للعمـل؟" دخلـتُ ووضـعتُ الأكيـاس في المطـبخ، ناديـتُ كـاثرين أكـثر مـن مـرة ولم يُجِبنـي أحـد، فغمـرَني الارتيـاب. "مـاذا لـو اقـتحمَ شـخصٌ مـا المنـزل؟!" صـعدتُ بحـذر إلى الطـابق الثـاني، وصـلتُ غرفـة بيـتر فكـانَ نائمـاً في سريـره، وبقـيَ أن أتفقّد غرفة كاثرين المجاورة.

كـان بابهـا مفتوحـاً والفـراش مُبعـثر والغُرفـة خاليـة نزلـتُ ابحـث في المنـــزل حتّـــى ســـمعتُ صـــوت صُراخ قـــادم مـــن الحديقـــة الخلفيـــة , اقتربـــتُ مـــن الشُرـفة لأرى امـــرأة تـــتكلّم مـــع كـــاثرين فسمعتُ كلامهما بتركيز .

- أنـتِ حقـاً غـير مُدركـة للخطـر الـذي يهـدّد كـوكبكم كُلّـه، ولا تُريـدينَ حتّـى اسـتيعاب أنّ بإمكانـكِ إنقـاذ عالمـكِ وعالمنـا... وأول شـخص بيـديكِ أنـتِ فقـط تخليصـه هـو ابنـكِ بيـتر. ألا تريـدين إنقاذه؟

- أنقـذهُ مـن أبيـه؟! مـا تقولينـهُ حماقـة لا يمكننـي تصديقُها. ذلـك الملـك يحمـل وجـه سـايمون لكنـهُ لـيس هـو أبـداً... مـن المسـتحيل أن يكون هو...

- عاطفتـكِ هـي مـا تـتحكّم بـكِ الآن. صـدّقيني تعـالَي معـي للمـرة الأخيرة ولن آتي إليكِ بعدَها... أنا أعدُكِ.
"ما هذا الهـراء الـذي أسـمعهُ يـا إلهـي"! هبـت ريـاح عاليـة ضربـت البـاب الامـامي للمنـزل لألتفـت ثـواني وعنـدما اعـدتُ نظـري نحـوهما البـاب لم أجـد احـداً , اقتربـتُ مُسـرعة مـن المكـان الـذي كانا فيه فلـم سـوى فتحـة في أرضـية الخشـبية ، وكأنهـا بركـة مشـعّة مـن الميـاه المضـيئة زمرديّـة اللـون" .هـل هـذا حلـم؟ هـل دخلـت كـاثرين في هـذا الشـيء؟!" اقتربـتُ منـه بخطـواتٍ متوجّسـة، وأنـا أحمـل شـمعداناً معـدنياً كنـتُ قـد أخذتـهُ مـن غرفـة الضـيوف في الأسـفل لأسـتعمله كسـلاح عنـد الحاجـة. حاولـتُ لمـس البركـة التـي كانـــت تصـــغر بشـــكل سريـــع، ومـــا أن لمســـتُها ســـقطتُ داخلها،وبـدأتُ أغـرق وأختنـق، وفجـأة صرتُ مثـل الريشـة، أعـبر أمـاكن لا حصـر لهـا بسـرعة الـبرق، لدرجـة أننـي لم أميّـز لونـاً أو شـكلاً مـمّا مـررتُ بـه .ضرب وجهـي هـواءٌ قـوي وشـعاع، ولم أشـعر إلا بـأرضٍ حجريّـة تحتـي. رفعـتُ رأسي فـإذا بهـا قاعـة عظيمـة هائلـة، فيهـا عـرش غريـب جـداً يجلـس عليـه ملـك يرتـدي تاجـاً عاليـاً، والعجيـب أن كـاثرين كانـت هنـاك ولم تسـتغرب مـن المكان! لم يخطُر في بالي أبداً أنّ سرّها سيكون هكذا.
- كاثرين... مَن هـؤلاء؟ أيـن نحـن؟! مـا الـذي يحـدث بحـقّ السـماء أخبريني؟

16

لا يشبه...

(كاثرين 8\1\2017م – كوكب أوزوريس)

"الآن قد اكتملَ الكابوس، ليندا دَخلَت معي**!** "

- ما الذي أتى بكِ إلى هنا ليندا؟ ستفهمين فيما بعد.

- كاثرين، هل الأمر بهذه البساطة؟! لقد انتقلنا بطريقة خارقة للطبيعة إلى مكان عجيب بين أناس ومخلوقات غريبة، وتقولين ستفهمين فيما بعد؟!

ليندا لم تعرف إنني أريد إنهاء تلك المهزلة والعودة إلى حياتي الطبيعية. لقد تأكدتُ أن كلّ شيء في هذا العالم والكوكب حقيقي، لكن ذلك لا يعني أن كلامهم عن سايمون حقيقة، لذا لن أصدّق ادعاءاتهم بشأنه دون أدلّة دامغة. قاطعَنا الملك روي:

- كاثرين أرجوكِ، نحنُ لا نتصرّف هكذا مع ضيوفنا،وصديقتكِ ضيفتنا مثلكِ تماماً لذا سأتولّى مُهمة الشرّح لها، لأنها أيضاً ستساعدكِ في اتخاذ قراركِ، الذي سيُحدّد مُستَقبَل الكون بأكمله...

- أي قرار تقصد؟ هل مصير الكون يتوقّف على قرار منّي؟!

- نعم، أنتِ الآن أملنا الوحيد.

استدار نحو ليندا.

- آنسة ليندا نتشرّف بكِ على كوكب أوزوريس.

- كوكب ماذا؟ هل تقصد أننا لم نعُد على الأرض؟!

- بالتأكيد لسنا على الأرض، فهذه قاعة عرش أوزوريس.

- ما هو أوزوريس؟ ما هذا الجنون , لا توجد حياة سوى على كوكب الارض...

كيف استطعتُم العيش هنا ولماذا لم يتم اكتشافكم؟ وكيف تتكلّمون لغتنا وتشبهوننا لهذهِ الدرجة؟!

- لم تستطع حملات البشر الاستكشافية إيجادنا أو إيجاد أثر يدلّ علينا لأننا أردنا ذلك. لدينا أغلفة غازية تحمينا ونحنُ تحتها نعيش، على أرض متنوّعة ببحارها وسماءها وغيومها وبراكينها وجليدها، ولكوكبنا ثلاث كويكبات متوهّجة تدور حولهُ، تحوّل الليل إلى نهار. مَن خلقَنا خلقَ لنا هذا النظام لكي يحمينا من المتطفّلين، خصوصاً البشر! للأسف إنهم من أكثر الكائنات طمعاً على وجه الكون، وما أن يجدوا أثراً للحياة أو دليلاً على وجود كائن في كوكب غريب عنهم يقومون بالاستيلاء عليه.

تعجّبتُ من كلامه، فقاطعتُه:

- إذن أنتَ تحقد على البشر؟

- بالعكس، ليس جميعهم هكذا بل أغلبهم، وأنا أتمنى من كُل قلبي أن تنتهي أنانيّتهُم وجشعُهُم المفرط، والدليل على ذلك أنني أرسلتُ لكِ أختي كادما، لكي أساعد بني جنسكم على تفادي الدمار والخطر القادم إليهم.

- ما الذي تقولهُ... أي دمار سوف يتعرّض لهُ البشر وكيف؟!

- ما الذي تريدونهُ من كاثرين؟ هل هذا تهديد بغزو الأرض من قِبلَكم؟

- ليندا توقّفي أرجوكِ أنتِ لا تفهمينَ...

- سيّداتي، هذا ليسَ تهديداً ولا شيء من هذا القبيل، بل هو تحذير لكم من شخص ملعون من كوكبنا، قُمنا بسجنه منذُ قرن، حتى حرَّرهُ إنسان في يوم من الأيام، والملعون الآن يعيش بينكما وترَيانهُ كلّ يوم. هذا الشخص سيعيد معاهدتهُ مع داركيستر إله الظلام، وهذه المرة لن يرحم أحداً منا ومنكم إطلاقاً.

اِتُجيبهُ ليندا بِنفور وقَلَق

- نحنُ لا نعرف فضائيّين أو غريبي الأطوار، أنتَ مُخطئ بشأننا.

- انظُري، لا تعتقدي أننا نخفي تحت هذا الجسد شكل وحوش أو تركيب مُختلف عنكم. إننا مثلكم تماماً في التركيب والخلايا والأعضاء الداخلية، ونعرف كل لغاتكم وتقاليدكم. الفرق الوحيد بيننا أن خلايانا متطوّرة بشكل لم تبلغهُ أجسامكم. لذا لن تتعرّفي على ذلك الملعون من الخارج، وحتّى إن فتحتَم جسده .لكن أجسامنا تتماثل للشفاء من الجروح والإصابات أسرع بسبع مرات من أجسامكم، أي أنّ ما يشفى لديكم في شهور، يشفى لدينا في أيام قلائل.

في أثناء حديث الملك، كنتُ واقفة في الوسط عندما شعرتُ بانقباض صدري، وكلّ ما حولي بدأ بالدوران. نظرتُ إلى الوجوه وكأنّ حاجزاً زجاجياً يملؤه بخار ماء مُتلألئ فصَلَني عنهم .فجأةً دخل أحد الجنود للقاعة مُسرعاً، فاستَدرنا نحوهُ ورَمقهُ الملك بنظرةٍ غاضبة.

- جلالتك أعتذر جداً لكنّنا في مُصيبة...

- كيف تجرؤ على اقتحام غرفتي هكذا! كيف سمحَ الحرس...
- مولاي لم يعُد هناك حرس ...غُبار الأوماروس بدأ ينتشر في كُل مكان على أرض أوزوريس وقد دخل القصر، إنه يملأ قاعة العرش، ألم تنتبهوا له؟!
- اللعنة! اغرُب عن وجهي الآن!
فهمتُ أنّه قصدَ ذلك الضباب الذي أحاط بي، وهو غبارٌ أبيض غامض التركيب، متكوّن من ذرّاتٍ دقيقة لامعة تعوم في الهواء. تحوّلت ملامح الملك فَعقَدَ حاجبَيه وصفّقَ بيديه غضباً، وصار يمشي جيئةً وذهاباً في إثر التوتر الذي غزاه فور معرفته بخبر انتشار ذلك الغبار في الجو. في تلك الأثناء كان كتفي يؤلمني من نكز ليندا لي، وهي تهمس لي بأسئلة لا أعرف إجاباتها.
- كيف جئنا إلى هنا؟ منذُ متى تعلمينَ بأمرهم؟...
"بمَ أردّ وأنا نفسي لم أستطع تصديق حدوث ذلك كلّه؟" كنتُ أركّز على الملك، فَردودُ أفعاله في تلك اللحظات هي ما ستُبيّن نواياه، ولماذا أتى بي وكيف يحذّر البشر عن طريقي أنا بالذات . ما لبث أن استدارَ وتقدّمَ نحوي ناظراً إليّ، قبل أن يرفع يدَيه ويضعهما على أكتافي.
اندهشتُ وشعرتُ بالخوف للحظة ونظرتُ في عينيه، شعرتُ بخوفٍ صارخٍ بداخله، كأنّهُ يحاول التشبّث ولو بشعرة أمل. كان العرق يتصبّب على وجهه وبدا مرعوباً بمعنى الكلمة.
- كاثرين،أنتِ الآن أملنا الوحيد. سايمون على وشك العودة... الظلام يتوسّع بشكل سريع لا يُمكن تصديقهُ، وهذا لأن سايمون اقترب.

جنـود داركسـتر أصـبحوا أقـوى وهـم يفتكـون بكـل شيء أمـامهم خــلال تقــدُمّهم. هــذا الغبــار هــو نــذير عــلى أرواح المقتــولين، في كوكبنــا المخلوقــات التــي يــتمّ قتلُهــا تتحــوّل أجســادها إلى غبــارٍ كهذا.

- لِمَ لا تحــاربونهم وتمنعــونهم مــن القتــل؟ وكيــف أكــون أملكــم الوحيد؟! لا أعرف ما الذي تنتظرونه مني...

- لــن نــتمكّن مــنهم بالقتــال، فَــإن قتلنــا واحــداً ســيظهر ثلاثــة بعــده،ولكلّ واحــد مــنهم بــدلاء أكــثر. إنهــم أقويــاء ويســتمدّون قوّتهم هذه من وجود سايمون...

قاطعَتهُ ليندا بذهول:

- دقيقة، أنتَ تقصد سايمون زوج كاثرين؟!

- نعــم. هــو الشــخص الملعــون الــذي حكــم هــذه الأرض قــبلي وملأهــا طغيانــاً وإجرامــاً، وتــمّ لعنــهُ وحبســهُ، لكــنّ الحجــر الــذي حُــبسَ بداخلــه عــاش في كنــف كــاثرين، جــاعلاً منهــا أســهل طريقــة لنيل مبتغاه.

- لا يمكنني تصديق هذا الهُراء، مستحيل!

بــدت عــلى لينــدا علامــات الإنكــار التــامّ لمــا يُقــال، ونَمــا بــداخلي الإحساس بأنّهم فعلاً مُخطئون.

- أنــا لــن أنفعكــم بشـــيء، ولــن أفعــل شــيئاً أصــلاً، فمَــن تقصــدونهُ ليس سايمون زوجي.

- مــاذا تعنــين؟ ومــاذا عــن كــل الأرواح التــي ســتزهق ألا يهمّــكِ أمرهــا؟! ســيغزو الأرض وأوزوريــس، وســيموت الجميــع وأوّلهــم ابنكِ، هل ستسمحين لهُ بذلك؟!

سبّبَ لي قولُه ألماً من الداخل، كيف يقول أن سايمون سيؤذي بيتر! شعرتُ بغضبٍ شديد وشعرت بالدم يغلي في عروقي.

- كفاكَ قولاً للترّهات!
أنا لا أصدّقك.
- حسناً، تعالي أريكِ ما يحصل...

أمسكَ بيدي بقوّة وجرّني نحو ممر القصر، حاولتُ تخليص يدي لكن قبضتهُ كانت قوّية جداً.
- اتركني، لن أذهب معك إلى أي مكان...

قادَني إلى ساحة كبيرة لها سورٌ عالٍ وسقف مفتوح، وقام بمسكي من خصري، وقبل أن أردّ على ما فعلهُ، والذي اعتبرتُه وقاحة، ارتفعَت قدميّ عن الأرض بسرعة، ولم تمضِ سوى لحظات حتى كنّا في السماء.

أصبحت الأرض بعيدةً جداً وشعرتُ أن جسدي صار أثقل، كأنّني سأسقط في أية لحظة،بغضّ النظر عن الهواء الشديد الذي ضرب وجهي مما صعّبَ عليَّ التنفس.
فكّرتُ أنهُ قد تحوّلَ إلى كائن طائر ليحلّق بي هكذا، لكنني لم أتحلَّ بالشجاعة الكافية للالتفات إليه، فقد غلبني الخوف ولم أعرف إلى أين يأخذني.

فجأةً بدأ الهواء يسخن، وفتحتُ عينيّ بصعوبة لأرى ما الذي يحدث، وإذا بي أرى دخاناً هائلاً أسود يغطّي مساحة كبيرة من الأرض، مُطلّة على بحر من الحمَم البركانية.

تصاعدت سحب الدخان من نيران نشبت على تلك الأرض،وبدت أنها على وشك الانطفاء بعد أن حوّلت كل شيء إلى رماد.

تناثرت جثث مخلوقات غريبة الأشكال في كل مكان،واقتربنا من الأرض لدرجة كبيرة حتّى ترِكَ خصري،فوجدتُ نفسي واقفة على تلّة وسط تلك الأرض.

نظرتُ حولي، كانت الجثث على مدّ البصر والأرض قد صارت رماداً يتصاعد منه الدخان. التفتُّ إلى الملك روي، الذي كان قد استعاد شكله الطبيعي ثانيةً، فقال وهو يتقدّم أمامي.

- هل ترَين يا كاثرين؟ هذهِ مخلّفات سايمون وعودته. جيوش داركيستر بدأت تتعاظم بشكل سريع، وقريباً سيزداد توسّعها. إنها تقتل وتخرّب كل شيء وكل أرض تسير عليها. قريباً سايمون سيُحيل أوزوريس والأرض كلّها إلى رماد، يحكمانه هو وإله الظلام، معاهدتهُ القديمة معه تُحتّم عليه فعل ذلك .إن لم تساعدينا أنتِ فهذا سيكون مصير البشر وسلالات أوزوريس كما ترين الآن، أكوام من الجثث المذبوحة والمحروقة، بحر من الموتى الأبرياء، وعلى رأسهم ابنكِ بيتر، فَبهِ فقط سوف يعيد قوّته إلى سابق عهدها، ولن يتوانى عن فعل ذلك أبداً صدّقيني.

- وما الذي تريدُ مني أن أفعله؟! لا أستطيع فعل شيء، لمَ لا تفهم؟ لا يمكنني تصديق أنّ سايمون هو الشخص الذي تتحدّث عنه، وحتى إن صدّقتُك وتأكّدتُ بنفسي من هذا الشيء فَلَيس بيدي سوى أن أتركهُ وأهرب مع ابني بعيداً عنه. هل هذه هي المساعدة التي تقصدها؟

- لـن تسـتطيعي تركـهُ أو الهـرب منـه، لـن يسـمح لـكِ، وحتّـى إن استطعتِ الهرب فسوفَ يجدكِ. الحلّ الوحيد هو قتله.
- مـا هـذا الهـراء؟! وكيـف أسـتطيع أنـا قتلـه بيـنما لم تتمكّنـوا أنـتم من ذلك؟
- افهمينـي كـاثرين أرجـوكِ. قـانون لعنـة أنتريـاس يـنصّ عـلى أن الشـخص الـذي سـاعدهُ عـلى التحـرّر هـو مَـن يسـتطيع قتلـه أو سـجنه وإعادتـهُ كـما كـان، لـذا أنـتِ الوحيـدة القـادرة عـلى إتمـام هـذه المهمـة. يجـب أن تفعليهـا لتنقـذي كـلّ الأبريـاء، دعـكِ مـن الجميع، ألا يهمّكِ ابنُك؟
سـيتمّ تقديمـه قربانـاً لإلـه الظـلام! فكّـري بـالأمر أرجـوك ...الآن بإمكانكِ العودة، وأتمنى أن تفكّري جيداً.
فـتحَ لي بوابـة خلفـي، لكنّنـي وقفـتُ أتأمّـل في تلـك المخلوقـات المسـكينة وفي حـال الأرض. "إنـهُ حقـاً جـيش مُـدمِّر، لكـن كيـف أقـنعهم أن سـايمون لـيس الشـخص المقصـود". فكّـرتُ أنّ تلـك آخـر زيـارة لي لكـوكبهم، وسـأذهب بـلا عـودة. اسـتدرتُ نحـو البوابـة لأدخلها لكنّ الملك ناداني.
- كاثرين، انتظري.
خشيتُ أنـهُ نـوى حبسـي في كـوكبهم حتـى أوافـق عـلى طلبـه، إذ لا بـد أنـهُ سيسـتخدم القـوّة معـي بعـد أن فشـل اللّطـف.بلعـتُ ريقـي الـذي نشـف مـن الخـوف وأسرعـتُ بالتقـدّم نحـو البوّابـة قبل أن يغـيّر رأيـهُ ويغلقهـا، لأجـده فجـأةً واقفـاً في طريقـي. نظـرتُ إليـه بِثقـة قـدر اسـتطاعتي، لـكي لا يشـعر بخـوف أو ضـعف فيَّ يمكـن اسـتغلاله لإقنـاعي بالعـدول عـن رأيـي. رمقَنـي بنظـراتٍ

حـادّة جعلتنـي أرتعـد خوفـاً مـن الـداخل، قبـل أن تتغـيّر ملامحـه فجأة.

- أتمنـى ألّا تنـدمي عـلى قـرارِكِ هـذا، لكنّنـي مُتأكّـد أنـكِ سـوف تتراجعـين عـمّا قريـب، لا سـيّما إن أحسـنتِ اسـتخدام عينَيـكِ وأذنيـكِ وأصبحتِ تُبصـرين ولا تنظـرين فقـط. انتبهـي لـه وسـوف تتأكّدين مـن صحة كـل كلمـة قلتُهـا لـكِ، وإلى ذلـك الحـين سـأكونُ موجـوداً لمسـاعدتكِ بإنقـاذ نفسـكِ وابنـكِ والعـالم مـن هـذا الشـرّ،حتى إن تخلّيـتِ عـن مسـاعدتنا فـنحنُ لـن نتخـلَّ عـن مساعدتكِ.

كان يرتدي سـواراً، أشـبه بنبـات متسـلّق ملفـوف عـلى يـده وفيـه حجـرٌ مضـيء، خلعـهُ مـن يـده ليمسـك معصـمي ويلبسـني إيـاه. سحبتُ يدي فَسقطَ السوار أرضاً، لينحني روي ويلتقطهُ.

- أنـتِ لا تثقـينَ بي أبـداً، مـع إننـي مُسـتَعدّ لفعـل أي شيء لمسـاعدتكِ، بيـنما تحبّـين ذلـك الملعـون الـذي يحمـل شرّ العـالم كلّـه، وتعيشـين معـه وتثقـين بـه. ألـيس هـذا مُضـحِكاً! أحيانـاً ضعفُكِ هو ما يدفعكِ لعِشق مَن يؤذيك.

- لم ولـن أحـبّ أحـداً في حيـاتي بقـدر حبّـي لسـايمون... لا يُهمّنـي مهما يكن ومهما سأعرف عنه، لن أؤذيه أبداً.

- حسـناً كـما تريـدين. هـذا السـوار اسـمهُ الكاهـال، تسـتخدمهُ العائلـة الحاكمـة مـن سـلالة الأوماريـا للتواصـل بيـنهم، حيـث إذا أصـاب أحـدَهم مكـروه يكفـي أن يلمسـهُ وينـادي الآخـر، وأنـتِ بإمكانـكِ أن تنـاديني إن احتجـتِ لِمسـاعدة، في حـال اكتشـفتِ الوجه الحقيقي لسايمون.

- حسـناً أنـا أشـكرك. هـل سـتنتقل ليندا معـي، أم أنـكَ تنـوي الاحتفاظ بها؟

- لا تقلقي، ليندا سيتمّ نقلها إلى الأرض، وربّما تسبقكِ في ذلك.

أخـذتُ السـوار وأنـا واثقـة مـن إنني لـن أسـتخدمه،لكنّنـي أحسسـتُ أنّ روي لـن يـدَعَني أذهـب بدونـه. دخلـتُ البوابـة وبعـد دقـائق مـن الإنتقـال الـذي اعتدتُـه وجـدتُ نفسـي في غرفتـي وليندا واقفـة أمـامي. كانـت في البـدء مصدومة مـمّا رأت غـير أنّهـا سرعـان مـا تمالكـت نفسـها وبـدأت تسـتجوبني، فَجلسـتُ معهـا وحكيـتُ لهـا بالتفصيـل مـا حـدث لي سـابقاً، لكـن الغريـب في الأمـر أنهـا لم تسـتبعد كـون سـايمون هـو الملعـون حقـاً، بـل أخذت تستذكر ما قلتهُ لها من لقائي الأول به.

- كـاثرين ألم تقـولي أنـكِ التقيـتِ بسـايمون لأول مـرة عنـدما نسيتِ القـلادة في سـيارة الأجـرة ويئسـتِ منهـا بعـد ملاحقتـكِ لهـا، ثـم ظهر هو أمامـكِ فجـأة وكـان يعـرف كـل شيء عـن الصندوق، حتـى إنه عرف بأنّكِ لا تعلمين ما بداخله؟

- نعـم بالضـبط، لكنـهُ كـان داخـل المطعـم وقـد سَـمِعَ كلامـي مـع النادل، لذا عَرَف قصة الصندوق فأرادَ مُساعدتي.

- وقَـد يكـون أحـسّ بـالخطر عنـدما ابتعـدَت القـلادة عنـكِ وأعادَها إليكِ ليبقى بجانبك، لأنّ بقاءها معكِ يعني بقاءهُ هو!

- مـا الـذي تتفـوّهين بـه لا يمكـن أن يكـون الأمـر هكـذا. سـايمون بشر مثلي ومثلكِ، ما بكِ ليندا؟!

- انتظـري أرجـوكِ يجـب أن نـربط الخيـوط ببعضـها. عنـدما فتحـتِ الصـندوق أول مـرة وقـرأتِ الرسـالة وشـاهدتِ

القلادة،كنـــتِ مُنهـــارة وكانـــت هنـــاك عاصـــفة ثلجيـــة في يومها،وخرجـتِ وأنـا نائمـة. كيـف وجـدكِ وعـرف أنـكِ بحاجـة للمسـاعدة إن لم يكُـن حقـاً معـكِ في كـلّ خطـوة ويخطّـط للظهـور لكِ في ذلك الوقت بالتحديد.

- اصمِتي ولا تقولي كلمة أخرى وإلا...

- وإلا مـاذا؟ مـا بـكِ كـاثرين؟ قـد يكـون الأمـر بالفعـل أخطـر مـمّا تتصوّرين وأنتِ غـير مُدركـة لمـا تفعلينـهُ بنفسـكِ. أنـتِ فعـلاً لسـتِ متأكّـدة مــن أي شيء يخصّــه، أتــذكُرين الحادثــة التــي حصــلت معــه، وكيــف قــال الطبيــب حينَهــا أنّــهُ تماثــلَ للشــفاء أسرع بأضعاف مـن المتوقّـع وأنّهـا معجـزة إلهيـة؟! أنـا لا أجـزم بصـدق مـا رأينـاه، لكـن يجـب ألّا نسـتبعد ذلـك الاحـتمال كـما تفعلـين. عـلى الأقـل راقبيـه، قـد تلمحـينَ دلـيلاً مـا، وإن لم تجـدي شـيئاً عنـدها سـيكون بريئـاً مـن كـلّ الشـكوك. لا تـدعي حبّـكِ لـه يعميـكِ، إذا اتّضـحَ إنـهُ فعـلاً الملعـون الـذي يتحـدّثون عنـهُ فهـو لا يحبّـكِ ولا يهمّهُ أمـركِ، بـل يتّخـذكِ أنـتِ وبيـتر وسـيلة لتحقيـق غايتـه، وإن لم يكن هو فانسَي كلّ ما حدث ولتَعُد حياتكما طبيعيّة كما كانت.

- ليندا، مستحيل... سايمون ليس ذلك الشخص، انتهى النقاش.

(سايمون)

ظلام، كلّ ما حولي ظلام. ما عدتُ أرى خيطاً من النور يُهديني إلى سبيل، أو يجعلني أشعر أن ما مررتُ بهِ مجرّد حلم،سأستيقظ منهُ لأجد نفسي على سريري بجانب حبيبتي كاثرين، أنفاسها قرب أذنيّ وعطرها يملأ المكان. الآن هُنا وسط الظلام لا أسمع سوى نبضات قلبي المُتسارعة، وأصوات حركتهم حولي، أشباح أنترياس. لطالما اعتدتُ على أصواتهم وهم يقيّدونني ويمتصّون كلّ ما لديّ من طاقة، لدرجة أنني لا أتمكن من النهوض بعدها. أشعر الآن إنني بلا قيمة ولا أساوي شيئاً. قلبي يؤلمني بشدة، ينبض بسرعة وقوّة، وقد تكون إحدى هذه النبضات هي الأخيرة له، وكم أتمنى ذلك! أريدُ اقتلاعهُ من صدري ليكفّ عن الانقباض بهذا الشكل الرهيب.
لا يؤلمني كوني مقيّد في ظلام أنترياس، ما يؤلمني حقاً، ويجعل دموعي تنسكب دون توقّف، والذي أبكاني لأول مرة في حياتي وجعلني أتذوّق طعم دموعي وهي تسقط في فمي هو كاثرين. كاثرين التي أحببتُها أكثر من أي شيء في العالم،تغاضيتُ عن هويتي لأجلها، لم أستطع أن أقف كالمتفرّج وأنا أرى أحزانها ودموعها. عشقتُها بكلّ ما لديّ من مشاعر،كنتُ بقربها أنسى أنني مجرّد ملعون سجين في حجرٍ تحملهُ في قلادتها. كنتُ أنسى ما ينتظرني من أعداء وثأر يجب علي العودة لأخذه،حتّى تمنيتُ لو كنتُ حقاً بَشَراً مثلها. عشقتُ النظرة الساحرة في عينيها، دموعها، غضبها وضحكتها.

أتذكّر شكلها عند طفولتها، عينَيها الخضراوين ونظرتها البريئة. رافقتُها في بادئ الأمر لحمايتها،فأنقذتُها عندما غرقت السفينة مع عائلتها الحقيقية بكلّ ما استطعتُ من قوة، بعد خروجي من جبل أنترياس. صحيحٌ أنني كنتُ السبب في غرق السفينة،لكنّني أقسم أنني لم أكن أقصد ذلك. أردتُ فقط أن ألمسها.أسرَتني ضحكاتها الطفولية وهي داخل مهدها فخرجتُ من الحجر[1] لألمس وجنتَيها. كانت كالملاك بل أجمل، تضحك لي وكأنّها تعرفني. ذابَ قلبي وتحرّكت مشاعري لبراءة الطفلة،وفي تلك اللحظة دخل والدها. رآني بجانب مهدها فَجُنّ جنونه وصرخ متناولاً مُسدساً بيده.

- مَن أنتَ وكيف دخلت؟ ابتعد عن ابنتي!

اختفيتُ بسرعة عائداً للحجر، لكنهُ كان قد أطلق النار،فَفزعَت زوجتهُ التي كانت تقود المَركب وجاءت راكضة،تاركةً دفّة القيادة بلا سائق. اصطدَمت السفينة بصخرة في البحر تسبّبت في تحطّمها ثم غرقها. اصبحتُ حينَها كالمجنون، خرجتُ من الحجر لأبحث عنها وأنقذها من الغرق،حتى وجدتُها وحملتُها إلى الشاطئ قبل أن أعود إلى القلادة، بانتظار اكتشافها من أي شخص، والحمد لله أتى أحد شرطة السواحل وأخذها لمنزله. منذُ تلك اللحظة لم أفارقها ولو

1-(أي شخص يتم لعنهُ في جبل أنترياس لا يستطيع الخروج من الحجر واستعادة طاقتهُ الا بعد خروج الحجر من الجبل، وعلى كوكب آخر غير أوزوريس... لتفاصيل أكثر راجع سجلات أوزوريس، قسم صحاري أنترياس المُحرّمة).

لثـوانٍ، وأخرَجتُهـا مـن كـلّ مـأزق وقعَـت فيـه. كنـتُ قـد عشـقتُها دون أن أشـعر، كنـتُ أجـنّ إذا أصـابها جـرحٌ بسـيط. شـعرتُ أننـي لا شيء بـدونها، وارتبطـتُ بهـا بكـلّ تفاصـيلها. يبـدو إننـي كنـتُ مُحتاجـاً لهـا أكـثر مـن حاجتهـا لي! لم أسـتطع العـودة لمـوطني وتركهـا، ولم أسـتطع إخبارهـا بحقيقتـي لأننـي خفـتُ أن أفقـدها. أريـد أن أكمـل مهمّتـي التـي تركتُهـا خلفـي، لكـن كيـف أتـرك كاثرين!

الآن أنـا بمفـردي وقـد عـاد الظـلام ليحـيط بي مـن كـلّ جانب،وسـط هـدوء قاتـل، ولم تبـقَ سـوى ذكريـاتي التـي تطـاردني. لكن ما حَدَثَ بيننا لا يُنتسى.

17

أحببت ملعوناً...

(كاثرين 15\1\2017م)

لم أصدّق شيئاً ممّا رأيتهُ بعينيّ وما قالتهُ لي ليندا، لكنّني بقيتُ في شكٍّ مدمّر. عدتُ إلى المنزل بعد أن كنتُ خارجة مع ليندا وبيتر، فَقَد صرتُ لا أتركهُ بِصُحبة سايمون لوحده أبداً. عجباً من حالنا ذاك، بعد أن كُنّا جسدَين بروح واحدة. أصبحتُ أخافهُ وأرتاب منه، برغم رفضي لكلّ ما قيل لا أنكر تأثّر ثقتي بسايمون في تلك الفترة. في المنزل، وبعد أن حكيتُ لبيتر حكاية ما قبل النوم، ذهبتُ لغرفتي نحو خزانتي،وأخرجتُ الصندوق الذي يحتوي على تلكَ القلادة. فتحتهُ ونظرتُ إليها، كان لمعانها غير طبيعيّ، فجأةً سمعتُ صوت سايمون خلفي.

- حبيبتي كيف حالكِ؟ ماذا تفعلين؟

- تفاجأت،وارتعَبت لدرجة أنّني أوقعتُ الصندوق من يدي أرضاً.

- سايمون متى جئت؟ لم أسمع صوت خطواتك حتى.

كان ذلك حال سايمون دائماً. فجأةً أجدهُ خلفي أو أمامي، ولم أكن أخاف ذلك، بالعكس كنتُ أحب شعوره بي وقدومه حالما أفكّر به، لكنّ تلك الصفة أصبحت تُخيفني جداً وقتَها، فَقد جعلتني أفكّر إنّهُ فعلاً ليس بشراً مثلنا! أخذَت نبضات قلبي تتسارع، ووضعتُ يدي على الجهة اليسرى من صدري لكي أهدأ.

- ما بكِ حبيبتي؟ أيُعقل أنّني أخفتُكِ لهذهِ الدرجة؟

- كلا، لكن الجو كان هادئاً جداً وانبثاق صوتكَ فجأةً أجفلَني.

أمسـك يـديّ ليُقبّلهـا ثـم عـانقَني عناقـاً طـويلاً وهـو يستنشـق شـعري، كأنّـهُ يتـنفّس عطـره المفضّـل ويمـرّر أصـابعهُ بلُطـف بـين خصـلاته .بـرغم ذلـك كنـتُ لا أزال متـوتّرةً جـداً، وحاولـتُ الاسترخاء بلا فائدة.

- أعشـقُكِ كـاثرين. كـلّ يـوم أحبُّـكِ أكـثر مـن سـابقه. لمـاذا أنـا مُرتبطٌ بكِ لهذهِ الدرجة؟

- لا أعرف. لماذا برأيك؟

- مـا هـذا السـؤال الغريـب؟ لم أعتَـد أن تُجيبـي هكـذا. يبـدو إنّـكِ ما زلتِ مُتعبة ومُتأثّرة بما حدث معكِ ...إرتاحي قليلاً يا روحي.

-......

لَـم أجِبـهُ، واسـتمرّيتُ بالتحـديق فيـه بغرابـة،ليتحـاشى نظـراتي ويُعانقني ثانيةً ويستنشق عطري.

- سيعود كُلّ شيء كما كان كاثرين، إنني أعدُكِ.

خلَـدنا للفـراش، توسَّـدتُ ذراعـهُ ومَـرَّت سـاعات، لفحَـت فيهـا أنفاسـهُ الدافئـة جبينـي. لم أتمكّـن مـن النـوم، فنهضـتُ بـبطء لأرى إن كـان نائمـاً، فوجدتـهُ يغـطّ في سباتٍ عميـق، ورحـتُ أتأمّلـه. "لا يُمكنني التصديق إنّـهُ قَـد يكـون...... هـذا جُنـون. يجـب علـيّ فعـل شيء لإنهـاء الشـكّ الـذي ينخـر رأسي". جلسـتُ عِنـد شُرفـة الغُرفـة وأنـا ألـفُّ جسـدي بوشـاحي الصـوفي، بيـنما انبعـث البُخـار مـن انفـي وفمـي. تلاقفَتنـي الأفكـار، حتـى أزاح الليـل سـتارهُ المُظلـم لتنبثـق أولى خيـوط الفجـر، عنـدها كنـتُ قـد اتخـذتُ قـراري. فتحـتُ الخزانـة الخشـبية الموجـودة في العُلّيـة، حيـث اسـتلقَت في

صندوق خشبي صغير القارورة التي أعطاني إياها الملك روي قائلاً: "إذا لامسَت هذه المادة أيّ جزء من جسد سايمون فَسوفَ تَشِّل حركة ذلك الجزء لساعات، ويبدأ مفعولها بعد عشر دقائق من تعرّض الجلد لها كحد أقصى". فتحتُها لأسكُب قَطَراتٍ منها على رسغي
. نَظَرتُ إلى الساعة الدائرية المُعلّقة على الجدار، والتي كان صوت عقاربها هو الوحيد المسموع وسط الهدوء، فكانت السادسة صباحاً.

انتظرتُ ساعتَين،وشغَلتُ نفسي بِصنع الكعك، لكن لم يحصل شيء ليدي. "هذهِ المادة تؤثر فقط على الأومارييّن. إن شئتِ جربّي ذلك بنفسِك". وضعتُ قطراتٍ مِنها في زُجاجة العطر الخاصة بِه، ونويتُ رشّها لهُ بنفسي لأتأكّد من أنّهُ قد لامسَ يده
. كانت الساعة الثامنة بينما أنا في المَطبخ أحاول شَغل نفسي قَدر الإمكان لتخفيف قلقي وخوفي المتفاقم ممّا سيحصل أو ممّا سأكتشفه.حانَ وقت استيقاظ سايمون ليذهب إلى العمل،كنتُ جالسة أضع يدي على خدّي وأنا أراقب مائدة الفطور التي أعددتُها، كعك مُحلّى وفطائر وبيض مخفوق وقهوة، ليأتي صوت سايمون مع قُبلة رقيقة انطبعَت على وجنتي.

- يا لروعة هذا المنظر منذُ الصباح! كيف سأكون أسعد من الآن وأنا أراكِ تستعيدين نشاطكِ لأول مرة بعد أيام من المُعاناة.

- صباح الخير حبيبي. متى استيقظت؟

- منذُ عشــر دقــائق. كنــتُ أقــف بجانــب البــاب أراقبــكِ وأنــتِ تجهّــزين وتتفنّنــين في ترتيــب المائــدة. حقــاً اشــتقتُ لأن نعــود إلى سابق عهدنا، اشتقتُ لأن أراكِ مُشرقة كما عرفتُكِ دائماً.

- حبيبــي أرجــوك لا تُبــالغ. إنهــا مجــرّد اســبوعَين مــررتُ بهــما بوعكة صحيّة ونفسيّة، وقد مضت.

- لم تكُــن مُجــرّد اســبوعَين بــل ســنيناً بالنســبةِ لي. لا تعلمــين مــا تُشكّلينهُ في حياتي، أنتِ تَعنينَ لي كُلّ شيء.

- أرجــوك لا تــذكر الأشــياء السـيئة فقــد انتهــت، والآن لنبــدأ مــن جديد ونعود كما كُنا.

تمنيتُ ذلك حقاً، العودة كـما كنّـا بعـد التأكّـد مـن إنّـه لـيسَ ذلـك الملعــون، فأنــا لــن أعــرف مــا ســأفعلهُ حينَهــا. بعــد الفطــور، نهــض ليقبّلنــي قُبلــة دافئــة عــلى عنقــي وأعقبَهــا بِكلمــة "أحبُّــكِ كــاثرين" وهو يرتدي معطفهُ.

- حبيبتــي،أقــترح أن تســتأنفِي عملــكِ لــكي تعــودي لحياتــكِ الطبيعية، فأنتِ لا تحبّين البقاء في المنزل كثيراً...

أخذ زجاجة العطر التي كانت على طاولة الزينة.

ـ حبيبي، هـل نسـيتَ مَـن كـان يضـع لـكَ اللمسـة الأخـيرة؟ أم أنّـكَ لم تعد بحاجةٍ لي؟

- كيف لي أن أنسى يا روحي.

نــاولَني الزجاجــة، فقُمــتُ بــرشّ القليــل عــلى ملابســه مــن الخارج،وحرصــتُ عــلى أن يُلامــس يــدهُ اليمنــى، بيــنما كــان يشــمّ شعري هامساً في أذني:

- أحبّكِ يا أميرتي وسأبقى أحبّكِ ما حييت.

- وأنا أحبُّكَ جداً سايمون...

"... وأتمنى أن لا تؤثّر عليك هذه المادة، لأنك فعلاً لستَ كما قالوا..."

أكملتُ عبارتي مع نفسي، ليذهب بعدها إلى العمل. مرّت نصف ساعة وأنا أنتظر بتوتّر شديد، ذرعتُ المَنزل فيها جيئةً وذهاباً وعيني على الباب، متمنّيةً أن لا يعود. فجأة فُتِحَ الباب ليدخل واضعاً يدهُ اليُسرى على مِقبَض الباب على غير عادته. انقبضَ قلبي وصرتُ أجرّ الهواء جرّاً كأنه ثقلَ وأبَى دخول رئتيّ بسهولة.

- ما... ما بكَ حبيبي؟ لماذا عُدتَ بهذه السرعة؟

أفلتَ الباب ليُمسِك يده اليمنى ويغمض عينيه، قبل أن يجلس على كرسي مائدة الطعام.

- يدي... لا أستطيع تحريكها نهائياً.

ماذا؟!

رميتُ جسدي على الكرسي من هول الصدمة. شَعَرتُ كأنّني طُعِنتُ الآف الطعنات بظهري في تِلكَ اللحظة.

دمعت عينيّ لا شعورياً، ولم أقترب منهُ أو أتحرك من مكاني، فنظرَ لي باستغراب.

- ما بكِ حبيبتي؟ لا تفزعي... تحدث مثل هذه الأشياء عندما يتعرّض المرء لضغط نفسي شديد، ومن الطبيعي أن يحدث لي ذلك جراء الأحداث التي حصلت معنا في الآونة الأخيرة.

- مَن قال لكَ ذلك؟ هل ذهبتَ للمستشفى؟

كُنتُ انطق الكلمات بصعوبة وقلبي باتَ يؤلمني بِشدة

- نعم. كنتُ في المستشفى فَقَد بدأ عندي الخَدَر فور خروجي. فحصَني الطبيب وطلبَ مني أن أرتاح اليوم.
- وما السبب؟ هل أخبرك؟
- قال إنهُ إجهاد بسيط وسوف أتحسّن بالراحة.
- إذن ارتَح اليوم حبيبي، لا داعٍ لأن تذهب لأي مكان.أنتَ بالفعل مُتعب.
- عشتُ في حالة إنكار لما جرى".قد تكون مُجرّد صدفة... سايمون ليس كما قالوا...
مُستحيل أن يكون"! بقي سايمون يومَها معنا ولم يخرج،كنتُ أبتسم ظاهراً وفي داخلي نارٌ مستعرة وأفكار مُتزاحمة تنهش رأسي. "ماذا إن كان هذا الدليل الذي رأيتهُ كافياً؟ ماذا لو كنتُ في غَفلة الحُب! ماذا لو"...
- ما بكِ سارحة حبيبتي؟ هل ما زلتِ قلِقة بشأني؟ اطمئني يدي بخير الآن.
- كيف لا أقلق وأنت كلّ ما لديّ في هذهِ الحياة. إن حصلَ لكَ شيء سأموت.
"فعلاً إن حصل لهُ شيء لن أطيق العيش في الحياة من بعده... ويريدون مني أن أصدّق إنهُ مخلوق شرير من كوكب آخر! حتى وإن كان كذلك فَلن أقف معهم ضده... مُستحيل"...
رنَّ الهاتف فجأة، كانت ليندا هي المُتَّصلة.
- حبيبي سأتكلّم مع ليندا.
- حسناً حبيبتي، أبلغيها سلامي.
اتّجهتُ إلى الحديقة لأكلّمها.

- ألو، مرحباً ليندا.
- مرحباً كيف حالكِ؟ أخبريني ما الذي حصل؟ هل فعلتي ما نويتِ فعله؟
- نعم. سأحكي لكِ عندما نتقابل. الآن ليسَ وقت هذا الكلام.

في اليوم التالي أخذتُ بيتر للحضانة وذهبتُ لأرى ليندا في نادي الفروسية، الذي سجّلنا فيه قبل شهرين. دخلتُ إلى الساحة المُحاطة بأسوار خشبية، والمفروشة بالعُشب الأخضر الذي وطأتهُ حدَوات الأحصنة لتنثر الطين عليه. وجدتُها تمتطي حصاناً بُنيّاً، ما أن رأتني أشارت لي بيدها ونزلت من على الحصان مُتجهة نحوي.

- منذُ متى لم تأتي إلى هُنا؟
- منذُ شهر ونصف تقريباً. اشتقتُ إلى أجواء النادي كثيراً.
- لا ألومكِ، فما يحدث معكِ لن يستطيع تجاوزهُ شخصٌ ثانٍ.
- وما هو الذي يحدث أصلاً؟!
- هل تقصدين أَنّ المادة لم تؤثر به؟
- بل أثّرَت، وشلّت يدهُ لساعات.
- ماذا؟! هل تمزحين؟! سايمون حقاً ليس من البشر؟!
- ولِمَ لا تكون مُصادفة؟ وحتى إن كان غير بشريّ، ما الذي يجعلني أثق بما يقولهُ أشخاص غرباء لأساندهم ضدّه؟!
- أنتِ مُحقّة من ناحية، ومُخطئة من ناحية أخرى.
- ماذا تقصدين؟
- هم غرباء لا تعرفينهم، و سايمون زوجكِ هو حبيبُكِ واقرب شخص لكِ ، وأنا أكثر الناس معرفةً بعلاقتكم وتطوّرها. أنتِ

مُحقّة بهذا كلّه. لكنّ زوجكِ وحبيبكِ أخفى عنكِ حقيقتَه،لِمَ فعل ذلك إن لم يكن لديه هدف سريّ.

لماذا لم يقل لكِ الحقيقة حتى بعد سؤالكِ له قبل الزواج وبعد أن اختفَيتِ؟ إنّه لا يريدكِ أن تعرفي فعلاً، وبأيّ شكل من الأشكال.

- وإن يكُن

. لن أصدّق ما لم أرَ بعينيّ ارتباطهُ بذلك العالم الغريب، أو أي دليل ملموس على أنهُ ليس بشراً، وهذا ما لَم يحصل طوال خمسة أعوام حبّ وعامَي زواج.

- أشعر أنكِ سترين شيئاً عمّا قريب يا صديقتي، لذا يجب عليكِ أن تستعدّي نفسياً، وأن تأخُذي حذركِ.

مرَّت ثلاثة أيام راقبتُ خلالها سايمون، ولم ألاحظ أمراً غريباً. في اليوم الذي تلا كانت ليندا مدعوّةً على العشاء عندنا،وكنّا نجلس حول المائدة لتناول الطعام وتبادل الحديث عندما سألها سايمون.

- ليندا، لِمَ لا تستقرينَ في لندن؟

- لا يُمكنني البقاء. لقد أسّستُ عملي هُناك للأسف.

- كنتُ أتمنى لو بقيتِ هُنا، لأن كاثرين لا تَملُك صديقة غيركِ،أو بالأحرى لا تقبل بغيركِ لتكون مُقرّبةً منها...

التفتَ نحوي بابتسامته الساحرة التي تُذيب قلبي ويديه تُعانق كفّي المُستلَقي على الطاولة.

- الأصدقاء الحقيقيّون لا يفرّقهم البُعد ولا المسافات حبيبي.

- معكِ حق صديقتي. سنبقى الأفضل دوماً.

تناقشنا حول مجال عَمَل ليندا وتأثير استقرارها في فرنسا عليه ونحن نشاهد التلفاز، - قبل أن تتغيّر ملامح سايمون، كأنّهُ سمع صوتاً، فانتبهتُ إليه.

- ما بكَ حبيبي؟ هل هنالك شيء؟

- لا حبيبتي لكنني شبعت. سأذهب لأغسل يدي وأجلب هاتفي من الغرفة لأنّني سمعتهُ يرنّ.

- حسناً حبيبي.

نهض من المائدة بينما كنّا نشاهد أنمي (مارتن مستري) الذي يحبّهُ بيتر، وفي أثناء تفاعله مع التلفاز رفعَ صغيري يدهُ التي كانت تمسك الملعقة، ليوقع الحساء منها على الأرض.

- حبيبي بيتر ماذا فعلت خُذ حذرك ولا تلوّح بيدك وفيها ملعقة.

انحنيتُ لمسح الأرضية لأتفاجأ بوجود هاتف سايمون على طاولة المطبخ الجانبية، حينَها أدركتُ أنّهُ كان يكذب وقد ذهب لشيء آخر. صعدتُ إلى غرفتنا بخطواتٍ حذرة متوجّسة،وبهدوء كي لا يسمع صوت خطواتي، ساعدتني في ذلك فوضى صوت أفلام الكارتون في الأسفل. فتحتُ باب غرفتنا فَكانت فارغة، لكنني سمعتُ صوتاً في غرفة بيتر، التي كان بابُها مواربًا. اقتربتُ بحذر لألقي نظرة، كان سايمون جاثياً على ركبة واحدة، يتكلّم مع شخص بِهمس، لم تتّضح معالمهُ إلا بعد تركيز شديد. كان محدّثهُ كائناً غريباً رأيتُ مثلهُ في أوزوريس. انخفضَ صوت التلفاز صدفةً فتمكّنتُ من سماع مقتطفات من حديثهُما.

- هل أنتَ مجنون؟ ما الذي أتى بكَ إلى هنا؟

......

......

- لم يعد هنالك وقت، نحنُ بحاجةٍ إليك.

- لن أستطيع المجيء الآن...

نظر إلى صورة بيتر على الطاولة.

- هل هذا ابنكَ مولاي؟

- نعم إنّهُ هو...

- إنّهُ أملنا الوحيد الآن.

فجأةً جاءني صوت بيتر وهو ينادي عليّ من أسفل السُلَّم.

- ماما! لقد انتهت هذه، أريد الأخرى...

جفل سايمون والتفتَ نحو الباب فتراجعتُ إلى جانب الحائط.

- اذهب الآن وأوصِل رسالتي، وإياك أن تأتي إلى هنا مرة أخرى.

نزلتُ بسرعة وأخذتُ بيتر من يده لأُجلِسهُ على كُرسي المائدة . غلبَني التوتّر وارتعشَ جسدي من رأسي حتى أخمص قدميّ لاحظَت ليندا شحوب وجهي فقالت:

- كاثرين، ما بكِ؟

- لا شيء...

وضعتُ يدي لألتقط الشوكة وأكمل تناولي للطعام، لكنّها كانت ترتجف بشدّة خارجة عن سيطرتي. اقتربَت ليندا مني هامسةً:

- كاثرين يداكِ ترتعشان .ماذا حَدَث؟

قاطعَنا نزول سايمون من الأعلى.

- انظـرُي لغبـائي حبيبتـي، نصـف سـاعة أبحـث عـن الهـاتف فـوق وهو هنا على الطاولة...
- أنتَ مُتعب، هذا هو سبب تشوّش ذهنك.
جلس على الكرسي بجانبي ليُمسِك يدي.
- ما بكِ حبيبتي؟ وجهكِ شاحبٌ للغاية.
للحظـة فكّـرتُ بسـحب يـدي منـهُ، لكنّنـي خمّنـتُ أنهـا خطـوة متهوّرة وقتَها.
- لا شيء حبيبـي، أشـعر بالتعـب. أريـدُ أن أرتـاح قلـيلاً، عـن إذنـكِ ليندا سأذهب لأرتاح في غُرفتي.
نهضتُ لتقترب مني ليندا ثانيةً.
- ما بكِ؟ هل تحتاجين أن أبقى معكِ اليوم؟!
- ليس بي شيء، فقط أحتاجُ للراحة، صدّقيني.
صـعدتُ إلى غرفتـي، ودَخَلـتُ لأغلـقَ البـاب خلفـي وأسـند ظهـري إليـه، فـانهمرَت دمـوعي مـدراراً وأنـا أضـع كلتـا يـديّ عـلى فمـي محاولةً كبت الصوت.
"أحقّـاً أنّنـي أحببـتُ وتزوّجـتُ وحشـاً! سـايمون لـيس إلا مخلوقـاً مـن كوكـب آخـر، غايتـهُ القتـل والتـدمير. كـل شيء عشـتهُ كـان زَيفـاً، المشـاعر والحـب والسـعادة والوعـود كُلهـا كاذبـة". مـا أصـعب أن تكتشـف أن حياتـكَ كانـت خُدعـة كبـيرة! لقـد عشـتُ مـع أشـنع مخلـوق عـلى وجـه الأرض بـلا درايـة،مَن يعلـم متـى ينـوي القيـام بـذبح بيـتر؟ فجـأةً طُـرِقَ البـاب فمسـحتُ دمـوعي وتمالكتُ نفسي بصعوبة.
- مَن؟

- أنا سايمون، حبيبتي لماذا تغلقين الباب على نفسكِ؟ هل بكِ شيء؟ هل أنتِ مريضة؟
نهضتُ لأفتح الباب.
- لـ... لا... حبيبي ليس بي شيء. أنا مُرهقة وأردتُ إبعاد الضوضاء عني. رأسي يؤلمني بشدّة.
عانقَت يداه رقبتي واحتضنَني بِرفق.
- حبيبتي، لا تدعيني أقلق عليكِ بهذا الشكل، أرجوكِ. أنا لا أتحمل أن يصيبكِ شيء.
أصبح رأسي قريباً من قلبه لدرجة سماع نبضاته، تلك التي كنتُ أحبّها كأنّها أجمل قطعة موسيقيّة،حينَها خفتُ منها... لأول مرة خفتُ من وجودي أنا وبيتر مع سايمون. شعرتُ أنّ قلبي جريح وينزف بِغزارة.
اصبحَ أكثر مَن أحببتُ في هذا العالم هو ذاتهُ أكثر مَن يُرعبُني. لا أعلم كيف انقضت تلك الليلة العصيبة، وبحلول صباح اليوم التالي وقبل استيقاظه من النوم ، حملتُ بيتر الذي كان نائماً إلى السيارة، وقرّرتُ الذهاب إلى ليندا بعد أن اتصلتُ بها
.وصلتُ إلى منزلها ونزلتُ من السيارة حاملةً صغيري، قبل أن أدخل، حيث تركت ليندا الباب لنا مفتوحاً. استقبلَتني في الداخل بوجهٍ قلق.
- حبيبتي كاثرين ماذا حدث؟ منذ الأمس شعرتُ بشيء لكنّكِ أبَيتِ التَحدُّث وقتَها.
- سأضع بيتر في الغرفة العُليا وأنزل لأحكي لكِ ما حدث.

وضعتُ بيتر على سرير غرفة ليندا وعدتُ نازلةً إليها،حيث كانت تحضّر القهوة في المطبخ مع باقي مكوّنات الفطور.
- أخبريني كاثرين.

غطّيتُ وجهي بكفّي وأنا أجلس مُنهارة على كرسي ومُقابلي ليند, كانت اطرافي تَرتجف وبالكاد استطيع التَّكلم وعيناي تلمعان دموعاً.

- ليندا، سايمون ..... لقد رأيتهُ بالأمس، صعد ليبحث عن هاتفه الموجود أصلاً في المطبخ، فَشككتُ بالأمر. لحقتُ به وإذا بي أراه في غرفة بيتر....
- اهدأي وتكلمي رويداً رويداً .... ما الذي رأيتيه , ماذا كان يفعل ؟
- حـ حسناً سأحاول .

اخذتُ نفسة عميقاً لأتابع بعدها الكلام
- كان ... مع مخلوق من مخلوقات أوزوريس.
- ماذا؟! في منزلكم؟! هل انتِ مُتأكدة ؟ قد تكوني تخيلتي او ما شابه ...
- لا انا مُتأكدة تماماً مما رأيت وسمعت .
- هذهِ صدمةٌ كبيرة حتى بالنسبةِ لي، لا يمكن أن يكون سايمون هكذا، هذا غير منطقي.
- غير منطقي؟ ألم تقولي من قبل أن هذا الاحتمال وارد؟!
- نعم، لكنّني قلتُها من باب الحيطة والحذر، ليس لأنّني مقتنعةٌ فعلاً بذلك الهُراء.

- اتّضحَ أنهُ ليسَ هُراء! ذلك الكائن ناداهُ مولاي، وذكرَ أنّ بيتر هو أملهم الوحيد، وأنهم بحاجةٍ لسايمون.
- إِذن كلام روي وكادما صحيح... شيء لا يُعقل، إننا نعرفهُ منذُ سبعة أعوام! كيف لم نكشف أمره؟
- لقد أعماني بحبِّه.
- والآن تخلّصت من حبّه وصرتِ تُبصرين؟!
- لا , لكن لن أدعَهُ يمسّ شعرة من بيتر.
- ماذا ستفعلين الآن؟
لقد كتبتُ ملاحظةً له بجانب السرير، بأنني خرجتُ لأستنشق الهواء وأتجوّل معكِ، لذا إن اتّصلَ بكِ أكّدي ذلك.
- وإلى أين ستذهبين؟
- الملك روي أعطاني هذا السوار...
- أخرجتهُ من الحقيبة ووضعتهُ بيد ليندا.
- ما فائدتهُ؟
- قال إنهُ سوار يستخدمهُ أفراد سُلالة الأوماريا للتواصل فيما بينهم، وإن ارتديتُه فسوف أتمكّن من التكلّم مع الملك وإخباره بأي شيء.
- أيعقل؟! وماذا ستقولينَ لهُ؟
- سأطلب منهُ أن يساعدني في حماية بيتر من سايمون.
- ستدعينهُ يقتلهُ؟!
- على حد علمي، لا يستطيع أحد قتل سايمون مهما كانت قوتهُ.
- يا إلهي ما هذا الذي نحنُ فيه!

- يبدو أن القَدَر قد كُتِبَ بطريقة عكسيّة معي أنا بالذات.
- حسناً، بيتر سيكون في أمانٍ معي.
- سأحاول استخدام هذا الشيء، لا أعرف كيف يعمل لكنّني سأجرّب.

استلقيتُ على أريكة غرفة الجلوس، وارتديتُ السوار ووضعتُ يدي على جبيني، مغمضةً عيني.

ركزّتُ تفكيري حتى وجدتُ نفسي في مكان مُظلم أمشي فيه لوحدي، كأنّني عمياء لا أعرف الاتجاه.

ردّدتُ ندائي على الملك روي عدّة مرات، حتى انبثق فجأةً خيطٌ من النور في وسط الظلام، ليظهر منهُ ظلّ شخص.

- كاثرين أهلاً بعودتكِ، كنتُ بانتظاركِ.
- جلالة الملك هل هذا أنت؟
- اقتربَ مني حتى أضاء المكان بالتدريج، فكان هو الملك روي.
- مرحباً كاثرين.
- أريدكَ أن تساعدني بحماية ابني.
- عزيزتي كاثرين، هذا ما نُريدهُ نحنُ أيضاً، لكن هذا لا يتمّ إلا بالتخلّص من سايمون.
- كيف؟
- يجب أن تقتليه أنتِ.
- أنا أقتل سايمون؟! مستحيل لا أستطيع.
- ما زلتِ تحبّينهُ حتى بعد أن عرفتِ حقيقته؟!
- إذا كنتَ أنتَ الملك لم تستطع قتلهُ فكيفَ سأتمكّن أنا منه؟!

- لعنـة أنتريـاس تتضـمّن هـذه الميـزة، مَـن يحـرّرهُ مـن سـجنه هـو الوحيد القادر على قتله.
- لن أقتل أحداً.
- إذن انتظــري مكتوفـــة اليـــدَين حتّـــى يقتـــل بيـــتر ويســـبح بدمائـــه،ويوقظ داركيســـتر، وبعـــدها ســـيقتلكِ ويقتلنـــي ويفتـــك ببني جنسكم وجنسنا، ولاتَ حين مندمِ.
- لـــن أســـتطيع قتلـــهُ افهمنـــي أرجـــوك. بإمكـــاني أن أســـاعدكم في إيقافه وليس قتله.

- ســـتتمكّنين مـــن ذلـــك، أنـــا واثـــق. خُـــذي هـــذه الورقـــة، عليهـــا رســــــومات ســـــــوف ترســـــــمينها بهــــــذه المـــــــادة التـــــــي في القارورة،وباســـتخدام الريشـــة التـــي ســـأعطيكِ إياهـــا، عـــلى هـــذا القماش، وَضَعيه على جسده
.هـــذا ســـيُدخِلهُ في حَـــبس وغيبوبـــة لا نهايـــة لهـــا، وبعـــدَها يجـــب عليكِ قتله لنضمن أنهُ لن يتمكّن من العودة.
- لكن أنا...
- تُحبّينهُ أليس كذلك؟

أغلقـــتُ عينـــيّ لآخـــذ نفَســـاً عميقـــاً، بيـــنما اعتصـــرَ الألم قلبـــي وتباطأت نبضاته، حتّى بتُّ أشعر بثقل تدفّق الدم في عروقي.
- لم تقعـــي في غـــرام ســـايمون، بـــل الشخصـــية التـــي كـــان يتقمَّصُـــها. ســـــايمون الحقيقـــــي ملـــــك شريـــــر دمـــــوي مـــــتعطّش للقتـــــل والدمار،همّـــهُ الأول والأخـــير كيـــف يغـــزو العـــالم، ولســـتِ أنـــتِ وابنكِ إلّا وسيلةً له.

فتحتُ عينيّ لأجد نفسي في مكاني على الأريكة وليندا بجانبي. نهضتُ فرأيتُ القارورة والورقة والريشة التي أعطاني إياها روي على الطاولة بقربي.

- كيف أتت هذهِ الأشياء هنا؟

- لا أعرف، ذهبتُ أطمئنّ على بيتر وعندما جئت رأيتُ هذهِ الأشياء على الطاولة .ما الذي حدث؟

- يريدون مني أن أقتل سايمون.قال أن هذهِ هي الطريقة الوحيدة لإيقافه وحماية بيتر والعالم مِن شروره.

- ماذا؟! هل هذا مجنون... كيف؟! أنتِ تُحبّينه وحتّى لو قتلَكِ لن تقتُليه. أنا أعرفُكِ جيّداً.

- وأدعَهُ يستخدم ابني كقُربان؟ مستحيل... لكنّني لن أقتلهُ بل سأوقفهُ فقط.

- كيف ستفعلينَ ذلك؟!

- لا أعلم ليندا إنّهُ سايمون... حبيبي سايمون الذي يجب عليّ التخلّص منه... هل تُدركين ما أنا فيه الآن؟!

اقتربَت مني وعانقَتني مواسيةً.

- مُدركة تماماً , أنّ هذا أصعب موقف يمكن أن يواجه أي شخص. يجب أن تكوني قويّة وتتّخذي قراراً حاسماً... لا تَدَعي عواطفكِ تتحكّم بكِ.

- أريدُ أن أبقى بمفردي.

سأخرج قليلاً لأستنشق الهواء وأفكّر على مهل بما يجب عليّ فعلهُ.

- كما تشائين، وبيتر عندي.

خرجتُ أقودُ السيارة والذكريات تطاردني، ذكرى المواقف التي جمعَتني بسايمون، من أوّل لقاء به الذي خطفَ قلبي وروحي، ثمّ حينَ أنجدَني وحملَني من وسط الجليد، ابتسامتهُ الجميلة ودفء نظراته التي تجعلني أشعر أنّهُ عائلتي كلّها،وجودهُ بجانبي في كل مرّة أقع فيها بمشكلة أو أكون بحاجة إلى مُساعدة،وتضحيتهُ بحياتهِ لإنقاذي من ذلك الحادث. قطعَ سلسلة ذكرياتي وشرودي صوت مُنبِّه سيارة خلفي. كانت الإشارة المرورية خضراء وأنا متوقّفة،وقد اقتربَ أحد المارّة من السيارة.

- سيّدتي هل هناكَ مشكلة؟ الإشارة خضراء.

- أنا آسفة جداً.

تحرّكت لمسافة وركنتُ سيارتي على جانب الطريق. كنتُ شاردة الذهن في عالم آخر وقد أتسبّب بحادث جرّاء ذلك. هبَّت رياحٌ عاتية وباردة جداً. "لماذا يأتي الشتاء ويجلب معهُ جميع الأحزان فجأة؟ " وضعتُ يديّ في جيوب معطفي ومشيتُ بمواجهة الرياح، بين الناس والثلوج التي بدأت بالتساقط، وأنا تائهة حائرة لا أعرف كيف سأتصرّف. كان حبيبي وملاكي الحارس فرحتي وسعادتي وكلّ حياتي منذُ أن عرفتُه، لكن كلّ ذلك كان كذبة. لقد مثَّلَ الدور بإتقان لأنهُ احتاجَني لاستعادة قوّته. كان ممثّلاً بارعاً، لكنّني لن أستطيع قتلهُ حتى بعد أن كشفتُ حقيقته، فأنا لستُ مثله. في البداية كنتُ خائفة من الوقوع في حُبّه، حاولتُ تجنّبهُ كثيراً لأنني خشيتُ أن يخذلني أو يخدعني، لكنني استسلمتُ لمشاعري

فـيما بعـد، ويـا ليتَنـي لم أستسـلم! لا أصـدّق إننـي قـد أحببـتُ ملعوناً.

18

رقصة الوداع

(سايمون 16\1\2017م)

أوّل ما رأتهُ عينيّ ذلك الصباح هو إشراقة الشمس من نافذة غرفتي. التفتُّ نحو كاثرين لأجد مكانها خالياً، فنهضتُ أنادي عليها.

- حبيبتي هل أنتِ في الحمّام؟ كيف أصبحتِ؟ هذه ثاني مرّة تستيقظينَ قبلي.

دعكتُ جفوني بيديّ وتثاءَبت، ما زالَ النوم عالقاً بي. نظرتُ إلى الساعة، كانت الثامنة صباحاً، لاحظتُ ورقةً مُعلّقَة على حافة المرآة، اقتربتُ لأقرأ: (حبيبي أنا وبيتر ذهبنا إلى ليندا لقضاء النهار عندَها. لم أحب أن أزعجك وأوقظكَ من النوم. سأعود مساءاً). اتّصلتُ على هاتفها فكان مُغلقاً، لذا طلبتُ رقم ليندا.

- ألو مرحباً سايمون.

- أهلاً ليندا، كاثرين معكِ كيف أصبحت الآن؟ أنا قلق بشأنها فقد كانت مُتعبة يوم أمس...

- لا تقلق إنها بخير، وجيّدة جداً.

- أعطِني إياها لأكلّمها. هاتفها مُغلق، وأردتُ سماع صوتها. لم أعتَد الاستيقاظ بغياب وجهها وصوتها عنّي.

- إنها ليست بجانبي...

لقد ذهبَت لتركُن السيارة، فنحنُ خارجتان. ستتّصل بك عندما نعود. إلى اللقاء الآن.

- ليندا لحظة...

قاطعني صوت إغلاق الخط.

يا لهُ من صباح كئيب من دون كاثرين وبيتر. تناولتُ فطوري وارتديتُ ملابسي وخرجتُ للجامعة. خلالَ الطريق وأنا في السيارة فجأةً رأيتُ كروند أمامي قرب إشارة المرور. "ماذا يفعل هذا المُختَلّ كيف يظهر هكذا أمام الناس؟!" ركنتُ سيارتي على عجلٍ ونزلتُ منها، كان قد لحقَ بي فمشيتُ وتبعَني هو.

- هل أنتَ مجنون كيف تظهر أمام الناس هكذا؟! بالأمس تظهر في منزلي والآن أمام الناس...

- ألم ترَ أنّهُ لم يلاحظني أحد؟! أنسيتَ أن إلينان الغابات لهُ القدرة على أن يكون مرئياً لأشخاصٍ مُحدّدين فقط؟

- لنصل إلى مكان منعزل لنتكلّم، وإلا سأثير الشبهات هنا.

- كما تشاء مولاي.

وقفنا في فرع جانبيٍّ خالٍ من شوارع لندن، فيه حاويات قمامة وبعض القطط التي تأكل منها.

- ماذا تُريد؟ لمَ أنتَ هُنا؟

- نحنُ بحاجتكَ يا مولاي، الملكة أرسلَتني. الوضع يسوء في أوزوريس ولا يمكننا الانتظار أكثر.

- سأستردّ حقّي. بالطبع الوضع سيزدادُ سوءاً لأنّهم بدأوا يشعرون بخطر عودتي، لكنّني لا أستطيع ترك كلّ شيء، بالذات الآن.

- مولاي أخبِر كاثرين بالحقيقة، وبالتأكيد ستقف بجانبك ولن تتخلّى عنك مهما كُنت...

- لن أستطيع إخبارَها. من المُستحيل أن تتقبّل هذا...
- وبالتأكيد لن تترك ابنك...
- إذن كيف تريد الملكة أن أعود الآن؟! هذا تصرّف غير حكيم. أبلِغ الملكة بأنّني سأعود قريباً جداً، وعودتي ستكون مُدمّرة.
كنتُ رافعاً يديّ خلف رأسي بِجَزَع مِن اصرارهم وأنا أراقب السيارات التي تمرّ عبر الشارع المجاور لمكان وقوفنا.
- لكن الوقت ليس مُناسباً للانتظار...
يجب أن تعود...
- هل تظنّون أن الأمر بهذهِ السهولة؟! أنظر إلى صخب هذا الكوكب وزحمته واختلافاته عن كوكبنا. للوهلة الأولى تشعر أنهم بشرٌ ضعفاء، لكنّهم أقوى منكَ ومنّي بعقولهم التي سَيَّروا بها كلّ شيء. لقد تعلّمتُ منهم الكثير، ولن أتصرّف مثل السابق.
صرخَ كروند فجأة:
- مولاي... يدك!
- ما بها؟
أنزلتُ يدي لأتفقدها .
- لقد لامسَتها مياه الأوماروس! أنظر لهذه الندوب الزهريّة الباهتة كالفقاعات تحت كفّك وعلى وريدك.
- ماذا؟! ما هي مياه الأوماروس وكيف حدثت هذهِ الآثار؟!
- هذه المياه عقار يُصنَع من غُبار الأوماروس[1] (غبار الموتى في أوزوريس)، ويُمكن استخدامه لتمييز سلالة الأوماريا. مولاي،هل حدثَ شلل مفاجئ في ذراعك مؤخراً دون سبب

واضح؟ لأن هـذا هـو تـأثير ميـاه الأومـاروس، وبعـد زوالـه تظهـر هذهِ الآثار لبضعة أيام.
- نعم حصل، لكن من أين أتَت لي مياه الأوماروس؟!
- مولاي هل أنتَ مُتأكد أن كاثرين لا تعرف شيئاً عن حقيقتك؟
تـذكّرتُ يومَهـا عنـدما وضـعت لي العطـر ورَشَّـت بعضـاً منـه في أسفل كفيّ، قبل حدوث الخدر والشلل بدقائق لا أكثر.
- لا يمكنني تصديق ذلك... هذا يعني أن كاثرين... لكن كيف؟!
- نعم، وقامت بالتأكّد منك أيضاً.
استعمالها لهـذه الميـاه يعنـي أنهـا تتواصـل مـع أحـد سـكان أوزوريس، وقد عرفَت منهُ كل شيء بشأنك!
أصِبتُ بصـدمةٍ كبـيرة شـلّت عقـلي عـن التفكـير." كيـف عرفَـت ومنـذُ متـى، ولمـاذا تصـرَّفَت بشـكلٍ طبيعـي ولم تُـواجهني؟ هـل بدأ الأمر منذُ اختفائها الغامض ذاك؟!
"حـلَّ المسـاء وأنـا جـالس في مكتبـي بالجامعـة، أنظـر إلى ذراعـي وآثـار ميـاه الأومـاروس، وأفكّـر بمـا قـد يحصـل، بعـد أن تأكّـدت كاثرين من حقيقتي.
ربّمـا خشـيَت منّـي فلـم تـواجهني أو تنفجـر بـوجهي. حـدّقتُ في صـورتها عـلى شاشـة هـاتفي، وهـي تبتسـم وتتـأبّط ذراعي،بشـعرها النُحـاسيّ اللامـع تحـت ضـوء الشـمس. إننـي عـالمٌ مُظلِـم، رسـمَهُ القَــدَر بأبشَــع طريقــة، بيــنما كانــت هــي عــالم الأحــلام والســعادة،الذي انتشــلَني مــن ظُلــماتي. الآن لم أعــد بنظرهــا الحبيـب سـايمون الـذي تعرفـهُ، بـل وحـشٌ مـن كوكـب آخـر قـام بخــداعها كــلّ تلــك الســنين. اخــترقَ الصــمت صــوت رنــين

هاتفي،كانــت كــاثرين تتّصــل. خفــقَ قلبــي وتــوتّرت، لم أعــرف كيف أكلّمها بعد أن عرفَتني.

- ألو حبيبي كيف حالك؟

- أهلاً حبيبتي كاثرين... أنا بخير.

- حبيبــي لقــد تــأخّرتَ، هــل حصــل شيء؟ قلقــتُ بشــأنك الســاعة الآن التاسعة والنصف.

- لا تقلقي، أنا آتٍ في الطريق.

فعــلاً تــأخّرت، لا لشـــيء ســوى أننــي لا أعــرف كيـف ســأنظر في عينَيهـا، كيـف سـيلتقي لهيـب الغضَـب في قلبهـا مـع جليـد المشـاعر في قلبي، كيف سأشرح لها ما فعلتُه وكيف سأبرّر خطئي.

(سايمون – 17/1/2017)

وصلتُ أمام المنزل وفتحتُ الباب، كان البيت هادئاً جداً. دخلتُ إلى الصالة التي أنارَتها شموعٌ مُنتشرة فوق الطاولات وعلى الأرض، لأرى كعكة تحوي صورتي ووجبة طعام فخمة تتوسّط الشموع على المائدة. فجأة شعرتُ بيدَي كاثرين تلتفّ حولي من الخلف وتُعانقني، ولفحَت أنفاسها الدافئة رقبتي وأذني بعد أن قرّبت شفتَيها لتهمس:

- عيد ميلاد سعيد حبيبي .أحبُّكَ جداً.

- اليوم... صحيح إنهُ عيد مولدي... ما هذا كلّهُ حبيبتي لِمَ أتعبتِ نفسكِ هكذا؟

استدرتُ لأضمّها وأنا مُتفاجئ ممّا قامت به، مع علمها بحقيقَتي. كانت ترتدي فستاناً أسود مكشوف الكتفَين،وشعرها مصفوف على جانب واحد، وازدانَ أعلى صدرها بحجر أنترياس في قلادته البهيّة.

- أنتِ أجمل وأغلى شيء في حياتي كاثرين.

- لنُطفئ الشموع، تمَنَّ امنيةً حبّي.

أطفأنا الشموع مع حيرتي من أسلوبها معي. ليس أقسى من الغضب سوى أن يُقابِلكَ مَن أخطأتَ معهُ بالبرود، وكأنّ شيئاً لم يَكُن! جلَبَت بعدَها عُلبةً مُغلّفة وقدّمتها لي، لتضمّني بين ذراعَيها بقوّة.

- افتحها حبيبي.

- شكراً حبيبتي... لنرَ ما جلبتِ لي.

كانت الهدية حزاماً وحذاءاً وساعة جلديّة سوداء اللون.

- يا للروعة! شكراً حبيبتي.

- دَعني ألبِسكَ إياهن من فضلك.

سحبَت كاثرين حزامي برفق من البنطلون، وأبدلَتهُ بالجديد،ثمّ ألبسَتني الساعة وهي تُحدّق بعُمقٍ في عينيّ، مع ابتسامة خفيفة، بينما تلألأت عيونها بدموعٍ محبوسة. لم أعرف بمَ كانت تفكّر، لكنّني قرّرتُ إخبارها بالحقيقة مهما كانت النتيجة. استدارَت لتشغيل الأغنية التي نعشقُها نحنُ الأثنان la vie en rose، والتي طالَما رافقَتنا خلال قصة حبّنا، وفي يوم زفافنا رقَصنا عليها سويّةً.

- هل ترقص معي حبيبي؟

- بالطبع أميرتي، لكن أريد إخباركِ بشيء بالغ الأهميّة.

- تكَلَّم ونحنُ نرقص.

انسابَت الموسيقى وضَممتُ خصرَها بيدي، بينما شابكَت يدي الأخرى يدَها، في حين استقرت يدها الثانية على كَتفي. رقَصنا وأعيُننا مُتقابلة، كانت نظراتها مُفعمةً بالحزن وخَيبة الأمل، باليأس والحبّ معاً. بدأت الأغنية، تصحبُها ذكريات جميلة في تلك اللحظات المليئة بالألم والحزن والعِتاب المدفون... كلانا خَبَّأ ما يخشى الإفصاح عنه.

Hold me close and hold me fast

This magic spell you cast

This is la vie en rose....

When you kiss me heaven sight....

- كاثرين أنا...

- أنتَ ماذا؟

And though I close my eyes ..

I see la vie en rose ..

When you press me to your heart ..

I`m in a world apart ..

- كـاثرين أنـا أحبّـكِ جـداً، لا يمكـن لي أن أؤذيـكِ في يـوم مـن الأيـام ولكن...

- ولكن ماذا؟

- لقد كذبتُ عليك كذبة كبيـ...

A world where roses bloom ..

And when you speak ..

Angels sing from above ..

بـدأتُ أشـعر بصـقيعٍ في جسـدي، وأخـذَت الـدموع تنهمـر مـن عينَـي حبيبتـي، رغـم تماسـكها ومحاولتهـا لحـبس الـدموع لكنّهـا فاضت رغماً عنها.

- ما الذي يحصل؟ ماذا حدثَ لي؟

Everyday words seem ..

To turn into love songs ..

- أنـتَ لسـتَ بشـراً، ولم تكـن يومـاً سـوى وحـش ملعـون. ألـيسَ هذا ما أردتَ أن تخبرني به؟

فجـــأةً خـــارَت قـــواي وازدادت أنفـــاسي صـــعوبة، لم أســـتطع الإســتمرار بــالوقوف فــانهرتُ أرضــاً، لكنّهــا أمســكَتني لأســتلقي بــين يدَيها ببطء. تمنّيتُ الموت في حضنها، فتلك أجمل نهاية لي.

Give your heart and soul to me ..

And life always be la vie en rose ..

- كــاثرين أنــا لســـ... لســتُ... وحشــاً... أنــا حبيبُــكِ ســايمون... أحببتُكِ بصدقٍ حتـى إن لم أكُـن بشــرياً مثلـكِ... لـيس لي ذنـبٌ بمـا أنا عليه...

- انفجــرَت كـــاثرين بالبكــاء، وســـقطت دموعُهـــا مـــن مقلتَيهـــا الساحرتَين على وجنتَيّ، فَعانقَتني بينما رأسي في حُجرها.

- يكفــي كــذباً... كفــاكَ كــذباً! لم يعُــد لهــذا الكــلام فائــدة الآن ... إيّــاكَ الظــن أن حبّــي لــك ســيَجعلُني أضحّي بــابني الــذي لا ذنــبَ له لأجلـك. للأسـف أحببـتُ وحشـاً وهـا أنـا أتلقّـى عقـابي عـلى هـذا الحُب!

- ما... ما الذي فعلتِه بي؟

And when you speak ..

Angels sing from above ..

Everyday words seem ..

- قمـــتُ بحمايـــة الجميـــع منـــك. وجـــبَ عـــليَّ قتلـــك لكنّنـــي لا أستطيع، ولن أقتلَك.

ثقل لساني وبالكاد استطعتُ النُطق كلماتي الاخيرة...

- إنّي... أراكِ فـ.....ـــي كُـــلّ شيء وكأنّـــ.......ــــكِ عـــلى الأرض كُـــلّ البَشَر... كُنتِ كَدَربٌ بغير انتهاء... وإنّي خُلِقتُ لهذا السَفَر..[1]

فقدتُ السيطرة عـلى أجـزاء جسـدي، بمـا فيهـا لسـاني، وبقيـتُ في حضن كـاثرين، أحـدّق بعينيهـا الخضــراوين وهــي تـبكي، حتّـى صـارَ كـلّ شيء ظلامـاً أمـام عينـيّ، ودخلـتُ في سـجنٍ أقــسى مـمّا كنـتُ فيه من قبل.

To turn into love songs ..

Give your heart and soul to me ..

And life always be la vie en rose .....

1-اقتباس من احدى قصائد الكاتب المصري الشهير (فاروق جويدة)

19

كانت النهاية

(كاثرين / أوزوريس /2022م / 3962ق)

ما أصعب تِلك اللحظة التي تَضطرّ فيها لكتابة نهاية حكايتك بأهوَن الشَرَّين.

تُعذّب روحَك وتغتال عواطفَك لتدمير ما بدأتهُ بِنفسك،لأنهُ... ليس لديكَ حَلٌّ آخر. وسَط نوبة بكاء مريرة، واختناقي وأنفاسي المتسارعة على ما فعلتهُ مُجبرةً، بدأ جسدهُ يتحلّل بين يدَيّ إلى غُبار ذهبيّ، لِيختفي ويتلاشى ببطء في الهواء...

توقَّفَ عن الكلام كأنّ شفتَيه شُلَّت،بينما تلألأت الدموع في عينيه لتختلط بعَبَراتي المُتساقطة.كانت نظراتهُ زاخرة بالألم،كأنّها تُسطّر لي عبارات العِتاب والوداع، وتُمعنان النظر في وجهي للمرة الأخيرة،حتى تلاشى جسدهُ كُليّاً من بين يديّ.

تِلك اللحظة التي تتّخذ فيها قراراً مصيرياً تتحدى فيه عواطِفَك،اعلم أنها ستكون نقطة التحوّل في حياتك، لكن ما نوع التَحوّل؟تلك هي اللحظة التي ردمَت الفجوة الزمنية في قصتي، كانت الثقب الأسود الذي ابتَلَع مآسيّ وأفراحي.

تخلّيتُ عَن مَن أحبّ واتّخذتُ الخيار الصائب، لكن إلى أي مدى؟ ومِمَّ حَماني أنا وابني؟! هل كان تصرّفي نابِعاً مِن حِكمة أم أنانيّة؟! رُبّما استحقّيتُ بِجدارة ما أعانيه الآن...

شعرتُ بحرارةٍ شديدة تتخلّل جسدي كأنّني أحترق وأنفاسي مُلتهبة، قوايَ خائرة وبالكاد فتحتُ عينيّ .رأيتُ صورة مشوّشة كصور الكاميرات القديمة، فهُنالِك شخصٌ أمامي لم أستطع تمييز شكلهُ أو ملامحهُ، لتعود أجفاني لتنطبق على بعضها، غير آبهة بأنّني أريد فهم ما يحدث حولي .نمتُ بعدَها نوماً عميقاً،عادت لي فيه ذكريات الماضي ثانيةً، كأنّني أعيش زمنَين في نفس الوقت. أخيراً فتحتُ عينيّ لتتّضح الصورة، كان أمامي شابٌّ مفتول العضلات ذو شعر أسود طويل، بدت عينهُ اليُمنى مجروحة جرحاً بليغاً، ارتدى بدلةً جلديّة مكشوفة الذراعين،كشفَت عن وشمٍ شبيه بوشم سايمون على أعلى ذراعه. لم أتكلّم، خوفاً من أن أكشف كوني بشريّة من خلال لغتي. أحسستُ بالدموع تملأ وجنتيّ، وانطلق مِن جانبي الآخر صوتٌ طفوليٌّ رقيق:

- بابا أنظر لقد استيقظَت. ما هذا وجنتاها مليئتان بالدموع. أظنّها بكت وهي نائمة...

- من الجيد أنكِ استفقتِ، فَقَد كُنتِ راقدة من غير حراك أو ردّة فعل منذُ أربعة أيام .أنتِ مُصابة إصابة عميقة بكتفكِ.مَن أنتِ؟ وماذا حدث معكِ؟

لم أجِبهُ وبقيتُ صامتة أفكّر" مَن هؤلاء؟ أليس مِن المُفترَض أنني معَ كلينتاي؟" لقد أخافَني شكلهُ لكنهُ بدا من الأوماريا. تفحّصتُ المكان الذي كنتُ فيه، كان غرفةً حجريّة رماديّة، فيها نافذة كبيرة تمتدّ حتى السقف، ولم أجد لها باباً، احتوت فقط على السرير الذي نمتُ عليه، وهو شيء يشبه قوقعةً

كبيرة،لبطانتِها ملمسٌ ناعم كملمس الريش .قاطعَ تأمّلي صوته ثانيةً:
- لمَ تحدّقين هكذا ألَم ترَي منزلاً من قبل؟ أين كُنتِ تعيشين؟
-.......
- لمَ لا تُجيبين؟ هل أنتِ خرساء؟
- أبي لا تغضب منها. قد تكون خائفة... المسكينة يبدو أنها تعرّضت لمتاعب جمّة، وإلّا لَما وجدناها بهذهِ الحالة.
- ممَّ تخاف؟ أنا أريدُ مُساعدتها.
- دعني أتكلّم معها واذهب أنتَ لعملك.
- طفلتي الجميلة، كم أنتِ طيّبة القلب.
بدت الطفلة بعمر بيتر تقريباً، ذات شعر بُنيّ مُجعّد بطريقة جميلة، وعيون حالكة السواد، ترتدي فستاناً قصيراً أزرق اللون.
- سأتركُ معكِ ابنتي لتعتني بكِ. آمل أن تُخبريها بهويّتكِ وما حصل معكِ، وإلا فلا مكانَ للغرباء في منزلنا، وسنضطرّ للتخلّي عنكِ وأنتِ بحالةٍ حرجة، لذا لا نُريد ذلك.
اقتربَ من النافذة الضخمة وفتحَ ذراعَيه فتحوّلت إلى جناحَين،ثمّ تحوّلَ وجههُ وجسمهُ إلى طائر غريب الشكل، غطّى بدنهُ جلد أسود مع أشرطة ذهبية على الجانبَين، قبل أن يطير من النافذة. نظرَت لي الطفلة مبتسمةً وقالت:
- مرحباً بكِ في منزلنا.
أنا ثيودورا وهذا كان أبي هانسل. اعذري فظاظته ومزاجهُ السيء، هو كذلك مع الغرباء لأنهُ يخاف عليَّ من كل شيء، لكنّ قلبهُ طيّب جداً.

- أنـا أشـكركم حقـاً عـلى مسـاعدتي، لكـن أسـلوبهُ أخـافَني قلـيلاً فَفضّلتُ الصمت. أنا أدعى كا... كاتيا.
مددتُ ذراعي اليمنى غير المُصابة نحوها لمُصافحتها.
- حسـناً، دعينـي أغـيّر لفافـة الجـرح وأضـع لـكِ المـرهم بيـنما نتكلّم.
استدارت إلى طاولـة حجريّـة توسّـطَت الغرفـة، وكانـت مـن ضـمن هيكلهـا وليسـت قطعـة أثاث،فأحضـرَت صـندوقاً خشـبياً وقـارورةً زجاجيـة،من جانـب كُـرةٍ مُضـيئة عـلى طاولـة الطعام،تستقر فيها زهور جميلة حمراء اللون.
- متى تعلّمتِ مُعالجة الناس؟ يا لكِ من لطيفة.
- منذُ أن كنتُ في العشرين من عمري.
- كنتِ في العشرين؟! كم عمركِ الآن؟!
- عمـري أربعـون عامـاً. لماذا دُهِشـتِ مـن عمـري؟ هـل أبـدو لـكِ أصغر؟
- كلا... على العكس. أنتِ مُناسبة تماماً لعمركِ...
- جيّـد، لأننـي أريـدُ أن أكـبر بـأسرع وقـت، فَلـن يُسـمَح لي باستخدام الغلوبـال إلا عنـد بلـوغي الخمسـين مـن عمـري. وأنـتِ كم عمركِ؟
- أنا؟
- أجـل. حـدّثيني عنـكِ، لا أعـرف لماذا أشـعر أننـي أعرفـكِ منـذُ زمن. أين تسكنين؟
أمسكت يـدي لتسـاعدني عـلى تقـويم ظهـري لتـتمكّن مـن تغيـير اللّفاف الموضوع على الجرح.

شعرتُ بألمٍ فظيع وهي تُزيل اللّفاف القديم، كأنّها خلعت من لحمي وجلدي قطعةً كبيرة معها، فصرختُ صرخةً مكتومة، لتعتذر كأنّه خطؤها:

- أنا آسفة كاتيا، لكن يجب أن تتحمّلي قليلاً بعد لأن هذهِ الضمادة وضعناها لكِ منذُ أربعة أيام، لهذا فقد التصقَت على الجرح.

- لا تهتمي بألمي، واصلي العمل. ما مدى سوء الجرح؟

- حسناً إنهُ أفضل قليلاً ممّا كان، لكنّكِ لن تتمكّني من التحوّل لثلاثة أشهر على الأقل.

- تحوّل... هاا، لا بأس بهذا.

عرفتُ إنّهم كانوا يظنّونني واحدةً منهم،وارتحتُ لذلك وإلا مَن يعلم ما سيفعلونهُ بي إن اكتشفوا أنني بشرية.

- أكيد إنكِ تتساءلين ما الذي أتى بكِ إلى هُنا. عندما وجدناكِ كُنتِ على حافة النهر، شبه ميتة من شدّة النزيف ولم يكن بجانبكِ أحد.

ماذا حدث معكِ؟ أين عائلتكِ وما الذي أخذكِ بعيداً عن أدونايا؟

- مخلوقات الآرسيميا طاردوني، وقاموا بعضّي، وبقيتُ أهرب منهم حتّى سقطتُ عن حافة النهر... على ما يبدو لا أذكر جيداً.

- الآرسيميا ماذا يريدون منكِ؟

- لا أعلم. أمي وأبي ماتا عندما كنتُ صغيرة، وتربّيتُ خارج أدونايا.

- أيـن عشـتِ؟ كيـف اسـتطعتِ العـيش في الخـارج فهـو محفـوفٌ بالمَخـاطر! لا بُـد أنـكِ مُقاتلـة عظيمـة لتتمكّنـي مـن حمايـة نفسـكِ إلى الآن.

- ربـ... ربّما.

- حسناً، الآن انتهينا. بإمكانكِ أن ترتاحي.

- شكراً جزيلاً لكِ يا ثيودورا الجميلة.

- سأطلب من أبي أن تبقَي معنا إلى أن يشفى جرحكِ.

غلبَني النُعـاس ونمـت. عنـد اسـتيقاظي بـدا أنّ المسـاء قَـد حـلّ،بينما جلسـت الطفلـة بقـرب الطاولـة تُـداعب الأزهـار. التفتَـت لي فـور استيقاظي.

- مرحباً كاتيا، كيف تشعرين؟

قاطعَنا مجيء والدها فهَرَعَت لمُعانقته.

- أهـلاً بابـا... أرجـوك لتبـقَ كاتيـا معنـا حتـى شـفائها. لقـد صرنـا صديقتَين.

- حقاً؟! اسمكِ كاتيا إذن...

- نعم.

- أينَ كُنتِ تسكنين وماذا حدَثَ معكِ بالضبط؟

- كنــتُ أســكن في الغابــة لوحــدي، فوالــدايَ متوفّيــان. طــاردَتني مخلوقات الآرسيميا ونجوتُ منهم بأعجوبة.

- عجباً،لمــاذا لم يقتلــوكِ وانــتِ نجــرين فلــديهم اقــوى انــواع المازوك.

- لا أعرف، لكن هذا ما حصل...

كان ينظُر لي بِريبة، رغم إنهُ توقَّف عن أسئلته التي أربكَتني واضطرّتني للكذِب، ولم توحي نظراتهُ بأنهُ صدّقَ ما قُلتهُ.مرّت الأيام مُتشابهة وأنا في مَنزلهم، وبدأت جروحي تتعافى.شهدتُ العجائب في كيفيّة عيشهم وتنقّلهم، ولم أفهم الكثير، غير أنّني لم أستفسر لإبعاد الشكوك في أمري، فمن المفترض أنني أومارية.

كانوا لُطفاء معي، لكنّهم حسبوا أنني واحدةٌ منهم وقد منعَتني إصابتي من التحوُّل، فكنتُ أحاول إقناعهم بالمعلومات التي عرفتُها عن عالمهم ريثما أتعافى وأجد مخرجاً.

بعد مرور عشرة أيام تعافى جرحي جزئيّاً، وباتَ هانسل يحملني على ظهره ويطير بي لأرافقهم في رحلات الصيد. اعتادت ثيودورا وجودي وتعلّقت بي كأنّني رفيقتها، لدرجة أنها كانت تحدّثني لساعاتٍ مُحاولةً إقناعي بالبقاء والعيش معهم،لكن ذلك مستحيل. كانَ عليَّ إيجاد بيتر والعودة إلى عالمي.

في إحدى تلك الأيام، بينما كُنتُ أتجوّل مع ثيودورا في السوق،نظرتُ إلى أبراج قلعة أدونايا الشاهقة، التي تلوح في السماء مِن بعيد، وفكّرتُ في احتمال وجود بيتر فيها وصعوبة إنقاذه. فجأةً انتشرت أصواتٌ عالية قادمة من فوق، كأنّهُ بلاغٌ ملكيّ،فَوقفَ الجميع ينظرون إليه، ظهرت صورةٌ في السماء،تشبه فيديو معروض بتقنيّة الهولوجرام، لشخصٍ عجوز داكن البشرة طاعن بالسنّ، يرتدي قلنسوة بيضاء وعليها نقوش زمرديّة، تحدّثَ مع الشعب:

"إنــهُ بــلاغ مــن الملــك الأســود. هنالــك بشــريّة عــلى ســطح أوزوريــس، ذات شــعر نحــاسيّ وعيــون خضــراء، تحمــل في رقبتهــا حجر أنترياس.

إنّهـا مطلوبـة، ومَـن يـأتي بهـا للملـك سـوف تـتمّ مُكافأتـهُ بـأن يُرقّـى إلى مرتبـة أومـاريوس، ليكـون مـن النُخبـة سواءٌ كـان ذكـراً أم أنثـى. هـذهِ البشــريّة تهـدد أوزوريــس كُلّــه وهــي خطــرٌ علينــا أجمعين. "

فــور أن ســمعتُ الكــلام ارتجفَــت أطــرافي. إن اكتشــفوا وجــودي سوف يسلّمونني لسايمون مباشرةً، ومـاذا تـراهُ سـيفعل لي بعـد مـا فعلتـهُ بـه!وقتَهـا لـن أسـتطيع إنقـاذ بيـتر وكلانـا سـيموت. مـن حسـن حظـي أنّنـي كنـتُ أرتـدي رداءً ذا قلنسـوةٍ تخفـي شـعري. استدارت نحوي ثيودورا قائلةً:

- لا أصـدّق أن هنـاكَ بشــريّ عــلى أرضـنا! يُقـال أنّهـم يشـبهونَنا جداً، لكنّهم أضعف منّا. هل هذا صحيح كاتيا؟

- لا أعـرف حبيبتـي .كتفـي بـدأ يـؤلمني، متـى يـأتي هانسـل ليعيـدنا إلى المنزل؟

- لا تقلقــي، لقــد أخبرتُــه بواســطة الكاهــال بــأن يــأتي، وهــو في الطريق الآن.

خرَجنـا مـن زحمـة السـوق وقـد اعـتراني التـوتّر، وقفنـا في مكـان هـادئ قُـرب إحـدى البنايـات بعيـداً عـن النـاس، إلى أن أتى هانسـل ليحملنـا إلى المنـزل. حـانَ المسـاء وكنّـا جالسـين نتنـاول العشـاء عـلى الطاولة الحجريـة، المليئـة بنقـوش وحـروف مـن لغـة غريبـة. كانـت نظرات هانسل نحـوي دافئـة، كـما هـو أسـلوبهُ الـذي تغـيّرَ تجـاهي

منذُ سادسِ يومٍ من مكوثي معهما. قررتُ كسر الصَمت المُطبق على المكان بالقول:

- لقد أصبحتُ بخير الآن، أعتقد إنّهُ قد حان وقت مُغادرتي. أشكركم من قلبي على ما فعلتموهُ من أجلي...

تركَ هانسل وثيودورا ملاعقهُما مصدومَين، وكأنّهم لم يتخيّلوا أنني سأقول هذا الكلام في يومٍ من الأيام. قامَت ثيودورا من الطاولة وبدا عليها الحزن وخيبة الأمل، حيث حبسَت بكاءها لتنفجر به على سرير غرفتها، بينما قامَ هانسل وخاطبَني باستنكار:

- كاتيا ما الذي تقولينه؟ أنتِ لم تزعجينا أبداً، بالعكس وجودكِ أعاد السعادة إلى ثيودورا من جديد...

- أنا مُجرّد غريبة قمتُم بمساعدتها، وأنا ممتنّة لما فعلتموه،لكن لا يمكنني البقاء، لديّ...

- ماذا لديكِ كاتيا؟ قلتِ أنّ أهلكِ ماتوا جميعاً وكُنتِ تعيشين خارج أدونايا بين المخلوقات والوحوش في الغابة. هل تُريدين العودة إلى هُناك وتركنا؟ ألهذهِ الدرجة الحياة معنا لا تُطاق؟

- أنا آسفة حقاً، لكن بأيّة صفة أعيش معكم؟

- أرجوكِ، من أجل ثيودورا...

- ثِق أنني أحبُّ ثيودورا جداً، لكنني مُجبَرة على الذهاب.

- إقنعي ثيودورا بهذا الأمر، ولا تكسري قلبَها.

حاولتُ إقناعها لكنها كانت مُتمسّكة بي جداً، وقالت أنها وجدَت أمّها بي. لم أستطع كسر خاطرها فقررتُ البقاء معهم لبضعة أيام إضافية، مع إنّني كنتُ أسابِق الزمن بحثاً عن ابني.

هَـرَب النـوم مـن عينـي، أنظـر مـن النافـذة إلى أدونايـا وبيوتهـا الحجريـة المُعلّقـة بـالهواء، فجـأةً شـعرتُ بيـد حطّـت عـلى كتفي،فَجفلـتُ واسـتدرت، كـان هانسـل، الـذي همـسَ لي وهـو ينظر إلى ثيودورا النائمة بغرفتها المجاورة لغرفتي.

- لا تُصدري صـوتاً وإلا اسـتيقظَت... أعلـمُ أنّـكِ لا تُريـدين البقـاء معنا، ولن أجبرَكِ كـما تفعـل ابنتـي، إنهـا طفلـة ولـديها غريـزة حُـبّ التَمَلّك.

- لا أعرف ما أقول...

- لا تقولي شيئاً، فقط اصعَدي على ظهري لننطلق.

تحَـوّلَ وصـعَدتُ عـلى ظهـره فَحلّـقَ بي عاليـاً، ابتعـدنا كثـيراً عـن المدينة قبل أن يهبط بنا ويعود إلى طبيعته.

- أينَ نحن؟

- ما بكِ كاتيا ألا تثقين بي؟

- على العكس، أثقُ بكَ جداً لكن لماذا أتينا إلى هُنا؟

- بعـد أن نجتـاز هـذهِ الغابـة الصـغيرة هُنـاكَ ممـرّ مـن تحـت السور يشبه المغارة، تستطيعين الخروج منه.

- هل سيقودُني إلى خارج أدونايا نهائياً؟!

- ألا تُريـدين الخـروج مـن أدونايـا والعـودة إلى حيـث أتيـتِ؟ لا تقلقي لن أتركِكِ تقطعينَ الغابة بمفردكِ.

- بـ.. بلى بالطبع أريدُ ذلك لكن...

- لكنّكِ خائفة ولا تُجيدين القتال والدفاع عن نفسكِ...

- لا بل أستطيع...

- أنـتِ لا تعـرفين شـيئاً... كيـف لفتـاةٍ عاشـت كـلّ هـذهِ المُـدة بـين أراضٍ خطِـــرة مثـــل بريكلـــز وأومـــاروس والآرســـيميا وغابـــة الألينان،واسـتطاعت البقـاء عـلى قيـد الحيـاة بـرغم عـدم معرفتهـا للقتال؟

- كنتُ أهرب أغلب الوقت.

- هه! قضيتِ حياتكِ كُلّها بالهرب، أليسَ كذلك؟

- إلامَ تُلمّح؟!

- لا ألمّح إلى شيء، وإنما أسأل من باب الفضول.

- حسـناً. أنـا أشـكرك جـداً يـا هانسـل لإيصـالي إلى مشـارف الغابـة. سأتدبّر باقي الأمر بمفردي.

- لن تستطيعي تدبّر أمركِ من دوني، سأوصلكِ للمغارة.

- قلـتُ لـك أشـكرك ولم يعـد هنالـك داعٍ لبقائـك معـي. عُـد وقَبِّـل ثيودورا وودّعها نيابةً عني.

وضعتُ يدي على صدره فَوقفَ وهو يُمعِن النظر إلى عينيّ.

- وداعاً هانسل.

لم ينطق بكلمة وظلّ يحدق بي، فرفعتُ يدي عن صدره.

- أنا سأذهب الآن، ولا تلحق بي أرجوك.

اســـتدرتُ لأضـــع قلنســـوتي عـــلى رأسي وأبـــدأ الســـير نحـــو الغابـة،فانبعثَ صـوت هانسـل مـن خلفـي وكنـتُ لا أزال قريبـةً منه.

- أعتقد أنّكِ نسيتِ شيئاً مُهماً، أم أنكِ لن تحتاجي إليه؟

التفَــتُّ لأجــد هانســل يحمــل قــلادتي (حجــر أنتريــاس) بيــده اليمنى ويلـوّح بهـا. أصبتُ بصدمة، فغرتُ فمـي وعلمـتُ أنّـهُ قـد

نصبَ لي فخّاً لا مفرَّ منه، وأنّ تلك الغابة لن تنتهي بمغارة للهرب بل بشيء أسوأ ممّا أتخيّل.

- منذُ البداية كنتَ تعرف إنني لستُ منكم، أليس كذلك؟

- بالتأكيد

. هل ظننتِني غبيّاً؟ لا يستطيع أوماري الحصول على هذا الحجر، مُستحيل.

- سَتُسلّمني للملك الآن؟

- أنا لا أحبُّ الملك ...أساساً لا أحد منّا يحبّه، لكن رغبةً في الترقية، لما لا. أتعرفينَ ماذا يعني أن أكون من النخبة؟!

- ....

- توقّعتُ أنكِ لا تعرفين

.النُخبة المُختارة من الأوماريا يحصل على طاقة النور الأعظم، فيكون له قوّة تُضاهي خمسة أضعاف قوّة الأوماريّ العادي،ويُمنح لقب بارون، ويكون لهُ منزلٌ فاخر وخدم إلينان خاصّين به، وثروة كبيرة. ألا تعتقدين أنّ هذا شيء يستحق المساومة؟

- ستُساوم بالتأكيد، لا ألومك. أي شخص بمكانك سيقوم بنفس الشيء، لكن لماذا لم تقم بتَسليمي منذ البداية؟

- لأنّني ظننتُ أننا نحكُم بشكل خاطئ على البشر، وأنهم ليسوا أنانيّين جداً كما نعتقد.

ظننتُ بأنّكِ ستَمنحين ابنتي دفء العائلة مقابل مَنحنا الحياة لكِ من جديد، لكنّكِ كُنتِ وستَبقَين أنانيّة.

- أنتَ لا تعرف شيئاً. يجب عليّ الذهاب.

- بل أعرف كُل شيء، خاصةً بعد البلاغ الملكي عرفتُ مَن تكونين بالضبط ولماذا جئت إلى أوزوريس. الآن وبدون مجادلة أو كلام امشي معي لنعبر الغابة سويةً.
- ألن تأخذَني إلى قصر الملك؟
- ستشهَدين ما هو أسوأ، لا تقلقي.
بعد نصف يوم من السَّير وصلنا إلى مغارةٍ مُغلقة بباب حجريّ،عليها نقوش غريبة أسفل السور كما قال سابقاً. "هل يُعقَل أنهُ سيُخرجني من أدونايا ليقوم بتَسليمي إلى التريفي أو الآرسيميا، أم ماذا؟ لا يُمكنني الخروج من أدونايا ابني هنا، ولا بُدّ أن أجده." بينما انشغلَ هانسل بفتح الباب وحلّ الأحجية الموجودة عليه، حملتُ قطعة مكسورة من جذع إحدى الأشجار وباغتُّه بضربةٍ على رأسه من الخلف، فسقطَ أرضاً لأهرب عائدةً للغابة. بعدَ فترةٍ من التوغّل فيها لاحظتُ وجود مجموعة من جنود الملك ومعهم وحوشُهم منتشرين في الغابة. حاولتُ التواري عن أنظارهم خلف شجرة كبيرة، لكن إحدى حيواناتهم جاءت تتقفّى الرائحة حتى عثرَت عليّ وحاصروني من كلّ جانب، وأنا في وسطهم أسند ظهري على الشجرة.
- أيتها البشريّة استسلمي الآن وإلا قتلناكِ فوراً.
نزل اثنان منهم من على ظهور حيواناتهم، وأمسكاني من ذراعيّ ليقوما بتقييدي وأنا أقاوم بيأس، قبل أن يهاجمهم فجأةً كائنٌ سريع جداً، خطفَ كالبرق من بينهم وقطعَ رؤوس الأغلبية منهم، عدا القائد ومساعده حيث تراجَعا وعادا أدراجهُما لعدم مقدرتِهم على رؤية ما الذي كان يقاتلهم. هبط

الكـائن وتحـوّلَ إلى هانسـل، الـذي تلطّـخَ رأسـهُ بالـدماء بسـبب ضربتي له. تقدّمَ نحوي قائلاً بغضب:

هانسل

- أيتها الغبيّة المجنونة أهكذا أفضل؟ لماذا هربتِ؟
- لن أخرج من أدونايا قبل أن أجد ابني. إن كنتَ تعرفني حقاً فلا بُد إنّكَ تعلم بأمر ابني المخطوف.
- لن تستطيعي إيجادهُ مهما حاولتِ، ما لم تأتي معي. سيعود هذا القائد ومعهُ المئات من الجنود للبحث عنكِ، وعندها ستموتين أنتِ وابنكِ.

خلال كلامه سمعنا أصوات حيوانات الجنود وهي تقترب منّا، فأعطاني يدهُ.

- كاثرين هيّا لنهرب من هُنا!
- أنتَ تعرف اسمي أيضاً؟

أمسكتُ بيده وانطلقنا بأقصى سرعة إلى المغارة، التي كان بابُها مفتوحاً فدخلناها قبل أن يُغلَق خلفنا. كان باطنُها مُعتماً.

- هانسل، ماذا يوجد داخل هذهِ المغارة؟
- انتظري.

أخرجَ من حقيبته إحدى الكُرات اللؤلؤيّة المُضيئة فأضاءَت المكان. كان أشبه بنفق يمتدّ للأسفل، سِرنا به حتى وصلنا إلى بركة صغيرة من مياه متوهّجة زمرديّة فاقعة اللون، تتوسّط كهفاً واسعاً بعض الشيء. وضع هانسل يدهُ في البركة وأخرجَ شيئاً كروياً غريب الشكل، وضعهُ على مَركز النقوش المحفورة في الأرض لتتوهج ، ثم تظهر من باطن الجدار ماسةٌ عملاقة تحوي بداخلها... سايمون!

كان حبيساً كأنّهُ متجمّدٌ بداخلها، وأحاطَ بهِ سائلٌ ذو شوائب لامعة. عامَت خصلاتُ شعره في السائل اللامع وهو شبه عارٍ.

نظـرتُ إلى وشـم ذراعـه فتـذكّرتُ يـوم الحـادث عنـدما كنّـا في المستشـفى، لحظتَهـا انتبهـتُ لأول مـرة لـذلك الوشـم المميّـز عـلى ذراعه الأيسر.

..... "كـان لـديّ جـرحٌ بـاقي الأثـر منـذُ الطفولـة، أردتُ إخفـاءه في أيـام المُراهقـة. عـرضَ عـليّ الواشـم مجموعـة مـن التصاميم وهـذا الوحيـد الـذي أعجبنـي وقتَهـا، قـال إنّـهُ يرمـز إلى السـموّ والشموخ" .

دمعَـت عينـيّ لا شـعورياً، واقتربـتُ مـن الماسـة مُحاولـةً لمـس وجهه، لكنّني أبعدتُ يدي بعد دقيقة مُستَدرِكة.

" لحظـة... مَـن يكـون الملـك الأسـود إذن؟! مَـن الـذي قتـلَ عـائلتي واختطفَ ابني إن كانَ سايمون محبوساً هنا؟!"

نهاية الجزء الأول من ملحمة اوزوريس

لا تغلق الكتاب هناك فلاش باك مهم

20

الحقيقة

(أوزوريس / 1931 م – 3861 ق)

في عهـد الملـك تورمـانيوس الأول توَحَّـدَت الممالـك وعـمَّ السـلام في أرض أوزوريـس. بـالرغم مـن قراراتـه الحازمـة والمتهـوّرة في بعـض الأحيـان، لكنـهُ كـانَ مـن أفضـل الملـوك الـذين حكمـوا الأوماريـا، ووسَّـعَ مملكتـهُ لتضـمّ كـل الممالـك تحـت لوائهـا .لم يثـق الملـك تورمـانيوس الأول سـوى بـوزيره أكـبرا، الـذي رَبّـاهُ وعَلَّمـهُ منـذُ طفولتـه،حيـث تعلّـمَ القتـال والتحـوُّل وكـل شيء عـلى يديـه،وكان أومارِيـاً ذكيّـاً وذا بـأسٍ شـديد. في يـوم مـن الأيـام، كـان الملـك جالسـاً عـلى طاولـة الطعـام، بعباءتـه الملكيّـة المنسـوجة مـن خيـوط (الأكسـين)[1]، عـلى رأسـه تاجـهُ المـاسيّ الـذي يتوسّـطهُ رمـز مملكـة الأوماريـا ، مـع الأمـير الصـغير، النـاظر إلى والـده بكـل إعجـاب وحُـبّ، وزوجتـه الملكـة أنـدينا، بشـعرها الأشـقر الطويـل جـداً، الـذي كانـت تسـاعدها في تصـفيفه ثـلاث خادمـات. حاوَلَـت كعادتهـا الجلـوس بوقـار يليـق بملكـة، لكـن مفاتنهـا الظـاهرة

1- (الأكسين) هي مخلوقات متوحشة خطرة جداً، تنفث مادة سامة جداً تحرق وتذيب جسد كل من تقع عليه عندما تشعر بالخطر أو باقتراب أحد منها، لكن بعد جفاف تلك المادة تتحوّل إلى خيوط لامعة رائعة الجمال، أجمل من أجود أنواع الحرير الخالص.

بشكل مُبالَغ به أذهبَت بذلك الوقار المنشود. لم تكن أندينا والدة الأمير بل زوجة أبيه، تزوّجَها عقبَ مرور خمسةٍ وتسعين عاماً على وفاة الملكة آماليا، بعد أن فتكَت بها (حُمّى باراداس)[1] المُميتة. خلال احتضار الملكة تمّ ربط خادمتها بجانبها لكي لا تهرب فَتنشُر المرض في إثر موت الملكة، وأقيمَت لها مراسيم عزاء في معظم أرجاء أوزوريس دامت لسبعة أعوام، بعدَها التقى الملك بتلكَ الشابّة الفاتِنة في إحدى حفلاته الخاصّة بسلالة الأوماريا. كانت ابنة أحد المدعوّين، وفورَ أن رآها وقعَ في شباكها وتزوّجَها.

جلست العائلة المالكة في قاعة الطعام، والحرّاس واقفون على بوّابتها، بينما انشغلَت الخادمات الأليان بتجهيز الطعام وتقديمه. بعد انصراف الخدم سأل الأمير أباهُ بحماس:

- أبي، بقيَ لي عامٌ واحد لأتمّ مئةً وخمسين عاماً من عمري، صحيح؟

- نعم يا عزيزي، وسنُقيم لكَ أجمل احتفال بتلك المناسبة.

1- (حُمى الباراداس) هو مرض مُعدٍ لا يترك المخلوق حتى يدمّر أحشاءه. في البداية ينتقل المرض من عشبة الباراداس التي تقع في غابة أوماروس، وبعد أن يموت المُصاب ينتقل إلى شخص آخر وهكذا.

- سـيكون بإمكـاني عنـدها التحـوّل إلى أي مخلـوق أريـدهُ في أي وقـتٍ أشـاء ألـيس كـذلك؟ أسـتطيع أن أصـبح كليفـين[1] وأطـير مثله،صح؟!

- نعـم حبيبـي بـالطبع، إن تـدرّبتَ جيـداً فسـوفَ تـتمكّن مـن ذلك.

- بالطبع، سأتدرّب ليلَ نهار. أنا متحمّس جداً يا أبي.

قاطعَتهُما الملكة أندينا:

- أيهـا الأمـير مـن فضـلك كـفّ عـن الأسـئلة، ودَع والـدك يكمـل طعامه. كُل يا مولاي وأكملا الحديث لاحقاً.

الـتقط الملـك اللّحـم مـن الصـحن ليأكـل، قبـل أن يقـتحم أكـبرا الغرفة مُسرعاً باتّجاه الملك.

- لا تأكل مولاي! إنه مسموم، هناكَ مَن يحاول قتلَك!

تفاجــأ الملـــك وتوقّفَــت اللقمـــة عـــلى شـــفتَيه كأنّـــهُ تجمّـــد للحظة،ثم أنزلَها ملتفتاً نحو أكبرا.

- مـا الـذي تقولـهُ أكـبرا؟ الـذي طـبخَ الطعـام هـو نفـس طـاهي القصر الذي يقوم بعملهِ كلّ يوم... كيف استطاعوا دسّ السم؟!

فجـأةً وقبـل أن يُجيـب، اتّسعَت عينـا أكـبرا وأخـذ يشـهق بعمـق للتـنفّس، ومـا لبـثَ أن سـقط عـلى الأرض وهـو يضـع كفَّيـه عـلى رقبتـه، محـاولاً إبعـاد القـلادة التـي تحمـل شـعار الـوزير. هـرعَ الملك نحوه وانحنى إليه ثم نادى الحرس بأعلى صوته:

2-(كليفين) أحد أنواع الطيور في أوزوريس والأكثر شهرة بينها، وهو بحجم النسر لكن شكله مختلف عنه، مغطى بجلد بدل الريش ويستطيع السباحة والطيران، بطنه ذهبيّة اللون وظهره أسود مع ذيل ساحر الجمال.

- أيها الحراس تعالوا! أكبرا أرجوك تماسَك... سيصل الحكيم الآن.
- مو... مولاي احـ... احذر... منهـ...
- ماذا؟ ممَّ أحذر؟ أكمل أكِبرا... أكِبرا!

فـارقَ أكِـبرا الحيـاة بعينَـين مفتـوحتَين وجسـد مُتصـلّب. وضـعَ الملك رأسـه في حجـره وهـو يصـرخ بـألم عـلى وزيـره المخلـص الـذي كـان بمقـام والـده ولـيس وزيـراً فحسـب. كـان الأمـير قـد تَسّـمرَ في مكانه مرعوبـاً، يُطـالع والـدهُ بنظـرات حزينـة وخائفـة، فقـد تفاجـأ برؤية أبيه مُنهاراً بذلك الشكل .صاح الملك بقوّة:

- أحضــروا كـلّ طهـاة القصــر والعـاملين في المطـبخ حـالاً. هنالـك خـائن بيـنهم وبالتأكيـد لـن يُفصـح عـن خيانتـه. أريـدُ إعـدامهم جميعاً أمام عينيّ!
- أمرُكَ مولاي...

اتّجـهَ قائـد الحـرس، والـذين كـانوا جميعـاً مـن سـلالة كلاريـوس (أنصــاف العمالقــة)، إلى مطــبخ القصــر. كــان المطــبخ واســعاً جـداً،مبنيّاً مـن الرُخـام، وانتشـرَت فيـه القـدور الكبـيرة عـلى عيـون النـار مـع روائحهـا الشـهيّة. دخـلَ قائـد الحـرس فاتّجـه نحـوهُ مُساعد رئيس الطُهاة:

- القائــد أبينــور تفضّــل أهــلاً وســهلاً بِــك، مــا هــذهِ المفاجــأة الجميلة؟
- أين رئيس الطُهاة؟ أريدُ رؤيتهُ في الحال.

قائد الحرس الملكي : ايبنور

- أتى صوت من الخلف.
- أنا هنا، تفضّل ماذا تريد أبينور؟
- الملـك قـرّر إعـدام كـادر الطهـاة جمـيعهم دون اسـتثناء، وعـلى رأسهم أنت، وأعطاكَ فرصة واحدة لتنقذ بها الأرواح...
- ما السبب؟ ما الذي فعلناه لكي يُقرّر إعدامنا؟
- الطعـام مسـموم! أكـبرا مـات قبـل قليـل بسـببه، ولـولا تدخّلـهِ لكان الملك الآن ميّتاً أيضاً.
- ماذا تقول بحق السماء؟ كيف؟! مستحيل...
اقتربَ أبينور نحوهُ ورفعهُ من ياقته لينظر في عينيه.
- اسـمعني جيـداً أيهـا العجـوز، إيّـاكَ ومحاولـة اسـتغفالنا لتمثيـل دور الـبريء، فالتُهمـة لا يمكنهـا أن تخـرُج مـن حـدود هـذا المكـان. لـديكَ فرصـة لإنقـاذ زملائـك إذا اعترفـتَ بمـا فعلـت، وإن لم تعـترف فالكلّ سيُعدَمون!
دبَّ الرعب في المطبخ وتعالت الأصوات:
- نحنُ لم نفعل شيئاً.
- هذا ظُلم فادح.
- اتركونا نحنُ أبرياء.
- صدّقونا نحنُ لم نفعل شيئاً.
ثم أفلتَهُ ليسقط على الأرض، وخرج من باب المطبخ صائحاً:
- ضـعوه في الزنزانـة، واحكمـوا إغـلاق بـاب المطـبخ واحرُسـوها جيداً .إيّاكم أن تدعوا أحداً منهم يهرب!
كانت صرخات المتّهم خلفهُ:
- أنا لم أفعل شيئاً... أقسِم أنني بريء!

ذهــبَ أبينــور إلى الملــك ليجــدهُ يشـــرب (الزينــون[1])وهــو شــبه مُنهار.
مولاي قبضنا على رئيس الطُهاة ونحنُ بانتظار أوامرك.
- سآتي ليتمَّ استجوابُه أمامي.
- أمرُكَ مولاي.
اتجـهَ الملـك مـع قائـد الحـرس إلى الزنزانـة وفتحـوا بابها،ليتفـاجئوا بمـوت رئـيس الطهـاة،حيـث أحاطـت عينيـه بقـع زرق بيـنما امـتلأ جلـدهُ بتشـجُّراتٍ أرجوانيـة. نظـر الملـك إلى جثتـه لدقيقـة قبـل أن يتكلّم:
- لقـد قتلـوه لـكي لا يَكشِـف القاتـل... غـداً سـيُنَفَّذ حُكـم الإعـدام بجميع طُهاة وخَدَم القصر بدون استثناء!
- مولاي... حتى سايلا مُربّية الأمير؟
- سايلا أثق بها، وليسَت مشمولة بهذا القرار.
في اليــوم التــالي، جلــس الملــك عــلى كرســيّه في مقدّمــة قاعــة الإعــدام، بعــد أن احتشــد الآلاف مــن ســكان أوزوريــس ليشــهدوا الواقعــة. تــمّ وضــع مئــة مــن العــمال والخــدم، الــذين عملــوا في المطــبخ والقصـــر، راكعــينَ في القاعــة الدائريــة، التــي توسّــطَتها بحـيرةٌ تـأوي أشرس وأخطـر مخلـوق في أوزوريـس (الكريـدينس). بـدأت مجموعـة مـن جنـود الأوماريـا باسـتدعاء المخلـوق بطريقـةٍ

1- (الزينون: شراب لذيذ المذاق يخدّر الأعصاب ويريحها ويعطي شعور بالبهجة، لكنهُ لا يُفقد الوعي والادراك العقلي. يشربهُ سكان اوزوريس بكثرة ويتكوّن من كرات صغيرة جداً كأنها فقاعات شبه شفافة أرجوانية اللون حامضة، يحيط بها سائل حلو المذاق).

خاصّــة، تضــمّنت قــرع الطبــول وترديــد كلــمات (إيمــون كانمــا دارا غــام - إيمــون كانمــا دارا غــام - إيمــون كانمــا دارا غــام)[1]،حتّــى ظهــر فَتوقّفــوا عـــن الترديـــد، واســـتمرّوا بقـــرع الطبـــول بـــنفس النغمــة،ليخرُج مــن البحــيرة مُنقَضّــاً بســرعة خاطفــة عــلى رؤوس المحكـــومين، فأكلهـــا جميعـــاً، وبقيـــت أجســـادهم بـــلا رؤوس للحظـات قبـل أن تسـقط عـلى الأرض المضـرجة بالـدماء، الواحـدة تلو الأخرى.

1- جملة باللغة الأوزورية القديمة (لغة قيام المملكة الأولى على أرض أوزوريس)، استدعاء للوحش الهائل المُنزّل من الآلهة لتطهير خطايا المخلوقات ومعاقبتهم عليها حسب معتقداتهم.

Mary

عـاد الكـائن الرهيـب إلى البحـيرة واختفـى، لتنتهـي بـذلك طقـوس الإعدام التي أقامها الملك.

لم يفارق الحـزن قلـب الملـك بعـد انتهـاء عـزاء أكـبرا، حيـث حـبسَ نفسـه ولم يـتكلم أو يقابـل أحـداً لعـدّة أيـام، بعـدها خـرج مسـرعاً مـن قاعـة العـرش وأمـر بعقـد اجـتماعٍ طـارئ، لـيعلن قـرارهُ بإقامـة تحـدٍّ يختـبر بـهِ الشـخص الأنسـب لشَـغل منصـب أكِـبرا. في البـدء لم يعــرف أحـــد ماهيّـــة التحـــدي، لكـــنّ التقـــديم كـــانَ مفتوحـــاً للجميع،وشـــارك الكثـــيرون طمعـــاً في المنصـــب العظـــيم، ليعرفـــوا لاحقـاً أنّ التّحـدي كـان (لعبـة الـدوكاتوا[1]) القديمـة جـداً. في اليـوم المُحـــدّد، وعنـــد بـــدء اللعبـــة وقـــفَ المشـــاركون أمـــام خـــط البدايـة،وكان أغلـبهم مـن الأوماريـا وبعضُـهم مـن التريفـي، بيـنما احتشـدَ جمهـورٌ أوزوريّ غفـير للتفـرُّج. تسـاقطَ معظـم المُتنافسـين بعـد أول خمـس بوّابـات، مـن أصـل عشـرين بوّابـة، ليبقـى مـنهم عشرة أفراد، ثمانية من التريفي واثنان من الأوماريا.

1- (لعبة الدوكاتوا) لعبة قديمة اشتهرت في القرون الماضية في أوزوريـس حتـى اصبحت مباريات لهذه اللعبة تُقام بـين الممالـك، لكـن شـعبيتها تلاشـت منـذُ عشرة قرون بسبب المبـاراة الأخـيرة التـي حـدثت فيهـا مجـزرة أودت بجميـع المُشاركين والجمهور. أول من اخترعها هم التريفي وانتشرت بشكل كبير في كـل أوزوريس. تتكون من بوابات طافية بالهواء لا تسـمح بـالمرور عبرهـا إلا بحـل الأحجية في خمس دقائق، ومَن يفشل تظهـر لـه مخلوقـات الـدوكاتوا التـي لا ينجو منها أحد، فهي مخلوقات بحجم كف يـد الإنسـان طـائرة تخـترق الجلـد وتدخل لتأكل الدماغ.

XXIV بوابات لعبة الدوكاتوا المميتة

XXV حشرات الدوكاتوا

استمرّ تساقط اللاعبين حتى بقي اثنان فقط، أوماريّ وتريفي وأمامهم خمس بوّابات، وبالرغم من ذكاء التريفيّ إلا أنه كان بطيئاً مقارنةً بذلك الأوماري العجيب "روي"، الذي كان يحلّ اللغز دون أن ينظر إليه حتّى، فتُفتَح له البوّابات تباعاً حتّى تمكّن من الفوز. انبهرَ الملك بقدرته الهائلة، واتّهمَهُ التريفي الأخير بالغشّ وبأنّهُ قد أخذ أجوبة الأحاجي مسبقاً،لكنّ الملك استبعدَ احتمال الغشّ، وصبَّ اهتمامهُ على الحظوة بوزير مثل أكِبرا، وبدا ذلك الفائز لهُ أقرب شخصٍ لذكاء أكبرا، وهكذا نال روي منصب الوزير .أدهَشَ روي الملك يوماً بعد يوم، حيث كان ينفّذ رغباتهُ وأوامرهُ حتى قبل أن يقولها، وصارَ أكثر المقرّبين من الملك. في يوم من الأيام، بينما كان الملك واقفاً في شرفة قاعة العرش، طلب من أبينور أن ينادي الوزير.

- أبينور، أبلِغ روي إنّني أطلبُه.
- أمرُكَ يا مولاي.

أتى الوزير روي إلى الملك، الذي كان سارحاً بالأحجار اللامعة التي تطفو في السماء كشظايا لأجرامٍ سماويّة، ثم ركع وألقى التحية.

- جلالتك، هل أرسلتَ في طلبي؟

استدارَ الملك نحوهُ وابتسم.

- نعم روي. تعالَ إلى جانبي.
- مُرني يا مولاي، هل هناكَ شيء؟
- أصبحتَ قريباً جداً إلى قلبي يا روي، وأنا الآن أفكّر في سعادتك وكأنّكَ ابني.

- أشكُرَكَ مولاي. هذا حقاً شرَفٌ كَبيرٌ لي.
- ألَم تكتفِ من الوحدة؟! أشعر أنهُ حانَ الوقت لتكون لديكَ عائلة. أكبرا مات ولم يحصل على عائلة بسببي، ولا أريدُ تكرار ذلك الأمر معكَ أيضاً.
- لكن يا مولاي، أنا سعيد هكذا...
- لا تقُل هذا. أعلم أنّكَ تُريد زوجةً وأطفال، لا داعِ لإخفاء رغبتك، إنها فطرةٌ مخلوقة فينا. هيا اذهب واستعدّ لأنّ زواجكَ سيكون الأسبوع المُقبل...
- ماذا؟ مَن سأتزوّج؟
- لا تقلق، فقد اخترتُ لكَ أومارية جميلة جداً ومن عائلة راقية.
لم تبدُ علامات الرضى على ملامح روي، لكنّ الملك كان سعيداً جداً، وكأنّ همّاً قد انزاحَ من قلبه. في تلك الأثناء وفي الجناح المَلَكي كانت الملكة إندينا الحسناء، زوجة الملك تورمانيوس، تذرع الغرفة جيئةً وذهاباً، بينما خطّت الأرض أطراف شعرها الأشقر الطويل. طُرِقَ بابُها فأجابت:
- ادخُلي.
دخلَت الخادمة لتتّجه إندينا نحوها وتُمسِكها من ذراعيها.
- ماذا سمعتِ؟ ماذا أرادَ منهُ؟
- مولاتي، الملك يُريد تزويج الوزير، وقد اختارَ لهُ العروس وحدّدَ موعد الزفاف، سيكون الأسبوع المُقبل.
اتّسعَت عينا الملكة وشرد بالُها، بدت أنها في صدمة ممّا سَمِعَت.

- ما بكِ مولاتي؟
- اخرُجي من هُنا.
- ماذا هُناك مولاتي لمَ حزنتِ؟

صرخَــت إنــدينا ورفعَــت مرآتهــا اليدويّــة ورمَتهــا باتجــاه الخادمــة،لكنّها ابتعــدَت وخرجــت مــن الجنــاح، فلَــم تُصِــبها بــل سقطَت على الأرض وانكسرَت.

دارَت الملكــة بغضــب في الغرفــة وهــي تــدعك أصــابع يــدَيها المقبوضتَين نحو بعضهما بتوتّر.

"كنـت أعلـم إنّـهُ ينـوي عـلى شيء لكـن لـيسَ هـذا... تبـاً روي لـن يتزوّج... تباً لكَ أيها العجوز الخَرِف" .

في الجانــب الآخــر مــن القصــر كــان الــوزير روي في جناحــه مُســتلقياً عــلى سريــره، يرتــدي قميصــاً أســود مفتوحــاً مــن الأمام،ويشــرب الزينــون وهــو ينظــر إلى ســقف الغرفــة، قبــل أن يسمع صوتاً قريباً.

- مَن هناك؟
- إنها أنا يا سيادة الوزير...
- مَن أنتِ؟
- أنا بقُربك ولستُ خارج المكان.

نظر إلى الأرض فوجد طائراً صغيراً.

- أنتِ خادمة إندينا أليس كذلك؟
- نعم سيّدي .معي رسالة من الملكة.

تحوّلــت الخادمــة إلى شــكلها الطبيعــي لتعطيــه الرســالة، التــي تناولَها من يدها بسرعة وفتحها.

(روي أنـا موافقـة عـلى تنفيـذ مـا طلبتـهُ منـي، فَلَـم أعُـد أحتمـل. علمـتُ بقــرار تزويجــك الأســبوع المُقبــل ولــن أســمح بحدوثــه. قابِلني في مُنتصف الليل عند شجرة الأيركاني).

مــزّقَ الرســالة وألقاهــا في النــيران الزرقــاء داخــل المدخنــة، ثــم استدارَ نحو الخادمة.

- قولي لمولاتكِ أنّني سوف آتي.

بحلـول مُنتصـف تلـك الليلـة، ذهـبَ روي لشـجرة الأيركـاني ليجـد إنـدينا واقفـة تحتهـا، بردائهـا الزمـرديّ ذي القلنسـوة التـي غطّـت أعلى وجهها. ما أن سمِعَت وقع خطواته استدارَت مرعوبة.

- هذا أنا، لا تخافي مولاتي...

- أما زِلتَ تُناديني مولاتي بعد ما حَدَثَ بيننا؟

وقَـفَ بـاحترام وضـمّ يدَيـه نحـو بعـض، محـاولاً تحـاشي النظـر إليهــا، فَرفعَــت قلنســوتَها ليظهــر وجههــا الــذي كــان مشــرقاً كالشمس في الظُلمة، مع شعرها الذهبيّ المُنسدل على الجانبَين.

- ما بِك؟ لِمَ لا تنظُر إليّ؟!

مولاتي أنا أحترمُكِ جداً ولا يمكنـ...

- هل تفعل ذلك بسبب تصرّفي مَعَكَ في ذلك اليوم؟

- اعـذُريني مـولاتي لكنّنـي وقتَهـا تجـاوزتُ حـدودي واسـتحقّيتُ مـا فعلتِـهِ معــي... كـان يجـب أن أحـتفظ بمشـاعري لنفســي، لأنّهـا مشاعرٌ خاطئة.

- أتعلَـم يـا روي أننــي تزوّجــتُ الملــك فــورَ بلــوغي سِــنّ الرُشــد؟ كنــتُ كأيّــة فتــاة أحلــم بشــابٍّ أحبّــهُ ويحبّنــي، لكــنّ الــديون تراكمت عـلى والـدي مـن المملكـة، حتـى عجـزَ عـن سـدادها، وكـان

الحلّ الوحيد هو أن أوافق على الزواج من الملك! هو لم يُقايِض أبي مباشرةً، بل أعطاهُ مُهلةً قصيرة، وفي نفس الوقت أعجِبَ بي وطلب يدي منه. أعتقد أنها كانت طريقة مُتحضّرة للمقايضة،أليسَ كذلك؟!

- مولاتي عفواً منكِ ولكن أنا...

- أرجوكَ دعني أكمل روي...

بدأت عيناها تترقرق بالدموع.

- أتعرف ماذا يعني أن تتزوّج فتاةٌ شابّة بلغت المئة وخمسون عام توّاً من رجلٍ عمرهُ أربعمئة وتسعون عاماً؟! فتاة بعمر ابنه , أتعرف شعورها حينَ تُساقُ إليه؟! رغمَ كُل ذلك فَقد أخلصتُ له بكلّ ما أستطيع، إخلاصاً أعمى... لكنّني أحببتُكَ روي...

- ماذا مولاتي؟! لكنّكِ في ذلك اليوم نهرتِني ووبّختِني حين ضعفتُ واعترفتُ لكِ بمشاعري، وأخذتُ عهداً على نفسـ....

قاطعَت إندينا كلامهُ بمسكِه من نَحرِه، لتُقَبّلهُ قُبلةَ شغفٍ طويلة ذهبا فيها لعالمٍ آخر، وعلى بُعد عشرات الأقدام منهما كانت سايلا مُربّية الأمير بالصدفة في الحديقة، مصدومةً ويدُها على فمها ممّا رأتهُ توّاً، فَأخذَت تحاول الاختباء.

- ماذا فعلتِ مولاتي؟!

- أنا أحبُّكَ روي ولن أرفض حُبّكَ هذهِ المرة. لن أسمح لهُ بأن يزوّجكَ من تلك المرأة، أنتَ لي وحدي ولن أتخلى عنك.

- مولاتي أنتِ لا تعرفين كم أحبّكِ...

استدارَت الملكة ووضعَت يدها على جذع الشجرة، وتحسّستهُ بأناملها حتّى ضغطَت على نقطة معيّنة فيه، ليُفتَح باب خفيّ

خلـف الشـجرة. تفاجـأ روي مـما رآه،فَقبَّلَتـهُ قُبلـةً رقيقـة وهـي تبتسم وتنظر بِوَلعٍ إلى عينَيه.
- تعال لنكمل حديثنا...

سحبَتهُ من ياقتِه ليدخلا ويُغلَق الباب.
أمّـا سـايلا فاسـتغلّت عـدم تواجـد أحـد يلاحظهـا لتهـرب مُسرعة.
قبل حلول الفجر خرجت الملكة وكانت خادمتها تنتظرها.
- هل رآكِ أحد؟

- لا مولاتي، لكن الفجر شارفَ على البزوغ.
خرج روي من خلفها ونظر إليها مبتسماً وعيناهُ تلمعان.
- إذَن كما اتّفَقنا حبيبتي؟

- بالطبع... سينتهي كلّ شيء قريباً.
عـادَت سـايلا مصـدومةً ومشـمئزّة مـمّا شـهدَتهُ، لم تعـرف مـا تفعـل، فأغلقَـت البـاب وجلسـت تحـاول اسـتيعاب مـا جـرى، قبـل أن يدخل صبيّ، عمرهُ حوالي مئة وعشرة أعوام.
- أمي لقد أتيـتِ أخيراً، أيـن كُنـتِ منـذُ الصباح البـاكر؟ اسـتيقظتُ ولم أجدكِ...
- كان لديّ عمل.

- حسـناً، سـأذهب لنتـدرّب سـويةً أنـا والأمـير. هـل تـأتينَ معنـا لتُشاهدي كيف سأغلبهُ مثل كلّ مرة؟
- طبعاً ... طبعاً، سآتي.
في اليـوم التـالي كـان الملـك جالسـاً عـلى عرشـه وإلى جانبـه وزيـرهُ روي، يشاورهُ في أمور المملكة، عندما أتى أحد جنود الكلاريوس.

- مـولاي، جماعـة مـن التريفـي أعلنـوا التمـرّد جَـرّاء مـا حـدث في أثنـاء المسـابقة. يتّهمـون جلالتـك بـالتواطؤ مـع الـوزير واختيـاره منـذُ البدايـة ولا يرضـونَ بحُكـم ملـكٍ غـير عـادل. إنّهـم في الطريـق إلى القصر الآن.

هَبَّ روي قائلاً بغضب.

- مولاي اعطِني إذنك لأذهب وأعود لك بأشلائهم.

- إذهـب واقمَـع هـذا التمـرّد في الحـال! كيـف يجـرؤون عـلى فعـلٍ كهذا؟ لقد نسيوا أنفسهم بالتأكيد.

هكـذا ذهـب روي، وبعـد قتـالٍ دامٍ قُضـيَ أمـر التمـرّد وعـادَ منتصـراً. كـان مَيّـالاً لاسـتخدام العنـف والتهديـد لفـرض السـلام في أوزوريس، وكـان الملـك في غايـة الـرضى والسـعادة بمـا آلَ إليـه حـال أوزوريـس مـن سـلام واسـتقرار، دون أن يعـرف الطريقـة التـي جعلـت سـكان أوزوريـس طـوعَ أمـره، حتّـى جـاء دورهُ متـأخّراً ليُـدرك فداحـة خطئـه وغبـاء ثقتـه العميـاء، في لحظاتـه الأخـيرة،وروي جـاثمٌ عـلى صـدره ليقتلـع قلبـه وهـو يلفـظ آخـر أنفاسه.

في يـوم عيـد مولـد الأمـير المئـة، وبعـد انتهـاء الاحتفـال ذهـبَ الملـك تورمـانيوس لغرفتـه، فوجـدَ الملكـة بأجمـل إطلالاتهـا، ترتـدي ثوبـاً زمرديـاً شـفّافاً مكشـوف الصـدر والأكتـاف، فأفقدَتـهُ صـوابهُ بجسـدها المُلتهـب وشـعرها الحريـري الخـلّاب. تـودّدَت إليه،غازلَتـهُ وتقرّبَـت منـهُ حتـى أنسَـتهُ العـالم بمـا فيـه، ثـم لَفَّـت شـعرها الطويـل حولـه، ليفقـدَ وعيـهُ فجـأةً للحظـاتٍ لم يشـعر بعـدَها إلا بكونـه مُقيَّـداً وفمـهُ يؤلمـهُ بِشـدّة وقـد امـتلأ بطعـم

الـدم.كـان لسـانُه مفقـوداً فَلـم يسـتطِع الصـراخ أو التكلّم،ووقفَـت زوجتـهُ أمامـه، وهـي ترفـع لسـانهُ الموضـوع داخـل قـارورة مـاء لِتُريهِ إيّاه. كانـت تبتسـم بخُبـث وتهـزّ القـارورة يميناً ويسـاراً، وقـد قصـُرَ شـعرَها حتّـى وصـلَ إلى خصـرها، بعـد أن كـان ينسـاب وراءها كالعباءة الطويلة.

الملكة : اندينا

التفتَ تورمـانيوس ليجـد أنّ شـعرَها قيَّـدَ أطرافـه وقـد تحـوّلَ إلى أسواطٍ مُضيئة.

Mary

ثمّ ما لبثَ أن دخل روي للغرفة من الباب السرّي، الذي لم يعلم بوجوده سوى الملك،فتفاجأ الأخير بذلك، لكنّهُ شعرَ براحةٍ غامرة بقدوم روي لإنقاذه. نظرَ روي إليه وابتسمَ ابتسامةً عريضة قبل أن يتّجه نحو زوجته ليُقَبّلا بعضَهما بحرارة. عاد بعدَها إلى الملك المُمدّد وصعد على السرير جالساً على صدره ليقتلع قلبه بكل وحشيّة وملكهُ ينازع تحته. قامت الملكة برسم التعاويذ بدماء الملك المغدور على الأرض والرماد باللغة الأوزورية القديمة، ونهضَ روي حاملاً القلب ليقف في منتصف الشكل السداسيّ الدموي والمُحاط بالتعاويذ، وبدأ يردّد عبارات (آدوم داركين أومانيا دونيس... آدوم داركين أومانيا دونيس... آدوم داركين أومانيا دونيس... آدوم داركين أومانيا دونيس...) حتى ظهرَ شعاعٌ غريب من الخطوط والكتابة المرسومة على الأرض، وتصاعدَ دخانٌ أسود من تحت قدميه، فابتعدَ وانحنى نحوهُ باحترام، قبل أن يتحوّل الدخان إلى كائنٍ هائل مُخيف،إله الظلام (داركيستر)، الذي عزمَ روي على التعاون معهُ لمنحه قوّته وجيوشه، ولا يمكن ذلك إلا بقتل الملك وتقديم قلبه كقربانٍ لهُ، لأنّ سليل العائلة الحاكمة، وهو الجدّ السابع للملك تورمانيوس، هو مَن قامَ بسجن داركيستر، بعد معركة دامت مئة عام، حيث أنّ للعائلة الحاكمة للأوماريا قوّةٌ عظيمة لم يتمكّن إله الظلام من التغلّب عليها. تحدّثَ داركيستر مع روي،وقام بإمساك القلب وتحويله إلى حجارة سوداء أعطاها لروي ليرتديها كخاتمٍ في يده، ثم اختفى. نهضَ روي واستدارَ نحو الملكة مبتسماً وأمسك كتفَيها بكلتا يديه قائلاً:

- الآن ستصبحين مليكتي. فقط انتظري في مكانكِ، وسأرسل لكِ مَن يُخلّصكِ من هذه الفوضى.
- ماذا؟ ستخرج وتتركني مع جثة الملك؟! ماذا لو دخل أي شخص أو كُشِفَ أمري؟! لا، سوف آتي مَعَك.
أرادت أن تتحرّك فضغطَ على كتفَيها بقوّة جعلتها تتأوه ألماً.
- هل جُننتِ؟ ستُفسدين كلّ ما فعلناه حتى الآن! اسمعي كلامي وابقَي هنا، وإلا أنا لستُ مسؤولاً عمّا سيحدث لكِ إن خرجتِ.
- ما بكَ روي؟ أنتَ تؤلمني. لماذا تنظر إليّ هكذا؟ هذه أول مرة تُعاملني فيها هكذا. ألستُ حبيبتك أم لم أعد كذلك؟! ألا تخاف من ضياعي منك؟ لقد فعلتُ كلّ هذا من أجلِك!
- تغيّرَت ملامحهُ وابتسم، وخفّت قبضتهُ على كتفيها.
- أنا آسف حبيبتي. أنا متوتّر جداً، وإلا لن أعاملكِ بهذه الطريقة. فقط ثقي بي إذا كنتِ تحبّينني حقاً، وابقَي هنا ريثما أعود لكِ.
- حسناً حبيبي. بالطبع أثق بك، سأنتظرك ولكن...
- من دون لكن حبيبتي.

فاستدارَ نحو الباب السرّي خلف المرآة وخرج منها. بقيت هي تنتظرهُ بقلقٍ بالغ، وهي تنظر لِجثّة الملك، حتى حلَّ الصباح ولم يأتِ. حاولَت الخروج من الباب السرّي فوجدتهُ مغلقاً، وتصاعدَت دقّات قلبها وملأها الرعب، قبل أن يُفتَح باب غرفة الملك ليدخل روي ومعهُ حرس، لينظر بصدمةٍ إلى جثّة الملك على السرير، مخلوعة القلب واللسان، وهو مصدومٌ كأنّهُ

بـريء مـن تلـك الفعلـة الشـنيعة. تملّـكَ الـذهول الحراس،قبـل أن يرفع روي رأسهُ صارخاً بأعلى صوته:

- إنّهـا هــي مَــن قتلتــه! لقــد غــدرَت بملكنــا وتعاونــت مــع المتمرّدين. يجب أن تُعدَم! اقبضوا عليها فوراً!

فكـرت في الهـروب مـن النافـذة الكبـيرة، مـع إدراكهـا بأنّهـا لـو رَمَـت نفسـها فسـوفَ تمـوت لأنّ الغرفـة عاليـة جـداً وفي الأسـفل أحجـار ضـخمة لا تـرحم .هرعـت نحـو النافـذة وصـعدت عـلى حافتها، لتنظر إلى روي بعينَين مليئتَين بالدموع.

- سـوف تنـال عقابَـك عـلى هـذا، الآن أو بعـد ألـف سـنة مـن موتي...

ركـض الجنـود ليُمسـكوا بهـا، لكنّهـا رمَـت نفسـها بعـد ثـوانٍ مـن كلماتهـا الأخـيرة. وهكــذا بــدأ حكــم روي، كونــهُ وَصــيّاً عــلى الأمير،بعـد انتحـار الملكـة التـي تـمّ اتهامُهـا بقتـل الملـك لوحـدها. لكــن ســايلا، مربّيــة الأمــير، اســتطاعَت تهريبــهُ في نفــس الليلــة المشـؤومة، لأنهـا علمـت بوجـود مكيـدةٍ حاكهـا روي مـع الملكـة دون أن تعـرف فحواهــا. فَقــد رأتهُــما أكــثر مــن مــرّة في أوضــاع حميميّـة دون أن ينتبهـا لوجودهـا، فتقـف لتسـمع مـا يتهامسـان بـه، لكنّهـا لم تـتمكّن مـن سـماع كـلّ المخطّـط، ولم تحـاول إخبـار الملك لأنهُ لن يصدّقها.

لهــذا وفــورَ ســماعها بخــبر مَقتــل الملــك، وقبــل اعــتلاء روي للعرش،قامـت بتهريـب الأمـير وأرسـلتهُ إلى التريفـي مـع ابنهـا والألينــان الخــاص بــه، الــذي حملــهُ إلى مَــوطن التريفــي. ضــجَّ القصـر وقتَها بالبحـث عـن الأمير، حتـى أخبرَتهم مربّيتـهُ أنـهُ مـاتَ

إثــر إصــابته بمــرض البــاراداس مثــل والدتــه. لم يُــثِر ادّعاؤهــا الاسـتغراب، لأنّ ذلـك المـرض لا تظهـر أعراضـهُ إلا قبـل يـوم مـن وفاة المريض، ولا أمل في الشفاء منه.

هكـذا أصبح روي كيهـان ملكـاً لأوزوريـس، لكـنّ مملكـة التريفـي أعلنـت انفصـالها عـن حكمـه ورفضـها لـه، سـاعدها في ذلـك كونهـا مملكة ذات حصنٍ قـوّي فـلا أحـد يسـتطيع اختراقهـا أو شـنّ حـربٍ عليهــا، لأنهــا تقــع فــوق الفاصــل الضــيّق بــين نصــفي كوكــب أوزوريـس النـاري والجليـدي، مجموعـة جُـزُرٍ طافيـة في السـماء،لها غلافٌ يحـيط بهـا ويحـافظ عـلى جوّهـا الخـاص، بعيـداً عـن الأجـواء القاسـية لنصـفَي الكوكـب في الأسـفل. حلّـقَ الألينـان كرونـد، بعـد أن تحــوّلَ إلى كــائن (الــداميني)[1]، في رحلتــه الشــاقة إلى جــزر التريفـي، حـاملاً الأمـير وابـن سـايلا عـلى ظهـره. عنـدَ وصـوله إليهـا كـان الحـاجز الـوهمي الفاصـل قويـاً جـداً، توسّـطَتهُ بوّابـة يحرسـها مـن الـداخل حارسـان مـن التريفـي، اللّـذان شـهَرا السـلاح واتّخَـذا وضـع التأهّـب للقتـال، اسـتعداداً للـدفاع عـن الأرض، لكـن كرونـد تحــرّك في الهــواء راســماً بالــدخان الأزرق الــذي ينفثــهُ مــن فمـه(علامـة السـلام[2])المعروفـة في كـل أنحـاء أوزوريـس، فَهـدأ الحرس وفتحـوا لـهُ البوّابـة سـامحينَ لـهُ بالـدخول. فـورَ دخولـه عـاد

1-(الداميني) هي مخلوقات طائرة تحوي في ظهرها غرفة هوائية تستطيع أن تحمل بها ما تشاء، وهـي الوحيـدة التـي بإمكانهـا الوصـول إلى جـزر التريفـي لكونها تتحمل الحرارة والبرودة الموجودة في الطريق.

2- هي علامة الأم ماكدونيليا، رمز السلام والخير في عالم أوزوريس.

ألينان طبيعي وأخرج الأمير وصاحبه من غرفته الهوائية، ليتكلّم بأنفاس متقطّعة:

- أرجوكم أيها التريفي... أنتم الوحيدون الذين لم تطَلهُم سلطة روي بعد... لقد قمتُ بتهريب الأمير ومساعده من قبضة ذلك الظالم لأنهُ بالتأكيد سيقتلهُم... أرجوكم دعوهم يعيشون بينكم.

كان الأمير جاثياً على ركبتيه يحاول تمالك نفسهُ من السُعال وابن سايلا يساعدهُ للوقوف .حضرت تريفيّا تمتطي الألينان الخاصة بها وقالت بصوتٍ جهوري ثابت:

- تمهّل وتكلّم على مهلك. سوف أعرضكم على والدتي الملكة،وبالطبع سوف ترحّب بالأمير. لكن ما الذي جعلكم تهربون من الملك روي وهو الوزير المقرّب للملك المغدور؟ على أية حال، تعالوا معي لأوصلكما إلى والدتي، وهي ستعرف هذا منكما.

هبطَت لهما، فَصعدوا معها لتطير بهم بين مباني مملكة التريفي الغريبة والجميلة، حتى وصلت إلى قاعةٍ كبيرةٍ جداً وسط الجزيرة، تعلوها على الجوانب مبانٍ شاهقة، وكان العديد من التريفي مجتمعين كأنّه حفل أو شيء شبيه به. هبطوا في القاعة فالتفتَ الجميع نحوهم باستغرابٍ وفضول واضحَين. تقدّمَ أحدهم قائلاً:

- سمو الأميرة ماذا هناك؟ مَن هؤلاء؟

- إنه الأمير ابن الملك المغدور تورمانيوس، وهذا مُساعدهُ. لقد أتى بهِم خادمهم، هاربين من قبضة الملك روي.

التفتت نحوهما وأشارت لهما بالنزول، قبل أن تتجه إلى العرش الذي جلست عليه الملكة، لتنحني مُلقيةً التحيّة الخاصة بهم،بتشابُك أصابع الأيدي أمام الوجه بمسافةٍ قليلة، ورفعها وهي متشابكة الى خلف الرأس وأمامه عدّة مرّات. قالت الملكة بنبرة غضب:

- إيفا هل يصحّ أن تفعلي هكذا وسط الاجتماع؟ يجب أن تتعلّمي الانضباط والاحترام، وإلا لن تصبحي ملكةً حقيقية! ما هذا الذي أتيتِ بهِ إليّ؟ ماذا سأفعل بابن الملك الذي كان يُطلق علينا كلابهُ واتباعهُ ليحاربونا ويقتلوا منا المئات؟ كيف تتوقّعين منّا أن نساعدهُ؟!

فقال كروند وهو منحني احتراماً للملكة:

- أرجوكِ جلالة الملكة دعيني أشرح لكِ الأمر. ملكنا المغدور كان مُغَرَّراً بهِ، لقد وثق بكلّ كلمة كان يقولها الوزير روي ثقةً عمياء، بسبب طيبة قلبه ونقاء سريرته. تذكّري يا مولاتي أن عهد الملك تورمانيوس كان من أفضل الفترات التي مرّت علينا،قبل أن يصبح روي كيهان وزيره، ويبدأ الظلم والجور والدموية على يديه دون علم الملك. لقد كان الوزير خائناً للملك وعلى علاقةٍ محرّمة مع زوجته الملكة إندينا! مُربّية الأمير كشفتهم لكنّها لم تستطع التكلّم خوفاً من أن تُتّهَم بالخيانة والتشهير الكاذب بالملكة والوزير الذي لا يرحم...

- قيلَ أنّ زوجتهُ هي مَن قتلته، وإنها انتحرت بعد أن كُشِف أمرها... هكذا إذن، لا بدّ أنها ساعدتهُ على قتل الملك بعد أن وعدَها بالكثير، بينما كان يستخدمها كأسهل طريقة للوصول

إلى العـرش قبـل أن يـتخلص منهـا. يـا لـهُ مـن مـاكر، لم أشـهد مخلوقاً بدهائه!

- هكـذا مـولاتي، فـورَ انتشـار خـبر مقتـل الملـك قامـت المُربّيـة بتهريـب الأمـير مـع ابنهـا ليبقـى بجانبـهُ ويحميـه، وقمـتُ بجلـبهم إلى هُنـا. لقـد التجأنـا إلـيكم لعلّكـم تقومـون بحمايـتهمِ وايـوائهم معكم .إنهُ لا يزال صبيّاً يا مولاتي، لا ذنب له بما فعلهُ الملك.

ربما تكـون نهايـة روي مكتوبـة عـلى يـدَي هـذا الصـبي. حسـناً إذن -سـتبقَيان أنـتما الإثنـان معنـا، ذلـك يعنـي أنـكَ لـن تـتمكّن مـن العودة.

- لكن مولاتي...

- لا أحـد يـدخل أرضـنا ويغادرهـا إلا بموافقتنـا، مهـما كـان السـبب! انتهى الكلام.

بقـي الأمـير مـع مُسـاعدهُ في كنـف التريفـي، واهتمّـت الملكـة بـهِ بشـكل كبـير فَخصّصَـت لـهُ أسـاتذة وحكـماء لتعليمـه القتـال والعلـم، عـلى أمـل أن يكـبر لـيخلّص أوزوريـس مـن الظلـم الـذي حلّ به.

مـرّت السـنين وكـبر الأمـير وأصـبح شـاباً في 200 مـن عمـره. كـلّ يـوم مـرّ عليـه كـان أثقـل مـن الـذي قبلَـه، نـارٌ تسـتعر بداخلـه للانتقـام لمقتـل والـده، لكـن ملكـة التريفـي لم تسـمح لـهُ بالاسـتعجال وكانـت تقـول لـهُ "لـيس بعـد... لم يحِـن وقـت المواجهـة."... بـالرغم مـن كونـه قـد أتقـنَ كـلّ أنـواع القتـال والتحـوّل ورأى أنـهُ أصـبح جـاهزاً تمامـاً لمواجهـة ذلـك الخـائن وقتله ثأراً لأبيـه. في يـوم مـن الأيـام كـان قـد أنهـى درس الكـوراكس

توّاً، وخرج ليلتقي كروند الذي سكن معهُ في نفس البيت. كان الأمير متضايقاً من كثرة الدروس وانهيالها عليه دون فائدةٍ آنية.

- أتعلم كروند، أنا حقاً مَللتُ من هذا. مجرّد دروس وتعاليم ووعظ بلا منفعة! بدأتُ أشعر أنّ قوم التريفي وملكتهم لا يريدون مساعدتي في أخذ الثأر، ويقومون فقط باحتجازي هنا. أحياناً أفكر أنهم ربما يكونون متواطئين مع روي، ويتعمّدون تعطيلي عن استرداد العرش!

- ما هذا القول يا بُنيّ؟! الملكة تحبّك وتعتبرك ابناً لها. لقد عيّنَت لكَ أفضل المعلّمين وكلّ ما تحتاجه لتتمكّن من استعادة حقك .إنّها تؤخر الثأر لمصلحتك. أنتَ لا تعرف أساليب روي الملتوية، فهو ليس قويّاً فقط بل مُتحايل مُحترف وماكر، وهو متحالف مع داركيستر فهو الآن لديه أضعاف قوّتك، ولن تتمكّن من هزيمته بالقوة فقط. عليك أن تفكّر مثله.

- لكنني لم أعد أطيق الانتظار وأنا أسمع بظلمه لكلّ مخلوق في أوزوريس. لقد أخطأ أبي عندما وثق بهِ، وأنا لن أخطئ وأدعهُ يتمادى أكثر في طُغيانه.

- إيّاكَ أن تتهوّر وتستعجل، فَلم يحِن الأوان بعد لأن تُظهِر نفسك.

- حسناً، حسناً. لن أتهور... إنهُ مجرّد كلام أقولهُ لكي أرتاح قليلاً.

لكن ذلك لم يكن مجرّد كلام بالنسبة له، بل كان فعلاً يخطّط لكي يقتل روي بنفسه وبمواجهته وجهاً لوجه. لقد اتّفقَ الأمير مسبقاً مع حارسَي البوّابة للمناوَبة الليلية ليدعاهُ يخرج، بعد

أن وَعـدَهُما بامتيـازات كبـيرة حيـنما يتسـلّم الحُكـم، وعنـدما تكلّـمَ كذلك مع كرونـد كـان يريـد التأكّـد مـن ردّة فعلـه، ليعـرف إن كـانَ سيسـاعدهُ أم لا، فَتغـاضى عـن كرونـد عنـدما عـرف رأيـه، وخـرج مـن جـزر التريفـي عـلى ظهـر إلينـان، إذ لا يتحمـل أجـواء الطريـق سـواهم. أرسـل رسـالة إلى قصـر الملـك روي، يُبلِغـه فيهـا بأنّـهُ عـلى قيـد الحيـاة ويطلبـهُ للقتـال بشرـف وجهـاً لوجـه لاسـترداد حقـه. صـدمَ روي خـبر نجـاة الأمـير، واضـطرّ للّجـوء إلى ألاعيبـه الماكـرة، فَقوّة روي مـن قـوّة داركسـتر، الـذي لا يسـتطيع مجابهـة أي شـخص مـن العائلـة المالكـة لسـلالة أومـاريـا، لـذا التـزمَ الهـدوء وأجابـهُ برسـالة يَقبـلُ فيهـا طلبـه، مُحـدّداً فيهـا مكـان المواجهـة وهـو صـحراء أنتريـاس، لكـن مـا لم يكـن يعلمـهُ الأمـير هـو أن تلـك الصـحراء مُحرَّمة وتحـلُّ لعنتهـا عـلى أي شـخص ينتهـك حرمتهـا بالقتـال عـلى أرضـها، وقـد ذُكِـرَت تلـك المعلومـة في إحـدى الـدروس التـي تخلّـفَ عن حضورها لشعوره بالملل.

تـمّ اللقـاء في صـحراء أنتريـاس، وقـد كـان الملـك روي عنـد وعـدهِ فَأتى بمفـرده بـدون جـيش، ليتقـابَلا أخـيراً بعـد تلـك الأعـوام، وبينهما مسافة لا تتعدّى الأمتار. خاطب الملك روي الأمير بنبرة ساخرة:

أهـلاً وسـهلاً بـكَ مـن جديـد... لقـد أصبحتَ شـابّاً قويّـاً. لا أعلـم أيـن كُنـت... اسـتردّ حقّـك إن كنـتَ جـديراً بـه، لكنّنـي أرى أنّـكَ مـا زلتَ فتى قيدَ التعلّم لا أكثر.

كانـت تلـك الجملـة كفيلـةً باسـتفزازه وجعلـهِ يـنقَضّ عـلى روي بسـلاحه، لكـن روي لم يبتعـد ولم يشـهر سـلاحهُ في وجهـه، فَنـالَ ضربـةً جعلـت الـدماء تتـدفّق كـالينبوع مـن خاصرتـه. شـعر روي

بـألمٍ شـديد وأمسـكَ بخاصرتـه وهـو محنـيّ، وانتعشَـت آمـال الأمـير في الانتصــار .منعَتــهُ رغبتــهُ العارمــة في الانتقــام مــن التفكــير في سـبب وقـوف خصـمه دون مقاومـة، وقـامَ بمباغتتـهِ بضـربةٍ ثانيـة قبـل أن يســتقيم ظهــره. ســقط روي، وكــان يبتســم رغــم ألم الجـروح، موقنـاً بـدنوّ خلاصـه مـن آخـر عـائق يمكنـه الوقـوف في طريقـه. وبيـنما كـان الأمـير يتحضـّر لتوجيـه الضربـة الحاسـمة إلى عنــق روي،بــدأت الأرض تهتــزّ مــن تحتــه. تفاجــأ الأمــير بمــا حـدث،بينما تحوّلـت ابتسـامة روي إلى ضـحكات مجلجلـة، تعالَـت أكثر فأكثر، وهو ينحني ماسكاً جرحهُ ليوقف النزيف.

أنـتَ غبـيٌّ جـداً، مثـل أبيـك وأكـثر! أيُّ ملـكٍ ذلـك الـذي يسـمح لمشــاعره بالســيطرة عليــه؟!أغبياء ومتهــوّرون... أهكــذا تُحكَــم الممالك؟ أنتم مثيرون للشفَقة!

اشــتدَّ اهتــزاز الأرض وظهــرت أحجــار كريســتاليّة مــن تحــت الرمـال، كأنّهـا كانـت مدفونـة تحتهـا، زادَ ارتفاعُهـا تـدريجياً ليظهـر جبـلٌ عمـلاقٌ مـن الألمـاس فيـه بوّابـة ضـخمة. توقـفّ الاهتـزاز وفي غضــون ثــوانٍ انفتحَــت البوّابــة لتخــرج منهــا خيــالات تشــبه الأشــباح،قيّدوا الأمــير ســايمون مــن أطرافــه وســحبوهُ نحــو البوابة،وهو يصرخ ويحاول الهرب دون جدوى.

هكذا سُجِنَ الأمير في جبل أنترياس، جبل اللعنات، سُجنَت روحـهُ في حجر أنترياس في باطن الكهف الزمردي، المُحاط بجدران كالمرايا تسحر الناظرين. هذا الجبل يقع في كوكب الارض، مطموراً في أعماق المحيط الاطلسـي، في مكـانٍ بعيـد عُـرِفَ بـالظواهر الغريبـة وفقـدان السـفن والطائرات التي تحلّق فوقهُ أو تقترب منهُ. يعلـو هـذا الجبـل ويظهـر

فوق المياه ليومٍ واحد كل ألف عام، فبقيَ مطموراً وبداخله(روح سايمون الحبيسة) لمدّة مئة عام، مهما كانت الحقائق واقعية فهي تبقى نسبية تعتمد على مَن يرويها ومَن يسمعها ....

حتّى حلّ يوم ظهور الجبل على السطح .صادفَ في ذلك اليوم وجود سفينة ضَلَّت طريقها بسبب العاصفة والضباب، واقتربَت منهُ ظنّاً من طاقمها أنهُ جزيرة يمكن الاحتماء بها حتى انقضاء العاصفة، دونَ أن يعلموا أن العاصفة أساساً حدثَت بسبب ظهور الجبل وانبثاقه من عمق المياه، مُسبّباً هيجان الأمواج والمطر الغزير في تلك البقعة.

كان قُبطان تلك السفينة رجلاً مُهيب الطّلعة سَمِح الوجه، يُزيّن وجههُ ذقنٌ خفيف وعينان خضراوان وشعرٌ كثيف. أمرَ القبطان طاقمهُ بالتوجّه نحو الجبل الذي لاحَ لهم من بعيد، على أمل إيجاد مأوى مؤقت لهم هناك، وعند وصولهم واتّضاح الرؤية، تبيّنَ لهم أن ذلك الجبل هو جبل من الألماس النقيّ...

طفلٌ صغير في السابعة من عمره وسط غابة الأومـاروس،يهرب مـن وحوش تحاول التهامه...
عصبةٌ من الأوماريين تقودهم امرأةٌ غريبة من الأرض...
وحــشٌ رهيــب يفتــك بنســاء أوزوريــس دون ســبب واضــح، ولا دليل على كيفيّة التغلّب عليه...
خيانــةٌ أخــرى تهــزّ أركــان أوزوريــس، وتجعــل الأنظــار شاخصــة والأفواه فاغرة مما يجري...
رجلٌ انتقـل مـن الفقـر إلى الـثراء الفـاحش بعـدَ رحلـة ظـنّ الجميـع أنهُ قد ماتَ فيها...

كـلّ هـذا وأكثـر ينتظـركم فـي الجـزء الثـاني مـن ملحمة أوزوريس...

سجلات أوزوريس

(داركيستر)

آله الظلام في اوزريس وهو شخص ملعون من سلالة ألاوماريا والذي انتهك حرمة الارض المُقدسة وقتل ملكة جبل انترياس واستحوذ على حجر الظلام ليكون آله الظلام ومالك اقوى جيش من المَرَدة الجان في العالم وحاول السيطرة على عالم اوزوريس فنشبت حرب الـ100 عام بينهُ وبين الملك آراكوس الثاني وانتهت بأنتصار الملك آراكوس وحبس داركيستر في الدرك الاسفل من مقبرة الارواح .....

(الكريدينس)

هو اشرس واكثر وحوش اوزوريس فتكاً وموطنهُ بحيرة الكريدينس ويستخدمهُ سكان اوزوريس لأعدام المجرمين حيث بأمكانهم السيطرة عليه من خلال بعض التعاويذ باللغة الاوزورية القديمة وبحسب اعتقاداتهم انهُ مُنزل من الالهة لتطهير المخلوقات ومعاقبتهم على خطاياهم .

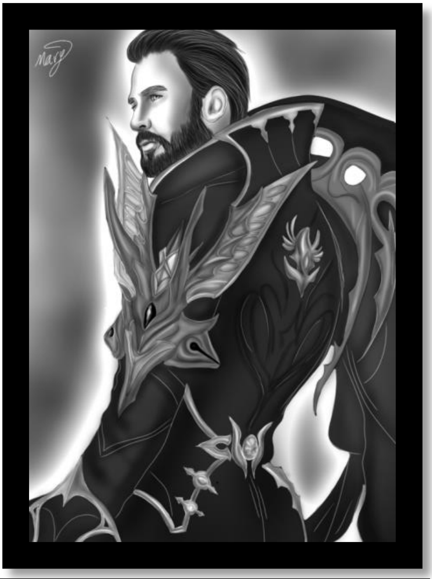

(سلالة الاوماريا)

وهم سلالة شبه بشرية متطوره اشكالهم الخارجية واعضاءهم الداخلية وخلاياهم جميعها شبيهة بالبشر الذين يسكنون كوكب الارض ولكنها متطورة لدرجة انها قابلة للانقسام والتقلص والتشكل ,حيث الحمض النووي الخاص بها هو حمض نووي بشري مُختَلط , يستطيعون التحول الى جميع الكائنات المتعددة الخلايا وتبدأ هذه القدرة لديهم من سن الرشد وهو ال100 عام ويستطيعون اتقانها بعد التدريب ,فهم يعيشون حتى 500 عام وهي المملكة الاقوى توسعت بشكل كبير حيثُ انها قامت بضم بقية الممالك تحت شراعها وفي حمايتها واسستها سلالة الاوماريا وهذه السلالة تستقر في (ادونايا) عاصمة اوزوريس

(رمز مملكة اوماريا)

كوكب الشموس الثلاث

ورمز مملكتهم عبارة كرة من عدة طبقات وحولها ثلاث شموس احدها هو رمز الالهة والاخرى رمز مملكة فيروسيا القديم والاخرى رمز مملكة التريفي ويشير الى وحدة الثلاث ممالك تحت راية واحدة...

(مملكة التريفي)

وهـي المملكـة التـي تـأتي بعـد مملكـة الاوماريا مـن حيث القـوة قامت بتأسيسـها سـلالة التريفـي والتـي هـي عبـارة عـن مخلوقـات ثنائيـة الارجـل لهـم جلـد ناصـع البيـاض يغطـي اجسـام شـبيهة الى حـدٍ مـا بأجسـام الاومـاريـا ولكـنهم ذوو عيـون دائريـة خرزيـة سـوداء وبؤبـوء ابـيض تتحـول الى بيضـاء مُشِّعة بالكامـل عنـدما يهاجمون ونـدب تحت عيـونهم مع وجـه كمـثري صـغير تعلـوه اذنـين طـويلين بنهايـات سـوداء , يمتـازون بقـوة قتـالهم واسـلحتهم الفتاكـة وذكـائهم الحـاد ويستطيعون التحول الى شكل واحد

وهـو طيـور التريفـي و لهـا قـدرة تمكنهـا مـن الهـرب اذا مـا وقعـت في قبضـة اي احـد . ويسـكنون جزيـرة التريفـي المخفيـة الواقعـة عـلى الحـد الفاصـل بـين نصـفي الكوكـب النـاري والجليـدي هـذا مـا يُقـال ولكـن لا احـد مـن سُكان الممالـك الباقيـة يعـرف كيفيـة الوصـول الى جزيـرة التريفـي ولهذا تلقب بالمخفية.

رمز مملكة التريفي

(القمر الملتهب)

(سلالة فيروسيا)

وهـــي المملكـــة الثالثـــة والتـــي اسســـتها سُـــلالة فيروســـيا وهـــم اعتـــى ســـحرة اوزوريـــس قـــوتهم تكمـــن في تعاويـــذهم السـحرية وقـدرتهم عـلى تشـغيلها حيـث لا يمكـــن لأي مخلـــوق غـــيرهم تشـــغيلها حتـى لـو درسـها وحفظهـا وهـذهِ السـلالة تمتـاز بالـدهاء والتملـق للأقـوى وهـــم الاقـــرب للاوماريـــا بالشـــكل ولكـــنهم يمتـازون بالبشـرة الداكنـة جـداً والشـعر اللؤلـؤي الفـاتح جـداً مـع التعاويـذ التـي تطبع على ظهورهم وجبينهم منذُ ولادتهم .

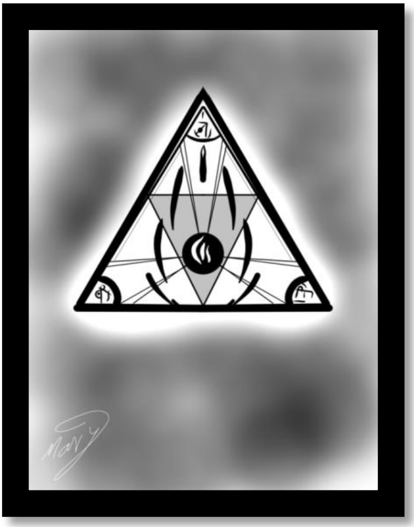

رمز مملكة فيروسيا

(الهرم سداسي الاضلع

رباعي العناصر)

(سلالة كلاريوس)

و هي عبارة عن سلالة من النصف عمالقة , اطوالهم تتراوح من 3 الى 5 امتار ذوو ايدي عريضة ورؤوس ضخمة مع جلد صلب كالصخور الحجرية سوداء اللون ونقوش صفراء متوهجة على اجسادهم وكأنها شقوق بركانية يستطيعون حمل اثقل الاشياء او تحطيمها , ولكن رغم قوتهم يفتقرون للذكاء ولهذا هم يعتبرون السلالة الحامية فقط,لأن اغلبهم حراس للعوائل الحاكمة وحتى لغير مملكتهم منهم , والجيوش منهم خصوصاً بعد أن انضمت مملكتهم تحت لواء اوماريا ويسكنون جزيرة الهلاك على الطرف الجنوبي من عالم اوزوريس .

(سلالة الالينان)

وهـي السـلالة المُضـطهدة وهـي سـلالة مـن المخلوقـات بعضـها صـغير والآخـر كبـير وبعضـها مُسـالم والآخـر متـوحش وتختلـف اشـكالهم وطبيعـتهم عـن بعضـهم بأختلافـات بسـيطة حسـب امـاكن عيشـهم وطبيعـة البيئـة التـي يسـكنونها حيـث هنالـك الينـان الثلـوج الـذي يسكنون(جزيرةتوناميا)

الينـان المـاء الـذي يسـكنون (محـيط الكريـدنس) والالينان الارضين الذي يسكنون (غابة الالينان (و الينـان الجبـال الـذي يسـكنون بعـض الجبـال في (صـحاري انتريـاس) الينـان النـار الـذي يسـكنون (جزيرة اوركاما)

هـذه السـلالة يعتبرونهـا جميـع سـكان اوزوريـس (سـلالة التوابـع) وذلـك لأن كـل فـرد مـن هـذه السـلالة قلبـهُ يقبـع خـارج جسـده (وهـو نفسـه البيضـة التـي يولـد منهـا والتـي تخـرج مـن الارض كـما النبتـه) ومـا إن يحصـل اي مخلـوق عـلى قلـب الالينـان يصبـح لا يسـتطيع تركـه اي يصـبح تـابع لـهُ اينـما ذهـب وينفـذ اوامـرهُ فقـد سـيطرَ عليـه بالكامـل ولهـذا كانـت بقيـة السـلالات تشـن هجـمات صـيد على الالينـان لتحصـل عـلى توابـع لهـا منـهم لتسـتخدمها كـدواب يركبونهـا او كخـدم او غيرها من الامور .

(الارسيميا)

وهـــم اعتـــى سُـــلالات الجـــان في اوزوريـــس , حصـلت لهـم ابـادة جماعيـة عـلى يـد الملـك كـارلوس الاول ومنــذُ ذلــك الوقــت اختفــوا واصـــبحوا مجـــرد اســـاطير تُحـــكى للأطفـــال وكُتبـــت عـــنهم (اتاكوردينــــا _ملحمـــــة الآرسيميا (

(جنيات البريكلز)

وهـــي اكـــثر ســـلالات الجـــان في اوزوريـــس مُســـالمة وقريبـــة لسُـــكانها , تســـكن وادي البريكلـز ولـديها لُغـة لا يفهمهـا سـوى اليـنـان الغابـات والـذين يعتـبرون الاكـثر تواصـل معهـا خصوصاً في فصل الربيع

(جبل انترياس)

وهو الجبل المُقدس الذي يقع على اراضي انترياس المُحرمة وذلك لأن كُل من ينتهك ارض انترياس ويقاتل عليها او يسلك سلوك العُنف يتم لعنهُ بالسجن في كهف اللعنات داخل هذا الجبل للابد في احدى احجار انترياس تحديداً وهذا الجبل يظهر في صحاري انترياس فقط عند انتهاك حرمة الارض ولكنهُ يختفي بعدها ليظهر في اعماق المحيط الاطلسي في كوكب الارض في منطقة عُرفت بظواهرها الغامظة وحوادث الاختفاء الذي يسببها ولا يعلو المحيط الا مرة واحد كل 1000 عام لمدة 24 ساعة ثم يعود ادراجهُ لينطمر في اعماق المحيط .

(كهف اللعنات) (جبل انترياس)

(لعبة الدوكاتوا)

وهـي لعبـة اول مـن اخترعهـا التريفـي وانتشرـت واشـتهرت بشـكل كبـير في كـل اوزوريـس وهـي تتكـون مـن بوابـات وهمية طافيـة بـالهواء لا تسـمح لـك بـالمرور عبرهـا الا بعـد ان تقـوم بحـل الاحجيـة في 5 ثـواني و إن لم تحـل الاحجيـة سـوف تظهـر لـك وحـوش الـدوكاتوا بأختصـار انهـا لعبـة الفـوز او الموت وقلـما تـرى اشـخاص ينجـون مـن هـذه اللعبـة بعـد خسـارتهم حيـث إن مخلوقـات الـدوكاتوا مخلوقـات بحجـم كـف يـد الانسـان طـائرة تخـترق الجلد وتدخل لتأكل الدماغ.

(البوابات وحشرات الدوكاتو)

(كليفين)

هو احد انواع الطيور في اوزوريس والاكثر شهرة بينها وهي بحجم النسر ولكن شكلها مختلف تماماً عنه مغطاة بجلد بدل الريش وتستطيع السباحة والطيران بطنها ذهبي اللون وظهرها اسود اللون مع ذيل ساحر الجمال .

(الكونتير)

هو عبارة عن مخلوق تستخدمهُ ممالك اوزوريس لنقل الرسائل.

(الغلوبال)

هو من أشهر الاسلحة استخداماً في جميع ممالك اوزوريس وهو عبارة سوط يستخرج من جذوع اشجار اونامي المُتسلقة ويركب فيها احجار الدورين وهي تشبه الماس بيضاء اللون حادة وصلبة

(الداميني)

هي مخلوقات طائرة وتحـوي في ظهرها غرفة هوائية تستطيع ان تحمـل بهـا مـا تشـاء وهـذه الكائنات الوحيدة التي بأمكانها ان تصـل الى جـزر التريفـي المخفية لكونها تتحمل الحـرارة والبرود الموجودة حولها.

(سور دايجون)

وهو سور من صنع تعاويذ سحرة فيروسيا شفاف لا يظهر لونه الازرق الا عنـدما يصـطدم شيء مـا بـه فتتكون هالة زرقاء حولهُ فتسبب لـهُ الالم والشـلل المؤقـت فيسـقط مشلول قرب السور فيمسـوكون بـه الحرس .